

نَايِجْ بَعْلَبَاكِي

ناتخ بعلي بك

تأليف
الدكتور حسن نصر الله

الجزء الأول
التاريخ السياسي والاقتصادي



m115384m

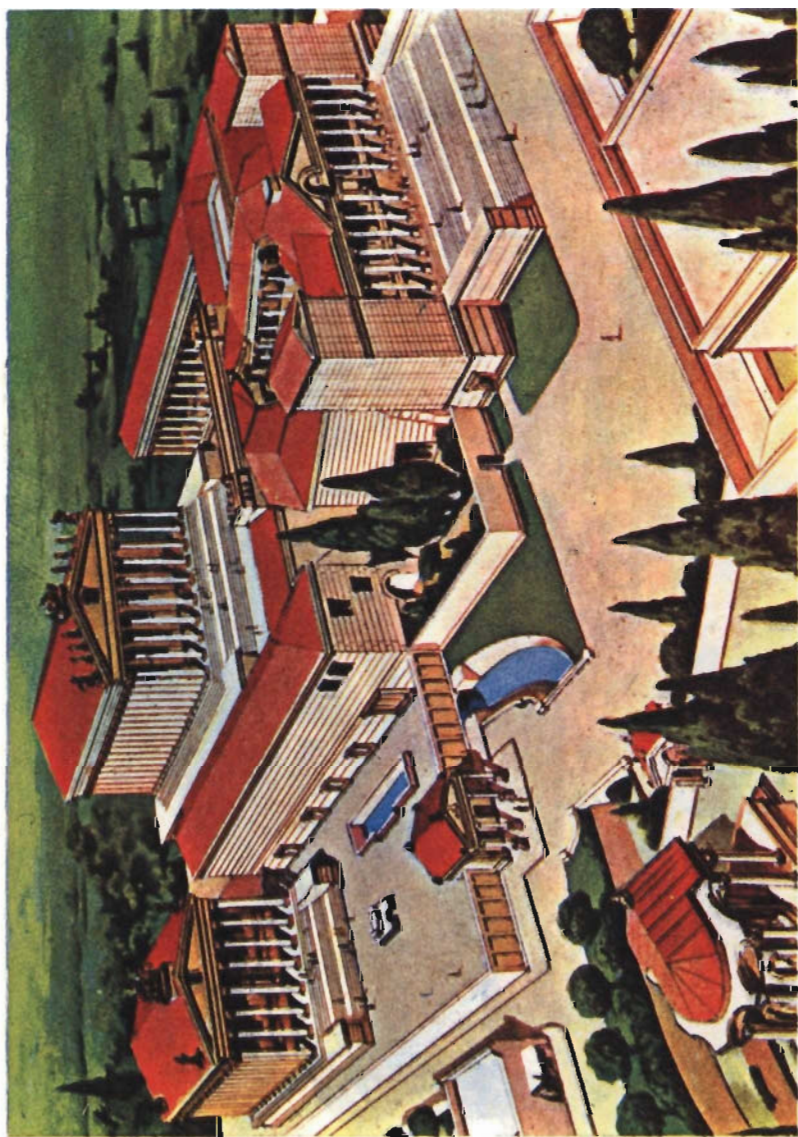
كتابخانه تخصصی
وزارت امور خارجه

مؤسسة الوفاء
بيروت - لبنان

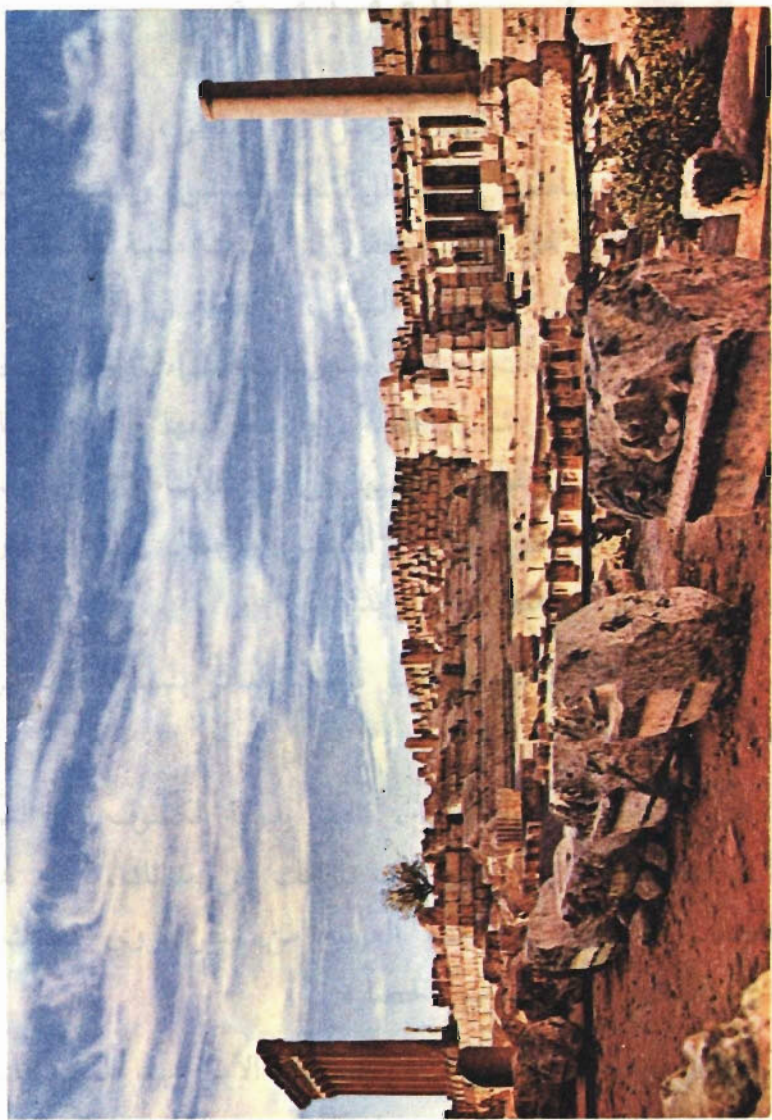
٥٧
٨١
١٠٧
١٠٥

١١٥٣٠٤
٨٤ / ١١ / ٤

كافة الحقوق محفوظة ومُسجلة
الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م



تصميم الهياكل قبل الحراب



البهو الكبير وملج هيكل جوبيتر

المقدمة

بعلبك ، تاريخك نقشه الأزميل في الصخر ، وزركشته يد مترفة
بالفن ، مدّت أناملها العنمية الى اشعة الشمس ، ولمتها حزما من
الضياء ، وزعتها على ربك والحقول ، فصرت مدينة الشمس ، وبات
في الكون شمسان : الأم في السماء ، والطفلة في الأرض . ولما كان
النور مورد الجمال أمّت رحابك حوريات السماء ، وأحبين التطواف في
حرمك ، ومع الزمن شبت الطفلة ، والوهج يلفّها وأتاها الإنسان ينشد
حقيقتها فاستعصت عليه ، فنسبها إلى عالم الأساطير ، وغدت بعلبك
أسطورة منسوجة من أصابع الشمس والجمال والقدسية والقدّم ،
ومنعها الفكر مواهبه اتقاناً وإبداعاً .

وغيظت الأيام من سعادتها فرماها الدهر بسهم الحقد عن قوس
الحسد .

ولفها الظلام ، وما عابها ، فالبدر يدركه الكسوف ليلة التّم . أما
أنت فطال كسوفك ، حتى غاب تاريخك عن ندادك ، ومن هنّ بعمر
أحفادك . . . وخلت المكتبة العربية من سفر يروي قصتك محبوة
الاحداث ، متلفعة بثوب الحضارة .

آلني ما حلّ بك من غبن ، فداويت الآمي بهذا العمل المتواضع ،
وجهدت لإنصافك رغم الصعوبات ، ومضيت في هذا الطريق أستنطق

سطور المخطوطات ، والمطبوعات باحثاً عن إشعاعات إسمك علّها تنبثق بين كلماتها ، وكان النور ضئيلاً ينسرب من عبارات قصيرة جداً .

إن كل ما كتبه عنك المسعودي في مروج الذهب هو « ثم فتحت بعلبك صلحاً » وهذا لا يسوّد سطرأ . ولم يكن اسمك بأوفر حظاً في تواريخ الطبري ، واليعقوبي ، وابي زرعة الدمشقي ، والبلاذري . . . هذا الضحل في المعلومات ، ظاهرته عوائق جمة منها : ندرة المخطوطات ، وضياح التتاج البعلبكي ، وتفاقم الاحداث الجارية التي تمنع التحرك لنشدان المصادر في مظانها ، وضاعف المي شحّ البعلبكيين وضنتهم بمصدر او وثيقة ، أو صورة ، أو مسكوكة امتلكوها صدفة ، ولما وددتُ الاطلاع عليها حسبوها درّة مصونة لا يباح النظر إليها . لكنني وقفت بعناد وسط تيار المصاعب ، وكنت كلما غصصت باليأس اعتصرت بالصبر ، حتى خلصت الى كتابي هذا بعد عامين عشت فيهما أحداث بعلبك خلال العصور ، ورافقتني همومها في يقظتي ، واكثر نومي . وأعتبر عملي هذا جزءاً من (موسوعة بعلبك) التي أبغي - إن شاء الله - إصدارها لتشمل كل النشاطات السياسية والثقافية ، والاقتصادية والعمرائية . . .

وأنزلت دراستي في قسمين :

الأول ضم التاريخ السياسي والعسكري منذ عهد الاساطير مروراً بالحقب الفينيقية والرومانية ، والبيزنطية ، وركزت على العهود الإسلامية - العربية ، وأنصفت بعلبك ، وبينت أنها صدرت حكامها البوريين ملوكاً لدمشق ، وتحولت الى مملكة أيام الايوبيين وتدخل ملوكها

في شؤون سلاطين مصر ودمشق ، ونجحوا اكثر من مرة في عزل سلطان وتنصيب آخر ، بل انطلقوا مع جيش بعلبك وتسلطوا في دمشق ، واتخذ ملوكها الايوبيون وزراءهم من السامرة وكشفت لأول مرة وجود السمرة في بعلبك وتسلمهم مقاليد الحكم ، إذ هم من الأيوبيين بمنزلة البرامكة من العباسيين .

ولم أغفل دور حكامها في مواجهة الصليبيين ، لأن صمودها فاق صمود دمشق التي دفعت الجزية لهم حيناً من الزمن في حين لم تدفعها بعلبك . ومع الممالك عاشت أجواء الفتن فأنس سكانها إلى العمل العسكري فعملوا مرتزقة في جيش الممالك ، وتولوا الروك والكشوفات في الساحل اللبناني « مقاطعات بيروت وصيدا . . » وتولوا أيضاً حراسة القوافل بين دمشق وبيروت وطرابلس وصيدا وحمص . . .

ثم فصّلت حقبة الاقطاع مع إمارة الخرافشة الذين شادوا حكمهم على العصبية القبلية ، والطائفية ، والشجاعة ، والمال . ومثل عهد الامير يونس عصرهم الذهبي حيث امتدت سلطة بعلبك الى حمص ورأس بعلبك ، والقيصرية - على منابع العاصي - واللبوة ، وبعلبك ، وتمنين ، وكرك نوح ، وقب الياس ، ومشغرة وضموا إليهم ولاية صفد . . . وأقاموا حلفاً للتناصر مع شيعة الجنوب في جبل عامل . وكشفت أمراً طمسه المؤرخون اللبنانيون والعرب ، وأفادنا به « إستيل » Estelle قنصل فرنسة في صيدا . أتدري أيها البعلبكي أن موقعة « عين دارا » سنة ١٧١١م نفذها أبناء بعلبك الشجعان ، لقد تغنى بها مؤرخو لبنان واعتبروا انتصار القيسية والقضاء على اليمينية مرحلة فاصلة في تاريخ لبنان الجديد ، وعزوا النصر الى أمراء جبل لبنان

ومشايخه ومقدميه ، وطمسوا معالم الحقيقة ، وكشفها Estelle برسالته الى وزير دولته بونت شتران Pont. Chartrain المؤرخة في الثالث والعشرين من أيار سنة ١٧١١ وجاء فيها :

Il (L'Emir Aydar) a demandé la Protection d'un chek très puissant de Balbeck qui la luy a accordée, et luy a donné environ deux mille cinq cents hommes de bonnes troupes pour ce pays . Il est venu fort secrètement avec cette petite armée au pays du Chouf, où elle a bien tost augmenté par le Druses de la bannière rouge qui le sont allés joindre , En très peu de jours il a eu sous ses ordres quatre mille hommes ...)^(١)

وهذه ترجمة النص « طلب الأمير حيدر الحماية من شيخ بعلبك القوي جداً ، فمنحه إياها ، وأعطاه قرابة الفين وخمسمائة رجل من خيرة جنود هذا البلد . وتقدم - بسرية تامة - مع هذا الجيش الصغير الى بلاد الشوف وبسرعة ازداد عدده بتجمعات الدروز من (القيسية الحمر) الذين التفوا حوله . وخلال أيام قليلة بات تحت إمرته أربعة آلاف رجل » .

لقد خاض الأمير حيدر الشهابي معركة عين دارا بأربعة آلاف رجل

.....

منهم الفنان وخسماية من جند الأمير حسين الحرفوش ، والف وخسماية من بلاد الشوف وحقق البعلبكيون النصر لنزيلهم ، وأهلكوا قوام عصبية الحزب اليمني الذي كان صدعاً مستمراً في بناء سلطة الوحدة اللبنانية . . .

وما ندت عن خاطري أحداث ثورة سنة ١٩٢٦ م ضد الانتداب ، يوم تواطأ كل لبنان مع فرنسا ، ووقفت بعلبك مفردة في وجه صلف المستعمر ، فذمها اللبنانيون ، واتهموها بالعقوق ، ولما نال لبنان استقلاله سنة ١٩٤٦ م هاجم مناورات فرنسا وتغنى كثيراً بالحرية متناسياً أن بعلبك سبقته في مضمار الوطنية والتحرير بعشرين عاماً .

هكذا حاولت انصاف هذه المدينة من التجني يعضده الاهمال والنسيان لقد سلبوها الفضائل ورموها بالردائل . ولما كتبوا تاريخ لبنان القديم والمعاصر تركوها على هامشه ، ودونوا تاريخ سورية فأسقطوا إسمها كأنها لا ولدت هنا ، ولا عاشت هناك . . . وتوخيت في عملي الحقيقة مجردة عن الميول والرغبات ، وحب الحقيقة مبدأ ترسخ في قرارة نفسي لأنني أهوى الصدق وأمقت المين ، وهذا ما يتوافق مع التاريخ المتطلع أبداً إلى الحقائق خالصة من الشوائب .

وبحثت في الشق الثاني الحياة الثقافية مترجماً للأعلام ، موجزا تارة ، ومتعمقاً أحياناً ، حسبما أملت عوامل المعلومات المتوافرة ، والنتاج المحفوظ . وسلكت منهج الترتيب الابجدي للإسم الأول ، وبان غنى في تنوع العطاء ، أكد أن بعلبك جادت بعابرة ، توزعوا ألوان الفنون الجميلة . وكانت لهم الريادة في كثير منها . وأهمها النقش والنحت وقد

أفرغوهما في الحجر فأنطقوه ، إنه إلهام منحتهم إياه السماء ، أما الموسيقى فضمت بعلبك أساتذة الجوقات في العهد الروماني ، وام مدينتهم عشاق هذا الفن ، وقبسوه من أوتارها ونقلوه الى بلاد العالم . وعرفت مع الإسلام المؤذن البعلبكي الذي اصطفاه الملوك لأنفسهم ، وفي حقل الاختراع كانت نار كلينيكوس الاغريقية متفردة ، حتى عرف القرن السابع بعصر النار الاغريقية ، مثلما اشتهر القرن التاسع عشر بعصر البخار ، ولازمت الكهرباء والذرة القرن العشرين . ومن أطبائها قسطابن لوقا ، والمظفر البعلبكي رئيس الجراحين والكحالين في بلاد الشام أيام الايوبيين ، وتحفته كتاب (مفرح النفس) الذي ضم عناصر الادوية المنشطة للنفس والطاردة للكآبة . وخاض غمار الهندسة بهاء الدين العاملي وليد بعلبك . ومآثره ما تزال مفخرة إيران .

وفي الخط جلى محمود بن محمد بن خطيب بعلبك اذ تفنن في الاخراج وتعلمذ على يده الامراء وجهابذة هذا العلم .

وعرفت من اصحاب المذاهب الأوزاعي ، وعدي بن مسافر (الشيخ عادي) الذي غدا أحد الأولياء عند مذهب اليزيديين ، وقبره محجتهم . وفي الفقه برع الأوزاعي ، والقطب محمد اليونيني والشيخ حبيب آل إبراهيم ..

وتفوقت بعلبك على سائر المدن الإسلامية في حضن التصوف ، وغدت صاحبة مدرسة خاصة بها ، عرفت (بالاسطوان) وهي احدى ثلاث مدارس للتصوف عرفها العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري ، وغدت مقصد مريدي هذا اللون تهوي إليها قلوبهم لتتصل

بأقطابها ، واستمرت الى القرن السابع الهجري حيث اتسعت شهرتها
وغدت مركزاً للأقطاب والابدال أمثال الشيخ عبد الله اليونيني وخلفه
القطب الفقيه محمد اليونيني .

أما في حقل التاريخ فانجبت قطب الدين موسى اليونيني ،
والمقريزي البعلبكي الأصل ، ومن شعرائها المبرزين طرز الريحان شاعر
الرقعة ، والروح الصوفية المتسامية من المجون الرافث الى الاعلاء
الحلولي . و خليل مطران رائد التجديد وشاعر القطرين . والشيخ علي
النقي زغيب الذي نذر شعره لاصلاح بعلبك وشبابها . وسليم حيدر
يسمعك القصائد الواناً فتخال انك تعيش مع مجموعة شعراء تقمصوا
شاعراً واحداً .

وفي اللغة تطالعنا أسماء كثيرة أشهرها محمد بن أبي الفتح البعلبي
صاحب « الفاخر » والشيخ محمد صادق زغيب صاحب الألفية « سهلة
المسالك وبغية السالك » وإسمها ينبيء عن مضمونها وأسلوبها .

وفي ميدان الفروسية شهدت كتب التاريخ لامرائها الحرافشة الذين
كانوا مضرب المثل في الشجاعة والكرم ، وغدت بطولاتهم أحاديث
سمر يردددها الناس في سهراتهم ومحافلهم . هذه نماذج من أعلام بعلبك
ونتاجهم ، ممن تجد تراجمهم في هذا الكتاب ، وقد حاولت انصافهم
بعد ان جنى عليهم الدهر فطمس ذكرهم مثلما جنى على الهياكل وقوض
اعمدها الشائخة . وضمن التراجم أشرقت أسماء بعض العائلات
البعلبكيات ، وقد جلسن للحديث والرواية ، وأجزن كبار فقهاء الإسلام
ومؤرخيه ، وقد فاق عددهن ، أعداد مثيلاتهن اللائي ظهرن في سائر

المدن اللبنانية : طرابلس وبيروت وصيدا وصور ، مجتمعة ، ومرد ذلك إلى عوامل توافرت في بيئة بعلبك مثل التحرر ، وطبيعة العمل ، والاجواء العلمية ، والعوامل النفسية .

هذه بعلبك الثقافة فيوم كان قسطابن لوقا البعلبكي يترجم الى العربية علوم اليونان ، وسكان بعلبك رجالاً ونساء يقرؤون ويكتبون ويفد الى رحابها طلاب العلم ينهلون من مشايخها وشيخاتها كان « ملوك الغرب كشارلمان ونبلائه يحاولون ان يتعلموا كيف يكتبون أسماءهم »^(١) .

وعقدت فصلاً للمظاهر العمرانية التي شهدتها المدينة ، وثبتت آثارها الى اليوم فهناك الكنائس والمساجد والمدارس والطواحين . . . اما الهياكل فتجلى فيها فن النحت وارتقى حتى بلغ قمة يستحيل تخطيها بل تصعب مضاهاتها ، وهذا الابداع خلع عليها ثوب الاسطورة فقل هي من صنع جن سليمان ، وأتى علماء القرن العشرين ينسبون هندستها إلى غزاة هبطوا من الفضاء على متن الاطباق الطائرة » وعلموا إنسان بعلبك هذا الفن « المعجزة » وتركوه يخلده على الحجارة الصم وينشره بين جيرانه . ولذلك كثرت الترجيحات المتنبئة بأن الفنانين المهرة الذين نقشوا هذه التحفة الخالدة ، كانوا من بعلبك ، وجاراتها : خالكيس « عنجر » ، ودمشق وحمص وآفاميا ، وجبيل . . . وتدعم هذا الزعم شعارات ورموز هذه المدن ، وقد نقشتها المجموعة المنتسبة إليها على

.....

(١) حتي : فيليب : تاريخ العرب : ١ / ٣٩١ .

جدران الهياكل ، وأظهرها رمز العاصي أورنتس تلك الحسناء المحمولة
على جناحي ملاك .

وعرَّجت على الزراعة والتجارة وبينت مكانة بعلبك المرموقة في غابر
الزمن - لا اليوم - اذ تفرَّدت بصناعات كانت مفخرة عصرها وفي طليعتها
التمثيل البرونزية والآلات الموسيقية ، والقصور (الدسوت) والثوب
البلبكي البعيد الشهرة ، واختصت أيضاً بزراعة حب الملوك
(كرز) ، وصدَّرته الى القاهرة مع الحمام الزاجل .

هذه معالم مدينة حسدتها الأيام ، وكادت لها فحسرت نشاطها
وحدَّت من تساميتها ، وأنزلتها من مملكة هائلة سعيدة ، إلى ولاية
فمحافظة فقضاء ، فقرية كبيرة . . .

وهي اليوم تعيش مخاضاً عسيراً لتشرذم أبنائها زمراً وفي كل زمرة
زمرٌ ورؤوس ، وكأن علي الشرقي ما عداهم عندما قال :
قومي رؤوس كلُّهم رأيت مزرعة البصل؟!!

بعلبك

.....

(بَعْلَبْكُ) بفتح الباء الموحدة ثم تسكين العين ، وفتح اللام والباء والكاف المشددة^(١) . وضبطها المسعودي والقلقشندي (بَعْلَبْكُ) بفتح العين وتسكين اللام ، وهي لغة عامة الناس^(٢) .

والاسم مركب من (بعل - بك) لا خلاف حوله ، لكن التأولات كثرت حول اللغة الأولى التي انطلقت منها التسمية . قيل فينيقية (بعل - بك) أي (بيت البعل) أو (مدينة البعل)^(٣) . واعتقد جان دي لاروك «J. Dela Roque» بأن التسمية جاءت من بعلث «Balthis» إلهة السوريين^(٤) ، والبعل صنم تقمص معبودات وثنية مختلفة في مراحل زمنية متعاقبة . فهو «هدد» «Jupiter» «Hadad» (المشتري) البعلبكي ، وهو الشمس عند اليونان (هيلوس) «Heliuss» أو باخوس إله الخمر «Bacchus»

.....

(١) الحموي : ياقوت : معجم البلدان ١ / ٤٥٣ ، أبو الفداء : تقديم البلدان : ٢٥٥ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب : ٢ / ٤٧٥ ، القلقشندي : صبح الاعشى : ٤ / ١٠٩ .

Macrobius : Saturnaliorum. B.K.I. Secs 15.

J. de La Roque : voyage de Sirie et du Mont LiBan. P. 60.

وأوضح القرآن الكريم أن أهل المدينة عبدوا (البعل) - قبل المسيح - يوم أتاهم نبي الله (إلياس) وأنهم على فعلتهم « أتدعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين » ^(١) .

وذهبت جماعة الى ان الاشتقاق سرياني (بعل بقعوتو) أي رب البقاع «Bel. Beqà» و Bel تعني صاحب أو رب أو مالك ، و «Beqà» البقاع ^(٢) والجذور السامية تشير أيضاً الى (بعل - البقاع) أي مركز الاله بعل في « مرتفع البقاع » ، مقابل (بعل - حرمون) ^(٣) وهذا يتناسب مع موقع بعلبك ، فهي في أعلى نقطة من سهل البقاع ، وحد فاصل بين شطريه الجنوبي والشمالي ، فالياه التابعة من جنوبها تسيل جنوباً « الليطاني - نبع العليق » وينابيع الشمال تنساب شمالاً (العاصي) . وعرفت العبرية - السامية لأن اليهود عبدوا (البعل) اله الفينيقيين أيام ضلالهم ^(٤) وقد أنبهم على فعلتهم احد الأنبياء ^(٥) ، وفي كتبهم نجد (بعل - باح) و (بعلت) ، و (بعلباكي) و (بعلبكي) .

ف قيل : بعلت مدينة بناها سليمان في سهل البقاع الخصيب « وقيل بعلة من مدن سليمان وفيها برج لبنان الناظر تجاه دمشق . وقد ورد في العهد الجديد (أخرج من (بعلباكي) سبعون مثقالاً من الفضة ، وأعطيت لأبي مالك ^(٦) «Abi Melech» وفي (المشنة) كتاب التقاليد

(١) سورة الصافات : آية ١٢٥ .

(٢) الدبس : يوسف : تاريخ سورية : ٣٧٥ / ٢ .

Ernest Renan. Phonicia Paris 1939.

(٥) (يوشع : فصل ٢) .

Dela Roque: 60

(٦) سفر القضاة : الفصل التاسع : رقم ٤ .

اليهودية وضع في القرن الثاني للمسيح «شوم بعلباكي» أي ثوم بعلبك .

وأبى العلماء إلا ادخال اليونانية لحل المعضلة ، فقليل ان التسمية يونانية (بعل - باكو) أي بعل باخوس «Bel Bacchus»

وفي رأي (دي بوكاج) ان (بعل - بك) تأويلها مدينة الشمس فأطلق عليها اليونان (هيليوبولس) «Heliopolis» مترجمين إسمها ترجمة دقيقة ، لأن « بك » بمعنى بولس « مدينة » والمقاربة لا تخفي بين بعل « شمس الفينيقين » و « إيو » شمس اليونانيين . وأكد « كاران » هذا الرأي لأن الشمس كانت معبود أهلها^(١) .

وأقر الرومان هذه التسمية (هيليوبولس) لشيوع عبادة الشمس احدى الالهات الرئيسة في العبادة السورية ، وقد اطلقوا عليها في أساطيرهم مثلما أطلقوا على جوبيتر وسواه ، إسم بعل أو إله .

وقال ماكر وبيوس «Macrobios» « إن الصنم الذي عبد في هليو بولس السورية جلب من رصيفتها المصرية »^(٢) . وهذا التداخل المصري طال المعبود والاسم فقليل (بعل - باكي) إسم مصري ورد مع الصنم المستورد لأن « بك » لم ترد باللغات السامية بمعنى « مدينة » إنما وردت (باكي) في اللغة المصرية بمعنى المدينة^(٣) .

.....

(١) مجلة الأرض المقدسة سنة ١٨٨٢ . Movers:0 die Phonizier I.P 157 الدبس : تاريخ سورية : ٣٧٥ / ٢ .

Macrobius : B.K.I: Secs. 15'

(٣) الدبس : ٣٧٦ / ٢ .

واعتمد العرب إسمها الوطني القديم (بعلبك) . وكان شائعاً
بينهم قبل الإسلام ، ذكرها امرؤ القيس الكندي - الشاعر الجاهلي - لما
اجتازها قاصدا بيزنطة ، قبل مائة القرن الخامس الميلادي^(١) :

لقد انكوتني بعلبك وأهلها ولابن جريج في قرى حمص انكرا
وذكرها عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته^(٢) :

وكأس قد شربت ببعليك وأخرى في دمشق وقاصرينا^(٣)
وردت في شعر النابغة الشيباني :

أرقت وصاحبي ببعليك وأزقني الهموم مع التشكي
ان ظهور إسم (بعلبك) في قصيدة أبي الشعراء العرب أوحى
لمؤرخي العرب ولغويهم بالتقصي عن اشتقاق الاسم فقالوا : البعل
الرب والزوج ، والجذر « بك » من بك عنقه اي دقها وتباك القوم
ازدحموا . فالمعنى : الرب الذي يزدحم الناس حوله ، وتدق الاعناق أي
تقدم الضاحايا عند أقدامه .

وربما أشارت التسمية الى ازدحام البعول المعبودة وكثرتها في المدينة
وقد تجاوزت ثلاثمائة وخمسين صنماً ، كما سمي بطن في مكة « بيكة »
لازدحام الناس فيه حول الاصنام المنصوبة للعبادة^(٤) هذه الآراء تسير
.....

(١) اي انكرته بعلبك مثلما أنكره ابن جريج في قرى حمص (الديوان : ٦٨) .

(٢) شرح المعلقات للشنقيطي : ١١٠ .

(٣) لذلك قال المقدسي : « ولا أشرب للخمور من أهل بعلبك أحسن التقاسيم : ٣٤ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان : ١ / ٤٥٣ .

في اتجاه واحد ، وهو ان الاسم فينيقي (بعل - بك) (مدينة البعل أو الشمس) ، وكل التسميات التي منحتها فيها بعد (السريانية ، والعبرية ، واليونانية ، والرومانية ، والعربية) راعت الاشتقاق الجذر) وصحفته قليلاً ليناسب لغات الشعوب المتعاطية مع المدينة والمتعاقبة على حكمها .

موقعها : ربضت عند سفح الجبل الشرقي «Anti - Liban» في القسم الشمالي الشرقي من سهل البقاع ، وهي عاصمة (Colle - Syria) (سورية المجوفة) ، بينها وبين دمشق يومان أو تسع سكك^(١) ، أو ٣١ ميلاً^(٢) أو (٦٥ كلم) ، على خط مستقيم إلى الشمال الغربي .

قال بطليموس مدينة بعلبك في الاقليم الرابع طولها ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاث^(٣) .

في التعريفات الحديثة : تقع في عرض ٣٤ و ١٠ شمالاً و ٣٦ و ١١ شرق « غرينويتش » ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين ١١٦٥ م (مركز المدينة) و ١٢٠٠ م تلة الشيخ عبد الله ، وتبعد عن العاصمة اللبنانية بيروت مسافة ٨٦ كلم .

.....

- (١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ٩٨ و ١١٧ .
(٢) قال ابو الفداء : ٣٦ ميلاً (تقويم البلدان : ٢٥٥ .
(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان : ١ / ٤٥٣ ، المسعودي مروج الذهب : ٢ / ٤٧٥ ، القلقشندي : صبح الاعشى : ٤ / ١٠٩ .



مئذنة رأس العين .

نشأة بعلبك

.....

إن الآراء المتداخلة حول هوية التسمية إمتدت إلى منشأ المدينة ، لكن الواقع يؤكد أنها سكنت منذ القدم . وما وجود مقام أبي البشر والأنبياء (النبي شيث ابن آدم) (عليه السلام) ، الى جنوبها ببضعة أميال الا دليل على وجود قديم للحياة فيها .

إن بعلبك الحاضرة تقوم فوق مدينة من المغاور والكهوف المدفونة ، تكشف عنها الحفريات ، وهي منتشرة في مساحة تفوق ثلاثة أضعاف مساحة المدينة المسورة . لكن هذا لا يعني كثافة سكانية كبرى في القديم . فالمغاور متباعدة ، نجدها في سفح الجبل الشرقي أشهرها (مغارة الحوت) . وهناك كهوف حي الشمس ، وتحت الشير ، ومغاور تلة الشيخ عبد الله ، وحي الواد ، والبساتين ، والكيال ، والشراونة والأخيرة تتصف بالاتساع والعمق والتداخل . . هذه المغاور التي قطنها القدماء ، ودفنوا موتاهم في بعضها ، هي دليل ثابت على أن الإنسان سكن بعلبك منذ فجر التاريخ قبل أن يحظى بتشييد المباني بل « وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمناً »^(١) . ولا غرو في ذلك فموقعها يغري بالسكنى ويوفر كل مقومات المدينة الجبال تحميها من الشرق والجنوب والسهل خصيبٌ ، والمراعي فسيحة والينابيع غزيرة ، والغابات في

.....

(١) سورة الحجر رقم ١٥ ، آية ٨٢ .

تخومها ، والشمس تودعها بآخر اشعة خيوطها ... والجبل الغربي يحميها من لصوص البحر ...

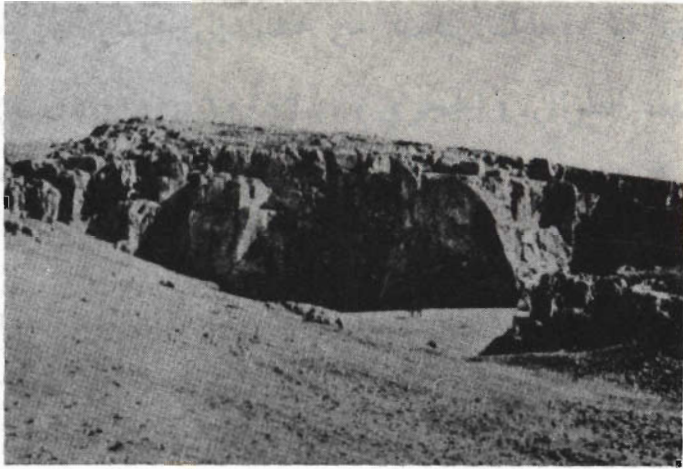
لكن الجهل بالتاريخ القديم أفسح مجالاً للأساطير التي حيكت حول تمصير المدينة وبناء هياكلها وهذا شأن المدن العريقة ، فكلها ذات جذور خرافية لم يأنف أكثر المؤرخين جديةً من ذكرها . زعم (سكنن بتن) أول مؤرخ لبناني ، (عاش في القرن الرابع قبل المسيح) ان بناء المدن الفينيقية آلهة وليسوا بشراً ، وكانت مصادره سجلات الهياكل الوطنية ، ونقوش الجدران ... وهذا يوضح ان أصل المدن الفينيقية كان مجهولاً في عهد (سكنن بتن) ومنسوبةً الى بناء عريقين في القدم جعلوهم من عداد الآلهة وأوغلت التكهّنات في أغوار الماضي لتنتزع منه تاريخ ولادة بعلبك قال الدويهي « ان قلعة بعلبك في جبل لبنان هي أقدم من جميع ما بناه البشر في العالم بأسره ، أعني أن قاين بن آدم عندما اعتراه الارتعاش أمر ببناؤها في السنة ١٣٣ من كون العالم ولقبها بإسم إبنه أخنوخ»^(١) .

وذكر الأب مارتين اليسوعي « ان الشيطان أشمودي ، كان مؤسساً لبعلبك ومهندساً لها»^(٢) . وقال « دايفد هيركار » «David Urghard» إن قلعة بعلبك بنيت قبل الطوفان لأن حجارة الهياكل نقلت على ظهر البهيموت (المصطو دانت) - الذي انقرض بالطوفان - وهو من جنس القليل لكنه يكبره بعشرة أضعاف ، وقد وجدت عظامه وحفظت في

.....

(١) الدويهي : البطريق اصطفان : تاريخ الازمنة .

(٢) الاب مارتين اليسوعي : تاريخ لبنان : ١ / ١٥١ .



مقلع الكيال

معاهد أوروبية وأميركة العلمية^(١) . وكتب ديودورس الصقلي «Diodoredesicile» نقلاً عن حوليات الفينقيين « ان شيئاً »Seth« ابن الاله الشمس والالهة روديا «Rodia» ابنة نبتون «Neptune» - أسس مدينة بعلبك إكراماً لوالده ، ثم أقام فيها معبداً يزينه تمثال للإله الشمس»^(٢) .

وجاء في كتاب (الجغرافي اليوناني) المجهول ، إن أجمل نساء آسيا نشأن في بعلبك ، لأن فينوس «Venus ربة الجمال القديم . أشادت في هذه المدينة عرشها ، وأشاعت فيه سحر الجمال فلا عجب ان رأيت شموساً تخطر في نواحيه»^(٣) .

هذه الخرافات كلها توحي بأن منشأ المدينة له قِدَمُ الاساطير .

ومهما قيل فبعلبك تنامت من عصر إلى عصر حتى بلغت :

العهد الظراني (الحجري) : (٦٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م) .

ان البعلبكي الأول قاطن الكهوف اهتدى الى (الظر)^(٤) فصنع منه أدواته القاطعة ، وسخره لخدمته قبل اكتشاف الحديد .

فاستحضر منه الفؤوس ، والمكاشط واستعملها في الصيد وسلخ الحيوانات طلباً لجلودها ، وتوسع في الانتفاع فغدت سلاحه ضد

.....

(١) مزهر : يوسف تاريخ لبنان العام ٩٨ . Dovid. Urghard. the Lebanon Diary

(٢) عاش ديودور الصقلي في عهد الامبراطور قسطنطين الكبير . DeLa Roque: 53'

(٣) كتاب الجغرافي اليوناني نشر غودفروا (Gade Froy) De La Roque: 54'

(٤) الظر : حجر من الصوان له حد السكين .

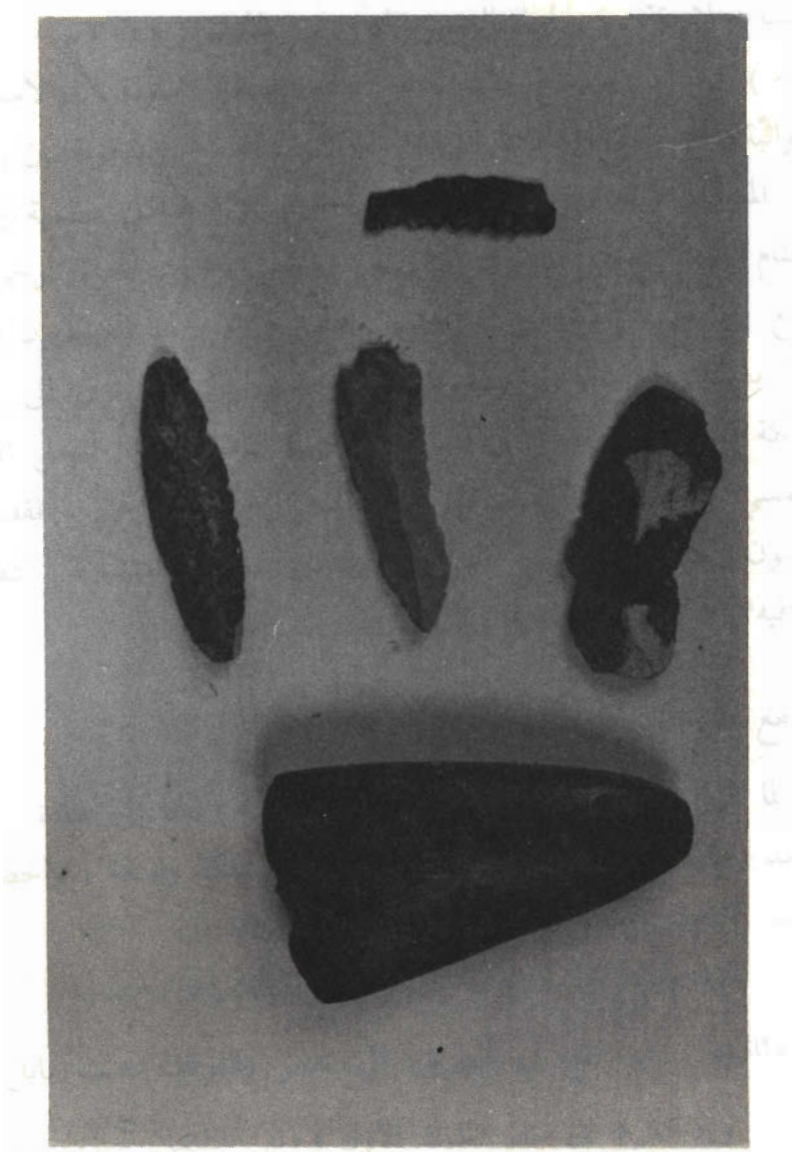
الحيوانات المفترسة والاعداء. ومحترفات نحت الحجارة ربما توزعت في غالبية الكهوف ، وخصوصاً إذا عرفنا أن الاحجار الصوانية متوافرة بغزارة ، وتحيط بالمدينة في السهل وعلى سفح الجبل . . . ومرت المدينة بطورين : الأول عهد الحجارة المنحوتة وتغلب الصفة البدائية على المخلفات ، وسنة التطور قضت بالارتقاء الى العهد الطراني الصقيل . حيث اتقن الشعب صناعة ادواته كالقؤوس والازاميل ، والمثاقب والمكاشط والمناشير ، والنبال ، وأسنان الرماح ، وقد عثر على كثير منها في ضواحي المدينة مما يدل على وجود الحياة في تلك العهود . . .

مع الكنعانيين : ثم بلغت المدينة عهد التاريخ المدون بالعاديات والنقوش التي توحى بأن بعلبك كانت كنعانية في الألف الثالث^(١) قبل المسيح بدليل تسميتها (بعل) وهو معبود الكنعانيين^(٢) . ولما وفد الآراميون^(٣) إلى بلاد سورية امتزجوا بالكنعانيين ، وعرف الشعب الموّلد بالفينيقين^(٤) .

إن الغموض الذي لف تاريخ المدينة أضاءت بعض جوانبه الحفريات الحديثة التي أجريت في الباحة الكبرى لهيكل جوبيتر (مكان الكنيسة البيزنطية) .

.....

- (١) الدبس : تاريخ سورية : ١ / ٣٧٦ .
- (٢) الكنعانيون نسبة الى كنعان بن حام بن نوح ولغتهم العبرية .
- (٣) الاراميون نسبة الى آرام اصغر أولاد سام بن نوح ولغتهم السريانية .
- (٤) كان المصريون يسمون الكنعانيين « فوني » وحرفه اليونان الى « فينيقيين » . في حين تقول روايات ان اللفظة يونانية « فوينيكس » ومعناها النخل وهو شجر يكثر في سواحل بحر الشام .



الظران (مجموعة المؤلف).

وأظهرت ان المعابد الرومانية شيدت فوق معابد قديمة تعود الى
 حقبة متلاحقة ، و أولها العصر البرونزي الأول (٣٠٠٠ - ٢٣٠٠ ق.م)
 وهذا الاستنتاج دلت عليه قطع الفخار الملونة ، والاسلحة
 الصوانية والمعدنية ، ورقاقات الزجاج البركاني (السَّبج) المدفونة بين ركام
 هذا المعبد ، وبجانبه بناء آخر عثر فيه على ثلاثة هياكل عظمية وبين
 العظام وجد دبوس برونزي مثقوب ، وفأس وحبات خرز أرجوانية
 ترجع الى عهود الهكسوس (١٧٣٠ - ١٥٨٠ ق.م) أما الفينيقيون فقد
 أولوا بعلبك اهتماماً ، وعظموا دورها الديني لكنها لم ترق الى رتبة
 المملكة كصيدا و صور ، وظلت مركزاً دينياً اقامت معبداً للبعل الاله
 الشمسي (هدد) وقد سته فسرى تعظيمه الى سائر النواحي ، فقصدته
 الوثنيون للزيارة وتقديم القرابين والندورات ، واستشارة كهنته
 وعرفائه^(١) .

مع سليمان بن داود

لما ظهر سليمان بن داود (٩٦٣ - ٩٢٣ ق.م) دعا إلى عبادة الاله
 الواحد وحارب عبادة الأوثان والاصنام ، وأنشأ مملكة واسعة ، وأخضع
 بعلبك لهدفين :

أولهما : انها مدينة وثنية يجب تطهيرها من الكفر ، .

وثانيهما : انها تقع في الطريق الى تدمر والفرات حيث بابل .

وقد ورد ذكرها في سفر الملوك الأول « وبني سليمان جازر ، وبيت

.....

Encyclopeadia Universalis. V2. P988

حورون السفلى ، وبعلّة ، وتدمر في البرية ، وجميع مدن المخازن التي كانت لسليمان»^(١) . ووردت تحت أسماء مختلفة : انها بعلّة أو بيت وعر لبنان ، أو برج لبنان الناظر تجاه دمشق .

والمؤرخون العرب عزوا بناء بعلبك الى سليمان ، اعتمادا على الروايات التي تنسب كل بناء عظيم الى مرّة سليمان^(٢) . وهذا الاعتقاد ساد طويلاً لدى سكان المدينة المسلمين واليهود^(٣) .

وقد جافى ميخائيل ألوف الحقيقة عندما علق على دور سليمان في بعلبك بقوله :

« ولا يبعد أن يكون قد وجد في أواخر أيامه ان لبعلبك ومعبودها البعل حظوة في أعين نسائه الغريبات فبنى أو جدّد بناء هيكلها بفخامة وعظمة تليقان بمجده ، ذلك يؤيده المتداول بين الأهليين بأن سليمان بنى بعلبك وأنه أعطاها لبلقيس مهراً»^(٤) . ان النبي الذي يدعو الى عبادة الخالق الحق لا يشجع نساءه على عبادة الأوثان ولا يبني هيكلًا للبعل الصنم .

وحول تاريخ هذه الحقبة ذرّ قرن الاسطورة من جديد . فضخامة الحجارة أوحى الى جمهور الناس بأن جن سليمان ولوا بناء الهياكل ولو صح هذا لوجب على المردة القادرين ، أن ينقلوا حجر الحبل الملقى في

.....

(١) سفر الملوك الأول : ص ٩ .

(٢) ياقوت : معجم البدان : ١ / ٤٥٣ .

DeLa roque: 38 '

(٤) ألوف : تاريخ بعلبك : ٥٠ .

المقلع ، ويضموه إلى أمثاله الثلاثة في الترياليتون «Trilithon» لا أن يتركوه في مقلعه شاهدا على الاخفاق والعجز .

ولماذا لم يشد سليمان هذا القصر في عاصمته المحببة اليه ؟ وضخامة صخور بعلبك لا مثيل لها في العالم وهي اكبر بكثير من الحجارة التي في هيكل اورشليم وأسوارها .

وبعد موت سليمان وتقسيم مملكته انحسرت سلطة اليهود عن المدينة وعادت الى الفينيقية الوثنية وعبادة البعل ، وشكلت مملكة صغيرة وصفها الأب مرتين اليسوعي قال « اما ولاية مدينة بعل فانها كانت كهنوتية محضة ، وإلا فلا أقل من أنها كانت منقسمة بين كاهن بعل الأكبر ، وبين ملك مكلف على الخصوص سياسة الامور المادية ، وهذا ما كانت تقتضيه الحالة الدينية لتلك المملكة الصغيرة »^(١) . وبعد أربعة قرون من الادارة الذاتية احتل الفرس البلاد السورية وأخضعوا بعلبك لسلطتهم ، حيث عثر في حفريات باحة الهيكل الكبير على قطعة من جرة عليها صور ، وكتابة مسمارية يعود تاريخها الى الحقبة الفارسية (٥٥٠ - ٣٣٣ ق.م) .

عهد الاسكندر وخلفائه :

احتل الاسكندر بلاد فينيقية في سنتي (٣٣٣ - ٣٣٢ ق.م) . وكانت بعلبك من المدن التي استسلمت له لقد مرَّ بها ، وربما قدّم الضحية لبعليها تقرباً من السكان ، عندما اجتاز البقاع ، ووادي

.....

(١) الأب مارتين ليسوعي : تاريخ لبنان : ٢ / ٣٩١ .

العاصي متجها الى بلاد ما بين النهرين^(١) . ثم دانت المدينة شأن زميلاتها في سوررية ولبنان للبطالسة سنة ٣٠١ ق م . فربطوا بين إله السماء القديم بعلبك وإله مصر (رع) وإله اليونان (إيلوس) بهدف خلق روابط دينية وثقافية بين شعوبهم ، وتضيف الروايات ان البطالسة نقلوا عبادة الشمس من مصر الى بعلبك

وقد وصف مكروبيوس «Macrbius» كيفية نقله الى بعلبك قال :

« إن الأشوريين كانوا يكرمون الشمس بما لا مزيد عليه من الإلهة والاجلال في مدينة ايليوبولس باسم جوبيتر الذي يدعونه زفس وتمثال هذا الاله حمل من مصر من المدينة التي تسمى ايضاً هليوبولس في أيام ولاية سينيمور الذي يقدّر أنه سينوب نفسه وقد نقله أوبيا رسول ديليور ملك الاشوريين بمعاونة بعض الكهنة المصريين الذين كان زعيمهم بارشميث . وبعد ان مكث هذا الأله مدة طويلة عند الاشوريين نقل أخيراً الى مدينة هليوبولس، حيث عبد على مثال الطقوس السورية ، وليس بحسب الطقوس المصرية »^(٢) .

في حين ترفض مصادر كثيرة هذا الرأي محتجة بأن (معبود بعلبك) ارتبط بالخصب اكثر مما ارتبط بالشمس ، وهو أقدم من معبود مصر وبعل هليوبولس إله العواصف السامي (هدد الاكادي) كان مسؤولاً عن هطول الامطار ، وعبادته رئيسة لأجل خصوبة الأرض ودفع مسببات الدمار من الصواعق والفيضانات^(٣) .

.....
(١) حتي : لبنان في التاريخ : ٢٠٠ .

Macrobius. BK.I. Secs. 23¹

(٣). الاب مرتين اليسوعي : تاريخ لبنان الفصل الثالث عدد ٦ .

أما السلوقيون (١٩٨ - ٨٢ ق.م) فخصوا بعلبك بعناية مقبولة وأبدلوا اسمها الى «إليوبولس» وذكرها مؤرخهم «Strabo» سترابو، قال : خضعت هليوبولس لسلطة بطليموس مانيوس^(١).

وهذه المكانة أتاحت لها أن تسك نقودا تحمل رسوم أباطرة السلوقيين، هناك مسكوكة بعلبكية المصدر. نقش على الوجه الأول صورة (أنطيوخس) وعلى الوجه الآخر صورة بالاس «Pallas» مع الكتابة التالية : Basileos, Antio Chus, Philopa torus وأخيراً الرمز الرئيسي لهليوبولس (H) (٢) .

وهناك مسكوكات أخرى تحمل إسم ملوك السلوقيين ضربت في بعلبك وقد تحدث عنها (دي لاروك)^(٣) .

الجمال البعلبكي :

في هذه الحقبة وهب البعلبكيون الفصاحة ، والبعلبكيات مسحة الجمال الفاتن لأن فينوس (Venus) أشادت في هذه المدينة عرشها ، وأشاعت في نواحيها سحر الجمال . حتى قيل : إن أجمل نساء آسيا نشأن في بعلبك . قال الجغرافي اليوناني المجهول : اشتهر بعض الرجال من بعلبك بالفصاحة وهي نعمة هبطت عليهم من ربات الفنون الجميلة . وان نساء هليوبولس اشتهرن بجمالهن الفتان ، وهي نعمة

.....

(١) سترابو الفصل السادس عشر : ٧٥٣ .

M.Vaillant (1632 — 1706) Seleucidarium Paris 1681

De La Roque Strabo P54 :

أغدقتها عليهن الهة الجمال « فينوس » « أتركاتس » السورية ، التي كانت تحب التطواف على سفوح الجبال المحيطة ببلبك ، وإن سيدات هليوبولس كن يتمتعن بلقب اللبنيات الفاتنات ، وكانت بعلبك تصدر الى جانب الجميلات العديد من الموسيقيين والعازفين البارعين ، لأن جماعة من أهلها رجالاً ونساء برعوا بضرب العود ، وطارت شهرتهم في البلاد البعيدة ، وكان الطلب عليهم شديداً ليس فقط في الأعياد والمسرات بل عند تأدية الشعائر الدينية في المعابد ، وهذه الجودة في الفن مصدرها حوريات كل لبنان .

من أجل ذلك شاد الأهالي في هليوبولس معبداً شهيراً لفينوس خطرت في نواحيه الشمسوس ، ومورست فيه طقوس العبادة الجمالية . واستغل البعلبكيون - في العهدين الروماني والبيزنطي - جمال حسناواتهم وأقاموا احتفالات عريضة للغرباء ، في مواسم الأعياد وخصوصاً مهرجانات « مايو ماس » « Maioumas » التي إتسمت بفجور لا يحد^(١) .

وفي اعتقادي أن هذا الجمال الفاتن حفز الفنانين لتجسيده رسوماً تزيّن الهياكل . وبتنا نجد مئات التماثيل المجسمة للمليحات البعلبكيات تنتصب الى جانب تماثيل الآلهة . وكثرة الصور النسائية توحي بأن النقاشين كانوا يستقدمون حسناوات المدينة ويستلهمون ملامحهن الساحرة الآخاذة ، وينقشون صورهن رموزاً لانصاف الآلهة .

.....

Description in Karl. Müller Gègraphi Graeci Minores Vol:II. P. 618 (Paris 1860)

De La Roque:54

بعلبك في العهد الروماني (٦٤ ق.م - ٣٩٥ م.ب)

مصادر الدراسة لتاريخ بعلبك في العهد الروماني نهلها من كتب المؤرخين الرومان واليهود أمثال سترابو (Strabo) (٥٨ ق.م - ٢١ أو ٢٥ م.ب) ويوسيفوس (josephus) اليهودي الذي وضع تاريخه حوالي سنة ٧٠ م. وهناك الكتابات والنقوش التي ما زالت ، ماثلة الى اليوم على قواعد الاعمدة، وحجارة المعابد في هياكل بعلبك والقسم الثالث ولعله الأهم - لأنه أوضح غوامض المصدرين السابقين - هو النميات (المسكوكات) التي ضربت في بعلبك وحملت صور الاباطرة وأسماءهم ونقوش الهياكل البعلبكية .

أكد يوسيفوس المؤرخ اليهودي أن (هليوبولس) قدمت خضوعها لبومبايوس (Pompéus) عندما فتح سورية وقد مرَّ بها وهو زاحف إلى دمشق سنة (٦٩٠ - ٦٩١ من تاريخ روما) أي سنة ٦٤ ق.م^(١) . وعمل بومبايوس بمفهوم الدولة آنئذ فشجع الانتظام المدني ، ونتج عن ذلك استقلال المدن السورية في تصريف شؤونها الداخلية . وعمد إلى اخضاع الأمراء في جبل لبنان ، فضرب العيطوريين في جرود جبيل والبترون . وقتل كلاً من ديونسيوس أمير طرابلس ، وكنراس (Kinras) أمير جبيل . وغرَّم أمير عنجر (خالكيس) بطليموس ابن منايوس بألف وزنة ، وأسرة منايوس كانت تخدم في مركز بعلبك الديني^(٢) .

.....

JosePhus: Antiquités BK. XIV. Secs. S.

Strabo: 16: 2'

وكان حاكم بعلبك المحلي في غالب الاحيان هو كاهن المعبد لأن مكانتها الدينية عصمتها من غارات العشائر القاطنة في منحدرات السلسلتين الشرقية والغربية من جبال لبنان ، ولم يسجل المؤرخون غزوات لهذه القبائل على حمى بعلبك المقدس في حين كثرت تعدياتهم على سكان السهول وقوافل التجار مما شغل اباطرة روما وولاتهم في سورية^(١) .

هذا الاستقلال الذاتي (هليوبولس) لا يعني أنها لم تكن خاضعة لإشراف والي سورية العام المقيم في انطاكية ، والذي كان يتدخل في شؤون المدن السورية الجنوبية إبّان الملمات التي تهدد مصالح الامبراطورية ، وولاية سورية ، نواب بومبايوس هم : سكو روس (Marcus Scourus) (٦٥ - ٦٢ ق.م) خلفه مركيوس «Lucius Marcus» (٦١ - ٦٠ ق.م) ، ثم مر كلينوس «Marcellinus» (٦٠ - ٥٧ ق.م) ، وغا بينيوس «Aulus Gabinius» (٥٧ - ٥٥ ق.م) ، وكراسوس «Licinius Crassus» (٥٤ - ٥٣ ق.م) ، وكاسيوس لونجينوس «Cassius Longinus» (٥٣ - ٥١ ق.م) ، وبيبولس «Marcus Bibulus» (٥١ - ٥٠ ق.م) . وفينتو «Vejento» (٥٠ - ٤٩ ف.م) ، وآخرهم سكيبيو «Metellus Scipio» (٤٩ - ٤٨ ق.م)^(٢) .

ونالت بعلبك حظوة لدى يوليوس قيصر (Julius) (٤٩ - ٤٨

.....

Strabo: 16: 754.

Schurer, E, Gesch. Des Jüdischen Volkes. I, 304'

رستم : أسد : عصر اوغسطس قيصر وخلفائه : ٢٠ / ١٥٠ .

ق.م). فرفعها إلى رتبة المستعمرة الرومانية ، وأطلق عليها إسم ابنته جوليا «Julia» وهذا تكشفه مسكوكة ضربها في بعلبك ، رسم على الوجه الواحد : صورة فلاح يحرث سهولها مع الكتابة التالية Col. Jul Aug. Fel Hel « مستعمرة جوليا أوغسطا ايليوس السعيدة » ! .

وأُسند يوليوس قيصر ولاية سورية إلى كل من سكستوس «Sextus Caesar» (٤٧ - ٤٦ ق.م) ، وبسيوس «Cibassus» (٤٦) وفيتوس «A' Vetus» (٤٥ ق.م) . وستاتيوس «L.M. Staius» (٤٤) ، وبعد مصرع يوليوس قيصر عاد كاسيوس وتولى شؤون سورية (٤٤ - ٤٢) .

ولما سيطر انطونيوس على شؤون الشرق أُسند ولاية سورية الى سسكة «Lucius Saxa» وسوسيوس «Qaius Sosius» (٣٨ - ٣٧) وبلانكوس «L. Blancus» (٣٥) وبيبيلوس «L.C. Bibubus» (٣٢ - ٣١)^(١) .

أما الولاة في عهد أوكتا فيوس (Octavius المعروف بأوغسطوس قيصر «Augustus» (٣٠ ق.م - ١٤ ب.م) ^(٢) فأشهرهم ديدوس «Q. Didius» (٣٠ ق.م) ومسلّة «M. Messalla» (٢٩) ثم شيشرون «Cicero» (٢٨) . وفي سنة ٢٧ ق.م ضم أوغسطوس قيصر مقاطعة قيليقية السهل الى ولاية سورية وعيّن عليها قائداً برتبة قنصل ، فأمسى والي سورية أعلى رتبة من جميع ولاة الامبراطورية . وحكم الوالي الروماني سورية الشمالية حكماً مباشراً ، في حين ظلت سورية الجنوبية تخضع لسلطة أميري حمص وعنجر (خالكيس) يردان

.....

(١) المرجع نفسه .

(٢) بدأ حكم أوكتافيوس على روما قبل سنة ٣٠ ق.م .

عنها غزوات البدو من الشرق ومطامع العشائر اللبنانية المعتصمة في الجبال وظل ابن زينون (Zenodorus) شيخ المشايخ «Tetrachus» والكاهن الأعلى مسيطراً على البقاع وبعلبك ومنحدرات السلسلتين لجبال لبنان الغربية والشرقية ، والغوطة وحوران حتى سنة ٢٤ ق.م^(١) . فلما تغاض عن واجباته الامنية في أطراف إمارته سلخت منه اللجا وحوران ، وظل كاهناً وأميراً لبعلبك حتى وفاته سنة (٢٠ ق.م) . وفي عهد والي سورية ماركوس أغريبا (٢٣ - ١٣ ق.م) «Marcus. Agrippa» قضت ظروف روما الداخلية باقطاع أبطال الحرب الاهلية أراضي يستغلونها. فقاد (أغريبا) سنة ١٤ ق.م الفرقتين : المقدونية الخامسة «Legio Macedonica» والأوغسطية الثامنة «Legio Augusta» وأنزلهما في بعلبك وبيروت وأوجب عليهما صد غزوات العشائر اللبنانية ، وفرض هبة روما عليها (٢) . وهذه أول مرة يظهر فيها إسم بعلبك كمركز عسكري . وكشفت الحفريات الالمانية التي بدأت في هياكل بعلبك سنة ١٩٠٠ م . كتابة منقوشة تحمل إسم أغريبا وهذا نصها^(٣) :

(Regi) Magno Ag (rip) pae. Pio. Philo Caesaret Philo romaeo.
patrono Col... Pub. fac.

وهذه الكتابة تؤكد أن هياكل بعلبك كانت موجودة قبل الميلاد .

وبعد أغريبة عين أوغوستوس على سورية تيتيوس «M. titius» (١٠)

.....

Strabo: 16: 755'

(٢) نفسه : 16: 756'

(٣) يوخشتين Puchstein حفريات بعلبك : ٢٣ .



مسكوكة الجراد

ق.م)، ثم ستر نينوس «G. Saturninus» (٩ - ٦ ق.م). وفاروس «P. Varus» (٦ - ٤ ق.م) وغايوس قيصر : «Gaius» (١ - ٤ ب.م) وستر نينوس «L. Saturninus» (٤ - ب.م) وكيرينيوس «Publius Sulpicius Quirinius» (٦ - ٧ ب.م). وهذا الوالي اضطر إبان حكمه الى تجريد حملة كبيرة أدب فيها العشائر اللبنانية ، وأدخل بعض أفرادها في قوات روما المساندة^(١).

وأخر ولاية أوغسطس كان سيلانوس «Q. Silanus» (١٢ - ١٧م) وخلف هؤلاء في أيام طيباريوس قيصر (١٤ - ٣٧) بيسو «G. Piso» (١٧ - ١٩) وستر نينوس «G. Saturninus» (١٩ - ٢١) ولما «Aeliuslamia» (٣٢ -) وفلاكوس «L. Flaccus» (٣٢ - ٣٥) وفيتاليوس «L. Vitellius» (٣٥ - ٣٩)، وتولى سورية في عهد الامبراطور (غالينولا) «Culigula» (٣٧ - ٤١) بترونيوس «P. Petronius» (٣٩ - ٤٢). وعين الامبراطور كلوديوس (٤١ - ٥٤) مرسوس «G. Marsus» (٤٢ - ٤٤) ثم كاسيوس القاضي الشهير «G. Cassius» (٤٥ - ٥٠) وخلفه كوادراتوس (٥٠ - ٦٠) أما في عهد نيرون (٥٤ - ٦٨) فتولى سورية كوربولو (٦٠ - ٦٣) ثم غالوس «Gaius Gallus» (٦٣ - ٦٦) ثم موكيانوس «Gaius Mucianus» (٦٧ - ٦٩)^(٢).

وعثرت البعثة الاثرية الالمانية على كتابة بين انقاض الهياكل حفرت على قاعدة تمثال قدّمه احد اصدقاء الحاكم في المستعمرة من قبل نيرون

.....

Strabon: 16: 756'

Schurer: 1. 304 --- 337'

اسد رستم : عصر اوغسطس : ١٥٠ .

ومضمونها يفيد أنها كتبت اذ كان نيرون على قيد الحياة وهذا نصها^(١) .

L. Gerellano Sex. F. Fab, Frontoni Primopilo leg. X Fret. Praef
Nèron. Claudi Caesaris Aug Germanici L.Valerius T. F. Fale. Celer
(Centurio) leg. XFret.

وبين ما نشرته البعثة الالمانية كتابة قدمها الملك يوليوس سوهام ابن
سميجرام ملك حمص في ايام نيرون وفسباسيان (٥٤ - ٧٩) :

Regi magno C Julio Sohaemo, regis Magni Samsigerami F. Philo-
caesari et Philo rohmalo, honorat (Oornam) Consulrib (US....) Patrono
Coloniae Viro Quin Quenn L. Vitellius L. F. Fab. Soss (i) a (nus)^(٢)

قال ميخائيل الوف أمين الآثار في بعلبك إبان الحفريات الالمانية
وقد رافق رجال البعثة وأسهم معهم في حل بعض الرموز « فوجود هذه
الكتابات ينقض الرأي القديم الذاهب الى أن هياكل بعلبك الرومانية
بنيت في القرن الثاني للمسيح في زمن الامبراطور انطونيوس بيوس
وخلفائه ، ويؤكد ان الرومان شرعوا بتشييد هذه الهياكل في بدء التاريخ
المسيحي ودام العمل فيها بلا انقطاع الى منتهى القرن الثالث
للمسيح^(٣) » .

وفي سنة ١٩٣٩ م لما هدمت الكنيسة البيزنطية القائمة في باحة
الهيكل الكبير ، عثر على قطعة عمود علوية من قياس وشكل أعمدة

.....

(١) بوخشتين : حفريات بعلبك : ٢٦ .

(٢) بوخشتين : ٢٦ ، ألوف : ميخائيل : تاريخ بعلبك : ٥٧ .

(٣) ألوف : ٥٧ - ٥٨ .



كتابات يونانية



مسكوكة من عهد كراكلا

هيكل جوبتير ، وهي مما يوضع تاج العمود عليها . وقد استحسن البناء واطع هذه القطعة في مركزها أن يحفر إسمه على الوجه العلوي منها . ونقش تاريخ وضعها وهو ٢ آب سنة ٣٧١ للاسكندر . الموافق (٥٨ ب.م) . وهذا يؤكد ان بناء الهيكل بدأ مبكراً قبل التاريخ المسيحي . لأن البناء في سنة (٥٨ م) كان قد وصل الى تاجات الاعمدة .

وهناك كتابة تنسب إلى تراجان (Trajan) (٩٨ - ١١٧ م) ولعله خلّد ذكره لما استشار عراف هياكل بعلبك قبل البدء بحملته الثانية ضد (البرثيين) سنة ١١٦ م . وتمت الاستشارة بعد امتحان للعراف . لقد أرسل تراجان ظرفاً مختوماً فيه صحيفة ورق بيضاء لا كتابة عليها . فكان جواب العراف ورقة بيضاء في ظرف مختوم ، ولما استطلعه الغيب في نتائج حملته . كان جواب العراف أن سلّمه رمزاً « حزمة قضبان ملفوفة بقطعة قماش » وبعد عام توفي تراجان في كيليكية ، ونقل جثمانه ملفوفاً كحزمة القضبان الى روما . ففسّر الناس معنى الرمز وازداد اعجابهم بعراف هليوبوليس^(١) . ويميل (دي لاروك) إلى أن تراجان أوعز إلى المسؤولين بتوسيع هياكل بعلبك^(٢) .

وربما أشاعت حادثة العراف جوا من التقديس للمدينة وكاهنها في أرجاء الامبراطورية الرومانية فنالت حظوة في عيون خلفاء تراجان . اذ باشر خلفه هديران (Hadrien) (١١٧ - ١٣٨م) تعزيز بناء معابد هليوبولس ، وقد خلّد ذكره بنقش عثرت عليه البعثة الالمانية^(٣) .

.....

Macrobius, Saturnaliorum B.K.I. ch 23 Sec 14 — 16

De la Roque: 54

٣ - يوختين : ٢٦ .

وسجل الأباطرة اللاحقون احترامهم لمدينة الشمس باستكمال هياكلها ما نحينها براعة الفن الممثل لأوج الحضارة الرومانية. ودلينا على ذلك كتابات تنسب الى أنطونيوس بيوس «Antonine le Pieus» (١٣٨ - ١٦١م) وسبتيموس سيفيروس «Sévères» (١٩٣ - ٢١١) وكراكلا «Caracalla» (٢١١ - ٢١٧) وشقيقه جيتا «Geta» (٢١١ - ٢١٢م) واليغابال «Elagabal» (٢١٨ - ٢٢٢م) وغور ديانس (٢٣٨) والملك فيليب العربي (٢٤٤ - ٢٤٩) وأورليان (٢٧٢ - ٢٧٣). . . وظلت التناقضات في النصوص التاريخية تحوم حول مشيدي الهياكل فردّها المؤرخ يوحنا ملالا الانطاكي « وضع تاريخه في القرن السابع الميلادي » إلى زمن انطونيوس بيوس (١٣٨ - ١٦١م). لكن ملالا اكد أن بيوس بنى هيكلًا عظيمًا لجوبيتر (المشتري) يعد من عجائب المسكونة العظمى^(١).

ويبدو أن بيوس أول امبراطور شرع في بناء الهيكل على مستوى فخم وأتم الأباطرة بعده بناء الهيكل . وخصوصاً أسرة سيفيروس (١٩٣ - ٢٣٥م) التي تنتمي الى اصل سوري . وقد أولت هليوبولس عناية فائقة . وتكهن علماء الآثار بأن بيوس بدأ ببناء الهيكل وتم على عهد كراكلا (٢١١ - ٢١٧م) . ويدعمون رأيهم بأن صورة الهيكل لم تر على مسكوكات بعلبك قبل زمن سيفيروس .

وذكر المشتري السوري اولبيانوس بأن هليوبولس أضحت مستعمرة

.....

(١) تاريخ يوحنا ملالا الفصل الحادي عشر . Chronoger 366

الدبس : تاريخ سورية : ٢ / ٣٣٧ .



مسكوكات

رومانية بفضل الامبراطور ساويروس . والواقع أن هذا الامبراطور عزز امتيازات المدينة . لأن هناك مسكوكات تحمل رسوم أباطرة رومان سبقوه في الحكم ، ولكنها ضربت في هليوبولس ، وتشير الى كونها مستعمرة رومانية^(١) . ونقش سفيروس على مسكوكاته البعلبكية صورة هيكل يتقدمه عشرة أعمدة ، وعلى نقود أخرى من أيامه صورة هيكلين امام الواحد عشرة اعمدة وامام الآخر ستة . والرسوم نفسها تظهر على مسكوكات ابنه كراكلا . ويحيط بجميع ذلك العبارة المعتادة : Col. Hel. I. O. M. H. « مستعمرة ايليوبوليس لجوبيتر الكبير العظيم الاليبولي » .

«Jupiter Optimus Maximus Heliopolitanus»

ولعل كراكلا اهتم بهيكل جوبيتر لأهداف ثلاثة أولها : تخليداً للذكر . والثاني بدافع التدين والتقرب من البعل وبذلك تم تشييد مجموعة من الهياكل ضمن بقعة واحدة حيث كانت تعبد أتركاتس زوج الاله هدد ، وهذان السبيان ينطبقان على الاباطرة الذين اسهموا في رفع هياكل هليوبولس اما السبب الثالث فيختص بكراكلا «إذ أراد ان يكفر عما اقترفه من الجناية على أخيه جيتا Geta (وقد قتله سنة ٢١٢م) وان يدل على عظيم اعتباره وجزيل اكرامه للمعبود الذي كان رئيس احباره قبل تبوئه العرش القيصري ، فزين وزخرف تلك البهيّ ، وجعلها كمدخل ينافس بعظمته ورائع هندسته اهم وأجل الابنية التي شادها اليونان والرومان في المعمور . وقد وجد على قواعد ثلاثة اعمدة في

.....

De La Roque: 55.

الرواق المقدم كتابة تثبت ما ذكر»^(١) :

(I. O. M. H. V.) M. diis Helipol (itanus) prosalute (et) Victorus
domini n (ostri) Antonini pii Feli as augusti et Julia Aug (ustae) matris d
(omini) n (ostri) Castr urum Senatus Patriae Aur elius Antonius Longinus
Specul (ator) legionis I. Antoniniana, Capita Columnarum dua aerea
auro inluminata sua pecunia ex voto L. (Ibens) a (nimo) s (olvit).

وهذه ترجمتها : الى جوبيتير الكبير العظيم الهليوبولي والى فينوس
ومركيز آلهة ايليوبوليس العظيمة ! لسلامة وانتصار سيدنا انطونيوس
بيوس اوغسطس السعيد وجوليا اوغسطا أم سيدنا (ام) الجيش (ام)
السناتو (ام) الوطن . ان اوريليوس انطونينوس لونجينوس رئيس
الفرقة الأولى الانطونية قد ذهب تاجي العمودين النحاسيين على نفقته
وفاء بنذر قدمه مختاراً ولا يجب هنا ان نخلط بين ايليوس انطونينوس
بيوس (١٣٨ - ١٦١م) وبين انطونينوس بيوس اوغسطس الذي هو
كراكلا الوارد اسمه في الكتابة مع اسم والدته جوليا دومنا ابنة يوليوس
باسيانوس كاهن الشمس في حمص^(٢) .

وبعض مسكوكات كراكلا تشير إلى قرب بعلبك من لبنان وتحمل
هذه العبارة «Hliopolic EnLibano»^(٣) .

أما « اليغبال » « Elagalabal » من السلالة السورية . (٢١٨ - ٢٢٢م)

.....

(١) الوف : ٥٩ .

(٢) الوف : ٥٩ - ٦٠ . Corpus In criptionum Latinasum Vol III NO 138.

(٣) De La Roque: 55



مسكوكة فيليب

فقد لمع اسمه في هليوبولس ومارس في هيكلها دور كاهن الشمس الأعظم هذا ما قصه المؤرخون وأكدته مجموعة من المسكوكات البعلبكية التي تشير إليه تارة تحت اسم مقدم الذبائح ، وطوراً تحت إسم « الاله » مع عبارات التكريم :

invictus . Sacerdos. Aug. Sacerdos Deisolis Elagabal.

وبعض المسكوكات تحمل رسم هذا الامبراطور وقد اتخذ شكل جوبيتر وبيده الصواعق وقد جثم نسر عند قدميه مع هاتين الكلميتين : «iovi. victori»^(١) ونقل هذا الامبراطور أحد الأعمدة الحجرية من هليوبولس (بعلبك) إلى روما للتبرك والعبادة^(٢) ونجد مسكوكات من عهد ماكرين (Macrin) (٢١٧ - ٢١٨) .

وهناك مسكوكتان من عهد الامبراطور فيليبوس العربي^(٣) «Philippe LArabe» (٢٤٤ - ٢٤٩م) . الأولى تحمل صورة معبد هليوبولس مع الاحرف التالية : I. O. M. H. وعلى الوجه الآخر Col. I. Hel. وتعني ColoniaIulia Heliopolis والثانية تمثل جانب المعبد ذاته أو الشكل الطولي له بحيث نرى من خلال هذه الزاوية النصف الامامي منه . وتحمل الكلمات نفسها التي قرأناها على الأولى .

.....

De La Roque: 56'

(٢) حتي ٢٦٧ .

(٣) فيليب العربي ولد في EDOM قرب البتراء سنة ٢٠٤ م . استطاع ان يقتل الامبراطور غوردان الثالث سنة ٢٤٤ م . وأن يتولى عرش رومة .

ومسكوكة ثالثة ظهر عليها رسم الامبراطور فيليب ، وعلى الجانب الآخر صورة المعبد يرتكز على مصطبة عالية يرقى اليها بدرج مهيب^(١) . ونعثر على مسكوكة طريفة من عهد غاليان : «Gallien» (٢٥٣ - ٢٦٨) نقش عليها ثلاث جرار مع الكلمات التالية :

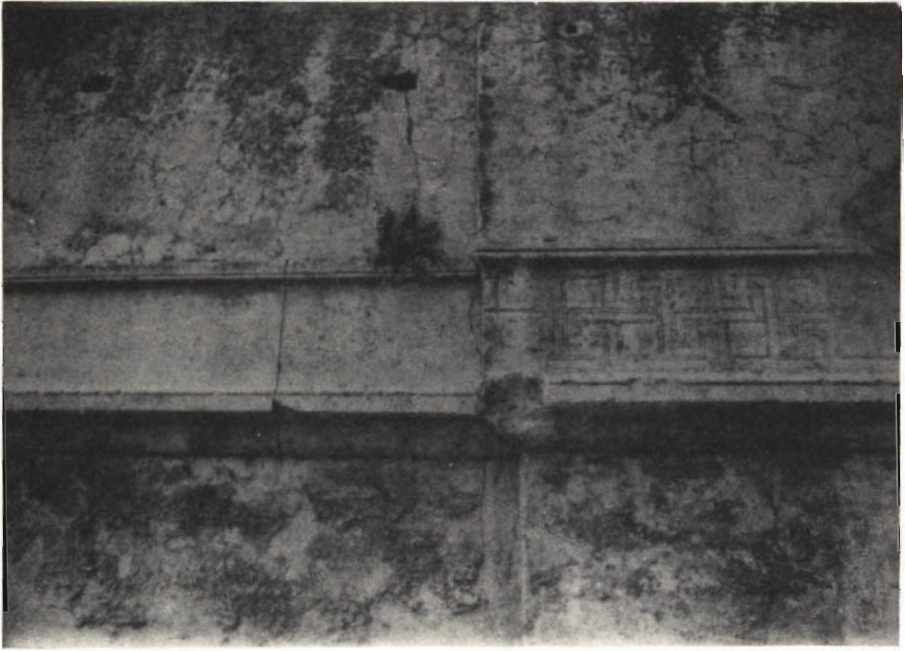
Cert. SACR. CAP. DEC. ISEL. HEL.

اي الألعاب المقدسة ، المشهورة العامة في هيليوبولس .
الجرار كانت تحوي مكافآت الالعب أو المصارعة التي كانت تقام على ملعب المدينة الكبير تكريماً لجوبتير الهليوبولي^(٢) .
والتأمل في المعابد والهيكل يوحى بأن المرحلة الأولى كانت مرحلة تشييد الهيكل ونصب الاعمدة ثم تليها مرحلة الزخرفة ، والنقش بدليل وجود بعض الافاريز ، ومقاعد التماثيل حتى الآن بلا نقش ، لأن اعمال الزخرفة تواصلت حتى أيام قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧م) فأوقفها لما دان بالنصرانية وأمر ببناء كنيسة بعد سنة ٣٣٠ م .

.....

De La Roque: 56'

(٢) نفسه ٥٧ .



نقوش (المايندر) لم تكتحل على إفريز الجدار الخارجي لهيكل باخوس .



مسكوكة الجرار .

بعلبك في العهد البيزنطي : (٣٩٥ - ٦٣٥ م) .

في نهاية القرن الثالث كانت الامبراطورية الرومانية على حافة الانهيار وتلاشى السلام الذي وفرّ الازدهار في القرون السابقة .

واشتعلت الفتن الداخلية وكثر الطامعون بالعرش مما حمل بعض فرق الجيش على تنصيب قسطنطين «Constantin» (٣٠٦ - ٣٣٧م) امبراطوراً ، وبعد أن ضبط شؤون الدولة مال الى الديانة السماوية فحول الدولة الى المسيحية سنة ٣١٢م . ثم أصدر مرسوم ميلان الذي منح حرية العبادة للمسيحيين ، واستثناهم من كل الاحتفالات الوثنية في الامبراطورية الرومانية . وفي سنة ٣٣٠ م بعد أن نجح في توحيد الامبراطورية تحت إمرته ، نقل عاصمته من روما الى بيزنطة التي أعاد بناءها ومنحها إسمه ، وفي عاصمته الجديدة منع بناء المعابد الوثنية ، ثم أصدر أمراً باغلاق المعبد الكبير في هليوبولس (بعلبك) . كتب المؤرخ البيزنطي سقراط سكولا ستيكوس « إن قسطنطين الغنى الاحتفالات الفاسقة التي كانت تمارس في بعلبك هليوبولس وأمر ان تبني كنيسة في هليوبولس فينيقيا ، تكفيراً عن خطايا البغاء اذ كانت تعرض عذارى للغرباء ، فمنع هذه الطقوس التي راجت طويلاً ، واصلاح الاخلاق الفاسدة لشعب هليوبولس»^(١) .

.....

Socrates Sxholasticus Ecclesiastical History 1.18. Eusebius Life of the Belled Emperor

P. 164'

وقام شماس بعلبك كيرلس «Cyrille Diacre» بكسر العديد من الاوثان والاصنام المنصوبة في هليوبولس تمثلاً بعمل قسطنطين .

وعادت الوثنية إلى الظهور لما تولى عرش روما الامبراطور جوليان الجاحد «Julien Lapostut» (٣٦١ - ٣٦٣ م) . لأنه أقر الوثنية ، واعتبر البطل الأخير للآلهة الرومانية الاغريقية . لأنه استخدم نفوذه لاحياء المعتقدات القديمة . وعزل المسيحيين من الوظائف العالية واستبدلهم بعبدة الالهة ، وأباح نهب الكنائس وقتل الشمامسة فاستغل سكان بعلبك مرسوم جوليان ضد الكنائس ففاقوا سواهم بطرق التعذيب والسلب والقتل . وكان تعصبهم للوثنية مقيتاً قتلوا الشماس كيرلس بطريقة بربرية حيث انقضوا عليه وشقوا بطنه واكلوا كبده ، وتفتنوا في التعذيب ، فخلعوا أسنان المسيحيين وقطعوا الستهم سحاً وسملوا عيونهم وربطوهم الى الاعمدة وضربوهم بالعصي ، ثم أخذوا العذارى المقدسات وعرضوهن عاريات في احتفال عام . ثم شقوا بطونهن ، ومزجوا أحشاءهن في الطعام الذي يقدم للخنازير هذه البربرية ضد العذارى كانت ردة فعل على تحريم العادة القديمة التي تقذف بعذارى هليوبولس للفسق في احتفالات الهياكل .

هذا التطرف في الاضطهاد الذي مارسه وثنيو هليوبولس شكاه منه (جوليان الجاحد) نفسه رغم قسوته . واعلن ان الاجراءات التي نفذت في بعلبك سارت شوطاً بعيداً تعدى اوامره^(١) .

.....

(١) سوزومون . De La Roque: 58'

the odoret decyr (390 — 457)

وذكر تيدور الصوري اضطهاداً آخر جرى في الاسكندرية في عهد الامبراطور فالنس «Valens» (٣٦٤ - ٣٧٨ م) . مفاده أن عدداً من المسيحيين نفوا من الاسكندرية الى هليوبولس حيث كان جوليان قد محى نهائياً آثار النصرانية ، ولما وصل هؤلاء المسيحيون الى هليوبولس راعهم مشهد الكفر السائد في المدينة . فتجمعوا في وسطها ينوحون ويبيكون مما دفع حاكم هليوبولس بلأديوس «Palladus» إلى نفيهم من مدينته تخلصاً منهم .

وفي آخر عهد فالنس نشهد ذكر بعض اساقفة هليوبولس . فالاسقف ايلي البعلبكي شارك في مجمع انطاكية الكنسي سنة ٣٧٨ م والتزم بمقرراته بوصفه متروبوليت هليوبولس^(١) .

وفي السنة التالية اعتلى العرش (تيدوسيوس) «Theodosius» (٣٧٩ - ٣٩٥) ، فأعاد المسيحية الى الامبراطورية، وفاق بايمانه سلفه قسطنطين ، ولئن اقتنع قسطنطين باغلاق هياكل الاغريق فإن ثيودوسيوس دمّرها ، وانتقم لنصارى بعلبك فحول هيكلها المختص ببعل هليوبولس (اله الشمس) إلى كنيسة ، وأمر بهدم مذبح التضحية وبرج القاعة الكبرى ، وأشاد على انقاضها كنيسة أخذت حجارتها من هيكل جوبيتر وكان عرض الكنيسة ٣٦ متراً وطولها ٦٣ متراً وتألّفت من صحن خاص بالمصلين وعمرين جانبيين ، يفصل كل واحد منهما عن الصحن بثلاثة عمُد ضخمة تعلوها أقواس حجرية معقودة . ومع الزمن دخلت عليها

.....

تعديلات متلاحقة لتناسب الابنية الدينية . وظلت آثارها بادية للعيان حتى سنة ١٩٣٣م . عندما اتخذ قرارٌ سمح للحفريات الاثرية بإزالة ما تبقى من الكنيسة لاطهار المدرج ولإجراء مزيد من التنقيبات في القاعة الكبرى . وكل ما يشاهد اليوم من كاتدرائية بعلبك هو العتبة الكنسية القائمة في القاعة بين الهيكلين في ظل الأعمدة الستة لهيكل جوبتير^(١)

قال يوسيبوس : ان بعلبك منحت امتيازاً بأن يكون لها كنيسة على رأسها مطران يعاونه شيوخ وشمامسة^(٢) وما ان اطل القرن الخامس حتى اخذ أساقفة هليوبولس يلعبون دوراً مهماً في حياة الكنيسة وأخبارها^(٣) .

خراب هياكل بعلبك :

زلزال عنيف ضرب الشاطيء اللبناني والسوري في ٢٠ أيار سنة ٥٢٦م . ثم تلاه آخر في التاسع من آب فدمر بيروت وأصاب بعلبك . وعزا بعض المؤرخين ما حل في بعلبك الى صاعقة أحرقت سقفها مصنوع من خشب الأرز ، المغلف بالرصاص ، وسقطت الابواب البرونزية والتماثيل البرونزية ، تلك الاصنام التي سحرت بجماها سكان المدينة وجازتهم الى شعب الامبراطورية فتوافد الزوار من كل الاقطار يوفون النذور ويركعون أمام أصنام هم صنعوها فأتاها غضب الله فأنزل

.....

Eusebius 164

Chronicon Paschale (610 — 641) 1. 561.

Poul collart and Pierre coupel, «L Autel monumental de Bāalbeck. P. 3 — 5

(٣) حتي : لبنان في التاريخ : ٢٦٠ .



البهو الكبير وتبدو آثار الحفريات

الصاعقة فأحرقتها ولم تبق شيئاً حتى الحجارة استحالت كلساً^(١) .

ومع ان المسيحية انتشرت في أنحاء سورية ، ظل سكان بعلبك - الذين افادوا من زوار الهياكل وجنوا أرباحاً مادية - يمارسون طقوسهم الوثنية المعتادة حتى سنة ٥٧٩ م . في حين ثابرت الطبقة الحاكمة في هليوبولس على تمسكها بإيمانها الوثني الى أن جاء الاسلام سنة ٦٣٥م فمحاه وقهر هربيس « حاكم بعلبك البيزنطي » .

.....

١ - B. Zacharias. 8,4



تمثال جوبيتر

ازدادوا غياً وتمسكوا ببعلمهم وفرضوا بحيلهم عبادته على اليونان والرومان . لأن عبادة جوبيتر الشمس انتشرت في أرجاء الامبراطورية الرومانية ونقل شعائر عبادته الجنود الرومان الذين وفدوا الى بلاد سورية لحماية الولايات الشرقية ثم عادوا الى بلادهم مؤمنين بآله الشمس . وساعد في ذلك التجار اللبنانيون ، حتى ان الاباطرة اعتنقوا عبادته وتقربوا اليه .

« لقد وجدت كتابات كثيرة وتمائيل لهذا الاله الشمسي في روما واثينا ومرسليا ونيم وغيرها، وكلها تصف جوبيتر بما وصفه به مكروبيوس من حيث الهيئة وتمثله جالساً على قاعدة محمولاً من حيوانين وييسده السوط والصاعقة وباقعة القمح التي هي من شعار هذا الاله »^(١) . وهكذا فاقت آلهة بعلبك سائر الآلهة الفينيقية مثل ملكارت وادونيس وعشروت لأن هليوبولس لم تتأثر بالحضارة الرومانية بالقدر التي تأثرت به زميلتها بيروت ولم تتهّلن مثلما تهلنت انطاكية بل احتفظت بالعناصر السامية احتفاظاً اشد من احتفاظ هاتين المدينتين^(٢) .

والكتابات التي نقشت على جدران الهياكل تكشف تكريم رجال الدولة الرومانية ونبلأء المملكة لآلهة بعلبك بما يقدمونه من النذور، وتذهيب الاعمدة ، ورفع النصب والتماثيل تقرباً للآلهة ، حتى أن تراجان شاور عراف بعلبك قبل حملته الثانية ضد الفرس سنة (١١٦م) . ووصف مكروبيوس عملية استئزال الوحي في هليوبولس قال « ان صنم

.....

(١) برد ريزه perdrizet مجلة الدروس القديمة نيسان ١٩٠٢ ، الوف ٦١ .

(٢) حتي : لبنان في التاريخ : ٢٦٢ .

الشمس الذهبي كان يطاف به في الاحتفالات العمومية في أزقة المدينة محمولاً على أكف عظماء البلاد ، وكان حاملوه يستعدون لهذه الخدمة المقدسة بحلق شعور رؤوسهم ويأخذون على أنفسهم عهداً ألا يشربوا مسكراً ولا يقربوا امرأة ، محافظين على الطهارة التامة . وكان يعطى الوحي بتقدم حامله أو تأخرهم بغير ارادتهم ولكنهم كمدفوعين بتأثير قوة الألوهية فيهم»^(١) .

وكان تمثال الاله يعاد الى مكانه في أبرز جزء من أجزاء الهيكل . كان التقليد الوطني يصور هذا الاله على هيئة شاب أمرد مرتديا زي الفارس الذي يقود مركبة ، وبيده اليمنى سوط رمز للصاعقة ، وفي يده اليسرى رمز البرق ، وضمة من سنابل القمح . فهو رمز للعلة (المطر) والمعلول (الغلال) في الكون^(٢) .

وقد جعلت هذه الهياكل من بعلبك مدينة من أشهر المدن اللبنانية وحلت المرتبة الثانية بعد أنطاكية في ولاية سورية الكبرى . واعتبرت الهياكل حمى مقدساً ونعمت بالامتيازات التي كانت تمنح للحمى وكان يحق لها ان تملك الأراضي وان تجمع الضرائب وأن تحتفل بالاعياد السنوية^(٣) .

في احتفالات الهياكل مورس الفجور والبغاء ، ويبدو أن أهل المدينة استغلوا جبال بناتهم فأكرهوهن على البغاء ، وطارت شهرة الجمال

Macrobius: Sat. BK, I.ch. 23, Secs. 11 — 13

Macrobius: BK.I.

(٣) حتي : لبنان في التاريخ : ٢٦٧ .

البعليكي الممنوح لنسائها من (اتركاتس) . فتهافت عليها أغنياء الامبراطورية طلاب المتعة في مواسم الاعياد ، والفجور لم يقتصر على بعليك بل عرفته فينيقية وسورية . وهناك مقطع من نشرة لوشيا عن هياكل وآله سورية يلقي الضوء على الطقوس الدينية لتلك الايام . كتب لوشيا « في بيلوس كان على النساء ان يخترن اما حلق رؤ وسهن وإما تقديم أنفسهن للغرباء الذين يؤمون مدينة بيلوس (جبيل) خلال مدة الحزن على الاله الشاب ادونيس . بقصد التضحية بأنفسهن للآلهة افروديت . وهذا النوع من بغاء الهياكل كان عادة شائعة في هليوبولس (بعليك) »^(٢) وذكر أوسايبوس « بان هيلولس الفينيقية عبدت فينوس باسم هيدون (اي المسرة) وان هذه العبادة كانت مصدر خرافات وترف لا يحد »^(٣) .

استمرت الاحتفالات الوثنية في المدينة أيام البيزنطيين . هناك احتفال يقام خلال شهر أيار من كل سنة نصت عليه لوحة رصاصية وجدت في بعليك نقش عليها معبد جوبتير مع الاله بعل واقفا في المشى وعلى اللوحة هذه العبارة «inspection de Maioumas» « إستعراض مايوماس »^(٤) .

وكتب جون ملالا الانطاكي « خلال احتفالات « مايوماس » كانت الطقوس العريضة تقام لأجل فينوس «Venus» وباخوس «Bacchus»

.....

Euseb. (264 — 338) Vil Const. in 58'

Lucian, De Dea Syria: 6'

René Mouterd. Cultes antiques de la Syrie et du Liban P. 69'

وتتضمن احتفالاتاً مائياً ومسرحياً والعباباً خاصة (١) .

ومن احتفالات ايار سباق الخيل بين الفرق المحلية والفرق الواردة من مدن الامبراطورية . وفي الهياكل كتابة يونانية منقوشة على قاعدة العمود الرابع من الجنوب في معبد باخوس .

« هل حظ الفرقة الزرقاء أن تنتصر » وإلى جانبها كتابة ثانية تصب اللعنة على فرقة بيروت . ونقش ثالث تضمن لعنة ساحرة محلية أنزلتها على ست وثلاثين حصاناً من الفرقة الزرقاء ، هذه النقوش تلقي ضوءاً على الحماس الرياضي والانتصار للفرق المتسابقة ، واستعطاف الآلهة ، واستخدام السحر لضمان النصر والفوز لفرقهم المحبوبة . وهذه الاحتفالات هي استمرار لما عرفتة هليوبولس في العهد الروماني وقد دلت عليه مسكوكة الامبراطور « غاليان » ذات الجرار الثلاث .

.....

John. Malulas. Chronographia. 12. 284' -

بعلبك والفتح الإسلامي

.....

تأخر العرب في تدوين أخبار فتوحاتهم وقد انصرفوا الى القرآن الكريم قراءة وحفظاً وتفسيراً ، ان أول كتاب تاريخي وضعه العرب جاء في القرن التاسع الميلادي ، واعتمداهم الرواية الشفوية أدّى الى ظهور تناقضات في تاريخهم المدوّن ولعبت الاحزاب السياسية منذ العهد الأموي دوراً في تكثيف الروايات المتباينة حول قضايا اسلامية مهمة ، هذه الاختلافات انسحبت على تاريخ بعلبك حيث كثرت الروايات حول تاريخ وكيفية فتح المدينة ، تراوحت بين انها فتحت صلحاً أم حرباً ؟ فتحها خالد بن الوليد ام أبو عبيدة بن الجراح ؟ سنة ١٤ هـ أم سنة ١٥ هـ . في شهر ربيع الأول أم في ذي القعدة ؟ أتاها العرب عن طريق دمشق - الزبداني ام عن طريق حمص - جوسية ؟ ..

الواقدي اعطى تفاصيل دقيقة وشاملة لمعركة بعلبك في ربيع الأول سنة ١٥ هـ^(١) في حين قال البلاذري « فتحها أبو عبيدة وهو في طريقه الى حمص »^(٢) أما اليعقوبي فاكتفى بهذه العبارة « ان بعلبك فتحها خالد بن الوليد سنة ١٥ هـ »^(٣) وكانت عبارة ابن الاثير الموجزة « وفي هذه السنة فتحت

.....

(١) الواقدي : فتوح الشام : ٧٥ / ١ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان : ١٣٦ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي : ١٤١ / ٢ .

بعلبك صلحاً»^(١) أي سنة ١٥ هـ ، وفي تاريخ خليفة بن خياط م ٢٤٠ هـ .
 فتحت في ذي القعدة صلحاً سنة ١٤ هـ وقيل ١٥ هـ^(٢) . وقال الحافظ الذهبي
 وفيها (أي سنة ١٤ هـ) فتحت بعلبك وحمص صلحاً»^(٣) . وقال المقدسي
 فتحت حمص وبعلبك صلحاً^(٤) .

حكاية بعلبك

ان تسلسل الاحداث يكشف ان جيوش المسلمين قصدت بعلبك
 مرتين الأولى سنة ١٣ هـ . والثانية سنة ١٤ هـ . لكن الاحداث
 المتسارعة في بلاد الشام حالت دون مهاجمة المدينة . والخبار تؤكد
 أيضاً أنها فتحت مرتين وتمتا سنة ١٥ هـ .

الأولى قبل معركة اليرموك ، والثانية بعد اليرموك . كانت بعلبك
 حامية رئيسة للروم ، وفي قلعتها حشد هرقل جيشاً كبيراً يتحرك
 بسرعة لنجدة المدن السورية عند مهاجمتها من قبل المسلمين . وأدت
 دورها فأرسلت الفي جندي لنصرة (حوارين) لما هاجمها خالد بن
 الوليد سنة ١٣ هـ / ٦٣٤م^(٥) . وفي العام نفسه وفد جيش من أنطاكية
 مدداً لأهل دمشق . ولما كان في الطريق بلغته هزيمة الروم في
 مرج الصفر . فعرج على بعلبك واقام فيها وعلى قيادته (درنجاران)

.....

- (١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٩١ .
 (٢) ابن خياط ، خليفة : تاريخ خليفة بن خياط : ١ / ١١٣ مطبعة العاني بغداد
 ١٩٦٧ .

(٣) الذهبي : العبر في خبر من غبر : ١ / ١٨ .

(٤) المقدسي : البدء والتاريخ ٥ / ١٨٤ .

(٥) الازدي : فتوح الشام : ٧٩ .

قائدان كل (درنجار) على خمسة آلاف (١) أخاف هذا الجيش قواد المسلمين فقال ابو عبيدة لخالد « ما لهذا الجيش النازل ببعلبك الا أنا أو أنت أو يزيد » قال خالد : لا بل أنا أسير إليهم ، فبعثه أبو عبيدة في خمسة آلاف فارس وأوصاه : « يا خالد اني أوصيك بتقوى الله . وإذا أنت لقيت القوم فلا تناظرهم [تؤجلهم] ولا تطاولهم في حصونهم ، ولا تذرهم يأكلون ويشربون وينتظرون أن تأتيهم أمدادهم ، فإذا لقيتهم فقاتلهم ، فانك ان هزمتهم انقطع رجاؤهم ، وسقط في خلدكم وساء ظنهم ، وان احتجت الى مدد فأعلمني حتى يأتيك من المدد حاجتك ، وان احتجت ان آتيك بنفسي أتيك ان شاء الله . سار خالد الى بعلبك سالكاً طريق الزبداني . في الوقت نفسه بعث هرقل الى جيش بعلبك يأمره بالمسير الى (بيسان) لنصرة الروم هناك ، وسار الجيش امثالاً لأمر هرقل وقد رفده مثل عدده من أهل بعلبك وحصم فبلغوا عشرين ألفاً ساروا الى فلسطين . ولما شارف خالد ضواحي بعلبك علم بأن جيش الروم غادر المدينة ، فاخذ معه الاغنام والابقار التي وجدها في طريقه وقفل راجعاً الى أبي عبيدة المقيم أمام أسوار دمشق . ولم يدخل خالد بعلبك ولم يحاصرها تم ذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٣ هـ ك ٢ / ٦٣٥م (٢) .

حصل جزر ومد في بلاد الشام ، فبعد معركة فحل (كانون الثاني ٦٣٥م) فتح المسلمون دمشق إثر حصار دام أربعة أشهر (رجب ١٤

.....

(١) نفسه : ١٠٥ .

(٢) نفسه : ١٢٨ - ١٣٠ .

هـ أيلول ٦٣٥ م^(١) .

ثم تقدم أبو عبيدة يرافقه خالد على طريق دمشق حمص . ولما وصلا قبالة (جوسية) بعث خالد الى حمص وقنسرين ، وقصد بنفسه بعلبك ، فصالحه بطريق (جوسية) لمدة سنة كاملة على أربعة آلاف درهم وخمسين ثوباً من الديباج ، ولما بلغ ابو عبيدة (اللبوة) قدم اليه رسول عمر بن الخطاب يعلمه بفرار جبلة بن الأيهم الغساني . فعذل ابو عبيدة عن بعلبك ، ولحق بخالد الى حمص لمراقبة طريق انطاكية . وصدف أن مات بطريق حمص إبان محاصرة العرب لها فطلب أهلها الصلح لمدة سنة أولها ذو القعدة سنة ١٤ هـ^(٢) .

اطمأن أبو عبيدة الى قوة المسلمين في حمص ، فعزم على حسم امر بعلبك التي تشكل خطراً يهدد جيشه . وخصوصاً أنها ما زالت تتصل بالحاميات البيزنطية في الساحل وفلسطين . تقدم إليها عن طريق اللبوة ولما شارفها صدف قافلة من قوافل الروم تحمل الى بعلبك تجارة اكثرها السكر والزيت فقال ابو عبيدة لرجاله « ان بعلبك لنا حرب وليس بيننا وبينهم عهد ، فخذوا ما قد ساقه الله اليكم فانها غنيمة من عند الله » قال شداد بن عدي : « احتوينا القافلة وكان فيها اربعمائة حمل من السكر ، والفسق والتين وغير ذلك . وأخذنا اهلها أسارى وقال أبو عبيدة : كفوا عن القتل واطلبوا منهم الفداء ، فابتعناهم انفسهم

.....

(١) الواقدي : فتوح الشام ١ / ٦٤ .

(٢) المرجع نفسه : ١ / ٧٥ .

بالذهب ، والفضة ، والثياب ، والدواب ...

فرّت جماعة من القافلة وأخبرت بطريق بعلبك (هرييس) بقدوم العرب وكان شجاع القلب شديد البأس ... فجمع جيشه واستعد لمقابلة المسلمين ، فقصدهم الى خارج المدينة يحيط به سبعة آلاف فارس ، سوى من اتبعه من سواد بلده . شاهدتهم المسلمون فنادوا النفير النفير ، وقبل بدء المعركة تقدم بطريق من جيش بعلبك ونصح (هرييس) بأن يكف عن قتال العرب لأنه لا قبل له بهم هاهم « فتحوا دمشق وهزموا عساكر اجنادين ، ومزقوا جنود فلسطين وقد بلغك ما فيه كفاية عن أخبار قنسرين » . فأجابه هرييس : لا أفعل ذلك ولا انهمز أمام العرب وقد بلغني أن عسكرهم الكبير ما زال في حمص مع أبي عبيدة ، وهذه الشزيمة غنيمة ساقها المسيح الينا فانسحب بالطريق الناصح وقال : انا لست من رأيك ولا أقاتل العرب ولوى عنان فرسه وعاد الى المدينة مع جماعته . نشب قتال لم يكن عنيفاً وصفه احد فرسان العرب عامربن ربيعة قال : « ما كان بيننا وبينهم الا جولة الجائل حتى ولو الادبار وطلبوا الاسوار وجرح قائدهم » . قفل هرييس الى المدينة مع أصحابه وفيه سبعة جراحات تطارده رجال المسلمين حتى وقفوا على أسوار بعلبك فوجدوها حصناً منيعاً والقوم قد أغلقوا الابواب ، وحصروا أموالهم ومواشيهم في جوفها . جمع أبو عبيدة خواص أصحاب رسول الله وشاورهم في أمرها فأشاروا بالحصار بات المسلمون تلك الليلة يحرس بعضهم بعضاً . ثم كتب ابو عبيدة الى اهل بعلبك كتاباً قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من أمير جيوش المسلمين بالشام ابو عبيدة

ابن الجراح الى اهل بعلبك من المخالفين والمعاندين أما بعد فان الله سبحانه وتعالى وله الحمد أظهر الدين وأعز أولياء المؤمنين على جنود الكافرين ، وفتح عليهم البلاد واذل اهل الفساد. ان كتابنا هذا معذرة بيننا وبينكم ، وتقدمة الى كبيركم وصغيركم . لأننا قوم لا نرى في ديننا البغي وما كنا لنقاتلكم حتى نعلم ما عندكم ، وان دخلتم فيما دخلت فيه المدن من قبلكم من الصلح والامان صالحناكم وان أردتم الذمام أعطيناكم وان أبيتم الا القتال استعنا عليكم بالله وحاربناكم فأسرعوا بالجواب والسلام على من اتبع الهدى»^(١) .

حمل الكتاب رجل من المعاهدين الى اهل بعلبك وصل الى السور فدلوا حبلاً ربطه في وسطه ورفع القوم إليهم وحملوه الى هربيس . قرأ الكتاب أمام أهل الحرب والبطارقة وطلب الرأي منهم فاقترح احدهم الصلح معللاً رأيه بما حل بسائر المدن السورية فأنبه هربيس واتهمه بالجنون وانقسم المجلس الى فرقتين احدهما تطلب الصلح والثانية تريد القتال وكان جواب هربيس أن مزق الكتاب وشتم الرسول الذي اخبر أبو عبيدة بأن اكثر القوم يبغيون القتال ، فجمع المسلمين وقال لهم : إن هذه المدينة في وسط اعمالكم وبلادكم فان بقيت كانت وبالاً على من صالحتم وترصد تحركاتكم .

.....
(١) الواقدي : ١ / ٧٧ ..

الوقعة الثانية :

رجع كل فريق الى السلاح يطلب النصر وتقرير المصير ، جلس هربيس في أحد ابراج القلعة وقد عصب جراحه ووضع في عنقه صليبا من الذهب تحف به البطارقة وقد قلدوه في حمل الصليبان وبأيديهم القسي والسهام . بدأت المعركة برشق السهام والحجارة . قال عامر بن وهب الشكري من جند المسلمين . « كان نشاب الروم كالجراد المنتشر . ولكثرتهم تساقط بعضهم عن سور القلعة فذهبت الى رجل سقط لأضرب عنقه ، فصاح الغوث ، فأمنته وسألته ما الذي القاك إلينا فكلمني بالرومية فحملته الى ابي عبيدة وأخبرته فأق بترجمان . فسأله لماذا يرمي بعضكم بعضاً . فقال : انني من اهل القرى فلما سمعنا بمسيركم التجأنا الى هذه المدينة من جميع الرساتيق لنتحصن بها وسددنا طرقات المدينة ، وجئنا الى السور فلم نجد موضعاً نأوي اليه فلما برز أهل الحرب أخذوا يدوسوننا بأرجلهم يدفعون بنا اليكم . فلما سمع أبو عبيدة استبشر بالنصر وقال : ارجو من الله ان يجعلهم غنيمة لنا .

حمى الروم اسوارهم بالسهام والحجارة قال غياث بن عدي الطائي حاربنا أهل بعلبك في اول يوم فأصيب من المسلمين اثنا عشر رجلاً . واصيب من الروم على السور جماعة . وأخذ البرد من المسلمين مأخذاً وباتوا ليلة اخرى يتناوبون الحراسة ومع الفجر أمر أبو عبيدة بتناول الأطعمة الحارة . فلم رجع المسلمون الى رواحلهم يطبخون ظن اهل بعلبك ان المسلمين انهزموا فصاح هربيس بالقوم « اخرجوا لهم بارك المسيح فيكم » . قال غياث بن عدي الطائي :فتحوا أبواب المدينة

وخرجوا إلينا وكان بعضنا قد مد يده إلى الطعام فنادى منادٍ يا خيل الله
 اركبي وبدأت معركة شرسة بين الطرفين نادى فيها أبو عبيدة « اليوم يوم
 له ما بعده » وصبر الروم على قتال العرب وكان في جيش العرب فرسان
 منهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، وعبد الرحمن بن أبي بكر وربيعة
 ابن عامر ، ومالك بن الأشتر ، وضرار بن الأزور ، وذو الكلاع
 الحميري . . . فأبلوا بلاءً حسناً وردوا الروم على أعقابهم وأدخلوهم
 مدينتهم . رجع المسلمون إلى عسكرهم وأضرمو نيرانهم ودفنوا من
 استشهد منهم . وفي عملية استراتيجية تأخر العرب عن الأسوار مقدار
 فرسخ ، وعقد أبو عبيدة لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل راية على
 خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل وأمرهم أن يهبطوا الوادي وأن يقاتلوا
 على الأبواب وأن يشغلوهم عن المسلمين . وعقد لضرار بن الأزور راية
 على خمسمائة فارس ومائة راجل وسرحه إلى باب الشام . لما كان الصباح
 فتحت الروم الأبواب ، وزحف خلق كثير يشجع بعضهم
 بعضاً وصاح أحدهم كيف لا نصبر على قتال العرب ورجلهم يخوض
 الحرب وعليه ثوب خلق من خامٍ أو فروة ونحن علينا الدروع والزرر .
 قال سهل بن صباح العبسي . شهدت قتال أهل بعلبك وقد خرجوا إلينا
 في اليوم الثاني وهم اطمع مما كانوا في الأول وكنت قد جرحت في عضدي
 الأيمن ، وما أطيق أن أحرك يدي ، ولا أحمل سيفاً فعلوت الجبل أرقب
 الحرب . ولما اشتد الوطيس رأيت المسمين ينكشفون . فأوقدت ناراً
 طلباً لنجدة ابن الأزور وابن نفيل فتحركا بجنودهما وحالا بين الأعداء
 وبين أبواب المدينة فأنهزم الروم وصعدوا إلى قرية حصينة خالية من
 السكان شمالي بعلبك فلحق بهم سعيد بن زيد وحصرهم في الجبل وضيق

عليهم . ثم أمر على جماعته أحد فرسانه وعاد يتشاور مع ابي عبيدة الذي ظل مرابطاً قرب أسوار المدينة وابان غيابه تفرق الروم على المسلمين في الجبل وحصروهم وأعملوا فيهم قتلاً .

فأسرع مصعب بن عدي يطلب النجدة فعاد اليهم قائدهم سعيد يرافقه ضرار بن الأزور وجماعته فقتلوا من الروم كثيراً وقتل وجرح من المسلمين سبعين رجلاً . وشدّد سعيد بن زيد الحصار على هربيس وجنوده في الجبل وضيقوا عليه حتى طلب الصلح . ولما مثل رسوله بين يدي سعيد أراد السجود فمنعه الجنود . قال أتمنعوني أن أعظم صاحبكم فنقل الترجمان الى البطريق كلام سعيد : إنما أنا عبد الله تعالى ولا يجوز السجود والتعظيم الا لله تعالى الملك المعبود القديم . فقال الرجل : بهذا نصرتم علينا وعلى غيرنا من الامم . وأعطاه الامان له ولمن معه وأرسل رجلاً يخبر أبا عبيدة بما تم . فسجد أبو عبيدة لله شكراً وقال أيها الناس تقدموا الى المدينة وأظهروا أسلحتكم عليهم ، وكبروا تكبيرة واحدة ، لكي ترعبوا بها القوم . ولما فعل المسلمون ذلك ارتجت المدينة وفزع اهلها . تقدّم المرقال بن عتبة وقال لهم حصنوا أنفسكم وأولادكم وأموالكم بالصلح . ولما أضرمتم نيران الحرب على المدينة أرسل أبو عبيدة الى سعيد أن أسرع بقدوم هربيس علي وله الأمان . ولما وصل هربيس رأى قلة مدد العرب فتعجب وقال : لقد أخذتم بلاد الشام ، وقد عجزت عنها ملوك الفرس والترك والجرامقة . وتمت مفاوضات الصلح على الشكل التالي قال ابو عبيدة : أصالحكم على ألفي اوقية من الذهب الأحمر وألفي اوقية من الفضة البيضاء وألفي ثوب من

الديباج ، وخمسة آلاف سيف من مدينتكم وسلاح أصحابك الذين هم في الضيعة محاصرون . ولنا عليكم خراج أرضكم في العام الآتي وأداء الجزية في كل عام . وانتم بعد ذلك لا تحملون علينا سلاحاً ولا تكتبون ملكاً وترون النصح للمسلمين .

وافق هريس وقال أنا أشرط عليك وعلى أصحابك شرطاً لا يدخل إلينا من اصحابك أحد فنزل صاحبك الذي تستخلفه علينا خارج المدينة بأصحابه ، ويكون له الخراج والجزية وأبقى أنا داخل المدينة للإصلاح بين الناس والنظر في شؤونهم ونحن نحمل الى أصحابك سوقاً فيه من جميع ما في مدينتنا . ذهب البطريق يرافقه ابو عبيدة لعرض شروط الصلح على اهل المدينة فاستكثروا الجزية ورفضوا الصلح وأقفلوا ابواب المدينة . عندها قال هريس لأبي عبيدة إن لم يصلحوا أدلك على مداخل المدينة فتضع السيف فيهم فتقتل رجالهم وتسبي نساءهم فخاف الروم وقالوا لا طاقة لنا بالمال فأجابهم هريس أنا أدفع ربع المبلغ فطابت نفوسهم واستجابوا للصلح فكتب ابو عبيدة لهم الأمان .

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب أمان لفلان بن فلان ، وأهل بعلبك رومها وفرسها وعربها ، على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم ، داخل المدينة وخارجها ، وعلى أرجائهم ، وللروم أن يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلاً ، لا ينزلوا قرية عامرة ، فاذا مضى شهر ربيع وجمادى الأولى ساروا الى حيث شاؤوا ، ومن أسلم منهم فله ما لنا وعليه ما علينا ، ولتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها ، وعلى من أقام منهم الجزية والخراج شهد

الله وكفى بالله شهيداً» (١) .

ورواه ابن عساكر بصيغة فيها إطناب « قال اسماعيل بن عيَّاش :
إن أبا عبيدة كتب لأهل بعلبك : هذا أمان من أبي عبيدة بن الجراح ،
لفلان وفلان وفلان وأهل مدينتهم بعلبك ، رومها وفرسها وعربها
ولرؤسائها وسكانها الروم والنصارى ، ولأموالهم ولدوابهم وليبيعهم
ودياراتهم وكل شيء لهم خارج المدينة من المواشي ، ولأرحائهم ،
وإنهم على سكنهم لا يكرهون عليه ، وإن عليهم (السمع والنصح
والطاعة ولا عقب تبعث بيننا وبينهم فيما قد خلا من القتال والحرب .
وان للروم ان يسوقوا ويظعنوا حيث شاؤوا خمسة عشر ميلاً ولا يلبثوا
في قرية أو أبنية ولاهل المدينة وتجارها وكسسابها أن يتجروا في المدينة
شهري ربيع وجمادى الأولى ، فاذا انسلخ فانهم يسرون حيث شاؤوا
ان يكتثوا بأموالهم ودوابهم . وإن مكثوا بعد الثلاثة أشهر فان عليهم
مثل ما على أهل المدينة من الطاعة والنصح وإعطاء الذي عليهم من
السبيل . فان احبوا أن يسيروا عند نفاد هذه الصحيفة ساروا . وان لنا
على الروم والفرس ان لا يحملوا شيئاً كان للمؤمنين من أموالهم عند
القبط والعرب من حيث نفاذ هذه الصحيفة وان شاؤوا ان يذهبوا حيث
شاؤوا من الأرض بأموالهم فان ذمة أبي عبيدة والمؤمنين لهم بهم .
وان للمؤمنين ما عرفوا من أموالهم عند الروم والعرب ، وان لنا عندهم
كل نفس حرة مسلمة فيهم ، في رومهم وفرسهم وعربهم وقبطهم .
والله هو الشاهد على هذه الصحيفة ، ويزيد ابن أبي سفيان . ومعمراً بن

.....

(١) البلاذري : ١٣٦ .

وتاب . وكتب عبد الله بن رومان^(١) وختم أبو عبيدة بخاتمه^(٢) .

أرسل أبو عبيدة الى سعيد وأبقاهم رهينة لديه . وبعد اثني عشر يوماً جمع هربيس المال والسلاح والاثواب وقدمها الى أبي عبيدة . وقال له : انظر إلى من تخلفه علينا من اصحابك فأحضره حتى نشط عليه بحضرتك أن لا يجور علينا ولا يدخل مدينتنا . فدعا أبو عبيدة برجل من سادات قریش اسمه رافع بن عبد الله السهمي وقال له استعملتك على هذه المدينة ضم اليك خمسمائة فارس من بني عمك وأربعمائة فارس من أخلاط المسلمين . واني آمرك كما أمرك الله به ، فاتقي الله حق تقاته ولا تكن الا من الولاة العادلين وأياك والظلم والجور فتحشر مع الظالمين . غادر ابو عبيدة الى حمص وضرب العرب خيامهم خارج بعلبك وكانوا يغيرون على الساحل ويغنمون ثم يبيعون غنائمهم من أهل بعلبك . وجد السكان لدى العرب امانة وصدقاً وعدلاً فطابت نفوسهم وربحوا في مدة يسيرة مالاً عظيماً . لما نظر البطريق هربيس الى ما ربح أهل بعلبك في تجارتهم جمعهم في كنيسة المدينة - وهي الجامع اليوم وكان ذلك بميعاد . فذكر التجار والباعة بما اجتهد في أمورهم ودفاعه عنهم ، وطلب اليهم عشر ما يربحون من المسلمين فأجابوه الى ذلك متذمرين ونصّب عليهم عشاراً يجبي الأموال فجمع في أربعين يوماً مالاً جماً فازداد طمعه وقال : أنا أعلم أن هذه المدينة في

.....

(١) عبد الله بن رومان ادرك عهد النبي ، وشهد فتح بعلبك مع ابي عبيدة وكتب الصلح لأهلها .

(٢) تاريخ دمشق (مخطوط) ٢٠ / ٤٠٠ ، وفي تاريخ دمشق المطبوع : جزء عبد الله طبعه مجمع اللغة ١٩٨١ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

كسب عظيم وتجارة رابحة ما رأى أهل بعلبك مثلها . فأعاد جمعهم في الكنيسة مرة ثانية وقال لهم : يا قوم قد علمتم ما بذلت من المال على صلحكم فاجعلوا لي الربع في أرباحكم . فأبى القوم وضجوا عليه وقتلوا غلمانهم وارتفع الصخب فجذع المسلمون لذلك وهم يجهلون سبب الاضطرابات داخل المدينة فاجتمعوا الى اميرهم رافع السهمي وتشاوروا معه . فقال لهم : « فما عسى ان اصنع بهم ولا يحل لنا الدخول اليهم ، وبهذا جرى الشرط بيننا وبينهم ونحن احق بمن اوفى بعهد الله تعالى . فان هم خرجوا الينا وأعلمونا بأمرهم ساعدناهم^(١) وما لبث ان هرعت اليه جماعة من المدينة تقصُّ عليه مضايقات هريس . . . فاجابهم رافع « إنا لا نمكنه من ظلمكم » فاعلموه بأنهم قتلوا هريس مع حاشيته . وطلبوا الى رافع ان يدخل المدينة لتثبيت الأمن فيها . فلم يجبه باديء ذي بدء ، وفاء بالعهد وأرسل الى أبي عبيدة يستشير . فأذن له بدخول بعلبك نزولاً عند رغبة السكان . وبذلك دخل المسلمون بعلبك في شهر جمادى الأولى . لأن نص الامان الذي كتبه ابو عبيدة لأهل بعلبك يؤكد بأن فتح المدينة تم قبل شهري ربيع الثاني وجمادى الأولى اي في شهر ربيع الأول في سنة ١٥ هـ وهذا التاريخ سابق لمعركة اليرموك .

إن هريس قاوم العرب مقاومة عنيفة ، وأوقع في صفوفهم قتلى ما فقدوا مثلها أمام أسوار دمشق وحصص وسائر المدن . . . وذلك يعود الى مناعة حصون المدينة وعزم القائد على الصمود والقتال . . لكن هنا

.....

(١) الواقدي : ١ / ٨٦ .

سؤال يفرض نفسه . لماذا تباطأ (هرقل) في ارسال النجدة الى دمشق وبعلبك وحمص . . الى كل البلاد السورية العزيزة على قلب هرقل . لقد ضحى بهذه المدن آنياً على أمل ان يستردها في معركة حاسمة . جدّ هرقل في حشد الروم وأنصارهم ، حتى جمع جيشاً زاد على مائة ألف جندي^(١) . وصلت أخبار الزحف البيزنطي الى قواد المسلمين في حمص وبعلبك ودمشق . وحامياتها المسلمة لا تزيد عن خمسة عشر ألف مقاتل ، متفرقين في مناطق متباعدة ، ويعيشون مع عدو يتحفز للوثوب عند أول سانحة ، فقرّرأي المسلمين على التراجع ، وتجميع القوات في الجابية ، ثم في أذرعات . وبذلك غادر رافع بن عبد الله السهمي بعلبك والتحق بجيش المسلمين في أذرعات ، وعادت المدينة الى السلطة البيزنطية .

الفتح الثاني :

بعد معركة اليرموك التي وقعت في رجب من سنة ١٥ هـ
 آب / ٦٣٦م عادت جيوش المسلمين تندفع بسرعة الى المدن التي تخلت عنها . فدخلت بعلبك في شهر ذي القعدة من سنة ١٥ هـ . وغدت

(١) الروايات متضاربة في تقدير عدد جيش الروم الذي شارك في اليرموك . وجاءت على سبعة تقديرات :

- الأول أنهم كانوا ١٠٠ ٠٠٠ يقودهم صفلاً رخصي هرقل . ابن عساكر ١ / ٥٣١ .
- الثاني أنهم كانوا ١٢٠ ٠٠٠ يقودهم باهان ، ابن عساكر ١ / ٥٢٩ .
- الثالث أنهم كانوا ٢٠٠ ٠٠٠ يقودهم باهان . الطبري ٣ / ٣٩٥ .
- الرابع أنهم كانوا ٢٤٠ ٠٠٠ يقودهم باهان الطبري ٣ / ٣٩٣ .
- الخامس أنهم كانوا ٣٠٠ ٠٠٠ يقودهم باهان الطبري ٣ / ٣٩٣ .
- السادس أنهم كانوا ٤٠٠ ٠٠٠ يقودهم باهان المقدسي ٥ / ١٨٤ ، الازدي ١٥٢ .
- السابع أنهم كانوا ٦٠٠ ٠٠٠ يقودهم باهان الواقدي ١ / ٩٧ .

بعلبك تابعة لولاية حمص مادام أبو عبيدة في حمص . ثم الحقت بعد ذلك بجند الشام .

هذه الفتوحات وهبت بعلبك عهداً جديداً غير مجرى الحياة فيها وأهم خصائصه :

١ - أعاد إليها اسمها القديم الفينيقي (بعلبك) ونزع عنها الاسم الروماني (هليوبوليس) .

٢ - انصهار السكان من عرب وفرس وما تبقى من روم وقبط في شعب واحد أسهم في استكمال الفتوحات والدفاع عن الثغور الساحلية .

٣ - انتشار الإسلام .

٤ - تلاشي اللغة (السريانية) وانتشار اللغة العربية .

٥ - بناء المسجد (مسجد ابراهيم الخليل داخل الهياكل) .

٦ - سك العملة الإسلامية ، اذ اتخذت بعلبك مقراً لضرب السكة في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٧ هـ . وعليها رسم ملك الروم . واسم مدينة بعلبك بالعربية واليونانية^(١) .

وفي عهد عثمان بن عفان تولى بعلبك سفيان بن مجيب الازدي حوالي سنة ٢٤ هـ . عينه عليها معاوية والي الشام ، وحكمت المدينة من قبل الأمويين حكماً مباشراً حتى في عهد الخلفاء الراشدين .

.....

(١). كرد علي : ٢٢٦ / ٤ ..

بعلبك في العهد الأموي (٤١- ١٣٢) (٢٦٦- ٧٥٠م)

.....

اغفلت كتب التاريخ أسماء الولاة الذين حكموا بعلبك بعد رافع بن عبد الله السهمي في الحقبة الأولى لصدر الإسلام (العهد الراشدي). وهذا الإهمال طال عهودها المتلاحقة ، وبتنا نعرف عددا من ولاة المدينة وردت أسماؤهم عرضاً في بطون الكتب . لكن الاطار العام لسياسة المدينة نرسمه بالمقارنات العامة مع سياسة دمشق ، وسائر المدن السورية . أتبع بعلبك عاصمة البقاع الشرقي بجند دمشق ، وظلّت عليه حتى نهاية الدولة الاموية . وبعلبك لم تخضع لسلطة الامام علي (عليه السلام) . لأن معاوية استقل ببلاد الشام منذ اليوم الأول لولاية علي بن أبي طالب سنة ٣٦ هـ . بيد ان شبيب بن عامر والي الجزيرة الفراتية من قبل الإمام علي ، أغار حتى بلغ بعلبك سنة ٣٩ هـ / ٦٦٠ م . وتفصيل ذلك ان معاوية سير عبد الرحمن بن قباث إلى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر ، وكان شبيب إبان الغارة في نصيبين ، فكتب الى كميل بن زياد وهو (بهيت) يعلمه خبرهم . فسار كميل في ستمائة فارس ، وقاتل عبد الرحمن ومعه معن بن يزيد السلمي ، فهز مها واكثر القتل في اهل الشام وامر ان لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح . وقتل من أصحاب كميل رجلان وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين فأدرك أن كميلا قد أوقع بالقوم فهناه بالظفر ، واتبع الشاميين فلم يلحق بهم ، فعبّر الفرات وبث خيله فأغارت على أهل

الشام حتى بلغ بعلبك فلم يدع في طريقه ماشية الا استاقها ، ولا خيلا ، ولا سلاحاً الا أخذه ، وعاد الى نصيبين ، وكتب الى الإمام علي ، فأجابه الإمام ينهيه عن أخذ أموال الناس ، الا الخيل والسلاح الذي يقاتلون به وقال « رحم الله شبيباً لقد أبعد الغارة ، وعجل الانتصار »^(١) .

ان معاوية اتخذ من بعلبك ثكنة عسكرية بقيادة واليها سفيان بن مجيب الازدي ورابطت فيها فرق من القبائل العربية ، استعان بها الامويون على إخماد الثورات المناوئة في البلاد . وكانت مركزاً رئيساً لأمداد الساحل بالقوات المقاتلة . لما هاجم معاوية جزيرة قبرص سنة ٣٣ هـ ،^(٢) استعان بالفرق البعلبكية ، وتمكن من فتح الجزيرة ، ونقل إليها جماعة من هذه المدينة تقيم في قبرص وتأخذ الاعطية ، والفرق البعلبكية مع جماعة من البعوث الاسلامية أقاموا مدينة لهم في قبرص زينوها بالمساجد . وأدوا دورهم في حفظ الجزيرة . وظلوا هناك حتى أعادهم يزيد بن معاوية مرتشياً من أهل الجزيرة ، وما إن غادرت الفرق قبرص حتى انتفض السكان فهدموا مدينة المسلمين ودرسوا مساجدهم^(٣) .

ولم تكن مركزاً عسكرياً فقط بل كانت معقلاً محضاً سجن فيها الامويون الاسرى ، ورهائن الروم في عهدي معاوية وعبد الملك بن

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٣ / ٣٧٩ .

(٢) في روايات سنة ٣٥ هـ . الميلادي : ١٥٨ .

(٣) البلاذري : ١٥٨ .

مروان . . . ففي سنة ٣٧ هـ / ٦٥٨ م عقد معاوية صلحا مع امبراطور الروم ، على ان يؤدي معاوية مائة الف دينار ، وأن يسلم الطرفان رهائن متبادلة ضماناً لتنفيذ الاتفاق واستمراريته ، فأخذ معاوية رهائن الروم وجعلهم في بعلبك ولكن الروم غدروا برهائن المسلمين وقتلوهم . . . فلما بلغ معاوية ذلك أبى هو والمسلمون أن يستحلوا قتل « من في أيديهم من رهنهم ، وخلوا سبيلهم . واستفتحوا عليهم ، وقالوا : وفاء بغدر ، خير من غدربغدر »^(١) .

وعاد معاوية ينقل من فرس بعلبك الذين قطنوها قبل الإسلام - بشهادة الامان الذي كتبه ابو عبيدة سكان المدينة رومها وفرسها وعربها - الى طرابلس في سنة ٤٢ هـ . وذكر ابن واضح اليعقوبي المتوفي سنة ٢٨٤ هـ بأن بعلبك وأهلها قوم من الفرس وفي اطرافها قوم من اليمن^(٢) وذكر البلاذري ان معاوية نقل من فرس بعلبك وحصص إلى انطاكية ثم إلى سواحل الأردن ، وصور وعكا . وكان من قواد الفرس مسلم بن عبد الله بن حبيب بن النعمان . بيد ان القيادة العليا كانت لوالي بعلبك سفيان بن مجيب الأزدي ، وقد استعان بفرس بعلبك لفتح طرابلس . وخرج بهم وبخيل له سواهم سنة ٣٥ هـ لاقتفاء أثر عبد الرحمن بن عديس البلوي ، الذي فر مع أصحابه من سجن مصر . وكان متهما بقتل عثمان بن عفان^(٣) .

.....

(١) البلاذري : ١٦٣ : المسعودي : مروج الذهب : ٢ / ١٣٨٧ النويري : ٦ / ١٦٤ .

(٢) اليعقوبي : البلدان ؛ ٣٢٧ .

(٣) ابن عساكر : تاريخ دمشق : ١٠٢ / ٣٦ ، الاصابة : ٥٥ / ٢ .

وبعد سفيان الازدي يطالعنا إسم روح بن زنباع الجذامي أبو
زرعة^(١) ولي بعلبك لمعاوية حوالي (٤٩ - ٦٠ هـ) ثم نقله يزيد بن معاوية
من بعلبك الى جند فلسطين ، قال البلاذري « ولي معاوية ، روح بن
زنباع بعلبك ، فرجم رجلاً وامراً فقال الشاعر :

إنَّ الجذامي روحاً في اقامته حد الاله ، لمعذور ، وإن عجلاً
لو كان رفه عن حسناء ناعمة وعن أخي غزل لم يحسن الغزلاً
فبلغ الشعر معاوية فكتب إلى روح : لا تعجلن بإقامة حدّ حتى
تثبت في أمره ، فتكون إقامتك إياه بإقرار ظاهر أو بأربعة شهداء
مستورين » (٢).

.....

(١) روح بن زنباع بن سلامة بن حداد بن حديدة بن أمية بن امرئ القيس يتصل نسبه
بسبأ ويكنى بأبي زرعة او قيل بأبي زنباع الجذامي الفلسطيني . أمره يزيد على
فلسطين واختص بعبد الملك بن مروان الذي قال فيه « جمع روح طاعة أهل الشام ،
ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز » توفي روح سنة ٨٤ هـ في الأردن » (تهذيب
ابن عساكر ٥ / ٣٤٠)

(٢) البلاذري : انساب الاشراف : ق ٤ ج ١ / ٨٦ .

دار السكة في بعلبك :

في سنة ٦٦٢م أعلن معاوية نفسه خليفة وجعل دمشق عاصمة ملكه فاستولى على دار السكة في بعلبك وأعطى تعليماته بأن يُسك فيها الدرهم الأموي، ظهر على الوجه الأول هرقل وابنه متوجان، وعلى الوجه الآخر حرف - M - وفوقها الصليب . وأحرف لاتينية رمز (هليوبوليس) . وفي الاسفل نقش اسم بعلبك بأحرف عربية . وما لبثت هذه النقود ان الغيت وضربت دراهم عربية . نقش على الوجه الأول الملك الأموي معتمراً عمامة مع عبارة « امير المؤمنين » وعلى الوجه الآخر « محمد رسول الله » واسم المدينة (بعلبك) .

وضرب نوع ثالث في بعلبك لم تظهر عليه صورة الملك انما عبارة « لا إله الا الله وحده لا شريك له » .

وعلى الوجه الآخر ضرب في بعلبك .

هذه النقود المسكوكة في بعلبك منذ عهد مبكر للدولة الأموية تؤكد أن اسم (هليوبوليس) الذي ساد نحواً من الف سنة أهمل وعاد الى المدينة أسمها السامي الفينيقي (بعلبك) وخصوصها اذا عرفنا ان المصادر العربية المكتوبة تعود الى القرن التاسع ، ولذلك فان هذه النميات ادت دوراً لا يبخس في تاريخ المدينة .

بعلبك في عهد عبد الملك بن مروان . لما آلت الخلافة الى عبد

الملك سنة ٦٥ هـ / ٦٨٥ م . صادفت وفاة الامبراطور (قسطنطين اللحياني) في السنة نفسها . وخلفه ابنه (يوستينانوس الثاني) المعروف (بالآخرم) فنقض اتفاقية - الصلح مع العرب ، ووجه جيوشه تغير على بلاد المسلمين براً وبحراً ، وفي سنة ٦٩ هـ / ٦٨٩ م تكاثرت الفتن الداخلية حتى الاعراب (البدو) أغاروا على حصص وبعليك والبقاع^(١) ، فسلبوا المواشي والارزاق ، فاضطر عبد الملك الى عقد صلح مع (الآخرم) وضماناً لذلك طلب عبد الملك رهناء من أبناء الروم . فأخذهم وأنزلهم قلعة بعليك^(٢) . واعتمد عبد الملك على فرس بعليك الذين ظلوا يؤلفون غالبية سكان المدينة حتى عهده ، وكانوا يرابطون شتاء في طرابلس ، ويقومون بتنقلات بحرية بين الساحل وجزيرة قبرص . بينما كان فارسيان من بعليك أحدهما : (قابوس ، والآخر سابور) يقودان مركبا وجههما به أمير البحر من عكا الى قبرص ، وقعا في قبضة الروم ، ثم فرا من الاسر ، وتمكنا من القبض على (بقناطر) الرومي (الذي قتل العامل على خراج طرابلس وصاحبيه . وقدم الفارسيان (بقناطر) إلى عبد الملك فأمر بقتله ، ثم كافأ فرس بعليك بأن اقطعهم خمس مدينة طرابلس ، سكنوها على سبيل الاقطاع وذلك سنة ٧٠ هـ^(٣) .

واعتقد أن ولاية بعليك في العهد الأموي تبدلوا بتبدل الملوك ففي عهد عمر بن عبد العزيز ، تولى بعليك اسماعيل بن معدي كرب

.....

(١). المسعودي : مروج الذهب : ٣ / ١٥٥ .

(٢) البلاذري : ١٦٤ .

(٣). تاريخ دمشق : ١٦ / ٧٨ .



مسكوكات عربيه .



(١٠٠ - ١٠١ هـ) (١). في حين ولي قضاءها لعمر بن عبد العزيز «العباس بن نعيم الاوزاعي . وهو من الأوزاعيين الذين سكنوا بعلبك منذ أيام الفتوح (٢) ويطالعنا من أسماء السلافة الأمويين محمد بن هاني، وورد ذكره. عرضاً انه تولى بعلبك قبل سنة ١١٢ هـ . من غير تحديد لاسم الخليفة ، أو السنة ، رواه أبو زرعة قال : « حدثنا أبو مسهر قال : حدثنا سعيد ابن عبد العزيز عن مكحول : انه كتب الى محمد بن هاني ، وهو على بعلبك » . ومكحول بن عبد الله الشامي توفي سنة ١١٢ هـ . (٣) .

ولما ولي الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٦) (٧٤٣ - ٧٤٤م) أقام على بعلبك محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص (٤) .

قال المدائني انه كان يحمل الحربه بين يدي الوليد بن يزيد واستعمله على بعلبك ، وكان منقطعاً اليه ، فقال لابن عبيدة ! طالما خدمتني فينبغي أن يرى عليك أثر الخدمة فولاه إياها (٥) وظل حتى سنة ١٢٦ هـ . عندما عزله يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، والقى القبض عليه ، اذ كان يحذر اخلاصه للوليد بن يزيد ، ومعروف ان يزيد بن الوليد قتل ابن عمه الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤م . وخلفه

.....

(١) نفسه : ١١ / ٦٠٣ .

(٢) هو قريب عبد الرحمن الاوزاعي الفقيه البعلبكي المولود سنة ٨٨ هـ .

(٣) تاريخ ابي زرعة الدمشقي : ١ / ٣٢٦ .

(٤) تاريخ الطبري : ٧ / ٢٤١ ، الكامل : ٥ / ٢٨٥ ، ابن عساكر : ٣٨ / ٤١٩ .

(٥) ابن عساكر : ٣٨ / ٤١٩ .

على العرش^(١) ، وأعطى بعلبك ليزيد بن روح اللخمي (١٢٦ - ١٣٢ هـ!) وهو آخر ولاية الأمويين ، وظل حتى تولى مروان بن محمد الذي هم بإقالة اللخمي فقاد انتفاضة ضد مروان ، فأمر الأخير بهدم أسوار بعلبك^(٢) .

كانت بعلبك حصناً منيعاً طيلة الحقبة الأموية ، تحمي دمشق ، وترفد الجيش العربي بفرق بين الفرسان ، وشهدت تجمعات مكثفة للفرس . واستقبلت أسرى الروم ورهائنهم . . . وفي سنة ١٣٢ م / ٧٥٠م سقطت الدولة الأموية . ودخل عبد الله بن علي بن العباس بعلبك فاستقبله واليها يزيد بن روح اللخمي وقدم له الطاعة . فأقره على بعلبك وأقام فيها يومين . وهكذا دخلت في فلك الدولة العباسية .

الفرس في بعلبك : شهدت المدينة تجمعات مكثفة من الفرس في عهود الفتح وقويت شوكتهم فأقطعوا خمس طرابلس^(٣) .

ومهما قيل في شأنهم فقد توزعوا في مدن الشام وحرسوا السواحل من غزوات الروم والمردة وأقاموا مع العرب في المدن المفتوحة ، وتعلموا العربية ، وتفقهوا في الدين الإسلامي وعقدوا مجالس للحديث في بعلبك ، ودمشق وصيدا ، وصور وطرابلس وبيروت عبر خمسة قرون متلاحقة^(٤) .

.....

(١) الكامل : ٢٨٥ / ٥ .

(٢) المنبجي : العنوان : ٣٦٦ / ٢ .

(٣) ابن عساكر : ٧٨ / ١٦ .

(٤) معجم العلماء المسلمين .

ومن الذين نسبوا الى بعلبك اوحدثوا فيها : ابو الفضل عقيل بن محمد الفارسي الفقيه نزيل بعلبك المتوفي سنة ٤٧٠ هـ^(١) . وابو الرضى محمد بن الفرضي من فرس بعلبك وحدث فيها عن محمد بن هاشم البعلبكي^(٢) وابو صالح محمد بن حفص الفارسي البعلبكي^(٣) . وابو السري محمد بن داود بن بيوس البعلبكي الفارسي^(٤) . وابو محمد بن عمر الفارسي الذي حدث ببعلبك عن ابن كثيرالصوري^(٥) . وعلي بن محمد حفص الفارسي الذي حدث ببعلبك عن العباس بن الوليد البيروتي^(٦)

.

(١) السبكي : طبقات الشافعية : ٢ / ٢٧٠ ، مصر ١٣٢٤ هـ .

(٢) ابن عساكر ٤٠ / ١٧٣ .

(٣) ابن عساكر ٣٧ / ٤١٣ .

(٤) ابن عساكر ١١ / ٥٩٩ .

(٥) ابن عساكر ٣٩ / ٣٢ .

(٦) الطبراني : المعجم الصغير ١ / ١٩٨ .

بعلبك في العهد العباسي :

سار (عبد الله بن علي الهاشمي) يطارد فلول (مروان بن محمد) بعد معركة الزاب ، فنزل مدينة قنسرين ثم حمص ، فأقام بها أياماً بأخذ البيعة من أهلها لأبي العباس . وتابع رحلته الى بعلبك فاستقبلته وبايعت بلا مقاومة ، فبات فيها ليلتين ثم ارتحل فنزل (عين الجحر) عنجر فاقام يومين ثم قصد عاصمة الأمويين ، فدخلها سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠^(١) .

وقبل مغادرة بعلبك رتب شؤونها وابقى عليها (يزيد بن روح اللخمي) واليها من قبل الأمويين لأن يزيد أعلن ولاءه للعباسيين . وربما كانت المدينة قبل دخول عبد الله بن علي في انتفاضة ضد مروان بن محمد الذي أمر بقتال سكان بعلبك وهدم سور مدينتهم^(٢) « ظل والي بعلبك اللخمي يؤدي الخدمات للعباسيين فألقى القبض على الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع الجذامي » . والي فلسطين للأمويين بعد أن لبث متنكراً في نواحي بعلبك . مدة ست سنوات فأخذه يزيد بن روح عامل بعلبك وضرب عنقه وأرسل رأسه الى صالح بن علي الذي ارسله بدوره الى ابي جعفر المنصور ونال يزيد مكافأة اذ نقله صالح بن علي أميراً على دمشق سنة (١٣٨ هـ / ٧٥٦ م)^(٣) ولكن الأخبار تذكر ان يزيد

.....
(١) الطبري : ٤٤٠ / ٧ .

(٢) المنبجي العنوان : ٣٦٦ / ٢ .

(٣) ابن عساكر المخطوط : ٥٥٧ / ٤٦ .

كان على بعلبك سنة ١٤٣ هـ / ٧٦٠) .

اصبحت بعلبك تابعة لامارة (عبد الله بن علي) الذي ولي لأبي العباس على بلاد الشام ، واشتملت إمارته على حمص ، وقنسرين ، وبعلبك والغوطة ، وحوران ، والجولان ، والاردن من سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م . الى سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م . بينما شملت إمارة (صالح بن علي) البلقاء وفلسطين^(١) .

إن (عبد الله بن علي) كان يطمع بالخلافة ، ولاح له بارق أمل ، يوم وفاة أبي العباس سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م . فدعا الناس الى مبايعته . لكن أبا جعفر المنصور قضى عليه . وزار المنصور لبنان سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٨ م وإبان زيارته أسكن التنوخيين في مدن لبنان لدرء الاخطار البيزنطية عن سواحله ، وأنزلهم بعلبك وبيروت وصور وعرقه . . . وظلت هذه الاسرة ذات شأن طيلة قرون عدة حيث وصلنا إسم « المفضل بن محمد بن مشعر » ابو المحاسن الاديب النحوي الفقيه الذي ولي قضاء بعلبك . توفي سنة ٤٤٣ هـ^(٢) .

بعلبك وثورة المنيطرة :

كان التنوخيون يستعدون للانتشار في مدن الساحل وتدعيم قواتهم للدفاع عنها ، عندما ظهر رجل إسمه (بندار) ، نادى بنفسه ملكاً ، ولبس التاج ، وأظهر الصليب (١٤٢ - ١٤٣ هـ / ٧٥٩ - ٧٦٠ م)

.....

(١) الطبري : ٤٦٧ / ٧ .

(٢) السيوطي : بغية الوعاة : ٣٩٦ ، ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة : ٥ / ٥٢ .

فاجتمع عليه نصارى جبل لبنان وغيرهم من أهل الذمة وأعلنوا عصيانهم ورفضوا أداء الخراج للعباسيين ، وخرجوا يطلبون (اسماعيل بن الازرق)^(١) العامل على خراج بعلبك وقصدوا قتله ، زحفوا بجموع منظمة - مما يؤكد استعدادهم منذ بدء الخلافة العباسية بتشجيع من البيزنطيين - أرهبت السكان فأحجم الناس عن قتالهم . فاستفحل امرهم وهاجموا القرى البقاعية وسلبوها وقتلوا المسلمين فيها . وكتب (بندار) الى أهل بعلبك يتهددهم وينذرهم باقتحام مدينتهم ، ويأمرهم بالطاعة له . وعندما رفض أهل بعلبك مجاراته غزاهم في نحو من خمسة آلاف رجل ، فوضعوا خطة لدفعه عن مدينتهم ، فأخرجوا خيلاً لهم توارت عند سفح الجبل المجاور لتكمن للمهاجمين ، وعندما وصل بندار الى اسوار المدينة ونشب القتال أظهر أهلها الهزيمة وفروا باتجاه الجبال ، فأمعن الاقباط في طلبهم حتى يبعدوا ، عند ذلك فاجأتهم الخيل من ورائهم وأحاطت بهم ووقع القتل في اقفيتهم فصرع منهم خلق كثير . وانهزمت فلولهم ولاذت بقلعة المنيطرة^(٢) وعزم (صالح بن علي) امير الشام ومصر على استئصال شأفة المتمردين ، فأمر عامله على دمشق « رياح بن عثمان المري » بانفاذ الخيل اليهم لتأديبهم فأرسل جيشاً بقيادة ابنه (يزيد بن عثمان المري) ، وكتب الى والي بعلبك (يزيد بن روح

.....

(١) قال الرازي : كان ابن الازرق غلاماً لأبي جعفر المنصور ، عاملاً على الخراج وقد كتب اليه الاوزاعي في رفع الخراج عن بيت من اهل الذمة في البقاع ادوا اليه خدمة ، فلما وصل كتابه الى باب الازرق وصفه على عينيه وقضى للذمي بما رغب . (مقدمة المعرفة : ١ / ٢١٠) .

(٢) ابن عساكر : ١٣ / ٥٩٥ .

للخمي) للمسير الى المتمردين واستعد جيش الساحل من اهل الديوان . وكان الإمام الأوزاعي من جملة المكتتبين في ديوان الساحل^(١) .

صعدت الجيوش جبال لبنان ، وهاجمت (بندار) في المنيطرة ، دارت المعركة الأولى أسفل القلعة ، وشدد المسلمون الضغط والتضييق فاعتصم الثوار بالقلعة ، وامتنعوا فيها أياماً ولما أيقن (بندار) بأن سقوط القلعة بات وشيكاً ، تسلل منها ليلاً مع جماعة من أصحابه ونزلوا الى الساحل حيث أبحروا الى بلاد الروم . وتمكن مقاتلة بعلبك من اعتلاء سور قلعة المنيطرة الخلفي وعندما استووا على ظهره صاحوا مكبرين وانقضوا ، على من فيها ، وما لبثت أن سقطت بأيديهم وفر المتمرّدون الى قرى النصارى في جبال لبنان يتحصنون بها . لكن صالح بن علي كتب الى الولاة يأمرهم باخراج من بقي من أنباط . . لبنان . من قراهم وتفريقهم في بلاد الشام وقراها^(٢) تعقب الولاة أهل الذمة في جبل لبنان وأخرجوهم من ديارهم فأصاب الظلم (من لم يكن ممالئاً للخارجين) فأبعدوا بلاذنب اقترفوه مما حمل الإمام الأوزاعي على ان يكتب الى صالح بن علي رسالة طويلة حفظ منها « قد كان من إجلاء اهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن مما لئاً لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم ، ورددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وحكم الله تعالى : أن « لا تزر وازرة وزر اخرى »^(٣) وهو أحق ما

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠ / ٢٠ .

(٢) البلاذري : ١٦٦ ابن عساكر : ١٣ / ٥٩٥ ، التهذيب : ٥ / ٣٤١ .

(٣) سورة الانعام : الآية ١٦٤ ، سورة الاسراء ، آية ١٥ .

وقف عنده واقتدي به وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه قال « من ظلم معاهدا ، وكلّفه فوق طاقته فأنا حجيجه »^(١) .

ظلت بعلبك في هذا العهد قاعدة عسكرية للقوات العباسية ، حيث كانت الاجناد تسير من القواعد الداخلية الى الساحل فتمكث مدة قصيرة في الثغور الساحلية ، ثم تؤوب الى مراكزها في دمشق او حمص او بعلبك ، وواضح ان جند بعلبك كانوا على استعداد دائم لمساندة الثغور الساحلية ، ينتظرون الأوامر للتحرك ، وجرأتهم أدت الى سقوط قلعة المنيطرة بسرعة ، في حين كان الإمام الأوزاعي ابن بعلبك ، وفقه الشام ، رقيباً يترصد تصرفات الملوك العباسيين ، ويزجر منهم فكرة الظلم ، وينصحهم بتدبير شؤون سواحل بلاد الشام ، وكتب نفسه من رجال (الديوان) الذين يأخذون الاعطيات للدفاع عن السواحل^(٢) . وفي حدود سنة ١٧٥ هـ أرسل هارون الرشيد قاضياً إلى بعلبك هو سويد بن عبد العزيز الدمشقي ، وظل فيها حتى وفاته سنة ١٩٤ هـ في خلافة الأمين^(٣) .

.....

(١) البلاذري : ١٦٧ .

(٢) نص الكتاب الذي بعثه الى الخليفة العباسي : مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل

(ابن ابي حاتم الرازي) ص ١٩٣ .

(٣) العبر : ٣١٤ / ١ .

- بعلبك وصراع الدويلات -

.....

١ - مع الدولة الطولونية

بعد أن أستقل (أحمد بن طولون) بمصر سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧٢ م ، توجه الى دمشق ، وغلب عليها بعد وفاة واليها (ابن ماجور) سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٨ م. وبعد دمشق استكمل اخضاع مدن الشام : حمص وحماه وبعلبك وولي عليها أبناءه وقواده . وبذلك كان أول والٍ مسلم في مصر يضم الشام اليه^(١) .

وعاشت بعلبك بين مد وجزر مع الطولونيين وأعدائهم الطامحين الى الحكم . اذ انحازت الى لؤلؤ امير حمص الذي خالف سيده بالدعوة والخطبة للخليفة (المعتمد) ، وأخذ يدعو لأخيه (الموفق) .

فسار أحمد لرد هذه المدن الى سلطته ، فغلب على بعلبك وأدب أهلها عام وفاته سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م. واعترفت بسلطة ابنه (خماروية) (٢٧٠ - ٢٨٢ هـ) (٨٨٣ - ٨٩٥ م) الذي عني بمدين الشام وسواحلها ، فدعم حامياتها^(٢) . وبعد خمارويه أعلن كل من (طغج ابن جف الفرغاني) عامل دمشق وحمص وبعلبك والاردن . و (احمد بن طغان) أمير الثغور ، خروجهما عن طاعة أبي العساكر بن

.....

١ - النجوم الزاهرة : ٤٠ / ٣ .

٢ - نفسه : ٥٠ / ٣ .

خمارويه وذلك في سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦م. لأنه كان «صبيّاً قَرَّبَ الاحداث السفلى وأخلد الى استماع أقوالهم»^(١). فأسقطوا إسمه من الدعاء والخطبة على منابر دمشق وأعمالها ومنها بعلبك^(٢).

وشهدت بعلبك اوضاعاً مضطربة عندما ظهر القرامطة في بلاد الشام ، وأغاروا على دمشق سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٥م. بامرة الحسين بن زكرويه بن مهرويه ، الذي خلف اخاه يحيى بن زكرويه صاحب الثورة القرمطية ، ونجح الحسين باحتلال دمشق وحصص . وبالغت قواته في النهب والسلب . وفي العام نفسه سار الى بعلبك فاعمل السيف في رقاب أهلها ، وقتل بأكثرية سكانها ، وعبارات المؤرخين تؤكد انتقامه الفظ من أهل بعلبك ، ولا تعطي للفتك سبباً . واتفق (الطبري) ، و (ابن الأثير) على العبارة التالية « فقتل عامة أهلها حتى لم يبق منهم - فيما قيل - الا اليسير ، ثم قتل البهائم »^(٣). وبامرة ابن زكرويه خلعت بعلبك طاعة المكتفي وراحت تدعو وتخطب لزعيم القرامطة . لكن محمد بن سليمان قائد المكتفي بالله استطاع أن يرد بلاد الشام كلها الى حظيرة الخلافة بعد أن طهرها من آثار القرامطة ، وأخذ ثورتهم^(٤) سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٦م^(٥).

عادت بعلبك الى سلطة العباسيين ، وارتبطت عمالها بأمر دمشق

.....

(١) ابن الاثير الكامل ٧ / ٤٧٨ .

(٢) النجوم الزاهرة : ٣ / ٩١ ، التنبيه : ٣٢٢ .

(٣) الطبري : ١٠ / ١٠٠ الكامل : ٧ / ٥٢٤ .

(٤) الكامل : ٧ / ٥٢٥ النجوم الزاهرة : ٤ / ٧٤ .

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى . ٤ / ١٦٣ .

(احمد بن كيغلق) الذي تولى دمشق أيام المكتفي ، ثم المقتدر ، ثم الظاهر ، أي من سنة (٢٩١ - ٣٢٣ هـ) فلما ولي الراضي الخلافة عزل ابن كيغلق ، وولي على دمشق الاخشيدي (محمد بن طغج بن جف) (١) .

٢ - مع الاخشيدي .

كانت بعلبك تترجح بين حكم الاخشيديين ، والحمدانيين والفاطميين . على أثر وفاة (محمد بن رائق) القائد العباسي في الشام سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م أقدم (محمد بن طغج) (٢) ، الملقب باخشيدي ، على ضم بلاد الشام الى مصر وفي سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م اقره (المستكفي) العباسي على مصر والشام . وكانت بعلبك من أعمال دمشق فخضعت له حتى وفاته سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م . ثم وليها ابنه (انو جور) وكان صغيراً فدبر شؤون مملكته (كافور الاخشيدي الخادم) . وفي سنة ٣٣٥ / ٩٤٦ م هاجم سيف الدولة بعلبك واستولى عليها ثم حاصر دمشق ، وسقطت بيده كما يؤكد ذلك (القلقشندي) (٣) .

.....

(١) صبح الاعشى : ١٦٣ / ٤ .

(٢) محمد بن طغج الفرغاني : ولي الرملة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م . ثم الشام ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ثم مصر ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م ، وبها اعلن استقلاله عن الدولة العباسية ، وأقره الخليفة (المستكفي) عليها ومنحه لقب الاخشيدي ، وهي كلمة تركية معناها : (بياض الشمس) .

(٣) القلقشندي : صبح الاعشى : ١٦٣ / ٤ .

بعلبك مع الدولة الحمدانية (٣٣٣ - ٤٠٢) (٩٤٤) -
١٠١٢^(١) :

بعد تأسيس الدولة الحمدانية في حلب مد سيف الدولة سلطانه الى حمص وبعلبك ودمشق سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م . ومع أن دمشق انتفضت على سيف الدولة ، وفضلت الاخشيديين اذ استعادها كافور الاخشيدي ، فان بعلبك انفصلت عن دمشق ، وبقيت حصناً لسيف الدولة حتى مماته في سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م . وبعد وفاة سيف الدولة غزاها الروم ، ونهبوها مع سائر المدن الحمدانية .

في ظل الدولة الفاطمية :

في سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م ، وصل (جوهر) قائد المعز الفاطمي الى دمشق ، وتملكها ، وأذن بمآذنها ، بحى على خير العمل ولما أذعنت دمشق تقدم الى بعلبك وأخضعها وأقام الخطبة فيها للخليفة الفاطمي (المعز) بعد أن كانت للمطيع العباسي . وأذن فيها (بحى على خير العمل) والحق بنائب دمشق جعفر بن فلاح^(٢) .

وفي سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م هاجم القرامطة دمشق وبعلبك وغلبوا عليها ، وكان على بعلبك موهوب بن ظالم العقيلي ، الذي انتقل الى

.....

- (١) اسس الحمدانيون دولتهم سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ على يد (حمدان بن حمدون) زعيم قبيلة تغلب العربية واتخذوا مدينة الموصل عاصمة دولتهم . ثم نقلها سيف الدولة علي بن أبي الهيثم عبد الله الى حلب سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م .
(٢) النجوم الزاهرة ٤ / ٢٦ ، صبح الاعشى : ٤ / ١٦٤ .

نيابة دمشق . سنة ٣٦٣ هـ . لكنه لم يتمكن من ضبطها ، فأعيد الى بعلبك ، وتولى دمشق ابو محمود مقدم العسكر المصري ، يساعده ابن أخته ابن الصمصامة^(١) لكن الاضطرابات عمت دمشق بسبب الفتن بين السلطان وجيش ابن الصمصامة ، فكتب (المعز لدين الله) الفاطمي الى ريان الخادم يأمره بالانتقال من طرابلس الى دمشق لفرض الأمن^(٢) . وقطع دابر الفتن . فلبى القائد أوامر سيده ، ودخل دمشق وأعاد اليها الهدوء ، وفي هذه الاثناء « خرج شيوخ المدينة وأشرفها لمقابلة القائد التركي (هفتكين) الذي نزل بظاهرها هارباً من بغداد ، فخدموه وأظهروا السرور به وسألوه مساعدتهم في إزالة الحكم الفاطمي » الشيعي عنهم لتعارضه مع مذهبهم السني . وصدف أن غادر ريان الخادم دمشق على جناح السرعة ، للدفاع عن طرابلس التي حاصرها امبراطور الروم الدمستق (تزيتمسكس) . وما إن خرج (ريان) حتى دخل هفتكين دمشق وقطع الخطبة فيها للمعز الفاطمي ، وخطب لخليفة بغداد في مطلع سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤م وما ان استقر به المقام في دمشق حتى قصد محاربة ظالم بن . (مرهوب) موهوب أمير بعلبك للفاطميين وكتب هفتكين الى الامير تميم ارسلان ، أمير الغرب يطلب منه أن يوافيه بالرجال الى بعلبك ، وأن لا يقبل ابن موهوب اذا التجأ اليه ، ولما بلغ هفتكين بعلبك غادرها ابن موهوب ، ولاذ بالأمير تميم ، وكتب الى المعز يخبره ويطلب النجدة ، فأمره المعز بالاقامة في صيدا ريثما

.....

(١) ذيل تاريخ دمشق : ٩ .

(٢) ذيل تاريخ دمشق : ١٠ .

تصله المساعدة . لكن هفتكين تراجع عن بعلبك بسبب تقدم الفرنج الى الشام .

حملة ابن الشمشقيق :

اغتنم ابن الشمشقيق الخلافات الداخلية ليشن هجوماً على بلاد الشام وصل الى حمص وافتتحها قال ابن حوقل وحصص دخلها الروم فأتوا على سوادها ، وأخربوها ، وقد زاد اختلالها بعد دخول الروم اليها وانصرف سكانها عنها . . . وما أظن الروم تركت بهارمقاً لما بعد^(١) .

ثم قصد بعلبك مجتازاً وادي البقاع ، فأخذها وحمل بعض رجالها وغنم أسلاباً كثيرة ، وأشعل الحرائق ، وذلك في النصف من شهر رمضان سنة ٣٦٤ هـ . وانتشر جنوده في أعمال بعلبك والبقاع ، فسرقوا وسلبوا ، وبلغوا الزبداني ، فأخذ الناس عليهم المضائق ومنعواهم من الدخول الى الوادي ولما تقدّم ابن الشمشقيق نحو دمشق استقبله (هفتكين) وقبّل الأرض بين يديه ، وحمل إليه الهدايا ، وعقد معه صلحاً^(٢) .

وفي سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٢ م فوّض العزيز الفاطمي امر دمشق وبعلبك إلى (بكجور) مولى (قرعويه) الحمداني الذي صار مقدّم العسكر الفاطمي فانتزع دمشق من بكتكين ، ثم سار إلى بعلبك

.....

١ - صبح الاعشى : ١٦٤ / ٤ .

٢ - ابن حوقل : صورة الأرض : ١٦٣ .

٣ - ذيل تاريخ دمشق : ١٣ .

وأخذها ، وتقدم الى حلب لمحاربة سعد الدولة أبي المعالي ابن سيف الدولة الحمداني . فظهر دمستق الروم ، ونزل على انطاكية قاصداً مهاجمة بكجور الذي تراجع الى حمص ، وأرسل أمواله الى قلعة بعلبك لحمايتها^(١) . وفي سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٦ م ارسل العزيز الفاطمي الى دمشق وبعلبك منير الخادم فحفظهما . ونجت بعلبك سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م من غزوة بيزنطية قادها الامبراطور (باسيل) الذي استولى على شيزر ، ومصيف وحمص ، واقترب من بعلبك ، لكن ولاية الشام اجتمعوا في دمشق وتصدوا له فتراجع ، وسلك طريق عرقة طرابلس^(٢) .

وظلت بعلبك تباع الخلفاء الفاطميين وتتنكر لخلافة العباسيين ففي سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م بايعت الحاكم بن العزيز الفاطمي بامرهِ (ابي محمد الاسود) والي بلاد الشام . ويظهر ان أنوشتكين^(٣) الدزبري ولي بعلبك في هذه الايام ، وحسنت حاله فيها وانتشر ذكره وصادق ولاية الاطراف وكاتب عزيز الدولة فاتكاً والي حلب ولقب (منتجب الدولة) وورد الامر اليه بالمسير الى الحضرة فلما بلغ العريش وصله النجاء بالسجل بولاية قيسارية والامر بالعودة اليها فشق ذلك عليه وقال « انقل من ولاية بعلبك الى ولاية قيسارية »^(٤) وبعد ان غادر أنوشتكين بعلبك هاجمها صالح بن مرادس ، أمير بني كلاب وانتزعها

.....

- ١ - نفسه : ٢٩ .
- ٢ - الانطاكي : ١٨٣ / ٢ .
- ٣ - ولد أنوشتكين في ختل وراء النهر .
- ٤ - ذيل تاريخ دمشق : (٧١ - ٧٢) .

وضمها الى عاصمته حلب ، تمّ ذلك سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٤ م

وامتدت إمارة صالح من عانة^(٢) الى بعلبك . وبعد ست سنوات
جهز الظاهر الفاطمي جيشاً بقيادة (أنوشتكين الدزبري)^(٣) . وسيره
الى دمشق لمحاربة حسان أمير بني طي ، وصالح بن مرادس الكلابي ،
فلقيهما على الاردن ، عند طبرية ، فقتل صالح سنة ٤٢٠ هـ
/ ١٠٣٠ م . وعادت بعلبك الى سلطة الفاطميين^(٤) . وظل انوشتكين
يبعث المستحفظين من قبله الى بعلبك حتى سنة ٤٣٣ هـ عندما أوقع به
الوزير الفاطمي أبو القاسم الجرجرائي . اذ ألّب عليه جماعة من
الاجناد فطردوه من دمشق وفر الى بعلبك مع أربعين غلاماً له ،
ورواحل موقرة بالاثاث والاموال . لكن مستحفظ بعلبك - ولم تذكر كتب
التاريخ اسمه - قلب له ظهر المجن ، واعترض طريقه وسلب جزءاً من
أمواله ، وبعث خلفه طائفة من الجند تنهب ما تقدر عليه ، وتابع
الدزبري مسيره حتى بلغ حلب^(٥) وخلفه على ولاية بلاد الشام
الحسين بن أحمد ثم أبو المعلي بن حيدرة^(٦) ، وفي عهدهما تولى بعلبك ،
الأمير رشد الدولة أبو الفوارس ، زنكي بن صالح بن محمود بن

.....

- ١ - الكامل : ٢٣١ / ٩ ، المختصر : ٢ / ١٤١ .
- ٢ - عانة : بلد مشهور بين الرقة وهيت من أعمال الجزيرة : ياقوت معجم البلدان :
٧٢ / ٤ .
- ٣ - وقيل : (البربري) .
- ٤ - الكامل : ٢٩ / ٢٣١ ، النجوم الزاهرة : ٤ / ٢٤٨ .
- ٥ - الكامل : ٩ / ٥٠١ .
- ٦ - نفسه : ٩ / ٥٠١ .

مسعود بن أرسلان المتوفي سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧م^(١) .

ثم غابت شمس الدولة الفاطمية عن سماء دمشق وبعليك في سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥م عندما أقدم (أتسز بن أرتق) الخوارزمي - احد امراء السلطان ملكشاه السلجوقي - على اخضاعهما ، وقطع الخطبة للمستنصر الفاطمي وخطب للمقتدي العباسي وأبطل في الأذان (حي على خير العمل)^(٢) .

بعليك في العهد السلجوقي :

أحقق الفاطميون في اعادة بعليك الى نفوذهم رغم محاولاتهم . إذ جهز بدر الدين الجمالي ، أمير الجيوش الفاطمية مددا بقيادة نصر الدولة ، ودفع بهم الى دمشق سنة ٤٧١ هـ / ١٠٧٩ . وحاصروها لكن (اتسز)^(٣) طلب المعونة من (تتش بن الب أرسلان) فانجده بجموع غفيرة وما ان شارفت أسوار دمشق حتى أجفل المصريون وارتدوا عنها ، وعادوا الى بلادهم^(٤) . فدخل تش دمشق ، وغدر ب (اتسز) فقتله . وقصد بعليك فاخضعها لسلطانه وولى عليها ابن ملاعب سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٦م^(٥) . ولما كانت القوى المتصارعة في بلاد الشام لا تمتلك القوة القادرة على الحسم كثرت أطماع الولاة ،

.....

١ - اعيان الاخبار : ٥٠٦ .

٢ - الكامل : ١٠ / ٩٩ ، صبح الاعشى : ٤ / ١٦٤ .

٣ - ويسمى (أقسر)

٤ - الكامل : ١٠ / ١١١ .

٥ - النجوم الزاهرة : ٥ / ١١٦ .

ونزعوا الى الاستقلال ، وخلعوا طاعة أسيادهم وبرزوا على حلبة الصراع السياسي . ومن هؤلاء ابن ملاعب الذي استقل ببلبك ووسع نفوذه فتآزر (تتش) ، وآق سنقر حاكم حلب ، وبوزان حاكم الرها ، واسترجعوا حمص وبلبك من ابن ملاعب وأخذوا عرقة ، وامتنعت عليهم طرابلس ، ذلك سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٥ م^(١) استقر تتش بدمشق ، وولى على بلبك مملوكه فخر الدولة (كمشتكين)^(٢) التاجي . وبعد مقتل (تتش) في صفر سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٨ م ، ملك الشام ابنه (دقاق) الذي اعتقل اخاه (ارتاش) وأرسله أسيراً الى (كمشتكين) فسجنه في قلعة بلبك سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٤ م . وظل سجيناً حتى وفاة أخيه فتدخل كبير امراء دقاق . ظهير الدين أتابك طغتكين ، وهو زوج والددة دقاق - فاطم سراحه ونصبه ملكاً على دمشق وبلبك في آخر ذي الحجة سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٥ م .^(٣) بيد ان نفرة وقعت بين ارتاش ومدير شؤون مملكته طغتكين ، فخرج ارتاش من ملك دمشق في صفر سنة ٤٩٨ هـ خوفاً من الاتابك ، وزوجه الخاتون صفوة الملك ، وقرر العودة الى بلبك لكن واليهامشتكين منعه وحاول الاستقلال بها وظل على بلبك حتى سار اليه طغتكين ، وأخرجه منها سنة ٥٠٣ هـ / ١١١٠ م . وسلمها لولده تاج الملوك بوري بن طغتكين^(٤).

.....

- (١) الكامل : ٢٠٢ / ١٠ .
- (٢) النجوم الزاهرة : ١٢٨ / ٥ .
- (٣) ابن القلانسي : ١٤٥ ، الكامل ٣٧٦ / ١٠ .
- (٤) ذيل تاريخ دمشق ١٦٦ .

بعلبك صدرت حكامها البوريين ملوكاً لدمشق

.....

ان ثلاثة من أصل خمسة تعاقبوا على ملك دمشق بإسم الدولة البورية ، كانوا حكاماً لبعلبك وأولياء عهد الملك الشام .

١ - تاج الملوك بوري بن طغتكين : ملك دمشق (٥٢٢ - ٥٢٦ هـ) (١١٢٧ - ١١٣١ م) حكم بعلبك من سنة ٥٠٣ هـ الى سنة ٥٢٢ هـ . وكان طيلة هذه الحقبة ولي عهد والده الاتابك طغتكين .

٢ - شمس الملوك اسماعيل بن بوري : (٥٢٦ - ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) .

٣ - شهاب الدين محمود بن بوري : ٥٢٩ - ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م .

٤ - شمس الدولة محمد بن بوري : ٥٣٣ - ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م . حكم بعلبك منذ سنة ٥٢٢ هـ وحتى ٥٣٣ هـ .

٥ - مجير الدين أرتق بن محمد بن بوري : ٥٣٤ - ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م . حكم بعلبك سنة ٥٣٣ هـ وكان ولي عهد والده شمس الدولة .

إن ملك البوريين مدّ جذوره منذ مقتل (تتش السلجوقي) في صفر سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، إذ ملك الشام ابنه دقاق ، وجعل كبير امرائه ظهير الدين الاتابك طغتكين الذي تزوج من والدة دقاق^(١) ،

.....

(١) ابن الاثير : الكامل : ٣٧٥ / ١٠ .

وبعد تسع سنوات توفي دقاق فتولى الاتابك طغتكين تصريف الاعمال باسم ابن دقاق الصغير ، وعمره سنة واحدة ثم قطع خطبته في شهر ذي الحجة سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٥ م . وخطب لبكتاش (أرتاش بن تتش الذي كان مسجوناً في قلعة بعلبك ، أطلق سراحه ونصبه ملكاً على دمشق . وما لبث الخلاف أن دب بين الملك ومدبره ، فخرج أرتاش من ملك دمشق في صفر سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٦ م . وأعاد طغتكين خطبة الطفل ولد دقاق^(١) . واستقام الأمر لظهير الدين أتابك تعضده زوجته الخاتون (صفوة الملك) . كان على الاتابك ان يؤدب حاكم بعلبك (كمشتكين) - وقد تولى شؤونها لتتش السلجوقي سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م^(٢) - لأنه أخذ يرأسل الفرنج التماساً للمصافاة ، وكان يجرضهم على مهاجمة دمشق ويطلعهم على عورات المسلمين ، وجه الأتابك ولده تاج الملوك بوري على رأس قوة لمداهمة بعلبك . لكن كمشتكين تحصن في المدينة وأصر على المقاومة ورفض المفاوضات امام هذا العناد فحاصروا المدينة ونصبا عليها المجانيق . واتصل صغتكين بأحداث المدينة واستماهم ، وزحف الى سورها ، ونشبت معارك يومية قتل فيها جماعة من حراس الاسوار ، ولما اشتد الحصار هرع السكان الى الدخول في الطاعة ، وجنح (كمشتكين) الى الصلح . فأنفذ ظهير الدين الامير بلتاش للمفاوضة . فسلم كمشتكين بعلبك في ٢٢ شهر رمضان سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م . بعد حصار دام خمسة وثلاثين يوماً ،

.....

نفسه : ١٠ / ٣٧٦ .

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ٥ / ١٢٨ .

وعوّض عنها (بصرخد) .

اقام طغتكين أياماً في بعلبك ، فدبر شؤونها وسلّمها الى ولده تاج الملك بوري وأمره برفع لمظالم عن سكان المدينة ، فأعاد اليهم أملاكاً اغتصبت منذ أيام كمشتكين وأسلافه^(١) .

وفي العام نفسه تقدم بغدوين صاحب بيت المقدس لاحتلال بعلبك فحاصرها بلا جدوى ، وعبث بقرى البقاع فسار اليه (طغتكين) وأجرى صلحاً معه ، على أن يأخذ المسلمون ثلثي غلال البقاع ، وتأخذ الفرنجة الثلث الباقي^(٢) .

بعلبك ودولة البوريين :

ان الاتابك طغتكين هو مؤسس دولة البوريين لكنها أخذت اسم ولده تاج الملك بوري الذي غادر بعلبك - وقد خلّف عليها ابنه شمس الدولة محمد - يوم وفاة والده في ٨ صفر سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٧ م ، ليتسلم ملك دمشق^(٣) . وهو أول حاكم لبعلبك ارتقى عرش دمشق .

وفي عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م توفي تاج الملك بوري صاحب دمشق وقد أوصى بالملك لولده ، شمس الملك اسماعيل ، وخص بعلبك وأعمالها بولده شمس الدولة محمد^(٤) . ووقعت النفرة بين

.....

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق : ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) ذيل تاريخ دمشق : ١٧١ .

(٣) الكامل : ١٠ / ٦٨٠ ، ابو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ٢٠ / ٢٤٠ ، سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ٨ / ٧٨ .

(٤) الكامل : ١٠ / ٦٨٠ ، ابو الفداء ، ٣ / ٨ ، ابن الوردي : تنمة المختصر :

٢ / ٦٠ / ٨ / ٧٨ .

الأخوين ، حين طمع (محمد) بحصني اللبوة ورأس بعلبك ، وكانا من نصيب اسماعيل ، فاستمال مستحفظيهما ، وتسلمهما وأقام فيهما الجند لدرء الاعداء . فغضب اسماعيل وأنب أخاه على فعله ، وكتبه في إعادتهما فرفض . تظاهر إسماعيل بالمسألة وأعد جيشاً للانتقام ، وأراد أن يأخذ أخاه على حين غرة . فسار آخر ذي القعدة « طلب جهة الشمال ، ثم عاد مغرباً فلم يشعر من بحصن اللبوة الا وقد نزل عليهم وزحف لوقته فلم يتمكنوا من نصب منجنيق ولا غيره ، فطلبوا الأمان ، فبذله لهم ، وتسلم الحصن من يومه . . (١) . ومال الى رأس بعلبك وفاجأ حاميته وتسلمه ، ثم أوكّل أمرهما الى من يحفظهما ، وقصد بعلبك ، وقد استعدت لمقاومته ، وجمع شمس الدولة الذخائر والمؤن في القلعة ، وشحنها بالرجال ، فحصرهم شمس الملوك وقاتله أهل البلد على السور ، فملك البلد بعد قتال عنيف وضحايا كثيرة ، لكن القلعة صمدت أمام جيوشه ، ولم تسقط تحت ضربات المجانيق ، واستعر القتال ، حتى أدرك شمس الدولة محمد شدة الأمر ، فأرسل الى أخيه يطلب الصلح ، مقروناً بحفظ حقه الذي ورثه من والده . فأجاب اسماعيل مطالبه واقره على بعلبك وأعمالها ، وقفل شمس الملوك الى دمشق مؤيداً منصوراً (٢) ، فساسها بسوء تدبير ، وأظهر من الظلم ومصادرات العمال ، وسلب الأموال ، وإشاعة الفتن والدسائس ما أقلق أصحاب أبيه وجده فتآمروا عليه ، ونفذت والدته المؤامرة اذ أشارت الى غلمانها فقتلوه سنة ٥٢٩ هـ وتملك بعده أخوه (شهاب

.....

(١) ابن القلانسي : ٢٣٥ ، الكامل : ١٠ / ٦٨٠ .

(٢) الكامل : ١٠ / ٦٨١ ، ابن القلانسي : ٢٣٦ ، ابو الفداء : ٣ / ٧ .

الدين محمود^(١) الذي أبقي أمر بعلبك بيد أخيه (شمس الدولة محمد) . وبعد عام وقعت فتنة بدمشق بين صاحبها شهاب الدين والجند بقيادة الأمير (بزاوش) ، فحاصروا دمشق ثم ساروا الى شمس الدولة في بعلبك يحرضونه على اخذ الملك من أخيه . وعاثوا فسادا في النواحي المحيطة بالشام ولما خشي شهاب الدين أن تسير اليه جيوش بعلبك بقيادة أخيه شمس الدولة يسانده (بزاوش) مع المماليك والتركمان ، أخذ يرسل المتمردين ويلاطفهم ، ورضخ لشروطهم ومطالبهم ، فغادروا بعلبك في شعبان سنة ٥٣٠ هـ ، وعادوا الى دمشق^(٢) وفي سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م قتل شهاب الدين محمود بن بوري غيلة في فراشه^(٣) .

فكتب اعيان دمشق ورؤساء الجند الى أخيه جمال الدين (شمس الدولة محمد بن بوري صاحب بعلبك يطلعون على الحدث ، ويستدعونه ليملك بعد أخيه ، ودع جمال الدين بعلبك وسلمها الى ابنه مجير الدين أرتق ، وما إن دخل دمشق وجلس للعزاء بشقيقه حتى وفد اليه الجند ، وأعيان الرعية وبايعوه ملكاً عليهم وانصرف الى توطيد حكمه ، فاختار (معين الدين أنز) مدبراً لشؤونه^(٤) . وكانت والدته محمود بن بوري الملك المقتول (زمرد خاتون) قد تزوجت من أتابك زنكي . فلما بلغها

.....

(١) الكامل : ٢٠ / ١١ ، ابو الفداء : ٣ / ٥ ، مرآة الزمان : ٩٣ / ٨ .

(٢) الكامل : ٣٩ / ١١ ، ابن القلانسي : ٢٥٤ .

(٣) مرآة الزمان : ١٠٢ / ٨ .

(٤) الكامل : ٦٨ / ١١ ، ابو الفداء : ٣ / ١٤ . ابن الوردي : تمة المختصر :

٦٧ / ٢ .

النعي وهي بحلب ارسلت الى زوجها زنكي في الجزيرة الفراتية تنبئه
الأمر ، وتمنت عليه أن يقصد دمشق ويثأر لولدها . ولاقى التمني هوى
في نفسه لأنه كان يطمع بدمشق وبعلبك فجهز جيشه واتجه الى بلاد
الشام . وسبقته أخبار الغزو الى دمشق وبعلبك فاستعد الناس
في المدينتين « واستكثروا من الذخائر . ولم يتركوا شيئاً مما يحتاجون إليه ،
الا وبذلوا الجهد في تحصيله »^(١) .

لجأ زنكي الى الرشاي والمراوغة ، وتحريض « مقدمي الاحداث
والزناطرة »^(٢) واطمعهم في الصلات والهدايا . ومع أن بعضهم قد
استجاب له ، وجد وضعه حرجاً أمام دمشق فتركها ويمم الى بعلبك .

روى ابن الاثير ان السبب الذي حمل الاتابك زنكي على العدول
عن دمشق الى بعلبك هو طلبه لجارية جميلة كانت محظية معين الدين أنز
سيرها الى بعلبك بعد أن تزوج أم جمال الدين (شمس الدولة)
محمد بن بوري ارضاء لها . ولما قصد زنكي دمشق أرسل الى أنز الهدايا
والوعود المعسولة مقابل تسليم المدينة فأبى أن يخون سيده ابن بوري .
وأراد زنكي أن يكيد له بسبي محظيته فتوجه الى بعلبك ليأخذ المدينة
والجارية وقف زنكي أمام أسوار بعلبك يوم الخميس في العشرين من ذي
الحجة سنة ٥٣٣ هـ . فأغلقت أبوابها دونه^(٣) . وجد في محاصرتها ،

.....

(١) الكامل : ١١ / ٦٩ .

(٢) ابو شامة : الروضتين : ١ / ٣٢٣ .

(٣) الكامل : ١١ / ٦٩ ! القلانسي : ٢٦٩ ، ابن الوردي : ٢ / ٦٧ ، مرآة الزمان

ونصب عليها اربعة عشر منجنيقاً ترمي ليلاً نهاراً حتى شارف سكانها على الهلاك فطلبوا الامان ، وسلموا المدينة . وبقيت القلعة وفيها حامية من شجعان الاتراك قاتلوا اياماً بلا جدوى . إذ لم تصلهم امدادات من دمشق وطلبوا الأمان من زنكي فامنهم فسلموا اليه القلعة^(١) ولما نزلوا منها ، وملكها غدر بهم ، وأمر بصلبهم فصلبوا ولم ينج منهم الا القليل .

فصل أبو شامة عملية الغدر ، ونجاة القلعة من الامراء رواية عن يحيى بن أبي طي الحلبي قال « واتفق ان الامراء لما نزلوا من (قلعة) بعلبك أفسدوا ذخائرها فقبض عليهم أتابك زنكي وقتل بعضهم وصلبهم وكان وليّ قتلهم (صلاح الدين محمد بن ايوب النابلسي) فحكى أنه احضر اليه في جملة الامراء شيخ مليح الشيبه ومعه ولد له أمرد كأنه فلقة قمر . فقال الشيخ لصلاح الدين سألتك بحياة المولى أتابك الا صلبتني قبل ولدي لثلاث اراة يعالج سكرات الموت . وبكى . وكان نجم الدين أيوب واقفاً ، فرحم الشيخ وبكى ، وسأل صلاح الدين في اطلاقه ، فقال : ما أفعل خوفاً من المولى أتابك ، فذهب نجم الدين الى أتابك وسأله في الشيخ وولده وقص عليه ماقاله فاذن باطلاقه واطلاق من بقي من الجماعة ، ووهبه نصف بعلبك ، وقيل ان نجم الدين ورد على أتابك وهو قد ملك بعلبك فسأله في الأمراء فأطلقهم له ، وولاه بعلبك وكتب له ثلثها ملكاً واستقر فيها هو وأهله . . . »^(٢) نال زنكي مبتغاه فأخذ الجارية وتزوجها ، ونقلها الى حلب ،

.....

(١) أبو شامة : ٣٣ / ١ . القلاشي ٢٧٠ ، ابن اولوردي : ٦٨ / ٢ .

(٢) أبو شامة : ٨٣٤ / ١ ، التاريخ الباهر : ٥٣٤ .

فلم تزل بها الى أن قتل زنكي فأعادها ابنه نور الدين محمود الى أنز فكانت عاملاً مهماً في المودة بين الاثنين^(١).

لا بد من مقارنة تتابع الاحداث في فتح بعلبك بين رواية ابن الاثير في (الكامل) وبين أبي شامة في (الروضتين)^(٢).

١ - في الكامل : وقع حصار بعلبك في العشرين من ذي الحجة سنة ٥٣٣ هـ . وسقطت في غرة محرم ٥٣٤ هـ . وهذا يعني أن الحصار دام بضعة عشر يوماً . أما أبو شامة فجعله من أحداث سنة ٥٣٤ هـ ودام شهوراً عدّة^(٣) .

٢ - في الكامل تم احتلال بعلبك في عهد شمس الدولة محمد بن بوري في الروضتين احتلال بعلبك وقع بعد وفاة شمس الدولة ، وفي عهد ولده (مجير الدين أرتق) .

٣ - ان سبب مهاجمة بعلبك لدى ابن الاثير هو طلب جارية (معين الدين أنز) . في حين علله أبو شامة بقوله « لما دخل مجير الدين دمشق أقطع بعلبك معين الدين آيز (أنز) فأرسل إليها نائبه ، وتسلمها ، فلما علم زنكي ذلك سار الى بعلبك وحصرها عدة شهور فملكها عنوة . . . »^(٤) .

.....

(١) الكامل : ١١ / ٦٩ ، ابو الفداء : ٣ / ١٥ ، ابن الوردي : ٢ / ٦٨

(٢) ابو شامة : الروضتين : ١ / ٣٣ .

(٣) نفسه : ١ / ٣٤ .

(٤) ان روايات ابن القلانسي (٢٧٠) ، وابي الفداء (٣ / ١٥) ، وابن الوردي

(٢ / ٦٨) تتوافق جميعها مع رواية الكامل .

إن التأمل المتعمق في سير الأحداث لاستجلاء غوامض التناقضات يكشف أن الاسباب التالية تضافوت كلها فدفعت بالاتابك زنكي عن دمشق الى بعلبك :

- ١ - مناعة دمشق لكثرة الجند المدافعين عنها .
- ٢ - قلة الجند المدافعين عن بعلبك .
- ٣ - الضغط على معين الدين أنز ، وإغاضته بسبي جاريته وسلب اقطاعاته في بعلبك .
- ٤ - الرغبة في نوال الجارية الفاتنة (والمرأة الجميلة لعبث دوراً في حروب العالم (طروادة) .
- ٥ - بعلبك مفتاح دمشق وخصوصاً اذا غدت قاعدة عسكرية لمهاجمة الشام .

وهناك شبهة ثالثة لا بد من كشفها وردت في (صبح الاعشى) للقلقشندي اذ قال بعد شمس الملوك اسماعيل ملك أخوه شهاب الدين محمود بن توري (بوري) فبقي حتى قتل في سنة ثلاث وثلاثين وخمسائة ، وملك بعده ابنه (مجير الدين ارتق) وفي أيامه تغلبت الفرنج على ناحية دمشق^(١) .

لقد أسقط إسم شمس الدولة محمد بن بوري الذي حكم بعد أخيه شهاب الدين محمود . ثم أخطأ مرة ثانية عندما جعل مجير أرتق ابن شهاب الدين محمود بينما هو ابن شمس الدولة محمد .

.....
(١) القلقشندي : صبح الاعشى : ١٦٥ / ٤ .

اقام زنكي في بعلبك حتى ربيع الأول^(١) يدبر شؤونها ، ويعمر ما تشعث من أسوارها ، ليدراً عنها أخطار الفرنجة ومحاولات البوريين لاستردادها . وهكذا انفصلت بعلبك عن دمشق ، وهذا الانفصال ارتدى أبعاداً استراتيجية ، لان زنكي اتخذ بعلبك قاعدة عسكرية ينطلق منها لمهاجمة دمشق عباً زنكي قواته في بعلبك ، وقادها باتجاه دمشق ، فنزل على داريا في الثالث عشر من ربيع الأول سنة ٥٣٤ هـ وهناك التقت طلائع الجيشين ، وبعد مناوشات انهزم الدمشقيون وانكفؤا يتحصنون داخل أسوار مدينتهم ، فطاردهم زنكي وحصرهم فخرجت اليه جموع من جند المدينة وأحداثها ورجالة الغوطة ، فأوقع بهم وقتل منهم كثيراً ، وأسر بعضهم . وهمّ لامتلاك دمشق^(٢) . لكنه تردد في دخولها حرباً ، وفضل المفاوضات . فأوفد الى صاحب دمشق شمس الدولة ، وبذل له بعلبك وحمص مقابل تسليم دمشق اجتمع أعيان الدولة ، وحذروا محمد بن بوري عاقبة الصلح لأن شيمة زنكي الغدر والقتل^(٣) وما فعله في أهل بعلبك ما زال يرهبهم ويخيفهم ، ويشهد على سوء نواياه، وصدف أن مات شمس الدولة محمد إبان الحصار في الثامن من شعبان سنة ٥٣٤ هـ . فاستبشر زنكي خيراً وشدد القتال طمعاً في النصر^(٤) . لكن معين الدين آنز - الحاقداً على زنكي ، بسبب الجارية - نصب على دمشق مجير الدين أبق (أرتق) ابن

.....

(١) الكامل : ٧٣ / ١١ .

(٢) نفسه : ٧٤ / ١١ .

(٣) ابو شامة : ٣٣ / ١ .

(٤) ابو الفداء : ١٥ / ٣ ، ابن الوردي : ٦٨ / ٢ ، مرآة الزمان : ٨ / ١٠٦ .

شمس الدولة ، وهو ثالث حاكم لبلبك تملك دمشق ، وتولى أنز تدبير دولته ، «وراسل الفرنج واستدعاهم الى نصرته»^(١) . ملّ زنكي الانتظار أمام أسوار دمشق ، فتركها وقصد حوران ، ثم عاد الى بلبك ليدفع عنها خطر الصليبيين الذين وصلوا البقاع^(٢) . ارتاح في بلبك ، ومنها أخذ يرصد تحركات عسكر دمشق ، ويستعد ثانية لمفاجأتها ، فنازلها سحراً ولا يعلم به أحد من أهلها ، فلما أصبح الناس ورأوا عسكره ، خافوا ، وارتج البلد ، واجتمع العسكر والعامّة على السور ، وخرج الجند والرجالة فقاتلوه ودحروه فعاد خائباً^(٣) . وظلت دمشق هاجس زنكي الأول يتشوق لدخولها فشرع سنة ٥٤٠ يحشد المجانيق في بلبك ، ويستعد لمهاجمتها لكن تحركات الفرنج واتصالات معين الدين أنز بهم ، جعلته ينسحب باتجاه حمص ، ويتخلى عن حلمه الهاجس^(٤) .

ظلت بلبك مع زنكي حتى مصرعه سنة ٥٤١ هـ . عندها اهتبل الفرصة مجير الدين ارتق لاستردادها ، وكانت موطن صباه وفيها ولد^(٥) سار إليها برفقة مدبر دولته (معين الدين) ، وحصر مستحفظها نجم

.....

(١) الكامل : ١١ / ٧٤ ابن الاثير التاريخ الباهر ٥٩ .

(٢) الكامل : ١١ / ٧٢ .

(٣) الكامل : ١١ / ٧٥ .

(٤) ابن القلانسي : ٢٨٢ .

(٥) ولد المظفر مجير الدين بن شمس الدولة محمد بن بوري في بلبك ابان امرة ابيه عليها ، وولي دمشق بعد ابيه خمس عشرة سنة ، توفي سنة ٥٦٤ هـ (الذهبي : العبر ١٨٥ / ٤) .

الدين أيوب ، ونصب عليها المجانيق ، ولما ابطأ أبناء زنكي عن نصرته سلّم القلعة في جمادى الأولى سنة ٥٤١ هـ . مقابل بعض القرى من ناحية دمشق ، مع الاقرار لحقه بثلث بعلبك الذي تملكه أيام زنكي^(١) . أقام مجير الدين في بعلبك أياماً يستعيد ذكريات الماضي ويرتب شؤونها فولى قلعتها ضحاكاً بن قيس بن جندل بن قيس البقاعي ، وأبقى على المدينة نجم الدين أيوب^(٢) . ثم قفل عائداً إلى عاصمة ملكه في الثامن عشر من جمادى الآخرة .

هكذا رجعت بعلبك الى سلطة البوريين ، ودام حكمهم لها هذه المرة تسع سنوات تقريباً (٥٤١ - ٥٤٩ هـ) (١١٤٧ - ١١٥٥ م) . وقد زارها معين الدين أنز سنة ٥٤٣ هـ ، والتقى فيها نور الدين محمود بن زنكي الذي قدم على رأس نجده لدفع الصليبيين عن حصار دمشق^(٣) .

وفي هذه المقابلة تسلم (أنز) محظيته التي سبها زنكي من بعلبك فأعادها إليه نور الدين محمود في المدينة نفسها . وكانت فاتحة عهد جديد بين الاثنين ، فتحالفا وسارا معا الى حصن (العرمة) واستعاداه من ألفونس الفرنجي^(٤) .

ويبدو أن معين الدين قد خلف على بعلبك إبان زيارته مستحفظاً

.....

(١) ابو شامة : ٤٧ / ١ ، ابن القلانسي : ٢٨٧ ، ابو الفداء : ٣ / ١٩ ، ابن الوردي : ٧٣ / ٢ .

(٢) ابو شامة : ٩٩ / ١ .

(٣) الكامل : ١١ / ١٣١ .

(٤) الكامل : ١١ / ١٣١ .

جديداً هو عطاء بن حفاظ السلمي الخادم . ذكر القلانسي انه « في سنة ٥٤٥ هـ ، أبعد يوسف حاجب مجير الدين ارتق من دمشق الى بعلبك ، فأكرمه عطاء واليها »^(١) .

وفي أوائل شهر رمضان سنة ٥٤٦ هـ أو آخر كانون الأول ١١٥٢ م . هاجم الفرنج بجموع غفيرة قرى البقاع ، واستباحوها ، ونهبوا المواشي واسروا الرجال ، فتصدى لهم والي بعلبك عطاء وتكاثر عليه المسلمون وصدف أن سقط ثلج عظيم ثبط الافرنج وشل حركتهم فأدركهم جند بعلبك وفتكوا بهم واستخلصوا من الاسرى والمواشي بقية سلمت من الهلاك بالثلوج^(٢) . هذه الحادثة أوردتها أبو شامة لكنه لم يذكر اسم عطاء بل قال : وصدف وجود فرقة من عسكر دمشق في بعلبك عند نجم الدين أيوب فضم اليهم جماعة من أصحابه وأمر عليهم ولده شمس الدين ، فخرجوا يطاردون الغزاة واتفق ان سقط ثلج كثيف فتورط فيه الفرنج ، وادركهم شمس الدولة بجنوده فقتل معظمهم وخلص الاسرى^(٣) . .

أرى التناقض بين الروايتين كامن في الشكل وليس في المضمون . لأن عطاء كان والي القلعة ، ونجم الدين على المدينة وإبان الغارة الصليبية اتفق الرجلان على خروج الجيش بقيادة شمس الدولة بن نجم

.....

(١) ذيل تاريخ دمشق : ٣١١ .

(٢) ابن القلانسي : ٣١٧ .

(٣) أبو شامة : الروستين : ٨٤ / ١ .

الدين ايوب ومكثا في المدينة ولم يخرجوا لأن الغارة لم تكن من الحجم الذي يقتضي خروجهما .

ظل عطاء على بعلبك حتى جمادى الثانية سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م . عندما زاره مجير الدين واتفق معه على أن يزور له (١) واستصحبه الى دمشق لينوب عنه في تدبير الأمور والأعمال ، ويعاونه على مصالح البلد (٢) . وخلف على بعلبك ضحاكاً البقاعي للمرة الثانية .

في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٥ م رغب نور الدين محمود في احتلال دمشق التي صدت والده مراراً ، فتودد الى مجير الدين واكثر من بعث الوفود التي تحمل الهدايا . وكان نور الدين يعلم ان مفتاح دمشق هو القضاء على صاحب بعلبك عطاء السلمي ، وكان شهماً شجاعاً . عمد نور الدين الى الحيلة وأفسد بذهائه ما بين مجير الدين ووزيره عطاء إذ كتب الى مجير الدين « قد نفر عليك عطاء بن حفاظ قلوب الرعية فاقبض عليه » (٣) لعلم نور الدين انه لا يتم له امر في دمشق مع وجود عطاء . انطلقت الحيلة على مجير الدين واستدعى عطاء ليقتله فقال له : لا تقتلني فان الحيلة قد تمت عليك ، وذهب ملكك وسيظهر لك ما أقول . لكن مجير الدين نفذ وعيده (٤) ولما خلا الجو لنور الدين حاصر

(١) كان عطاء السلمي شهماً شجاعاً فوض اليه مجير الدين شؤون دولته بعد أبي البيان حيدرة بن علي الصوفي (الذهبي العبر في خبر من غير : ٤ / ١٨٦) .

(٢) ابن القلانسي : ٣٢١ .

(٣) ابن القلانسي : ٣٢٦ .

(٤) الروضتين : ١ / ٩٥ ، الذهبي : العبر : ٤ / ١٨٦ ، مرآة الزمان : ٨ / ١٣١ .

دمشق فاستنجد صاحبها بالفرنج وبذل لهم بعلبك مقابل ردع نور الدين عن دمشق ، وبعد عشرة ايام من الحصار سقطت دمشق ، وغادرها مجير الدين الى حمص ومنها الى بغداد حيث أشاد داراً قرب المدرسة النظامية وأقام هناك حتى وفاته^(١) .

بعلبك مع الضحاك بن قيس البقاعي الجندلي (٥٤٩ - ٥٥٢ هـ)^(٢) :

تولى الضحاك بن قيس بعلبك للبورين بعد عطاء السلمي في جمادى الثانية سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م . وكان شجاعاً حسن الرأي ، فساس امورها بحكمة وروية ولما تقدم نور الدين زنكي واحتل دمشق سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٥ م ، وأنهى حكم البورين فيها اتجه الى بعلبك ليأخذها ، فامتنع الضحاك بالقلعة ، بعد هزيمة سيده مجير الدين أرتق ورفض تسليمها ، فعدل نور الدين عن محاصرتها لقربه من الفرنج ، فتلطف الحال معه الى سنة ٥٥٢ هـ فملكها واستولى عليها^(٣) وذكر أبو شامة عن (ابن أبي طي) أن نجم الدين أيوب كان في بعلبك يدبر

.....

(١) الكامل : ١١ / ١٩٨ ، مرآة الزمان : ٨ / ١٧٢ .

(٢) هو الضحاك بن قيس بن جندل بن قيس البقاعي ، وقيل : (الضحاك بن خليل بن قيس) . جده جندل أحد حكام البقاع الوطنيين وقد نال حظوة لدى الملوك الفاطميين لشجاعته ، فولوه وادي التيم سنة ١١٠٠ م مع بلاد بشارة . ومن سلالته الضحاك الذي تولى وادي التيم ، وغلب على قلعة شقيف ارنون فحاصره شمس الملوك بن وبوري سنة ٥٢٨ هـ ، وانتزعها منه وعوضه عنها ضياعاً وتولى بعلبك للبورين بعد عطاء السلمي سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م . وعرفت بوري هذه السلالة في بلادها بالجنادة ، وفي خارجها بالبقاعيين (مرآة الزمان : ٨ / ٩٠) .

(٣) الكامل : ١١ / ٢٢٧ .

الشؤون المدنية دون العسكرية التي اختصت بمسلم القلعة الضحاك .
ولما علم نجم الدين ان نور الدين فتح دمشق ، كاتبه في تسليم
المدينة ، فخرج نور الدين الى بعلبك واستلمها وأنزل ضحاكاً من
القلعة^(١) . وأورد أبو شامة ذلك في حوادث سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٦ م .
ثم عاد واستدرك قائلاً : « ذكر ابن الاثير أن ذلك كان في سنة اثنتين
وخمسين . . »^(٢) وأعتقد أن رواية ابن الاثير (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) هي
أقرب الى الحقيقة لأنه كان مؤرخاً يتحرى الدقة ، وكأنه التفت الى بقاء
بعلبك مدة طويلة ، فعلل ذلك بخطر الفرنج وقربهم من تخوم بعلبك
ومقاطعات نور الدين .

وكتاب ابن الاثير كان مصدراً لأبي شامة (٥٩٩ - ٦٦٥ هـ) الذي
اعتمده كثيراً ، ورجع اليه في معظم فصول كتابه (الروضتين) ، وان
ظاهر رواية ابن الاثير كل من أبي الفداء^(٣) وابن الوردي^(٤) ، اذ جعلوا
استسلام بعلبك لنور الدين سنة ٥٥٢ هـ . فهناك رواية تضعفها ،
وتقف معها على قدم المساواة ، بل تفوقها قرباً من وقوع الحدث وهي
رواية ابن القلانسي (٤٦٤ - ٥٥٥ هـ!) الذي قال : « بعد أن تمت
المواعدة بين نور الدين ، وملك الافرنج امن على حصار بعلبك ، فكتب
الى ضحاك البقاعي ، وطلب منه تسليمها فأجاب الى ذلك ، وتسلمها
يوم الخميس السابع من شهر ربيع الأول سنة ٥٥٠ هـ . ورتب فيها

.....

(١) الروضتين : ٩٩ / ١ .

(٢) نفسه : ٩٩ / ١ .

(٣) المختصر : ٩٢ / ٢ .

(٤) تمة المختصر : ٣٣ / ٣ .

من اعتمد عليه في حفظها^(١) . قد ترجح هذه الرواية إذا افترضنا أن ابن القلانسي دُونها يوم حدوثها وكان معاصراً يذيل على تاريخ دمشق . والاحتمال الذي يضعفها هو عامل النسيان الناتج عن الشيخوخة ، وقد شارف ابن القلانسي على التسعين .

العهد الزنكي الثاني :

مع نور الدين عادت بعلبك مركزاً عسكرياً (ثغراً) يرقب تحركات الصليبيين ، وتخرج منها الفرق لصد غاراتهم المتلاحقة على البقاع وبعض بلاد الشام ، كان نور الدين في بعلبك يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الأول سنة ٥٥٢ هـ . يقرر أمر المستحفظين لها ، بعد الزلازل المدمرة وربما قرر ابان هذه الزيارة . تأسيس المدرسة النورية ، وبينما كان منهمكا في إعمار بعلبك أتته الرسل تخبره بتقدم الفرنج الى نواحي حمص وحماه وبانياس^(٢) شرع في تعبئة جيشه ببعلبك وهم بالخروج . فوافته بشارت النصر لأن أمراء البلاد اوقعوا بالفرنج وردوهم على أعقابهم ، وبعثوا الاسرى الى دمشق ، فطلب نور الدين ان توفد مجموعات منهم الى بعلبك ليشهد قتلهم . فاحتشد الناس في المدينة « وكان يوماً مشهوداً » ، وأقام نور الدين في بعلبك يهيء المعركة ، ودعا الامراء اليه ، فأتاه أسد الدين شيركو ، على رأس جيش من التركمان ، وبعد أيام خرج الجميع من بعلبك الى دمشق لأخذ الات

.....

(١) ذيل تاريخ دمشق : ٣٢١ .

(٢) نفسه : ٣٣٨ .

الحصار والتوجه الى بانياس^(١) .

وحرص نور الدين كثيراً على بعلبك . فكلما تشعث سورها ، بادر إلى إصلاحه ليقبها غارات الفرنج ، لقد وجدت كتابة عربية على باب دمشق من بعلبك ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا الصور المبارك مولانا الملك العادل المجاهد نور الدين ابوالقاسم محمود بن زنكي بن أفسنقر ضاعف الله له الثواب وغفر له ولوالديه يوم الحساب ابتغاء مرضاة الله وتقرباً إليه في سنة ثلاث وستين وخمسمائة » .

بفضل هذه الاسوار صمدت بعلبك بوجه الصليبيين ، اذ فقدوا في ضواحيها قتلى كثيرة ، وانهزموا أمام فرسانها ، وتراجعوا عن أسوارها عشرات المرات . ففي سنة ٥٦٥ هـ اغار ثلاثمائة فارس بقيادة (الاستار) أحد قواد الصليبيين وبلغوا حصن اللبوة التابع لبعلبك فصدفهم شهاب الدين الياس بن ايلغازي بن أرتق ، فدارت معركة عنيفة بين الطرفين ، تطايرت فيها أشلاء القتلى من الطائفتين . وانتهت بهزيمة الفرنج ، وقتل مقدمهم (الاستار)^(٢) . إن موقف بعلبك بمواجهة الصليبيين ، وكثرة تقلب الولاة في المدن الإسلامية ، وتعاملهم مع الفرنج ، وفتح أبواب المدن أمامهم أحياناً ، طلباً للنجدة والمنفعة الذاتية الشخصية ، هذه الأمور خملت نور الدين على توزيع مسؤلية بعلبك بين عدد من المستحفظين وبدأنا نقرأ هذه العبارة بصيغة الجمع « توجه نور

.....

(١) الروضتين : ١ / ١٠٧ .

(٢) الكامل : ١١ / ٣٥٢ ، الروضتين : ١ / ١٨٦ .



اطلال المدرسة النورية

الدين الى بعلبك لتفقد أموالها وتقرير أمر المستحفظين لها»^(١) . فهناك المسؤول عن المدينة ، (الوالي) ومستحفظ المال ، والوقف ، وخصوصاً بعد تأسيس المدرسة النورية ، والناظر ، والقاضي ، والمفتي ، ونقيب الأشراف ، وأهم من هؤلاء متسلم القلعة الذي كان يترأس الفرق العسكرية ، ويقوم بمهمة الدفاع ، وله نائب يعاونه في الملهمات . وكان الوالي (أو نائب السلطنة) يتولى عادة شؤون المدينة ومتسلمية القلعة ، وقد توزع هذه المهمات على رجلين مثلما حدث مع نجم الدين ايوب وعطاء السلمي والضحاك البقاعي . . . وفي الحقبة الزنكية الثانية يطالعنا اسم العمادي احد أمراء نور الدين وصديقه ، وقد ولاه بعلبك وتدمر .

واتفق موت العمادي^(٢) ، وموت أبي بكر بن الداية في سنة ٥٦٥ هـ . فحزن عليهما نور الدين وقال « قص جناحي »^(٣) وأعطى اولاد العمادي بعلبك . وهذا يؤكد ان العمادي كان على بعلبك في الأيام النورية حتى وفاته سنة ٥٦٥ هـ ، ثم تسلمها أولاده . وآخر من استحفظ بعلبك لنور الدين هو (يمن الريحاني الخادم) الذي عزله صلاح الدين سنة ٥٧٠ هـ^(٤) .

.....

- (١) الروضتين : ١ / ١٠٧ .
- (٢) دفن العمادي في سفح قاسيون وله تربة معروفة واسمه مكتوب على بابها ، (ابن طولون : تاريخ الصالحية : ١ / ٣٢٤) .
- (٣) الروضتين : ١ / ١٨٠ .
- (٤) مرآة الزمان : ٨ / ١٧٤ ، الكامل : ١١ / ٤٢٠ .

الزلازل :

أصيبت بعلبك بزلزال عنيفة بدأت طلائعها في ليلة التاسع عشر من صفر سنة ٥٥٢ هـ . وتتابع في اليوم التالي . وفي ليلة الخامس والعشرين من جمادى الأولى وافت أربعة زلازل ، وفي ليلة رابع جمادى الآخر وفي زلزالان^(١) وعم الخراب بلاد الشام . روى ابن الاثير قال : « وأما كثرة القتلى ، فيكفي فيه ان معلماً كان بالمدينة وهي مدينة حماه ، ذكر انه فارق المكتب لمهم عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد ، وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له »^(٢) .

وعادت الزلازل الى الظهور من جديد في الثاني عشر من شوال سنة ٥٦٥ هـ . فعمت بلاد الشام فخرت بعلبك وحمص وحماه وشيزر وبعرين . . . وتهدمت أسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها وهلك من الناس ما يخرج عن العدِّ والاحصاء . فتقدم نور الدين إلى بعلبك لترميم أسوارها وقلعتها ولما أتاه خبر باقي البلاد رتب في بعلبك من يحميها ويعمرها وسار الى حمص^(٣) .

الحركة العمرانية والعلمية :

شهدت بعلبك حركة عمرانية وعلمية قادتها المدرسة النورية

.....

(١) ابو شامة : ١ / ١٠٤ .

(٢) الكامل : ١١ / ٢١٨ .

(٣) الكامل : ١١ / ٢٣٥٣ ، ابو شامة : ١ / ١٨٤ . مرآة الزمان ٨ / ٧٤ .

والمستشفى النوري وكثرت الربط الصوفية وفوض النظر فيها سنة ٥٦٣
الى عماد الدين محمد بن علي بن محمد بن حمويه وخط نسخة المنشور
العماد الكاتب : « فليُنظر في رباط السمسياطي وقبة الطواويس ورباط
الطاحونة وغيرها من الرباط الذي للصوفية بدمشق المعمورة
وبعلبك »^(١) وفي المدرسة النورية ، والربط الصوفية نمت حركة علمية
وفقهية تنامت فيما بعد وخرجت أفواجا من العلماء عرفتهم القرون
الثلاثة اللاحقة

.....
(١) ابو شامة ، ١ / ٢١٤ ، مرآة الزمان : ٨ / ١٧٢ .

بعلبك في العهد الأيوبي

.....

حكاية الأيوبيين مع بعلبك بدأت في غرة محرم سنة ٥٣٤ هـ / ١١٤٠ م عندما فتحها الاتابك عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آقا سنقر ، وأقطع ثلثها لنجم الدين أيوب^(١) ، وولاه دزداراً عليها^(٢) . وتذكر المصادر أن بعض أبناء أيوب وأحفاده ولدوا في بعلبك ، ونشأوا في ربوعها ، وأحبوا سكنها ، منهم شاهنشاه بن أيوب الذي ولد سنة ٥٣٤ هـ / ١١٤٠ م^(٣) . وبعده شقيقه العادل سسيف الدين أبو بكر بن أيوب الذي ولد في بعلبك سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م^(٤) . أما صلاح الدين فقد تربى فيها . وكان له من العمر ستان عندما تسلمها والده^(٥) ، وأقام في بعلبك نحو من اثني عشر سنة (٥٣٤ - ٥٤٦ هـ)^(٦) .

.....

- (١) في روايات أقطعه نصفها (أبو شامة : الروضتين : ١ / ٤٨ ، الكامل : ١١ / ٦٩) .
- (٢) الكامل : ١١ / ٦٩ ، شفاء القلوب : ٢٣ ، البداية والنهاية : ١٢ / ٢١٦ ، أبو الفداء المختصر : ٣ / ١٤ .
- (٣) ابن كثير : البداية والنهاية : ١٢ / ٢١٧ .
- (٤) الذهبي : العبر في خبر من غبر : ٥ / ٥٨ .
- (٥) ولد صلاح الدين سنة ٥٣٢ هـ . وفي العسجد المسبوك للأشرف الغساني ولد سنة ٥٣٤ هـ وقيل ٥٣٨ (٣٦٢) .
- (٦) الروضتين : ١ / ٨٤ .

دخل نجم الدين أيوب بن شادي بعلبك مع جيش الاتابك زنكي ، وكان دخوله مقدم خير لأنه أنقذ من القتل والصلب جملة من أمراء المدينة ، غدر بهم زنكي ، وشفع لهم أيوب ، الذي أقام في بعلبك يحفظها من غارات الصليبيين ، ويردع أطماع البوريين الطامعين الى استعادتها ، ففي سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٣م قصدت فرقة من الفرنج ناحية بعلبك للبعث والتخريب والسلب ، فتصدى نجم الدين للمهاجمين ، وقتل اكثرهم ، وشرّد بهم ، وعاد إلى بعلبك منتصراً^(١) .

ظل نجم الدين يترأس مسؤولية المدينة بما فيها متسلمية القلعة حتى مقتل عماد الدين زنكي ، يوم اهتبل الفرصة صاحب دمشق ، مجير الدين أرتق بن محمد بن بوري وحصر بعلبك سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٧م . فدافع عنها نجم الدين أيوب ، وطال الحصار ، وطلب النجدة من أولاد زنكي . ولما تباطأ هؤلاء في رفده بالعسكر ، وصدف أن غار الماء في بئر القلعة ، طلب نجم الدين الامان والصلح . وسلّم بعلبك الى مجير الدين ، فاستخلفه هذا على المدينة واقر له الثلث الذي وهبه إياه زنكي من قبل . لكن صاحب دمشق عزل نجم الدين عن متسلمية القلعة وولى عليها الحاجب شجاع الدولة . يؤكد بقاء نجم الدين في بعلبك ايام البوريين ، و ما ظل يتمتع به من قوة ونفوذ ، ما رواه ابو شامة في حوادث سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥٢م اذ شن الفرنج غارة على البقاع فغنموا أموالا كثيرة ، وأخذوا بعض الاسرى . وصادف وجود فرقة من عسكر دمشق في بعلبك عند نجم الدين أيوب ، فضم اليهم جماعة من أصحابه ، وأمر عليهم ولده شمس الدين ، فخرجوا يطاردون

.....
(١) كرد علي : خطط الشام : ١٣ / ٢ .

الغزاة ، واتفق ان سقط ثلج كثيف ، فتورط فيه الفرنج ، وادركهم شمس الدولة بجنوده فقتل معظمهم ، وخلص الاسرى^(١) .

وفي عام ٥٤٩ هـ / ١١٥٥ م قضى نور الدين محمود بن زنكي على سلطة البوريين في دمشق ثم توجه الى بعلبك وكان على قلعتها الأمير ضحاك بن خليل رئيس وادي التيم وعلى المدينة نجم الدين ايوب . وصل الى بعلبك ولم يجروا على محاصرتها خوفاً من حركة التفاف صليبية حوله ، وللمقاومة العنيدة التي أبداها ضحاك البقاعي ، سعى نور الدين سلمياً الى دخول بعلبك فاتصل بنجم الدين ووعده باقطاعات في دمشق ، فسهل تسليم بعلبك وتم ذلك عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٨ م^(٢) ، وتضطرب الروايات في مصير نجم الدين بين بقاءه في بعلبك او تسلمه نظر دمشق بوساطة اخيه أسد الدين شيركوه . لكن الواضح من الاخبار ان نجم الدين تردد بين بعلبك ودمشق وظل كذلك حتى سنة ٥٦٥ هـ / ١١٧١ م . عندما تمكن ولده صلاح الدين يوسف بن أيوب من فتح مصر . فأرسل الى نور الدين محمود يستأذنه في ضم والده اليه . فحقق طلبه في مطلع سنة ٥٦٥ هـ^(٣) .

هذه الحقبة التي تخطت الثلاثين سنة (٥٣٤ - ٥٦٥ هـ) تسلم فيها نجم الدين بعلبك لصالح الزنكيين والبوريين . وكانت مقدمة لعهد ايوب ؛ أولاها عناية حسنة ، ومنحها مركزا مرموقاً فارتفعت الى رتبة

.....
(١) ابو شامة : ١ / ٨٤ ، المختصر في اخبار البشر : ٣ / ١٩ ، تمة المختصر لابن

الوردي : ٢ / ٧٣ .

(٢) الكامل : ١١ / ١٧٩ .

(٣) ابو شامة ١ / ١٨٤ .

مملكة ، اذ استبدلت حكم الولاة العاديين بحكم الامراء والملوك من الاسرة المتسلطنة .

وبذلك حققت استقلالية عن دمشق في الأمور الادارية ، والمالية .
وغدا ملكها حليفا لاشقائه أو أعمامه في دمشق . وقد يتدخل في شؤونهم فيساعد أحدهم ضد الآخر ، وقد يقود جيش بعلبك ليدخل دمشق ويجلس على كرسي الملك فيها .

بدأت مرحلة الحكم الأيوبي المباشر مع صلاح الدين ، الذي غزا بلاد الشام بعد وفاة نور الدين محمود بن زنكي واحتل دمشق وحماه وحمص ، وقصد بعلبك موطن صباه فبلغها في شعبان سنة ٥٧٠ هـ^(١) لكنها أقفلت أبوابها في وجهه فحاصرها وعليها يمن الريحاني (الخادم) الذي تولاها منذ أيام نور الدين . تحصن (يمن) في قلعتها وراسل عامل حلب الاتابكي بواسطة الحمام الزاجل طالبا النجدة فلم يرجع منه خبر . وصبر على الحصار بلا جدوى . فسلم يمن الريحاني بعلبك بالامان في الرابع من شهر رمضان سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٥م^(٢) دخلها صلاح الدين وسط مظاهر الابهة فهناه الشعراء ومنهم العماد الكاتب الذي قال^(٣) :

بفتوح عصرك يفخر الإسلام وبنور نصرك تشرق الايام
وبفتح قلعة بعلبك تهذب هذي الممالك واستقام الشام
وبكى الحسود دماً وثغر الثغر من فرح بنصرك للهدى بسام

.....

(١). الروضتين : ١ / ٢٤٧ .

(٢). شفاء القلوب : ٨٧ ، الكامل : ١١ / ٤٢٠ ، النجوم الزاهرة : ٢٢ / ٦ .

(٣). الروضتين : ١ / ٢٤٧ .

فتح تسنى في الصيام كأننا شكراً لما منح الاله صيام
من ذا رأى في الصوم عيد سعادة حلت لنا ، والفطر فيه حرام
اسدى صلاح الدين والدنيا يدا بنواها سوق الرجاء تقام
فتمل فتحك ، واقصد الفتح الذي بحصوله لفتوحك الاتمام
دم للعلی حتى يدوم نظامها واسلم يعز بنصرک الاسلام

أقام صلاح الدين أياماً في بعلبك ، يدبر شؤونها ، ويتجول بين
معالمها وكان قد غادرها سنة ٥٤٦ هـ . عندما فارق والده الى خدمة
عمه أسد الدين شيركوه في حلب وفي هذه الاثناء وردته أخبار تقدم
الصلبيين الى حمص . فخلف بعلبك بعد أن ولى عليها الأمير شمس
الدين محمد بن عبد الملك المقدم ، جزاء له على تسليمه دمشق (١) . جهد
ابن المقدم في حماية المدينة ، ففي سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٧م أغار ريموند دي
تولوز امير طرابلس على بعلبك فعاث فساداً في بقاعها . خرج اليه ابن
المقدم وفرق جيشه ، وقتل عدداً وأسر أكثر من مائتي جندي ، ارسلهم
الى صلاح الدين وهو على حصار مصايف في بلاد الاسماعيلية (٢) .

وبعد عام انقضّ بغدوين الرابع ملك القدس على بعلبك فتصدى
له ابن المقدم ولم يمكنه من دخول المدينة ، وظل ابن المقدم والياً لبعلبك
حتى عام ٥٧٤ هـ و ١١٧٩م . عندما طلبها شمس الدولة تورانشاه
(ملك الشرق) ابن أيوب الذي نشأ في بعلبك يوم ولاية والده عليها -
وأحبها كثيراً . ولكن ابن المقدم تمنع ورفض طلبه فاستدعاه صلاح
الدين الى دمشق فاعتذر خوفاً من سقاية تواران شاه فخرج صلاح

.....
(١) مرآة الزمان : ١ / ٢٤٧ / ٨ / ٢٢٣ .

(٢) ابو شامة : ١ / ٢٦١ .

الدين بجيشه من دمشق وحاصر بعلبك و طال الحصار تسعة أشهر ، ولم يتمكن من دخولها . فجنح الى المفاوضات ، وتم الاتفاق مع ابن المقدم على تسليم بعلبك مقابل : تآزين وكفر طاب^(١) .

وكان تورانه شاه مستهترأسيء السيرة لذلك أعلن سكان المدينة العصيان بوجهه ورفضوا التعامل معه لسوء تصرفاته ومظالمه وتجاوزاته ، وابتزازه اموال الرعية . وأمام هذا التمرد تنازل توران شاه عن بعلبك في شهر ذي القعدة سنة ٥٧٥ هـ^(٢) وعوضه عنها شقيقه صلاح الدين بالاسكندرية وسلم بعلبك لابن اخيه فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب . فسار اليها ورتب امورها وجمع رجالها وأغار بهم على بلاد الفرنج فبلغ صفد وقتل واسرو سبى وعاد الى بعلبك بغنائمه^(٣) .

بلاط فرخ شاه : أحدث فرخ شاه نهضة عمرانية وأدبية في بعلبك لأنه قدمها مع كوكبة شعراء وعلماء وكان حصيف الرأي شاعراً فاستنابه صلاح الدين على دمشق لما قصد القاهرة سنة ٥٧٧ هـ .^(٤) ومن شعره ما أنشده بحضرة السلطان ورواه العماد الكاتب :

إذا شئت أن تعطي الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل أحسن موقعه
فلا تصنع المعروف مع غير أهله فظلمك وصع لشيء في غير موضعه^(٥)

.....
(١) مرآة الزمان : ٨ / ٢٢٣ شفاء القلوب ٥٤١ .

(٢) ذكر سبط ابن الجوزي أن فرخ شاه تسلم بعلبك في سنة ٥٧٤ هـ . (مرآة الزمان : ٨ / ٢٢٥) .

(٣) الغساني العسجد المسبوك : ١٧٦ ؛ شفاء القلوب : ٥٤ .

(٤) مرآة الزمان : ٨ / ٢٣٣ ، وفي شفاء القلوب استنابه ٥٧٦ هـ (شفاء القلوب : ٢٣٣) .

(٥) شفاء القلوب : ٢٣٣ .

ومن مقطوعاته الرشيقة قوله :

أنا في أسر السقام من هوى هذا الغلام
رشأ ترشق عيناه فؤادي بسهام
كلما أرشفتني فاه على حر الاوام
ذقت منه الشهد في الثلج المصفى في المدام^(١)

ومن الشعراء الذين اختصوا به العماد الكاتب صاحب الخريدة
الذي مدحه بقوله :

قد قلت للحادي وقد ناديته في مهمه اقصر ، وصلت مه مه
حتام جذبك للزمان فأرخه فلقد أنخت الى ذرى فرخشه
متكرم بالطبع لا متكره شتان بين تكرم وتكره^(٢) .
وعارض أبو اليمن الكندي الذي لازم فرخ شاه هذه القصيدة
بمنظومة بلغت تسعة وأربعين بيتاً منها :

أنا عبد من شهد الزمان بعجزه عن أن يجيء له بند شبه
عبد لعز الدين للشرف الذي ذل الملوك لعز عبد فرخشه
طابت موارده فغص فناؤه وشدا الحداة بذكره في اله مه^(٣)

حقاً غص فناؤه بالشعراء والكتاب والاطباء ومنهم ، الطبيب
السامري مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد المتوفى سنة ٦٢٤ هـ طبيب

.....

(١) ابو شامة : ٣٤ / ٢ .

(٢) ابو شامة : ٣٤ / ٢ .

(٣) نفسه : ٣٥ / ٢ .

فرخ شاه الخاص ثم خدم ابنه الامجد ووزر له^(١). ظل فرخ شاه يملك بعلبك وينوب في دمشق حتى وفاته في جمادى الاولى سنة ٥٧٨ هـ- ١١٨٢م ولما بلغ السلطان خبره ، وهو ببلاد الجزرية ، أبقى بعلبك على ولده الامجد بهرام شاه ، وأرسل ابن المقدم الى نيابة دمشق^(٢).

.....

(١) طبقات الاطباء : ٧٢١ .

(٢) مرآة الزمان : ٣٧٢ / ٨ ، الروضتين : ٣٣ / ٢ ، السلوك : ٧٩ / ١ ، البداية والنهاية : ٣١١ / ١٢ ، العبر : ٢٣٣ / ٤ ، الدارس ، ٥٦١ / ١ ، النجوم الزاهرة : ٩٦ / ٦ شذرات الذهب : ٢٥٩ / ٤ .

الامجد بهرام شاه ملك بعلبك (٥٧٨ هـ - ٦٢٧) (١١٨٢ - ١٣٢١) .

عزز الامجد بعلبك فضم إليها البقاعين الشمالي والجنوبي^(١) وتلقب بالملك واتخذ الوزراء والحجاب . واحتفظ بالمدينة عندما قسمت أملاك صلاح الدين بعد وفاته سنة ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م . وامتد حكمه تسعة واربعين عاماً ، شهدت بعلبك خلالها حركة عمرانية وأدبية وعلمية كادت تكون أفضل حقبةا الإسلامية . منذ أن تسلم بعلبك بادر يعد جيشاً ويدربه تحسباً لشدائد الدهر جمع فيه الاتراك (والاكاديش) فاشتهر أمره ، وأنتقل من دور الدفاع الى تحركات الهجوم . لقد كبح جماح غارات الصليبيين ولاحقهم الى معاقلهم . وكثرت تحركاته ففي سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م قاد جيشه المؤلف من الترك . والاكاديش لمناصرة عمه صلاح الدين في الدفاع عن (برج الذبان) . وتمّ لهما النصر في الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٥٨٦ هـ . عندما حطّم المسلمون الابراج الحربية التي صنعها الصليبيون لمداومة الحصن^(٢) وفي عام ٥٨٧ هـ - ١١٩١ م توجه بهرام شاه بعسكره لمساندة عمه صلاح الدين في الدفاع عن عكا التي حاصرها الفرنج سبعة أشهر وظل يجاهد إلى جانب أمراء البلاد الإسلامية حتى طردوا الاعداء الى عسقلان^(٣) وبعد وفاة

.....

(١) النجوم الزاهرة : ٨٧ / ٦ .

(٢) العماد الكاتب الاصفهاني : الفتح القدسي : ٤٣٤ .

(٣) الفتح القدسي : ٦٣٣ .

صلاح الدين ٥٨٩ هـ - انتهز الفرصة عز الدين اتابك مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل ، وأخوه عماد الدين بن مودود صاحب نصيبين وخرجا يطلبان حلب وحمه . فأسرع بهرام شاه وضم جيشه الى جيش عمه الملك العادل سيف الدين وهزما ولدي زنكي (١) . وفي العام نفسه اتفق الأحمدي مع عمه الملك العادل وناصر الملك الأفضل علي صاحب دمشق ، واكبر أولاد صلاح الدين ، ضد أخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر فانتصروا عليه وأعادوه الى مصر وكان طامعاً ببلاد الشام (٢) . وظل الأحمدي وفيماً لعمه الأفضل في حين مال عمه العادل أبو بكر العزيز عثمان وتآمر على الأفضل علي وانتزعا منه دمشق سنة ٥٩٢ هـ .

والخليفة يومئذ ببغداد الناصر لدين الله ، وكان يميل الى التشيع ، فكتب اليه الأفضل علي يستجيشه على أخيه العزيز عثمان وعمه العادل أبي بكر من شعره .

مولاي ! ان أبا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق علي فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول!

فكتب اليه الناصر لدين الله في جوابه :

وافي كتابك يا بن يوسف معلناً بالود يخبر أن أصلك طاهر غصبوا علياً حقه إذ لم يكن بعد النبي له يثرب ناصر فاصبر فان غداً عليه حسابهم وابشر فناصرك الإمام الناصر (٣)

(١) مفرج الكروب : ٣ / ١٨ ، الفتح القدسي : ٦٣٨ ، شفاء القلوب : ٣٠٦ .

(٢) النجوم الزاهرة : ٦ / ١٢٢ .

(٣) شفاء القلوب : ٢٥٨ ، القلقشندي : صبح الاعشى : ٤ / ١٦٦ .

وفي عام ٥٩٤ هـ - ١١٩٨ م شارك بهرام شاه في صد غارة الفرنج على حصن تبين^(١) وفي العام نفسه نهض الأجد يرافق الملك العادل ، وشيركوه صاحب حمص ، وعز الدين بن المقدم الى (هوس) لمنازلة الفرنج . قال ابن الجوزي : ولو تأخروا يوماً لأخذ حصن (بسن)^(٢) ووقف الأجد نفسه للدفاع عن أرض المسلمين فحارب الأفرنج في حصن الأكراد وطرابلس بالاشتراك مع الملك المنصور سنة ٥٩٨ هـ - ١٢٠١ م . وفي العام التالي تقدم الملك المنصور صاحب حمص بهما بعساكره الى بعين فنزل قلعتها مرابطاً لفرنج الساحل وطلب النجدة من الملك العادل صاحب دمشق ، فتقدم الملك العادل الى الملك الأجد بهرام شاه صاحب بعلبك والى المجاهد صاحب حمص بانجاده ، ففعلا . وخاضوا جميعاً معركة انتصروا فيها وأسروا عدداً من الفرنج^(٣) . وفي سنة ٦٠٣ هـ وصلت الأراجيف بأن الفرنج من طرابلس وحصن الأكراد جهزوا لغزو حمص فكتب الملك العادل الى اهل بيته ومنهم الأجد صاحب بعلبك، للتعاون، فلحقوا به ونزلوا على بحيرة قدس (حمص) ثم هاجموا طرابلس وضيقوا عليها واحتلوا القليعات^(٤) وخربوها وطاحونة اعناز^(٥) مما حمل صاحب طرابلس على طلب الصلح ودفع الغرامة فأبوا الى ديارهم منصورين .

.....

(١) ابو شامة : ٢ / ٢٣٣ .

(٢) مرآة الزمان : ٨ / ٢٩٢ .

(٣) مفرج الكروب : ٣ / ١٤٣ .

(٤) القليعات : موضع قرب طرابلس ابن الاثير : ٩ / ٢٩٧ .

(٥) أغناز : بلد بين الساحل وحمص ياقوت : ١ / ٣١٦ .

وفي رواية ابن نظيف الحموي : ان الأجد لم يدخل الساحل مع الملك العادل لأن أهل بعلبك وثبوا على نائب الأجد - الذي خلفه على المدينة - وقتلوه فأسرع الأجد بتدبير من العادل - ودخل المدينة وقضى على دابر الفتنة^(١) . وفي سنة ٦٠٥ هـ عزم الملك العادل على جمع الجيوش الموالية لمهاجمة بلاد الكرج فاحتشد الملوك إليه : وصله الملك المنصور صاحب حماه والمجاهد صاحب حمص والأجد صاحب بعلبك والصالح صاحب آمد . . . فنزلوا على حرزم من ماردین^(٢) . ثم قصدوا سنجار وحاصروها وقطعوا أشجارها واحتلوا الخابور ، ووزع العادل الغنائم ومنها أرض الخابور على الملوك فنال الأجد نصيبه^(٣) . وفي العام التالي شارك الأجد في الاستيلاء على سنجار^(٤) . ومن تحركاته مسيره سنة ٦٢٨ هـ لمساعدة الكامل تعضده بقية الايوبيين لدرء خطر الفرنجة عن دمياط وكان الكامل لضعفه بذل للفرنج تسليم القدس وعسقلان وطبريا واللاذقية وجبله . ولما تم النصر للمسلمين نقضوا صلح الكامل^(٥) فسود النصارى في بعلبك وجوه الصوري في كنيستهم حزناً على ما حل بالصلبيين . ولما آب الأجد الى بعلبك وعلم بتعاطفهم مع الفرنج امر اليهود بصفعهم^(٦) وكان الأجد لا يتوانى عن واجبات القرابة وصله الرحم والزيارات الدبلوماسية من أجل ذلك قصد دمشق سنة ٦٢٣

(١) ابن نظيف : التاريخ المنصوري : ٥٣ .

(٢) حرزم : جبل بديار بني سعد ، ياقوت : ٢ / ٢٥٧ .

(٣) تاريخ المنصوري : ٥٧ .

(٤) مفرج الكروب : ٣ / ١٩٠ ، المقرئ : السلوك : ج ١ ق ١ : ٢٠٤ .

(٥) شفاء القلوب : ٣٠٦ .

(٦) خطط الشام : ٢ / ٩٨٣ .

هو هناً الملك المعظم بالشفاء من مرضه . وكتب مهر إبنته على الملك^(١) المغيث بن المغيث بن العادل . بحضور قضاة الممالك^(٢) . وفي هذه السنة على الأرجح تمت نكبة السمرة في بعلبك ، لأنهم استبدوا بشؤون المدينة حتى ضج الناس من استئثارهم بمصالحها وتقديم الأجد لهم ، لكن نكبتهم لم تسكت الناقمين . ومما أطمع الملوك الأوبيين بالأجد وفاة صاحب دمشق الملك المعظم عيسى بن العادل سنة ٦٢٤ هـ^(٣) . لأن المعظم - بشهادة سبط ابن الجوزي العينية - كان يحب الأجد ويحترمه وقبل يده^(٤) . وبتنا نسمع لأول مرة شعارات عنيفة ضد الأجد ، هذا ما أكدته ابن نظيف اذ قال « في سنة ٦٢٥ هـ هاجم الملك العزيز بن العادل بعلبك طامعاً بمخامرة من أهلها لكراهيتهم في الملك الأجد صاحبهم لظلمه ، وعسفه لهم وفسقه وجوره ، فلما علم بهم قتل من بلده جماعة بسبب ذلك »^(٥) وهذه المخامرة ضد الأجد شارك فيها إبنه الذي كتب الى العزيز يقول :

« قد نشرت باب السر ، فسر إلينا وقت السحر »^(٦) . وكان العزيز بالصبيبة^(٧) ، فساق منها أول الليل ، والمسافة بعيدة ، فأدرك بعلبك والشمس قد أشرقت ، ففات الغرض ، وعسكر مقابل المدينة . فبعث الأجد الى الناصر داود صاحب دمشق يلتبس منه ترحيل العزيز .

(١) توفيت ابنة الملك الأجد زوج الملك المغيث سنة ٦٣٠ هـ (المنصوري : ٢٥٥) .

(٢) التاريخ المنصوري : ١٢٢ .

(٣) شفاء القلوب : ٢٨٥ .

(٤) مرآة الزمان : ٨ / ٤٤١ .

(٥) التاريخ المنصوري : ١٥٨ .

(٦) مرآة الزمان : ٨ / ٤٤٨ ، شفاء القلوب : ٣٢٠ .

(٧) العزيز عثمان بن ابي بكر بن أيوب ، صاحب بانياس وهونين والصبيبة توفي سنة ٦٣٠ هـ . (مرآة الزمان : ٨ / ٤٤٩ ، ابن كثير . البداية والنهاية ١٣ / ١٣٧ ، النجوم الزاهرة : ٦ / ٢٨١ .

فأرسل جيشاً نفره عن حصون بعلبك قسراً. وتوجه العزيز الى بانياس ومنها إلى القدس لملاقاة اخيه السلطان الكامل ، ولما علم الأجد بما فعل ولده ووقفه على نشر الباب ، قتله . قيل خنقه ، وقيل بنى عليه بنياناً ، وانتقم من بعض سكان المدينة الذين شاركوا في المؤامرة^(١) . وكان صاحب حمص ساند العزيز ضد الأجد ، فحدثت نفرة بين الرجلين ، فأرسل صاحب دمشق أحد أمرائه ابن قاسم الدين وأصلح بين الأجد وشيركوه صاحب حمص^(٢) . وكان العزيز قد حسن لأخيه الكامل فتح دمشق وعرض مساعدته ، فأجازه الكامل بعطايا جزيلة ، وكتب له خطاً ببعلك لأبنة ، وزيادة له (خبراً) . عندها غضب الأجد بهرام شاه وجهز جيشه ، وقصد (هونين) بلد العزيز ونهبها . فلما بلغ الكامل ذلك أمر بنهب (دمشق) بلد الناصر^(٣) . وفي العام التالي تقدم الأشرف موسى وحاصر دمشق ، فخضع الناصر لشروط المحاصرين فتنازل عن دمشق ، وتخلّى عن مساعدة الأجد صاحب بعلبك ورضي بتقريرهما على الأشرف موسى ، وبتسليم الجزيرة للملك الكامل ، وانتقل الملك الناصر صاحب دمشق وحليف بهرام شاه إلى الكرك^(٤) . ولما خلا الجو لأعداء الأجد اعدوا جيشاً لمداومة بعلبك فوصلها العزيز عثمان بن من معه من العساكر التي كانت تحاصر حماه^(٥) فصدهم الأجد ، وتراجع العزيز امام أسوار المدينة لكن النجيدات توالى تقدم

(١) . مرآة الزمان : ٨ / ٤٤٩ .

(٢) . التاريخ المنصوري : ١٦٠ .

(٣) . التاريخ المنصوري : ١٦٣ .

(٤) . نفسه : ١٧٧ .

(٥) . نفسه : ١٨٧ .

اخوه الصالح اسماعيل، ثم شيركوه صاحب حمص. وانقضت سنة ٦٢٦ هـ ، والجيش أمام أسوار بعلبك تضربها بالمجانيق التي ترمي عشوائياً فأصاب بيت الماء الذي للأشرف قريباً من الشيخ عبد الله اليونيني، فغضب الأشرف، وضرب الفراشين، وطردهم وضرب خيمته ناحيته^(١) وظل الحصار حتى العشر الأخير من ربيع الثاني سنة ٦٢٧ هـ .

عندما بدأت المفاوضات قادها من جانب الأجد ابنه صفى الدين مرزوق، وتمت في خيمة الأشرف موسى على رابية الشيخ عبد الله^(٢) وانتهت بتسلم الأشرف موسى بعلبك وعوض الأجد بالزبداني وقصير دمشق^(٣) .

وفاته :

ظل الأجد يمتلك بعلبك تسعة وأربعين سنة تلفه طمأنينة ويسعفه إقبال سعد، حتى خشي ملوك الأيوبيين طموحاته وتطلعاته الى حكم دمشق والتسلطن . وهو الذي تدخل اكثر من مرة في شؤون السلطنة ، ناصر الأفضل على سلطان دمشق ضد أخيه العزيز عثمان سلطان مصر. وسار بركاب الملك العادل والد الأشرف موسى لقهر الملك العزيز وردّه الى مصر . وظاهر صاحب دمشق على صاحب حمص شيركوه . . . أعمال طموحة أثارت مخاوف أبناء عمومته وأحقادهم ، فحصره تسعة

(١) مرآة الزمان : ٨ / ٤٣٦ .

(٢) نفسه : ٨ / ٤٣٦ .

(٣) التاريخ المنصوري : ١٩٧ .

أشهر وأخرجوه من بعلبك سنة ٦٢٧ هـ . فرحل الى دمشق وأقام بداره المعروفة « بدار السعادة » . وكان نهاية حكمه في بعلبك كتبت نهاية حياته . إذا اغتاله احد ممالিকে في دمشق سنة ٦٢٨ هـ . وروى سبط ابن الجوزي قصة مصرعه قال « سرقت له حياصة ودواة تساوي مائتي دينار ، سرقها أحد ممالিকে ، وأخفاها عند بعض المماليك . فحبسه في خزانة في دار فرخشاه ، وتهدد المملوك بقطع اليد والصلب ، فلما كانت ليلة الأربعاء ثاني عشر شوال جلس على عادته أمام باب الخزانة ، وعنده عباس ابن أخي الشريف البها الكاتب ، وابن فهيد اليهودي ، وبيده الاسطرلاب ليأخذ له طالع الوقت ، وكان يلعب مع العباس (بالنرد) . فقال له ابن فهيد يا مولانا أنظر إلي فهذه ساعة سعيدة لو أردت أخذ دمشق أخذتها . فقال له لا تكلمني فقد تعين لي الغلب . وعالج المملوك رزّه الباب بسكين كانت معه ، وقلع الرزة وخرج وأخذ سيف الامجد وضربه ، فقطع يده . ثم طعنه في خاصرته ، ثم انهزم فصعد السطح ورمى بنفسه فمات ، وقطعه الغلمان »^(١) ودفن في تربة أبيه على الشرف الشمالي ، وقيل رآه في المنام بعض أصحابه بعيد وفاته بقليل فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال :

كنت من ذنبي على وجل زال عني ذلك الوجل
أمنت نفسي بوائقها عشت لما مت يا رجل^(٢)

(١). مرآة الزمان : ٨ / ٤٤١ ، شفاء القلوب : ٣٣٦ .

(٢) مفرج الكرب : ٤ / ٢٨٤ ، تاريخ أبي الفداء : ٣ / ١٤٦ ، البداية والنهاية : ١٣ / ١٣١ ، السلوك : ج ١ ق ١ / ٢٧٩ العسجد المسبوك : ٤٤٢ و ٥٤١ ، فوات الوفيات : ١ / ٢٢٦ ، الدارس : ١ / ١٧١ ، مرآة الجنان : ٤ / ٩٥ ، النجوم الزاهرة : ٦ / ٢٧٥ ، شذرات الذهب : ٥ / ١٢٦ .

اعماله العمرانية

كان الأجد محباً لل عمران مولعاً بالتحصينات العسكرية ، لقد بنى قصراً فخماً اتخذهُ مقراً لمملكته ، واتسع لزواره ومدّاحيه ، وذكره الشعراء في قصائدهم الابدية . واندثرت آثاره مع الزمن ، ولم يتمكن من تحديد موضعه . وفي سنة ٦٠٠ هـ ضربت هزة بعلمك وصدّعت منازلها ودمرت قسماً من سورها ، فشمّر الأجد لتعمير ما تهدم من تحصيناتها . ومن آثاره الباقية الى يومنا المسجد الذي بناه على تلة الشيخ عبد الله سنة ٥٩٦ هـ . شاده زاوية للشيخ عبد الله اليونيني المتوفي سنة ٦١٧ هـ . وما زالت قبته تعرف إلى الآن « بقية الابد » . وعليها كتابة هي : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . أمر بعمارة هذا المسجد المبارك الأمير الاسفهلار الكبير صارم الدين ابو سعيد خطلخ ابن عبد الله المعري الملكي الابددي . ضاعف الله له الثواب وغفر له يوم الحساب في سنة ست وتسعين وخمسمائة » .

وشيد بهرام شاه برجين في قلعة بعلمك ، وزوّدَهُما بمرامي السهام .

أولهما في الركن الجنوبي الغربي للقلعة بناه سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤م وعليه كتابة عربية قائمة حتى عصرنا وهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أمر بعمله مولانا السلطان الملك الأجد العالم العادل مجد الدنيا ، والدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب . عضد أمير المؤمنين أعز الله سلطانه وشد بالنصر

شأنه سنة احدى عشرة وستمائة بولاية الأمير تقي الدين بن عبد الله
الملكى الأمجدى » .

والبرج الثانى بناه فى الركن الشمالى الغربى من القلعة سنة ٦٢٢
هـ / ١٢٢٤م - برج باب الهواء حالياً - وعليه كتابة أيضاً تشبه الكتابة
السابقة لكن لا ذكر فيها للأمير الوالى^(١) . وبشكل عام قوى بهرام
شاه جبهة البرج الغربى ليرد عن المدينة غارات الصليبيين واطماع
الطامعين .

الأيوبيون والسامرة فى بعلبك :

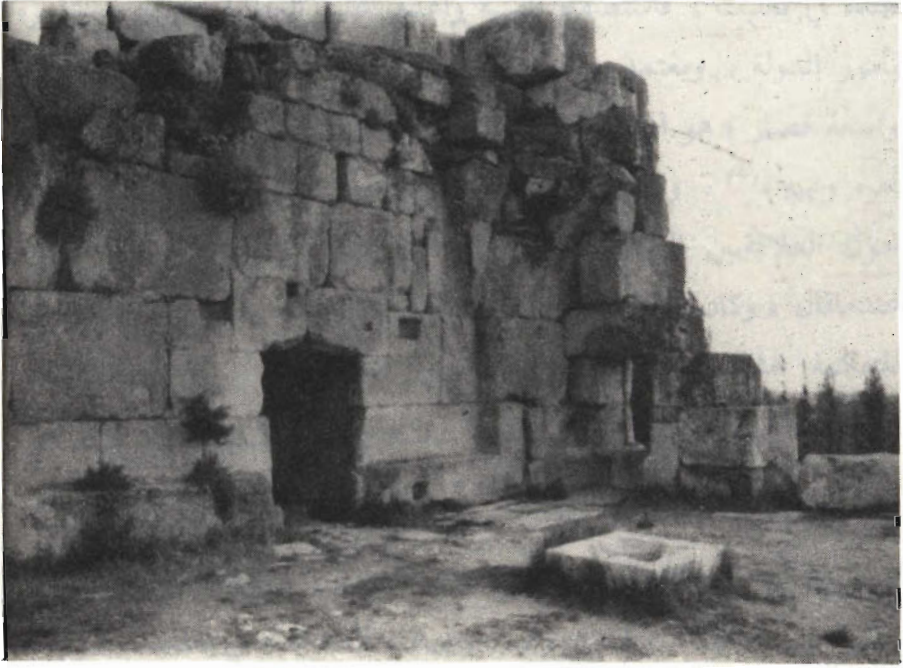
فى لسان العرب : السامرة قبيلة من قبائل بني اسرائيل ، وهم قوم
من اليهود ، يخالفونهم فى بعض دينهم ، واليهام ينسب السامري الذى
عبد العجل^(٢) وقال الزجاج : هم الى هذه الغاية بالشام يعرفون
بالسامريين » .

وفى دائرة المعارف الإسلامية « هم قبائل فلسطينية ، تفرقت فى
أنحاء الامبراطوريتين : البابلية والفارسية ، وعاشوا مع اليهود جنباً الى
جنب وكانوا بمعارضتهم لليهود فى عقائدهم أشبه بهمزة وصل بين
هؤلاء وبين غيرهم من أهل الفرق الضالة . وهم أدخل فى اليهود
لتمسكهم الشديد بشريعة موسى ، على أنهم لم يؤمنوا بسواه من الانبياء
وأمسكوا عن الولاء لبيت داود . والسامرة أول من اتهم اليهود بتحريف
التوراة ، ولهم حضارتهم الخاصة^(٣) .

.....
(١) تقرير بوختين عن حفائره فى بعلبك : ٤١ .

(٢) لسان العرب : ٣٨٠ / ٤ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية : ٨٩ / ١١ .



برج الامجد (باب الهواء)

وفدت قلة من (السامرة) إلى بعلبك سنة ٥٧٥ هـ . في حاشية فرخ شاه الايوبي . وكان على رأسهم الطبيب مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد بن خلف السامري ، الذي التحق بخدمة فرخشاه وغدا طبيبه الخاص ، واعتمد عليه في تصريف بعض الشؤون العامة . ولما توفي فرخشاه سنة ٥٧٨ هـ . انضم مهذب الدين الى حاشية الأجد وأقام عنده في بعلبك ، فاستصفاه لنفسه وأغدق عليه العطايا ، وكان يستشيره بأمور الدولة ، ويعتمد عليه بالمهمات ، ثم استوزره ومنحه صلاحيات واسعة فصار « هو المدبر لجميع الدولة والأحوال بأسرها ، لا تعدل عن أمره ونهيه »^(١) . ولما كان مهذب الدين جميل الصورة ، ثارت الشكوك حول العلاقة بين الرجلين ، المح اليها ابن نظيف في تاريخه المنصوري عندما قال « وكان الامجد يعشقه ، ويحبه ، فنظم الشعراء ، بذلك أشعاراً للتفككة امثال الشهاب فتیان النحوي الشاغوري^(٢) الذي قال :

الملك الأجد الذي شهدت له جميع الملوك بالفضل
أصبح في السامري معتقداً معتقد السامري في العجل^(٣)

بيد أن ابن أبي أصيبعة نفى هذه التهمة ، وروى البيتين للتدليل على استبداد مهذب الدين وأمره ونهيه ، لأنه أقام في بعلبك قرابة خمسين سنة ، قوَّى خلالها نفوذه باستقدام وفود السامريين من فلسطين ودمشق ومنحهم المراكز الحساسة في مملكة الأجد (بعلبك والبقاع

.....

(١) طبقات الاطباء : ٧٢٢ .

(٢) هو الشاعر فتیان الشاغوري النحوي ، له ديوان شعر طبعه المجمع العلمي بدمشق ،

توفي سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م .

التاريخ المنصوري : ١٣٢ .

العزیز) وأشهرهم ابن شقيقه أمين الدولة أبو الحسن ابن غزال ابن ابي سعيد السامري . واستغل السمرة نفوذهم ، وقوتهم ، وتحصنوا بسلطة مهذب الدين الوزير ، وسيطروا على مقدرات بعلبك ، واستأثروا بالملهن الشريفة والوظائف الرئيسة ، وأكلوا أموال المدينة ، واستظهروا على شعبها وكانوا بالنسبة لفرخشاہ ، والملك الأمجد ، والملك الصالح اسماعيل ، اشبه بمكانة البرامكة لدى العباسيين ، ولما استقلوا بمصالح بعلبك كثرت الشكاوى ضدهم ورفعت الى دمشق والقاهرة ، وبان للأمجد ، « ان الأموال قد أكلوها ، وكثر فسادهم ، ولا مته الملوك في تسليم دولته للسمرة ، فقبض على المهذب السامري ، وعلى جميع السمرة المستخدمين ، واستقصى منهم أموالاً عظيمة . وبقي الوزير معتقلاً عنده مدة الى أن لم يبق له شيء يعتد به ، ثم أطلقه وغادر الى دمشق»^(١) حيث مات في مستهل صفر سنة ٦٢٤ هـ^(٢) .

هذه النكبة التي اقتضرت على تشريد السمرة ومصادرة أموالهم دون سفك دماء ، لم تستأصل نفوذهم ، وخصوصاً اذا عرفنا ان الامجد استوزر أمين الدولة ابن غزال بعد عمه مهذب الدين . وكان الوزير الجديد ذكياً وسياسياً ، وصاحب طموحات ، برع بالطب ، وأنشد الشعر ، واهتم بالعلوم . . . ولما قتل الامجد سنة ٦٢٨ هـ . وزر امين الدولة للصالح اسماعيل الذي تملك بعلبك ، « فساس الدولة أحسن السياسة ، وبلغ في تدبير المملكة البعلبكية نهاية الرياسة . . »^(٣) . وخشي الوزير كيد الحساد ووشايات اهل بعلبك

(١) طبقات الاطباء : ٧٢٢ -

(٢) التاريخ المنصوري : ١٣٣ .

(٣) طبقات الاطباء : ٧٢٣ .

ودسائسهم ضده ، وعرف بذكائه أنهم يستغلون دينه السامري للوقوف بوجه طموحاته التي تصبو الى وزارة دمشق بعد بعلبك ، وقوى هذه المخاوف ، ما حلَّ بعمه عقب خمسين سنة من الخدمة . فأعلن إسلامه وتلقب (بكمال الدين)^(١) وبادر يؤكد اسلامه بتأسيس المدرسة الامينية في بعلبك لتدريس الفقه الاسلامي وأوكل شؤونها الى قاضي المدينة رفيع الدين الجيلي ، ثم انصرف يحضر لتملك دمشق ، واستطاع بدهائه ان ينتزعها لصاحبه الصالح اسماعيل . والسامري هو الذي استبدل حمام نابلس بحمام بعلبك ، ونفذ الخدعة ضد الملك الصالح أيوب حتى تمكن الصالح اسماعيل من دخول دمشق . ورافقه أمين الدولة ووزر له وثبت قواعد الملك وأيدها ورفع مباني المعالي وشيدها ، وجدد معالم العلم والعلماء . . . ولم يزل في خدمة الملك الصالح . . . مطاع الكلمة كثير العظمة الى أن ملك دمشق الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وجعل نائبه فيها الأمير معين الدين ابن شيخ الشيوخ . فقبض على أمين الدولة وصادر امواله وأرسله الى القاهرة سنة ٦٤٣ هـ . وظل سجيناً في قلعتها حتى نفذ فيه حكم الموت شنقاً سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م^(٢) ومع وفاته انتهى نفوذ السامرية في بعلبك .

(١) تعرض أمين الدولة الى وشايات كثيرة بعد اسلامه إذ اتهمه الناس في دينه وقالوا كان سامرياً وأسلم في الظاهر وأضاف الذهبي « كان ظالماً نحساً ماكراً داهية » . واتهم باكل اموال الرعية يشاطره ذلك القاضي رفيع الدين الجيلي ، ولما كثرت الشكاوي ضد الاثنين استطاع الوزير أن يلقي التبعة على القاضي . فسجنه ستة ٦٤٢ هـ ثم امر بقتله فألقوه من فوق هياكل بعلبك وقيل القوه من رأس شقيف قرب مغارة افقا في جبل لبنان (مرآة الزمان : ٨ / ٧٤٩ . الاسنوي : طبقات الشافعية : ١ / ٥٩٢ ، النجوم الزاهرة : ٦ / ٣٥٠ .

(٢) . طبقات الاطباء : ٧٢٣ ، العبر : ٥ / ١٩٩ ، شذرات الذهب : ٥ / ٢٤١ .

بعلبك مع الصالح اسماعيل (٦٢٨ - ٦٤٣ هـ) (١٢٣١ -

١٢٤٦)

إستقر الملك الصالح اسماعيل بن أبي بكر بن أيوب^(١) في بعلبك بعد جيشاً قوياً يحقق طموحاته في امتلاك بلاد الشام ومصر ، وبواسطة هذا الجيش دأب على محاربة إخوته وأقاربه ، واستطاع أن يحتفظ ببعلبك مدة ستة عشر عاماً (٦٢٨ - ٦٤٣ هـ) ، وكان يضيف اليها دمشق فتتزع منه ، فيؤوب الى بعلبك يجهز جيشه ليخرج مجدداً باتجاه دمشق ، ومصر بغية الاستيلاء على هذه الاقطار . بدأ خطوته الأولى باختيار معاونيه ، فاتخذ وزيراً طموحاً ذكياً هو أمين الدولة ابو الحسن ابن غزال السامري^(٢) الذي استنفذ طاقاته في تنظيم شؤون المدينة .

وفي محرم سنة ٦٣٥ هـ / ١١٣٨ م توفي الملك الأشرف موسى صاحب دمشق فعهد بها الى أخيه الصالح اسماعيل^(٣) : الذي غدا ملكاً على دمشق وبعلبك لكن الكامل صاحب مصر خف الى دمشق في العام نفسه وحصر أخاه اسماعيل وأجبره على الاستسلام ، وأعادته الى بعلبك وقد أضاف اليه البقاع وبصرى في جمادى الأولى^(٤) . وما لبث الكامل

(١). مرآة الزمان : ٨ / ٣٤٦ ، ذيل الروضتين ١ - مرآة الزمان : ٨ / ٤٣٦ ، ذيل

الروضتين : ١٨٦ ، مفرج الكروب ٣ / ٢٧٥ ، السلوك ١ / ٣٧٨ البداية والنهاية :

١٣ / ١٧٩ ، الداري ١ / ٣١٦ ، شفاء القلوب : ٣٢٤ .

(٢) طبقات الاطباء ٧٢٣ .

(٣) تاريخ ابي الفداء : ٣ / ١٥٩ ، صبح الاعشى : ٤ / ١٦٧ .

(٤) تاريخ ابي الفداء : ٣ / ١٦٠ .

أن توفي في رجب سنة ٦٣٥ هـ . (١) فخلفه على مصر ابنه العادل .
الذي أعطى دمشق ابن عمه الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل بن
أيوب . ومن أعمال الجواد انه استقدم الطبيب بدر الدين المظفر البعلبكي
« وولاه الرياسة على جميع الأطباء والكحاليين والجرائحين . وكتب له
منشوراً بذلك في شهر صفر سبع وثلاثين وستمائة » (٢) .

وكان ملوك الأيوبيين على كثرتهم يطمعون بدمشق وبعلبك وهذه
الاطماع دفعت الصالح أيوب الى انتزاع دمشق من الملك الجواد سنة
٦٣٦ هـ ، وجعل نائبه عليها ابنه الملك المنيف (فتح الدين) . وكتب
الصالح أيوب عمه الصالح اسماعيل صاحب بعلبك فالتقيا وتعاهدا
على التناصر ، لعلم أيوب بأن اسماعيل يطمع بدمشق . وأظهر
اسماعيل الرضا ، وعاد الى بعلبك واستقر فيها (٣) . وأخذ يعد العدة
سراً لمهاجمة دمشق ، بتدبير من وزيره أمين الدولة السامري . وتوالت
الرسائل بين الملكين ، وبشارة من السامري ، وأمعاناً في الدهاء ،
طلب اسماعيل من ابن اخيه أيوب أن يبعث ولده ليقيم عوضه في
بعلبك ، ويرحل هو لملاقاته في نابلس (٤) وكان جواسيس أيوب يخوفونه
من تحركات عمه ، فارسل طبيبه الحكيم سعد الدين الدمشقي - وكان
يثق به - الى بعلبك ومعه « قفص من حمام نابلس ليطلعه بأخبار عمه .
ولما حلَّ الطبيب في بعلبك علم به السامري فأوعز الى الملك باكرامه ،
.....
(١) نفسه ٣٠ / ١٦١ .

(٢) طبقات الاطباء : ٧٥١ (هذا التاريخ يخالف ما جاء عند ابي الفداء من ان الصالح
أيوب أخذ دمشق سنة ٦٣٦ هـ) .

(٣) مرآة الزمان : ٨ / ٤٧٦ .

(٤) نفسه : ٨ / ٤٧٦ .

وسرق الحمام التي لنابلس وجعل موضعها حمام بعلبك ، ولم يشعر الطبيب بالحيلة . فأخذ يكتب لأيوب « ان عمك اسماعيل قد جمع العساكر ، وفي نيته قصد دمشق » ويربط الرسائل على جناح الطير ويتركه ، فيقعد الطير في برجه بقلعة بعلبك ، فيأخذ ابن غزال البطاقة ويزور على الطبيب ما يطمئن «إن عمك اسماعيل قد جمع ليعاضدك ، وهو واصل إليك » ويسرجه على حمام نابلس فيعتمد الصالح أيوب على بطاقة الطبيب ويترك الاخبار الواردة إليه من غيره^(١) وانطلت الحيلة على أيوب ، في حين استمر اسماعيل في استعداداته ، فكان يبعث الأموال والخلع الى نجم الدين بن سلام - احد انصاره بدمشق - ليوزعها على المقدمين ، ويستميلهم لمناصرة الصالح اسماعيل الذي خرج من بعلبك في صفر سنة ٦٣٧ هـ بالفارس والراجل ، على أنه متوجه الى نابلس ، فبات بالمجدل^(٢) وكتب بطاقة الى أيوب يخبره بوصوله إليه . ومع السحر غادر المجدل قاصداً دمشق ، وخيم في (عقبة دُمُر) ينتظر وصول حليفه صاحب حمص الذي كان مخيماً في (وادي منين) . ولما اجتمعا نازلا باب الفراديس ، وفتحاه في ساعة واحدة . وقد تواطأ معهما الحرس . نزل الصالح اسماعيل في داره بدرب الشعارين ، وأول من دخل عليه ورقص بين يديه ، وهنأه ، نجم الدين بن سلام . وظلت القلعة تقاوم بقيادة المغيـث بن أيوب . فدهموها من جهة باب الفراديس ، ونهبوها . وحصروا المغيـث في أحد أبراجها ، وتقدموا إليه واعتقلوه .

.....

(١) مرآة الزمان : ٨ / ٤٨٠ ، تاريخ ابي الفداء : ٣ / ١٦٤ ، تنمة المختصر :

٢ / ٢٤٦ ، السلوك ج ١ ق ٢ / ٢٨٥ .

(٢) المجدل قرية في البقاع تعرف بـ (مجدل عنجر) تقع بمواجهة عنجر (عين المجر) .

وامتلك الصالح اسماعيل دمشق . ولما وصلت هذه الاخبار الى أيوب خفّ لنجدة ابنه ، لكنه نكص على عقبيه بعد أن وافته أنباء سقوط القلعة ، وتفرق عنه انصاره . فطمع فيه أهل الغور وبيسان يقودهم شيخهم (تبل) ، ونهبوا أمتعته^(١) . وصدف ان تقدم الناصر داود من مصر والقي القبض على الصالح أيوب ، وأستاداره حسام الدين الهذباني ، وأرسلهما الى الكرك فسجنا ، ونقل حسام الدين الى بعلبك^(٢) فسجن في جب . وكان يزوره علي بن محمد بن قرين البعلبي المتوفي سنة ٦٩٢ هـ وتوسط لانقاذ حياة ابن هذبان لما حمل مرسوم القتل أسد الدين الزراري ، وكان يعطى كل أسبوع رغيفين خبز وجرّة ماء ، ثم أفرج عنه ، وعاد وامتلك بعلبك .

وفي سنة ٦٤١ هـ كتب الصالح أيوب الى الخوارزمية لمساندته^(٣) فعبروا الفرات وعددهم عشرة آلاف فارس وعلى رأسهم حسام الدين بركة خان وكشلوخان ، وصاروخان . وساروا فرقتين الأولى توغلت في بقاع بعلبك والثانية نزلت غوطة دمشق ، وقامت بنهب الضواحي واحتشدت لدخول المدينة . لكن الصالح اسماعيل سد أبواب دمشق ، ورحل الخوارزمية الى غزة^(٤) .

.....

(١). مرآة الزمان : ٨ / ٤٨٠ .

(٢) الهذباني : هو ابو علي محمد بن ابي علي بن باشاك ، الامير حسام الدين الهذباني (المملوك ١ / ٣١٤)

(٣) الخوارزمية : جند ينتسبون الى محمد بن خوارزم تكش بن الب ارسلان توفي سنة ٦٢٨ هـ .

(٤) مرآة الزمان : ٨ / ٤٩١ السلوك : ج ١ ق ٢ ص ٣١٦ .

أما فرقة الخوارزمية التي تقدمت باتجاه بعلبك فقد استولت على البلاد باستثناء المدينة والقلعة . واستبقى الخوارزمية على الضواحي احد أعيانهم مع ثلة من جنودهم ، فكان يتنقل من مكان إلى آخر يفرض الضرائب ، ويصادر الغلال ، وعاث جنوده في القرى خراباً وأذى ، ولم يجرؤ على مطاردتهم متولي القلعة والمدينة مملوك الصالح اسماعيل سيف الدين المعروف بأبي الشامات (الشاماتي) .

وتضجر الوالي من فساد الوضع . وقال لأحد أعيان بعلبك علي بن قرقين (توفي سنة ٦٩٢ هـ) « هذا غبن عظيم أن يستولي رجل واحد من الخوارزمية ، ونحن كالمحصورين » فضمن علي بن قرقين مطاردتهم ، وفأوض أحد شجعان بعلبك ، نور الدولة علي بن عمر بن نبأ اليونيني (٦١٠ - ٦٧٠ هـ) الذي كان يصارع الدبة والوحوش . طلب ابن نبأ عشرة جنود ، وتبرّع باحضار قائد الخوارزمية أسيراً . امده أبو الشامات بعشرين رجلاً وانتشروا الى (تل بسقي)^(١) ومنه الى حصن اللبوة ، وفيه وال للصالح اسماعيل لا يتعدى امره باب الحصن ، استطلعوا أخبار الخوارزمي ، وعرفوا أنه في قرية نبها^(٢) . سار اليه ابن نبأ بصحبة عشرة رجال ، ورابط يراقب تحركات الخوارزمية وفي الثلث الاخير من الليل ، صعد ابن نبأ الى عليّة) كان ينام فيها الخوارزمي ، فالقى القبض عليه واقتاده أسيراً الى قلعة بعلبك مع رجاله ، وانقذ البلاد من عبث الغرباء^(٣) .

.....

(١) تل (بين رسم الحدث وشعث) .

(٢) نبها من قرى قضاء بعلبك .

(٣) ذيل مرآة الزمان : ٢ / ٤٨٤ - ٤٨٦) .

وثبت الصالح اسماعيل في دمشق حتى سنة ٦٤٣ هـ . عندما أرسل الصالح أيوب مقدّم جيوشه معين الدين ابن شيخ الشيوخ . لمحاصرة الصالح اسماعيل في دمشق . ونجح معين الدين في تشديد الحصار ، ورمي المدينة بالمجانيق ، وأحرق الضواحي . . وفي شهر ربيع الأول خرج المنصور صاحب حمص من دمشق ، وأجرى مفاوضات مع بركة خان مقدّم الخوارزمية . على اثرها تم الاتصال بين أمين الدولة السامري وزير الصالح اسماعيل ، ومعين الدين ابن شيخ الشيوخ ، مقدم جيش أيوب الذي أرسل الى أمين الدولة « بقميص وفرجية وعمامة ومنديل »^(١) فلبس ذلك وخرج ليلاً ، لأيام خلت من جمادى الأولى ، فتحدثا ، ورجع الى المدينة . ثم خرج مرة ثانية ، لتقرير الصلح . وتم الاتفاق على تسليم دمشق لمعين الدين ، مقابل خروج الملك الصالح اسماعيل وحلفائه وأصحابه بأموالهم ، ويعوض اسماعيل بعبك وبصري والسواد^(٢) ، وفي ٧ جمادى الأولى خرج الصالح اسماعيل ونقل ثقله وأهله الى بعلبك . لكن الصالح ايوب لما بلغه الاتفاق انكره ورفض تقرير بعلبك على عمه ، وامر باحتجاز أمين الدولة السامري . . . لأنه في مدة وزارته جمع أموالاً كثيرة ، وحصل لصاحبه الملك الصالح اسماعيل اموالا عظيمة من اهل دمشق ، وصادر أملاكهم ، باتفاق مع قاضي القضاة رفيع الدين الجيلي . ولما بلغ نائب السلطنة بدمشق الأمير معين الدين بن شيخ الشيوخ والوزير جمال الدين بن مطروح ، وأكابر

.....

(١) السلوك : ج ١ ق ٢ / ٣٢١ .

(٢) السلوك : ج ١ ق ٢ / ٣٢١ ، تاريخ ابي افداء : ٣ / ١٧٤ .

الدولة ، ما وصل الى أمين الدولة من الأموال ، عزموا على مصادرتها . وعمدوا الى الخيلة فاستحضروه وعظموه ، ولما استقر في المجلس قالوا له : ان اردت أن تقيم بدمشق فابق كما أنت ، وان أردت أن تتوجه الى صاحبك ببلبك فافعل . فقال لا والله أروح الى مخدومي وأكون عنده . ثم انه خرج ، وجمع أمواله وذخائره وحواصله وجميع ما يملكه حتى الاثاث وحصر دوره ، وجمع الجميع على عدة بغال ، وتوجه قاصداً إلى بلبك . ولما صار ظاهر دمشق قبض عليه ، وأخذ جميع ما كان معه ، واحتيط على املاكه واعتقل^(١) يوم الجمعة ثاني شهر رجب سنة ٦٤٣ هـ . وأرسل الى مصر وسجن في قلعة القاهرة .

ما ان استقر الصالح اسماعيل في بلبك ، حتى وفدت اليه الخوارزمية وقد انقلبت على الصالح أيوب - وحرضته على غزو دمشق من جديد^(٢) ، فلاقت دعواهم هوى في نفسه ، فقصدها بجيش بلبك تسانده الخوارزمية . وجرت معركة على أسوار دمشق انهزم فيها الصالح اسماعيل وفرَّ الى حلب ، وأبقى أولاده في بلبك فقصدهم حسام الدين الهذباني سنة ٦٤٤ هـ . ونازل القلعة وضايقها وكان عليها الملك منصور شهاب الدين محمود بن الصالح اسماعيل وإخوته ومملوكهم الشاماتي ، فشدد الهذباني الحصار ، فسلم الشاماتي القلعة الى حسام الدين بالامان ، فرتب أمورها وعين عليها الأمير سعد الدين الحميدي ، وقفل الى دمشق ومعه أولاد الملك الصالح اسماعيل والاستادار ناصر

.....

١ - طبقات الاطباء : ٧٢٤ السلوك ج ١ ق ٢ / ٣٢١ .

٢ - النجوم الزاهرة : ٦ / ٣٢٥ .

الدين بن يغمور فسجنوا في مصر ، وزينت القاهرة ودقت البشائر بها لفتح بعلبك^(١) .

وكان أخذ بعلبك عند السلطان أحسن موقعاً من أخذه لدمشق حنقاً منه على عمه الصالح اسماعيل^(٢) .

« قال الأمير حسام الدين الهذباني لما كنت في الجب بقلعة بعلبك لا افرق بين الليل والنهار ، حدثني نفسي يوماً وأنا في تلك الحال التي تشعر باليأس من الحياة بالكلية ، انني أخرج من الحبس وأرجع الى منزلتي التي كانت لي عند الملك الصالح نجم الدين ، وأنه يسيرني الى بعلبك ، وأفتحها ، وأحتاط على أولاد الملك الصالح اسماعيل وأحملهم بين يدي الى دمشق . فقلت لنفسي : هذا من الاماني الكاذبة التي تبعد في العقل ان تكون ، فما كان إلا مدة يسيرة وحصل لي ما تمنيته عياناً . . . »^(٣) .

بعد فتوح دمشق وبعلبك ، حمل حسام الدين أسراه إلى مصر بطلب من الملك الصالح أيوب ، الذي أرسل جمال الدين بن مطروح نائباً لبلاد الشام . ولما بلغ حسام الدين مصر ، استنابه أيوب بها وتوجه الى دمشق فدخلها يوم الخميس في التاسع والعشرين من ذي القعدة فأحسن إلى أهلها ، وتصدق على المدارس والربط بأربعين الف درهم .

.....

١ - تاريخ ابي الفداء : ٣ / ١٧٥ ، ابن الوردي تنمة المختصر : ٢ / ٢٥٨ ، النجوم الزاهرة : ٦ / ٣٢٦ .

٢ - السلوك : ج ١ ق ٢ / ٣٢١ .

٣ - ذيل مرآة الزمان : ٢ / ٨١ .

وبعد خمسة عشر يوماً مضى الى بعلبك فتصدق على مدارسها وربطها
بعشرين ألفاً^(١) .

وامر عليها سعد الدين الحميدي . وبعد هذه الجولة قفل الى مصر
رابطاً مصير بعلبك بالقاهرة لا بدمشق . وما اعتم هذا الارتباط ان
انقطع إثر وفاة الصالح أيوب سنة ٦٤٧ هـ . اذ ملك ابنه توران شاه
مدة شهرين . وفي مطلع سنة ٦٤٨ هـ أي يوم الاربعاء الثالث من
المحرم كسر المعظم توران شاه الفرنج على ثغر دمياط وقتل منهم قرابة
ثلاثين ألفاً . وكان نصارى بعلبك قد فرحوا يوم أخذ الفرنج دمياط ،
فلما كانت هذه الهزيمة سوّد نصارى بعلبك وجوه الصور في كنائسهم
فأرسل نائب البلد فجناهم وأمر اليهود فصفعوه^(٢) . وفي آخر الشهر
نفسه قتل المماليك البحرية ابن استاذهم ، فملك شجر الدر^(٣) . ولما
علم أمراء دمشق القيمرية ، رفضوا حكم المرأة ، وخلعوا طاعتها
وكتبوا صاحب حلب الناصر يوسف بن محمد بن غازي بن صلاح
الدين ، وسلموه دمشق^(٤) وعصت عليه بعلبك مدة ، بقيادة سعد
الدين الحميدي ولم تستسلم الا عندما قصدها قائد جيش الناصر ،
الامير شرف الدين عيسى بن أبي القاسم . لأن نائبها الحميدي فرض
شروطاً للتسليم واحتج بقوله « في عنقي يمين للملك الأوحدين الملك
المعظم ، ولا يمكنني التسليم ، ان لم يعوضوه عنها » فعوضه الناصر قرى

.....

- ١ - مرآة الزمان : ٥٠٦ / ٨ ، السلوك : ج ١ ق ٢ / ٣٢٦ .
- ٢ - ابن كثير : البداية والنهاية : ١٣ / ١٧٨ .
- ٣ - نفسه : ١٣ / ١٧٨ .
- ٤ - قتل الناصر سنة ٦٥٨ هـ ، (شذارات الذهب ٥ / ٢٩٩) .

من الاعمال الجزرية . وتسلم بعلبك في جمادى الآخرة من سنة ٦٤٨ هـ^(١) ، وعين نائباً عليها بدر الدين يوسف الخوارزمي ، وما لبث الناصر أن غضب على الخورزمي وسجنه ، واستبد له بالأمير ناصر الدين محمد بن البتيني ، وعين على القلعة شجاع الدين ابراهيم .

وفي سنة ٦٥٣ هـ ، غزت جماعة من عشرين بعلبك والبقاع ، بقيادة ابن ودود وابن حاتم البعلبكي ، ساحل بيروت فقابلهم امير الغرب ابن بحتر^(٢) في عيتات وردهم^(٣) ، وعادوا يحملون بعض الغنائم .

الغزو التتاري :

اقتصرت كتب التاريخ على عبارات مقتضبة في وصف الغزو المغولي لبعلبك ، قال ابو الفداء «ثم توجهوا الى بعلبك ، ونازلوا قلعتها . فتسلموها قبل تسليم عجلون ، وخربوا قلعتها أيضاً»^(٤) وهذا الاقتضاب قابله اهمال مطلق لدى ابن تغري بردي . فلم يذكر دخول التتار الى بعلبك . وقفز في حديثه عنهم من اجتياحهم حلب الى دمشق فغزة فالخليل^(٥) . وفي السلوك «وساروا الى بعلبك فخربوا قلعتها»^(٦) وقيض لبعلبك في هذه الحقبة أحد ابنائها ، شهد نزول التتار

.....

- ١ - مرآة الزمان : ٨ / ٥١٨ .
- ٢ - امير الغرب هو زين الدين صالح بن علي بن بحتر (تاريخ بيروت ٥٨) .
- ٣ - تاريخ بيروت : ٥٩ .
- ٤ - المختصر : ٣ / ٢٠٣ و ٢٠٤ .
- ٥ - النجوم الزاهرة : ٧ (٧٦ - ٧٧) .
- ٦ - المقرئزي : السلوك : ج ١ ق ٢ / ٤٢٦ .

عليها ، فأرخ الأحداث مبيناً عملية الاستيلاء ، ومراحلها . لأن هولاكو كان يتهيب قلعتها الحصينة ، لذلك اختار الصلح وقد شهد القطب موسى اليونيني البعلبكي ، المساجلات بين وفود التتار والمسؤولين البعلبكيين ، وأبطلت روايته ما أورده المؤرخون من أن بعلبك لقيت من القتل والتهب ما أصاب غيرها . وآثرت ان أثبت مادونه اليونيني في كتابه ذيل مرآة الزمان ، مؤرخاً هذه الواقعة في سنة ٦٥٨ هـ . لما فتح التتر مدينة حلب كان بمرافقتهم تقي الدين الحديشي الحشائشي البعلبكي من قرية حديثا البقاع ، وكان قد تربى ونشأ في بعلبك ، وأخذ العلوم من مشايخها ، ثم رحل الى مصر وكان عارفاً بخواص الحشائش ومنافعها ، لقي حظوة عند الملك المعز أيبك التركماني^(١) . وأقطعه اقطاعات جيدة . عاد الى دمشق والتحق بالملك الناصر . لكن هولاكو طلب تقي الدين الحديشي من الملك الناصر ، فسيّره اليه ولازمه في حاشيته . وبعد فتح حلب أراد الحديشي . . . أن يقدم خدمة لبلدته بعلبك فسأل هولاكو أماناً إلى أهل بعلبك فمنحه الامان ، وسير معه شحنة من التتر . وصل الى بعلبك ، واجتمع بأهلها وكلهم معارفه ، ودعاهم الى المسالمة حفاظاً على ارواحهم ، وممتلكاتهم ، وكان السكان قد تحصنوا في القلعة بأموالهم ، وحريمهم مصممين العصيان^(٢) .

« وكان نائب السلطنة بالاعمال البعلبكية الأمير ناصر الدين محمد بن البتيني فعندما بلغ اهل البلد منازل التتر لحلب سألوه المقام

١ - عز الدين أيبك التركماني أحد المماليك البحرية ، اختارته المماليك البحرية . ونصبته على مصر بعد مقتل توران شاه الايوبي في مطلع سنة ٦٤٨ هـ . وذلك بتدبير شجر الدر التي تزوجت من عز الدين ايبك (البداية والنهاية (١٣ / ١٧٨)

٢ - ذيل مرآة الزمان : ٤٤ / ١ .

عندهم والذب عنهم ، وتدير أمورهم ، فأجابهم ، وأصعد الى القلعة شيئاً كثيراً فلما بلغه أخذ حلب ، وتوجه الملك الناصر من دمشق رجع عن الصعود الى القلعة ، وسافر الى جهة بانياس والصبيبة ، وكانت تحت نظره وولايته ، وسافر معه جماعة من أهل بعلبك . فلما اتفق بعد ذلك قدوم التقي الحديثي تحللت العزائم ، وجنحت الى قبول الامان . فقال لهم : ينزل معي جماعة من أعيان البلد الى دمشق لأحضرهم عند نواب الملك وأعرفهم بدخولهم في الطاعة . فتوجه صحبته جماعة من الاعيان قريب خمسة عشر نفرا فلما وصلوا دمشق ، أنزلوا في مدرسة الأمير ناصر الدين القيمري ورتب لهم راتب متوفر من الطعام ، والحلواء والفاكهة ، وغير ذلك ، وأحسن اليهم غاية الاحسان ، وخلع عليهم خلع سنية . وهذا لم يجز لغيرهم مع التتر . فرجعوا الى بعلبك صحبة التقي عل أن يسلموا القلعة وينزل الناس الى بيوتهم ، فاتفق يوم وصولهم الى بعلبك وصول بدر الدين يوسف الخوارزمي الى بعلبك من عند هولاكو ، ومعه (فرمان) بولاية بعلبك وأعمالها ، وكان هذا بدر الدين - رحمه الله - قد ولي مدينة بعلبك في الأيام الناصرية ، ورفق بأهلها ، وعاملهم اجمل معاملة ، وصادق كثيراً منهم ، وعاشرهم . ثم عزل ، وولي ولايات آخر . ثم عزل عنها واعتقل بدمشق وانقضت الدولة الناصرية وهو بالاعتقال فخرج من الحبس ، وقصد هولاكو وكان عنده شهامة ، وترسل ، ومعرفة بسائر اللسن ، وهو مقبول الصورة ، وله معرفة بابن (كشلوخان)^(١) وكان ابن كشلوخان مع التتر وله صورة عندهم . فلما حضر بدر الدين عند هولاكو ذكر معرفته

١ - كشلوخان أحد مقدمي الخوارزمية (السلوك : ١ / ٣١٦ .

ببعلبك وأهلها وتكفل بتسهيل ما تعثر منها . وكان لبعلبك عند التتر صورة كبيرة لحصانة قلعتها، ونخوة رجالها . فكتب له فرمانا بولايتها ، واتفق وصوله على ما تقدم ، فتحلل لقدمه معظم العزائم ، ودخل البلد وامر ونهى ، وأنس به الناس لقديم المعرفة ، وتمسك بالعصيان شجاع الدين ابراهيم والى القلعة، ومن عنده من المستخدمين وقريب نصف أهل البلد وكان شجاع الدين قد كتب الى الملك الناصر يعرفه صورة الحال ، واستأذنه فيما يفعل وسير الكتاب مع شخص يعرف بالمقريء ابراهيم . فوجده ببركة زيزاء فاعطاه المطالعة فقرأها ، وقال داروا عن انفسكم وكتب الجواب بمثل ذلك^(١) حكى لي المقريء ابراهيم المذكور قال : لما قرأ المطالعة ، وامر كتب الجواب حصل له في خلال ذلك رعاف يسير ، فمسح أنفه ، بمنديل كان في يده ورماه وطلب غيره فلم يكن عنده غيره فغسل بيده موضع الدم منه وحمله ، قال : ولم أجد معه إلا نفراً يسيراً جداً .

إن في ذلك لعبرة ، وأما أهل القلعة فتمسكوا بالعصيان وانتظار ما يرد به جواب الملك الناصر . فعاد كتبغانوين^(٢) بالعساكر وكان عند

١ - بركة زيزاء : من قرى البلقاء . يطؤها الحاج ، ويقام بها سوق ، وفيها بركة عظيمة . (معجم البلدان : ٣ / ١٦٣) .

٢ - كتبغانوين مقدم عساكر التتر ، والنوين عندهم مقدم عشرة آلاف فارس . قال القطب موسى البيهقي « رأيت لما حضر الى بعلبك لحصار قلعتها ، وقد دخل جامع المدينة (الجامع الكبير) وصعد منارتها ليشرف منها على القلعة ثم نزل ، وخرج من الباب الغربي الذي في صحن الجامع ، ودخل حانوتاً خراباً ففضى حاجته به والناس يشاهدونه وعورته مكشوفة ومعه بعض التتر فلما فرغ مسحه ذلك الشخص بقطن كان معه ، مسحة واحدة وركب وكانت لحيته شعرات يسيرة في حنكه وهي مصفورة دبوقة لطولها ، وربما جعل طرفها في حلقة في أذنه وربما ارسلها على صدره =

توجهه الى دمشق اجتاز بيبعلبك ولم يتعرض لقتالها. فلما عاد بعد أخذ قلعة دمشق أحضر معه بدر الدين محمد بن فريجار^(١). وجمال الدين بن الصيرفي^(٢) ليتحدثا مع أهل القلعة ، فتحدثوا فلم يفد، وحضر إبراهيم بجواب الملك الناصر ، فحلل ما بقي من العزائم غير ان الوثوق بأمان التتر غير محقق ، فلما رأى كتبغا إصرارهم نازل القلعة ، ونصب عليها عدة مجانيق في يوم الأحد ، وجميعها تضرب في برج واحد لعله من أحصن الأبراج بحيث فتحت فيه المجانيق طاقة كبيرة كالباب الكبير ، فأدعن اهل القلعة بتسليمها وطلبوا الامان ، فأمنهم كتبغا على أنفسهم ، وأن يخرج كل إنسان بما يستطيع ان يحمله من ماله فخرجوا على هذه الصورة بعد عصيان يوم واحد ، ووفى لهم بذلك ، ولم يرق لأحد محجمة دم . ثم بعد خروج الناس من القلعة دخلها كتبغا فرآها وصعد قلعتها ونهبها التتر ، وأخذوا ما وجدوا فيها ، ورحلوا ، وقد بقي فيها من القمح والشعير ، والحبوب ، والدبس ، واللبن ، وغير ذلك من الطعومات شيء كثير ، فتلطف بدر الدين يوسف الخوارزمي وأحسن السياسة فيه ، بحيث شاور كتبغا وتلطف به حتى أجاب الى أن يقرر عن هذا الطعام درهم معلوم ، فقرر على ذلك قريب خمسين ألف درهم بحيث ناب غرارة القمح عشرين درهما وغرارة الشعير عشرة

= فتبلغ سرته . وكان مهيباً مطاعاً في جنده لا يجسرون على مخالفته . (ذيل مرآة الزمان : ٣٤ / ٢) .

١ - احد امراء الملك الناصر . وكان متولي قلعة دمشق وورد اسمه في السلوك الامير بدر الدين محمد بن قرجاه (السلوك ١ / ٤٢٦) وفي البداية والنهاية بدر الدين بن قراجا : ٣١٩ / ١٣ .

٢ - احد امراء الملك الناصر ونائب قلعة دمشق . (البداية والنهاية : ٢١٩ / ١٣) .

دراهم . وقنطار الدبس الشديد عشرين وقنطار الملبن ثلاثون درهماً .
فحصل للناس بذلك رفق كثير . ثم إن كتبنا أمر باعتقال شجاع
الدين ابراهيم والي القلعة ببلبك وديوانها فاعتقلوا خلا شاهد القلعة ،
فانه كان خرج منها قبل حصرها ، وطلع إلى جبل الكسروانيين ،
فاعتقلوا ثم استدعوا الى (مرج برغوٲ)^(١) وضربت رقابهم ، وضربت
رقبة الشجاع وصهره معه . وكذلك ضربت هناك رقبة بدر الدين محمد
بن فريجار ، وابن الصيرفي نقيب قلعة دمشق ، وجرى بالطف الله تعالى
بأهل بعلبك ما لم يكن في الحساب فله الحمد على ذلك وفي غرة شعبان
حضر الملك الأشرف موسى ابن صاحب حمص الى بعلبك ، وقد استقر
نائب هولاءكو في الشام ، وسلم اليه حمص والرحبة وتدمر ، وتل باشر
بقلاعها ، فأقام بظاهر بعلبك يومين وتوجه الى دمشق»^(٢) وأقر هولاءكو
بدر الدين يوسف الخوارزمي والياً على بعلبك ، وعلى قضائها صدر
الدين احمد بن يحيى بن هبة الله بن سني الدولة التغلبي الدمشقي
الشافعي^(٣) وما ان وصل الى بعلبك حتى توفي فيها ودفن قرب الشيخ
عبد الله اليونيني^(٤) .

.....

١ - مرج برغوٲ : مرج يقع على الطريق بين دمشق وجسر يعقوب (السلوك ١ / ٥٨٥) .

٢ - ذيل مرآة الزمان : ١ (٣٥٣ - ٣٥٦) .

٣ - تولى صدر الدين قضاء دمشق ، ولما أرسل الى بعلبك ، استقل محي الدين بن الزكي بقضاء دمشق (السلوك : ج ١ ق ٢ / ٤٧٩) .

٤ - البداية والنهاية ١٣ / ٢٢٤ .

نستفيد من نص اليوناني المعلومات التالية .

١ - كان هولاكو يتهيب حصون قلعة بعلبك ، لذا مرّ كتبها بجوارها - في طريقه الى دمشق - ولم يحصرها الا بعد احتلال دمشق .

٢ - المفاوضات تمت على مرحلتين :

أ - قاد المرحلة الأولى الطبيب البعلبكي تقي الدين الحديثي .

ب - وقاد المرحلة الثانية : بدر الدين يوسف الخوارزمي ، الذي حمل مرسوماً بولاية المدينة من هولاكو .

٣ - فرار نائب السلطنة في الاعمال البعلبكية ناصر الدين محمد بن البتيني .

٤ - إن عامل بعلبك كانت تمتد صلاحياته احياناً الى بانياس والصبيبة .

٥ - مقاومة نائب القلعة شجاع الدين ابراهيم .

٦ - نجاة سكان بعلبك من أذى المغول « ولم يرق لاحد منهم محجمة دم » .

٧ - كثرة المؤن والارزاق في المدينة وخصوصاً : القمح والشعير والدبس والملبن .

٨ - صفات كتبغا نوين ، واستقباله في الجامع الكبير قرب القلعة ...

بعلبك مع المماليك .

أنهى المغول دولة الأيوبيين ، وقد سئم الناس مشاحنات الأيوبيين
الاشقاء وأبناء الاسرة الواحدة . وارتضى العرب حكم المماليك ، لا
فرق عندهم بين الأكراد أو المغول أو المماليك الأتراك وكأن العنصر
العربي قد تلاشى وفقد قدرته على الحكم ، أو شاخ وردّ الى « أرذل
العمر » .

إن إبادة العنصر العربي تمّت على أيدي الأمويين والعباسيين الذين
قتلوا رجالات العرب وأشرفهم ليخمدوا صوت الحق الذي كان يرتفع
ضد مظالمهم وخوفاً على ملكهم الموروث أن لا يورث ، فالحجاج بن
يوسف وحده قتل في السجون أكثر من مائة ألف رجل من احرار
العرب، وشجعانهم ، ولذلك قال عمر بن عبد العزيز لو أتت كل أمة بخبيثها
وأتيننا بالحجاج لغلبناهم . ان قتل الحجاج لو ساروا للفتوحات
لاخضعوا العالم القديم فطارق بن زياد عبر البحر بعشرة آلاف جندي
واحتل بهم الاندلس ، ووصلت غاراته الى شمال فرنسا . واعتقد ان
تاريخ العالم يحتاج الى كتابة من جديد لكشف الدس والتزوير وإضفاء
ثوب البطولة على جماعات سيّرها القدر وخلع عليها رداء البطولة زورا .

إندحر المغول امام جيوش الملك المظفر قطز والامير ركن الدين
بيبرس البندقداري في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٥٨

هـ^(١) في موقعة عين جالوت . وبعد الظفر آبت الجيوش المصرية الى بلادها وعلى رأسها الملك قطز يرافقه قائده بيبرس الذي طمع بالحكم فغدر بسيده وقتله خدعة واعلن نفسه ملكاً^(٢) . ودخلت سنة ٦٥٩ هـ وعلى دمشق وبعلبك وبانياس والصبيبة الأمير علم الدين سنجر الحلبي^(٣) الذي اهتبل فرصة مقتل قطز فدعا لنفسه وتلقب بالملك المجاهد واستقل ببلاد الشام^(٤) . استاء الظاهر بيبرس من فعلة الحلبي ، وأرسل أستاذه علاء الدين البندقدار على رأس جيش لاختضاع دمشق ، فدارت معركة على أطرافها في صفر سنة ٦٥٩ هـ . انهزم فيها سنجر الحلبي ، وفرَّ الى بعلبك ، يرافقه عشرون نفرًا من مماليكه . فتبعه العسكر المصري بقيادة بدر الدين محمد بن رحال ، والأمير التركماني ، فدخلوا بعلبك ونزلا المدرسة النورية « وكان الأمير علم الدين الحلبي عندما وصل حشد في القلعة طائفة كبيرة من أهل (نحلة) مقدمهم علي بن عبود^(٥) . فسير اليهم بدر الدين بن رحال بالمال وأفسدهم فتدلوا من القلعة ليلا ونزلوا . وترددت المراسلات بين الحلبي والبندقدار ، وتم الاتفاق على نزوله وتوجهه الى خدمة الملك الظاهر حسبما يختار . فخرج

.....

١ - تاريخ ابي الفداء : ٣ / ٢٠٥ ، اليونيني ذيل مرآة الزمان : ٢ / ٦٥ . النجوم :

٧ / ٧٩ .

٢ - تاريخ ابي الفداء : ٣ / ٢٠٧ ، النجوم الزاهرة : ٧ / ٨٤ .

٣ - اليونيني ٢ / ٨٧ .

٤ - تاريخ ابي الفداء : ٣ / ٢٠٨ ، النجوم الزاهرة : ٧ / ٨٤ ، ابن طولون : اعلام

الورى : ٥

٥ - اليونيني : ذيل مرآة الزمان : ٢ : (٩١ - ٩٢) .

من القلعة راکباً حصانه وفي وسطه عدته ، وفي قربانه قوسان . . وتسلم البندقدار بعلبك سنة ٦٥٩ هـ» (١) .

وأمر الملك الظاهر بعمارة بعلبك وقلعتها وتشيد أسوارها ، « وشحنها بما لم تسمح به نفس احد » وأمر ببناء مسجد رأس العين الذي انتهى بعد وفاة بيبرس بأشهر لأن وفاته كانت في ٢٧ محرم سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م أي في الشهر الأول من السنة المذكورة في حين تدل الكتابة الموجودة في المسجد انه كمل في شهور سنة ست وسبعين وستمائة وقد تولى الاشراف على بنائه بلبان الرومي الدوادار الظاهري .

أوكل بيبرس أمر بعلبك إلى عز الدين أيبك الاسكندري الصالحى . وبعد وفاته تولاها كمال الدين ابراهيم بن شيث . وفي سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م تولاها نجم الدين حسن .

بعد بيبرس خلفه ابنه الملك السعيد بركة بن بيبرس ، استقر في الملك في اوائل ربيع الأول سنة ٦٧٦ هـ . وفي عهده كان على بعلبك نجم الدين حسن بن محمد الظاهري . نستدل على ذلك من كتابة عربية موجودة الى اليوم تحت الحجر الاسود في بركة رأس العين ، وفيها « بسم الله الرحمن الرحيم ، جدد هذا الع . . . مولانا الملك السعيد ناصر الدنيا والدين بركت . . . قسيم أمير المؤمنين خلّد الله سلطانه وأعز الله تعالى أنصاره . بن الظاهر بيبرس قدّس الله روحه ، بإشارة العبد الفقير حسن بن محمد الظاهري متولي قلعة بعلبك المحروسة رسماً

١ - ورد اسمه خطأ وعبارة مبهمة في النجوم الزاهرة : « من أهل محلة مقدمهم على بن عبور) النجوم (٧ / ١٠٨) .

يومئذ . . . وذلك بتاريخ مستهل ذي الحجة عام سبع وسبعين
وستمائة»^(١) .

وفي العهد المملوكي قويت شوكة عشرين بعلبك واكثروا من
غاراتهم على الساحل ففي سنة ٦٧٧ هـ . انطلقوا الى الغرب فسرقوا ونهبوا وعادوا
غانمين^(٢) . وما لبث الأمراء المماليك أن خلعوا السعيد . . . واستبدلوه بأخيه بدر
الدين سلامش بن بيبرس سنة ٦٧٨^(٣)
لكن أتائبك العسكر الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي (٦٧٨ - ٦٨٩) .
خلع الصبي سلامش ، وجلس في الملك يوم الأحد الثاني والعشرين من
رجب سنة ٦٧٨ هـ^(٤) . وظلت بلاد الشام خارجة عن سلطته . اذ
رفض عامل دمشق سنقر الاشقر سلطنة قلاوون . وحشد عسكر دمشق
وبعلبك وحماه ، وخاض معركة عنيفة ضد سنجر الحلبي مقدّم جيش
مصر . بيد أن انحراف حلفائه عنه أدى إلى هزيمته . وخضعت دمشق
وبعلبك الى سلطان مصر قلاوون في صفر سنة ٦٧٩ هـ^(٥) .

اعتنى قلاوون بشؤون بعلبك فأمر بتحسين القلعة ، ورّمم البرج
العالي من الهيكل الصغير في رجب سنة ٦٨١ هـ ، وجدّد بناء الجامع
الحنبلي في جمادى الأولى سنة ٦٨٢ هـ ، وأصلح جدران ونوافذ المسجد
الكبير سنة ٦٨٢ هـ . كلها تمت بإشراف نجم الدين حسن بن محمد
الظاهري ، الذي ولي بعلبك منذ أيام الظاهر بيبرس ، وإن اختفت

.....

١ - الوف : ١٦٤ .

٢ - تاريخ بيروت : ٦٧ .

٣ - المختصر في تاريخ البشر : ١١ / ٤ .

٤ - المختصر : ١٢ / ٤ ، النجوم الزاهرة : ٢٨٦ / ٧ .

٥ - النجوم الزاهرة : ٢٩٦ / ٧ ، ابن عبد الظاهر : سيرة قلاوون : ٦٥ .

كلمة (الظاهري) في النقوش منذ أيام قلاوون لكنها عادت للظهور في أيام السعيد بن بيارس .

وكانت بعلبك تقدم المساعدات لجيش السلطان، ففي صفر سنة ٦٨٦ هـ سير الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطة بالشام ثلاثمائة فارس من دمشق وثلاثمائة من رجالة بعلبك ، الى حصن برزويه^(١) وتسلموه في ١١ صفر يوم الخميس^(٢) .

وبعد وفاة بيارس تسلطن الأشرف خليل^(٣) (٦٨٩ - ٦٩٣ هـ) وخلد ذكره على باب قلعة بعلبك في الزاوية الجنوبية الغربية « بسم الله الرحمن الرحيم . عزّ لمولانا السلطان الأعظم شاه ، شاه المعظم مالك رقاب الأمم سيّد ملوك العرب والعجم ، الملك الاشرف صلاح الدنيا والدين رافع لواء الايمان ، قانع عبدة الصليبان ، فاتح الثغور الساحلية محمي الدولة العباسية ، أبو الفتح خليل بن السلطان الملك المنصور ، أعز الله نصره وذلك في نصف شعبان سنة تسعين وستماية » .

وهناك كتابة من أيام الناصر محمد بن قلاوون^(٤) (٦٩٣ - ٧٤١ هـ) (١٢٩٣ - ١٣٤٠) تفيد أنه أمر بعمارة سور القلعة « عمرّ هذا الصور المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر عزّ نصره ، في نيابة المقر

.....

١ - حصن برزويه يقع على رأس جبل شاهق قرب اللاذقية .

٢ - مسيرة الملك قلاوون ، ١٤٩ .

٣ - المختصر : ٢٤ / ٤ .

٤ - الملك الناصر محمد بن قلاوون من سلاطين المماليك البحرية تولى السلطنة ثلاث

مرات : (٦٩٣ - ٦٩٤ هـ) (٦٩٨ - ٧٠٨ هـ) (٧٠٩ - ٧٤١ هـ) (١٣٠٩ -

١٣٤٠) .



كتابه في الجامع الكبير من عهد قلاوون (١٢٨٣ - ١٢٨٤)

الناصرى برلاقوش سنة اربع وتسعين وستمائة » وتفيدنا هذه الكتابة بأن نائب بعلبك سنة ٦٩٤ هـ هو برلاقوش الناصري . ولم أعثر على هذا الاسم في الكتب التي أرخت للحقبة المملوكية ، وربما كان هو قراقوش الناصري الذي ذكره صالح بن يحيى في حديثه عن حملة الكسروانية أيام الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٥ هـ . اذ توجه أقش الافرم نائب دمشق^(٥) ، ومعه الأمير بهاء الدين قراقوش المنصوري^(٢) ، وسيف الدين أسند مر نايب طرابلس^(٣) . وقد جرى تأديب الكسروانيين « فقطعت كرومهم ، وهدمت بيوتهم وقتل منهم خلق كثير »^(٣) . ثم عاد الافرم الى دمشق في شهر صفر سنة ٧٠٥ هـ . وأوكل النظر في بلاد بعلبك وجبال الكسروانيين الى بهاء الدين قراقوش الناصري ، الذي أجلى بقايا الكسروانيين من بلادهم . وقتل بعض أعوانهم . ثم أقطع بلاد الكسروانيين لعلاء الدين بن معبد البعلبكي^(٤) وعز الدين خطاب^(٥) . وسيف الدين بكتمر الحسامي^(٦) . ويظهر أن محمد بن

- ١ - من ممالك الناصر محمد بن قلاوون ولي نيابة دمشق من سنة ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ ، إلى قرب سنة ٧٠٩ هـ ١٣٠٩ م (الدرر الكامنة : ١ / ٣٩٦) .
- ٢ - المقرئ : السلوك : ١٢ / ٢ .
- ٣ - هو سيف الدين اسند مر الكرجي ولي نيابة طرابلس في سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م (الدرر الكامنة : ٣٨٧)

- ٣ - تاريخ بيروت : ٢٨ .
- ٤ - السلوك : ١٦ / ٢ .
- ٥ - هو عز الدين خطاب بن محمود العرافي المتوفي سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م . (الدرر الكامنة : ٨٥ / ٢) .
- ٦ - بكتمر الحسامي : كان حاجباً بدمشق ثم ولي نيابة الاسكندرية في سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م وتوفي سنة ٧٢٤ / ١٣٢٤ م . (الدرر الكامنة : ١ / ٤٨٧) .

قلاوون زار بعلبك أكثر من مرة إبان سلطنته ، زارها منهزماً وتحصن في قلعتها ، وزارها مواسياً لجراحها بعد خرابها بالسيل العظيم سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م .

تمت الزيارة الأولى سنة ٦٩٨ هـ عندما وصل محمد بن قلاوون إلى دمشق لمحاربة غازان خان ، وجرت المعركة بين الطرفين في سلمية ، وقتل من الفريقين مالا يحصى ، فانكسر عسكر السلطان وانهزم محمد بن قلاوون الى بعلبك وتحصن في قلعتها أياماً ينتظر مقاومة دمشق ، ولما استسلمت الاخيرة لغازان خان مسلماً ، غادر الناصر بعلبك ، متخفياً وعاد الى القاهرة في جمادى الأولى سنة ٦٩٨ هـ^(١) .

وفي سلطنة محمد بن قلاوون الثانية أعطى بعلبك أقبجا المنصوري شاد الدواوين بدمشق ولي غزّة سنة ٧٠١ هـ ومنها نقل إلى بعلبك وتوفي سنة ٧١٠ هـ^(٢) .

واتت الزيارة الثانية سنة ٧١٧ هـ . بعد أن ضرب السيل بعلبك وأتلف ثلثها هذا ما تكشفه كتابة وجدت على بوابة نحلة ونصها « بسم الله الرحمن الرحيم . جُدّد فتح هذا البرج المبارك في أيام مولانا السلطان الأعظم شاهنشاه المعظم مالك رقاب الأمم ، سيد ملوك العرب والعجم ، الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين أبي الفتح بن السلطان السعيد ، الملك المنصور قلاوون الصالحى خلد الله ، وأيامه ، »

١ - ابن أبياس : بدائع الزهور : ١ / ١٤٠ - ١٤١ .

٢ - أقبجا المنصوري شاد. الدواوين بدمشق ، ثم تنقل في النيابات ، ولي غزّة سنة ٧٠١ هـ نقلا من الاستادارية ثم نقل الى بعلبك ولاية بعلبك . (الدرر الكامنة ٣٩٣ / ١) .

ونشر في الخافقين أعلامه ، ونجز في تاريخ نهار الثلاثاء سابع ساعة ، سابع عشرين صفر سنة سبع عشرة وسبعمائة ، وهو اليوم الذي فيه حضر السلطان إلى هذا المكان»^(١) لا بد من ملاحظة على تاريخ حضور محمد بن قلاوون إلى بعلبك . الواقع ان يوم الثلاثاء ٢٧ صفر سنة ٧١٧ هـ الموافق ١٠ أيار سنة ١٣١٧ م هو يوم حدوث السيل الجارف الذي اجتاح المدينة من جهة الشرق واقتلع برج بوابة نحلة مع جزء من السور طوله أربعون ذراعاً^(٢) .

وأُتلف المنازل والخوانيت ، والمساجد ، والمدارس ، والحمامات ، والطواحين والبساتين^(٣) ، وقد دَوّنت تلك الحادثة بمحضر شرعي على يد بدر الدين بن معبد البعلبكي . ولا شك في أن حضور السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى بعلبك لتفقد أحوالها تم فيما بعد . لأن الاخبار لا تذكر وجوده في بعلبك يوم الحادثة . وأعتقد ان البنائين أثبتوا تاريخ الحادثة تحليداً لها .

وفي هذه الحقبة كانت بعلبك متولية (أرباب الايزاك) في بيروت فكانت أجناد حلقة بعلبك تتجرد الى بيروت أبدال كل بدل شهر . ومهمتهم حفظ الطرقات من السلاب^(٤) .

وفي اواخر أيام الناصر تولى بعلبك ينغجال (ينغجار) الناصري

- ١ - تاريخ بعلبك : ١٦٥ .
- ٢ - المختصر : ٨١ / ٤ ، الذهبي : دول الاسلام : ٢ / ٢٢٣ ، البداية والنهاية : ٨١ / ١٤ .
- ٣ - راجع أخبار السيل في فصل كوارث الطبيعة .
- ٤ - تاريخ بيروت : ٣٧ .

نائب القلعة بدمشق ، نقل منها الى الرحبة ، ثم الى نيابة بعلبك ومات بدمشق سنة ٧٤٨ هـ (١) .

في سنة ٧٤٥ هـ كان على ولاية الشام (طقز دمر) فلم يحترمه الناس لسوء تدبيره ، فكثر فساد العشير ، فانقطعت طرقات بعلبك وطرابلس ، ونهت نواحي بعلبك ، وامتدت الفتنة أكثر من شهر قتل خلالها خلق كثير ، ونحرت الاطفال على صدور الامهات (٢) .

عرفت بعلبك نقوشاً كثيرة تؤرخ للحقبة المملوكية التي أغفلها المؤرخون وتلقي أضواء على حركتها العمرانية ، وتكشف أسماء بعض نوابها . منها كتابة تفيد بأن بعلبك خضعت للسلطان المظفر سيف الدين (٧٤٧ - ٧٤٨ هـ) (١٣٤٦ - ١٣٤٧ م) . وهي تؤرخ تجديد سبيل الزغبرية سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ بأمر نائب السلطنة الشريفة ببعلبك (العبد الفقير الأميري الكبير المخدم الجمالي المظفرين) وفي عهده ارتفعت الاسعار بالشام لأن الجراد انتشر من بعلبك الى البلقاء سنة ٧٤٨ هـ وقضى على المزروعات ، فبيعت غرارة القمح بمائتين وخمسين درهماً (٣) .

لما تسلطن الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (٧٤٨ - ٧٥٢ هـ) (١٣٤٧ - ١٣٥٢) اعتنى بأسوار بعلبك وقلعتها فرمم جدار البهو المسدس بتولي العبد ناصر الدين « . وفي عهده ناب على بعلبك

.....

١ - الدرر الكامنة : ٤ / ٤٤٣ .

٢ - السلوك : ٢ / ٦٦٩ .

٣ - نفسه : ٢ / ٧٢٨ .

محمد بن لاقوش الجوكنداري ، وبنى في بعلبك مسجداً وخاناً وحماماً ، ومات في شوال سنة ٧٦٢ هـ^(١) .

وبما أن دمشق غدت نيابة تابعة لمصر فقدت بعلبك أهميتها الضاغطة على شؤون الملك . فالسلطان المملوكي المقيم في القاهرة ، بات يقرر من هناك مصير دمشق وبعلبك . وبذلك أهملت أخبار بعلبك ولم تسجل أحداثاً خطيرة في تاريخ الممالك مثلما فعلت من قبل عندما ارتقى بعض نوابها سدة الملك وحكموا بلاد الشام أيام البوريين والأيوبيين ، وغدت بعلبك ترتبط بجبل لبنان وسواحله أكثر مما ترتبط بدمشق . وتولى امرؤها من آل معبد على كسروان ، والروك في مقاطعة الغرب والاشراف على الايزاك في بيروت^(٢) .

من ولاية بعلبك في هذه الحقبة ناصر الدين ابن الاقوس ، ولي نيابة بعلبك في سنة ٧٥٤ هـ . وهنأه بالولاية ابن كثير^(٣) . ومنهم أحمد بن محمد بن شجرة المقدمي توفي سنة ٧٥٧ هـ . ولا نعلم تاريخ ولايته على بعلبك^(٤) ومنهم بكتاش المنكورسي المنصوري ، ولي شد الاوقاف بدمشق في سنة ٧٢٢ هـ . وكان مغرمًا باقتناء المصاحف الغالية الاثمان ، والكتب النفيسة ، ثم ولي نيابة بعلبك مراراً ، وولي امرة الحاج سنة ٧٥٤ هـ . ومات سنة ٧٥٧ هـ^(٥) .

.....

١ - الدرر الكامنة : ٢٨٠ / ٤ .

٢ - تاريخ بيروت : ٨٢ .

٣ - البداية والنهاية : ٢٤٨ / ١٤ .

٤ - الدرر الكامنة : ٢٦٧ / ١ .

٥ - الدرر الكامنة : ٤٨٢ / ١ .

وإبان سلطنة المنصور محمد بن حاجي بن محمد بن قلاوون سنة ٧٦٢ هـ / ١٣٦٢ م عصت دمشق وبعليك بزعامة بيدمر نائب الشام . فقدم من مصر يلغا الناصري الخاصكي ، وأعاد بلاد الشام إلى سلطة المنصور ، وأقام عليها أمير علي المارديني^(١) . وتولى بعليك يونس النوروزي^(٢) . ويبرز اسم نائب آخر هو « بهادر نائب بعليك الذي توفي في ربيع الأول سنة ٧٧٧ هـ^(٣) . وإبان سلطنة الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ) (١٣٦٤ - ١٣٧٧) . شكا أهل بعليك من مظالم نائبهم فاستبدله الأشرف ، وأرسل من مصر نائباً غيره . فقبل لهم انه شقيق النائب المخلوع ، وإنه أضمر لهم الشر والانتقام فغدوا في حيرة من أمرهم . فمات قبل أن يصل إلى بعليك وفُرج عنهم^(٤) . وأقام على بعليك كمشبغا المنجكي الذي تنقل بين بعليك وطرابلس ودمشق .

وما ان تسلطن الظاهر برقوق في سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٣ م حتى رفضه الأمير يلغا الناصري الخاصكي نائب حلب ، يسانده في عصيانه (منطاش) نائب حماة فأخضع معظم المدن الشامية ، باستثناء قلاع دمشق ، وبعليك ، والكرك ، التي بقي عمالها تابعين للظاهر

.....

- ١ - النجوم الزاهرة : ١١ / ٤ .
- ٢ - يونس النوروزي عتيق الامير جرجي الناصري ، تولى امرة طبلخاناه ثم ولي امرة بعليك قبل اتصاله بالظاهر برقوق ، قتل سنة ٧٧١ هـ في فتنة يلغا الناصري (الدرر الكامنة ٤ / ٤٨٩)
- ٣ - ابناء العمر : ١٢٤ .
- ٤ - ابناء العمر : ١٤٧ .

برقوق^(١) . ثم انضم الى العصيان سولي امير التركمان ، ونعير أمير العربان^(٢) . أما كمشبغا المنجكي نائب بعلبك فترث باديء الامر ، وأبى الانضواء تحت راية يلبغا الناصري ، وكاتب نائب دمشق بذلك وقررا الصمود ، وتقدمت قوات يلبغا الناصري وسيطرت على الموقف في بلاد سورية . فاعترف امراء دمشق بسلطة يلبغا ، وسارعت بعلبك ، ودخلت في طاعته أيضاً في ربيع الأول سنة ٧٩١ هـ^(٣) وقد تمكن الثائران من دخول مصر ، وخلع الظاهر برقوق وسجنه في قلعة الكرك ، وتنصيب الملك المنصور حاجي سنة ٧٩١ هـ / ١٣٩٠^(٤) ٧

.....

- ١ - النجوم الزاهرة : ١١ / ٢٦٢ .
- ٢ - السلوك : ٣ / ٥٩٥ .
- ٣ - في السلوك جعل دخول بعلبك في طاعة يلبغا الناصري قبل دخول دمشق بخمسة أيام ، (السلوك : ٣ / ٥٩٧) .
- ٤ - النجوم الزاهرة : ١١ / ٢٨٦ .

بعلبك وثورة منطاش^(١)

انقلب منطاش على حليفه يلبغا الناصري وسجنه في القاهرة ، وتفرد بشؤون الحكم ، وبذر اموال الدولة ، وكان «نهاباً وهاباً» . وصدف ان فر برقوق من سجنه في قلعة الكرك وتقابل مع منطاش في شقحب فانهزم منطاش ، وفر الى دمشق . ودخل برقوق القاهرة وأرسل الجوباني نائباً لدمشق والناصرى نائباً لحلب وأمرهما بقتال منطاش ، فحاصراه وأجبراه على الفرار الى بعلبك ، وقد تحالف مع نائبها كمشبغا المنجكي ، واتخذها مقراً عسكرياً لتحركاته فجمع بعض عساكر دمشق وطرابلس وبعلبك وهاجم بهم دمشق ، فنهب وقتل وعاد الى حصن

١- منطاش الاشرف نسبة الى الاشرف شعبان بن حسين ، كان اسمه قمربغا ، وتلقب بمنطاش . تولى نيابة ملطية سنة ٧٨٨ هـ للظاهر برقوق ، فجمع التركمان واعلن استقلاله . واستطاع يلبغا الناصري نائب حلب ان يطرد منطاش من ملطية . ولما أعلن يلبغا الناصري ثورته ضد برقوق وافقه منطاش سنة ٧٩١ هـ . سنة ٩٧١ هـ . واحتلال بلاد الشام ودخول مصر ، ونصب السلطان الصالح حاجي ، وطمع منطاش بحكم مصر ، فتمارض وزاره الامراء فالقى القبض على الجوباني ويلبغا الناصري وسجنهما : وفي سنة ٧٩٢ هـ فر الظاهر برقوق من سجن الكرك وانضم اليه اتباعه ، فجهز منطاش عسكر مصر والتقاء ، تقابل الفريقان في شقحب فانكسر منطاش ودخل برقوق القاهرة فافرج عن يلبغا الناصري وأعادته واليا لحلب ، وعين الجوباني نائباً لدمشق وأمرهما بقتال منطاش . فحاصراه في دمشق وأجبراه على مغادرتها . والتجأ الى نعيم امير العربان . وجرت موقعة بين الطرفين قرب حمص ، قتل فيها الجوباني ، وفر يلبغا الى دمشق فقتله الظاهر امرتها . ولم ينته امر منطاش الا عندما غدر به حليفه نعيم بإغراء من الظاهر برقوق فقتله سنة ٧٩٥ هـ وارسل رأسه الى القاهرة (الدرر الكامنة : ٤ / ٣٦٤ - ٣٦٦) .

بعلبك . ثم انتقل الى حمص وتحالف مع نعيم أمير العربان ، فطارده
عسكر السلطان وجرت موقعة بين الطرفين قرب حمص قتل فيها
الجوباني ، وفر يلغا الى دمشق فقلده الظاهر إمرتها . ووقعت خلافات
في بعلبك فغادرها نائبها كمشيفا والتحق بمنطاش بعد أن أخذ معه
الأموال والسلاح وكثيرا من الغلال^(١) . وتولى نيابة بعلبك ابن الحنش
شيخ العشير والد علاء الدين علي بن الحنش^(٢) .

وفي سنة ٧٩٢ هـ / ١٢٩٠ م . غلب منطاش على دمشق ووزع
نواب المدن باستثناء بعلبك ، إذ عصى فيها ابن الحنش مع جماعته ،
وأحرقوا المدينة ونهبوها وسبوا نساءها ، وجهز إليهم منطاش عسكرياً
بقيادة محمد شاه بن بيدمر (أيدير) ، تقدم إلى بعلبك فأغلقت أبوابها
وقاومته ، ف ضرب الحصار عليها ، وطالت إقامته أربعة أشهر فاستسلمت
في ٢٠ ربيع الثاني صلحاً^(٣) . لكن بيدمر القى القبض على ابن الحنش
واحد أبنائه^(٤) ، والصارم ابن قمر الدين كبير بعلبك ، ونائب القلعة
مع مائة وعشرين رجلاً من فرسان المدينة ، وربطوهم على الجبال
وساقوهم الى دمشق . فقتلهم منطاش ولم يستثن منهم أحداً^(٥) . ثم ملك
منطاش حمص وحماه ووزع الأموال على الشعب فمالت الرعية اليه وقوى

.....

- ١ - ابن صصري : الدرة المضية : ٧ .
- ٢ - تاريخ بيروت : ٢١٠ في الدرة المضية : ٧ .
- ٣ - السلوك : ٧ / ٣ ، نزهة النفوس : ٣٠٢ / ١ .
- ٤ - تاريخ بيروت : ٢١٦ .
- ٥ - الدرة المضية : ٥٨ .

نفوذه واشتدت سطوته (١) . وأرسل الى بعلبك أحد مماليكه وإسمه (كرجي) . وفي شهر رجب أخضع (كرجي) تركمان جبل كسروان ، وخلع على كبارهم ، وكتب الى سيده بذلك فخلع عليه (٢) .

لم يثبت منطاش في دمشق إذ غلب عليها يلغا الناصري ، الذي سلم بعلبك لأحد أنصاره علاء الدين علي بن الحنش وهو عدو لدود لمنطاش وكان بوده أن يثار منه لوالده وشقيقه وراح يرصد تحركات منطاش وعلم في رجب سنة ٧٩٣ هـ . ان (منطاش) يتقدم باتجاه دمشق . فجمع ابن الحنش عشيراً كبيراً من العربان القيسية ، يسانده (تنكربغا) متسلم قلعة بعلبك ، وكتب الى يلغا يخبره بالامر ، فدقت البشائر في قلعة دمشق ، فرحاً بالنجدة .

وما ان خرج الجيش من بعلبك حتى تصدت لهم قوة كبيرة أرسلها منطاش بقيادة شكر أحمد ، وخليل بن القلانسي ، وابن هلال الدولة بعشيرته . فالتقى الفريقان على عقبة (الطيبة) (٤) فوق (عين المنتنة) (٥) على بعد ٧ كلم جنوب بعلبك ، وانتصر جيش منطاش على جيش بعلبك وقتل من الفلاحين قرابة الف رجل ، وأسر مائتين رجل من القيسية وأمسكوا ثمانية من أجناد تنكز بغا نائب القلعة ، فحبسوا في طاحون الجوباني ، وغنم جيش منطاش سيوفاً ودرقاً كثيراً (٦) .

.....

١ - بدائع الزهور : ١ / ٢٩٢ .

٢ - الدرة المضية : ٦٤ .

٣ - الدرة المضية : ٨٠ .

٤ - الطيبة قرية جنوب بعلبك .

٥ - عين المنتنة : هي عين شحيحة المياه تقع في خراج مزرعة (عين بورضاي) المجاورة لبعلبك .

٦ - الدرة المضية : ٨١ .

ولم تمت في نفس ابن الحنش رغبة الثأر . فعاد ولملم جراحه .
وجمع عشيرا وناصر يلغا ضد نكير نصير منطاش . وشارك في معركة
عذرا بظاهر دمشق وقتل فيها^(١) .

ولما استفحل أمر منطاش جرّد الظاهر برقوق حملة كبرى وسار في
شعبان سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٢ م فاحتل معظم المدن الشامية وقتل
المنائين ، وسمّهم ، ومنهم متسلم بعلبك كمشبغا المنجكي السيفي .
وتم قتلهم في دمشق في الثالث عشر من ذي الحجة سنة ٧٩٣ هـ .
وأقر على بعلبك (تنكزبغا) السيفي ، الذي قام ببعض التحصينات
منها تجديد الخندق الجنوبي ، وخلّد عمله بكتابة على جدار القلعة
الخارجي المجاور للخندق ونصها « جُدّد هذا الخندق في أيام مولانا
السلطان الملك الظاهر العالم . المجاهد المؤيد المنصور أبي سعيد أعز الله
أنصاره بإشارة المقر الكريم السيفي (تنكزبغا) الظاهري نائب السلطنة
الشريفة بعلبك المحروسة عزّ نصره . . . وتسعين وسبعمائة ونظر المعلم
عبد الله ابن العزيزي المهندس »^(٢) . وهناك كتابة ثانية تؤكد أنه جد
الخندق الغربي في سنة ٧٩٦ هـ . يبدو أن تنكز بغا كان يجبي
ضرائب غير مقرّرة ، ويبث رجاله البلاصين في بساتين المدينة
يصادرون التفاح ، وسائر الغلال ، ويقبل الرشاوى^(٣) . ولما تكررت

.....

- ١ - تاريخ بيروت : ٢١٥ - ٢١٦ .
- ٢ - النجوم الزاهرة : ١٢ / ٣٤ ، السلوك : ٣ / ٧٥٤ ، نزهة النفوس : ٢ / ٣٣٨ .
- ٣ - لقد أخذ تنكزبغا قوس الأمير عز الدين جواد بن سليمان من آل بحرّ أمراء الغرب
وهو قوس أزيد من قطار بالدمشقي « (تاريخ بيروت : ١٧٤) .

هذه التجاوزات، كثرت الشكاوى ضده مما أدى الى صدور مراسيم سلطانية تلغي هذه المظالم وأمر بنقشها على جدار الجامع الكبير « قد اتصل بمسامعنا الشريفة ان بعلبك تتفق منها في كل سنة مظلمة لم تتصل في مسامعنا الشريفة الا في هذا الوقت . وهو أن جماعة من البلاصين يطوفون في كل سنة على البساتين يطلبون من أهلها التفاح اللبناني ويقولون : ان ذلك برسم حاضرة الشام الشريفة . فليس لنا احتياج الى ذلك » . ولعل مخالفاته حملت السلطان على عزله واستبداله بنائب آخر هو الامير خليل ابن القرمشي الذي كان على بعلبك في نهاية سنة ٧٩٧ هـ ومطلع سنة ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م^(١) .

توفي الظاهر برقوق في شوال سنة ٨٠١ هـ ، وخلفه ابنه الناصر فرج فاعطى نيابة بعلبك الى جنتمر بن عبد الله التركماني الطرنطاي الناصري^(٢) . وقد نقش اسمه على جدار الجامع الكبير من الخارج يرسم بعض الضرائب ، ويرفع بعض المظالم باسم سيده الناصر فرج^(٣) وظل ينوب في بعلبك حتى دخلها تيمور لNK سنة ٨٠٣ هـ فأسر جنتمر ، وأصابها من القتل والسبي والنهب ما أصاب حلب وحماه ودمشق ، وأخذ منها مؤونة تكفي جيشه أشهراً وخصوصاً القمح والزبيب والملبن^(٤) .

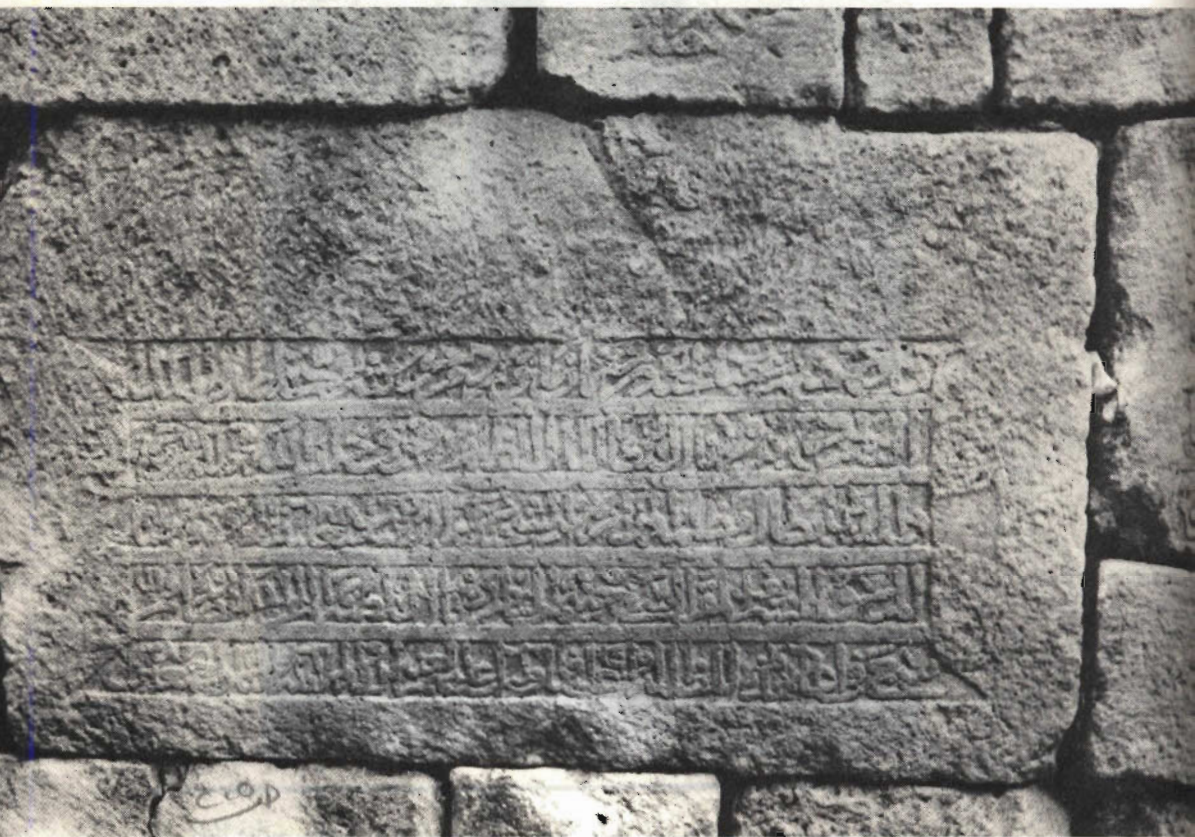
.....

١ - الدرة المضية : ١٧٢ .

٢ - بدائع الزهور : ١ / ٣٢٤ .

٣ - جنتمر التركماني . والى نيابة حمص ونيابة بعلبك أسرة تيمورلNK من بعلبك سنة ٨٠٣ هـ وبعد الأسر وفد إلى القاهرة وقتل في صعيد مصر سنة ٨٠٤ هـ (الضوء اللامع : ٣ / ٨٣ ، السلوك : ٣ ك ١٠٨٩) .

٤ - النجوم الزاهرة : ١٣ ك ١٥١ ؛ نزهة النفوس : ٢ / ٩٣ .



كتابه من عهد الناصر فرج



مراسيم سلطانية من عصر المماليك على الجدار الغربي للجامع الكبير. وتظهر ساقية المياه.

ويناقض هذه الروايات صالح بن يحيى الذي ذكر : أنه في سنة ٨٠٣ هـ وقبل دخول التتار دمشق ، حضر الملك الناصر فرج بن برقوق لمحاربة تيمورلنك وأرسل السلطان قبل وصوله إلى دمشق مرسوماً إلى تنكزباغا نائب بعلبك ، وكاشف صيدا وبيروت أن يأخذ عشرين البقاع وصيدا وبيروت ، ويلاقي السلطان إلى دمشق ، فحضر تنكزباغا إلى صيدا وبيروت . ومن هناك انضم إليه إمراء الغرب والمقدمون والعشرون وساروا إلى دمشق ، فصدتهم جيش التتار عند (دمر) وهزمهم^(١) . وبعد أن رحل تيمورلنك عن بلاد الشام وزّع الناصر فرج نوابه من جديد فعين على بعلبك تنكزباغا الحططي الذي وصلها في ٢٨ شعبان سنة ٨٠٣ هـ^(٢) . . .

وفي سنة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ كان شيخ الخاصكي امير الامراء في بلاد الشام - يرافقه دمرداش أمير طرابلس - يتفقد شؤون المدن ، فوصل الى البقاع وحلّ في بعلبك فبلغه نزول الفرنج على طرابلس ، فتوجه إليها ، بجموعه ، ومعه رجال من بعلبك ، ولم يدرك الفرنج في طرابلس ، فيمم شطر بيروت^(٣) . ولما عاد شيخ إلى دمشق ولى قلعة بعلبك الأمير جركس الحاجب في شوال سنة ٨٠٧ هـ . والقي القبض على تنكزباغا الحططي نائب بعلبك وسجنه في الصبيبة وبقي في معتقله حتى يوم الاثنين العشرين من رجب عندما دخل الأمير شيخ

.....

- ١ - تاريخ بيروت : ٢١٩ .
- ٢ - السلوك : ٣ / ١٠٥٧ ؛ النجوم الزاهرة : ١٢ / ٢٥٣ ؛ بدائع الزهور : ١ / ٣٣٧ .
- ٣ - تاريخ بيروت : ٣٣ .

دمشق بالخلعة السلطانية ونزل بدار السعادة ، فكتب بالافراج عن تنكزبغا^(١). ولم يطل حكمه بدمشق إذ خلفه نوروز الحافظي سنة ٨١٠ هـ. فجمع الامير شيخ المماليك الفارين من القاهرة وفاجأ دمشق وفيها نائب الغيبة بكتمر جلق . فانهزم جنتمر الى بعلبك فطارده امراء شيخ وعلى رأسهم جركس ، ويشبك . وأسرع نوروز الحافظي لنجدة نائبة فأدرك الجناة على كروم بعلبك في وادي (العقيبة) ونشب قتال بين الاخصام . انتهى بمقتل يشبك الشعباني ، وجركس القاسمي المصارع ليلة الجمعة في الثالث عشر من ربيع الثاني سنة ٨١٠ هـ^(٢). ونقلا الى بساتين بعلبك ودفنا بجوار القلعة . وبعد عام أقام تغري برمش عليهما قبة مازالت قائمة الى اليوم وتعرف بقبة (السعيدين)^(٣) .

ثم دخل نوروز بعلبك ورتب شؤونها وولى عليها أحد أتباعه جانبك النوروزي (جاني بك) الذي حمل اسمها وصار يعرف بنائب بعلبك^(٤) ، لم تطل مدته اذ خلفه على بعلبك سيف الدين أبي بكر ابن شهاب الدين أحمد بن النقيب اليعموري ، وقد عينه الأمير شيخ على

.....

السلوك : ١٣ / ٤ .

السلوك : ٥٩ / ٤ ؛ ابن طولون : اعلام الوري : ٣٦ ، نزهة النفوس : ٢ /

٢٤٢ .

٣ - تاريخ بيروت : ٢٣٧ .

٤ - النجوم الزاهرة : ١٣ / ٦٦ جانبك النوروزي الحافظي من أتباع نوروز الحافظي ، أمره الظاهر جقمق عشرة ، وصار من رؤوس النوب ، وجهزه جقمق لقمع المفسدين في المدينة المنورة ، ثم عُيِّنَ أميراً للترك في مكة ، ونال إقطاعات كبيرة ، شغل نيابة الاسكندرية سنة ٨٥٨ هـ ، وظل فيها حتى وفاته سنة ٨٦٥ هـ (الضوء اللامع : ٦١/٣ ، بدائع الزهور : ٢ / ٤٥)



قبة الجرڪس (السعدني) وزاوية السور.

بعلبك في ١١ شعبان سنة ٨١١ هـ (١). وما لبث أن أقاله وأعطى بعلبك (تغري برمش استدارة) في ١٣ جمادى الأولى سنة ٨١٢ هـ (٢). فجمع أموالا كثيرة بأساليب الظلم، ثم فر بها إلى صفد مفارقاً الأمير شيخ ومنها توجه إلى السلطان (٣). فخلفه على بعلبك اينال الجلالى الأجرود، الذي شارك مع أمراء شيخ في حصار صفد (٤) وبعدها غزا في آخر شهر ذي الحجة سنة ٨١٢ هـ (٥). وتسارع تبديل الولاة فعاد إلى نيابة بعلبك أبو بكر اليعموري للمرة الثانية في ١٢ ربيع الثاني سنة ٨١٣ هـ (٦).

وربما استمر في عمله حتى مقتل نوروز الحافظي نائب الديار الشامية سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م. على يد الملك المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودي (٧٥٩ - ٨٢٤) (١٣٥٨ - ١٤٢١). الذي استبدل نوابه فعين على بعلبك الأمير حسن قدمز المظفري. وكان ظالماً يأكل أموال الشعب بالباطل، فحضر الشيخ شمس الدين محمد الهادي الأقصري المصري، المعروف بشيخ السحمية للإشراف على نظارة الحسبة، وانصاف المزارعين والتجار في بعلبك وقراها، ونقش تعاليمه

.....

- ١ - السلوك : ٤ / ٨١.
- ٢ - السلوك : ٤ / ١٠٩ ؛ النجوم الزاهرة : ١٣ / ٩٠.
- ٣ - توفي تغري برمش سنة (٨١٣ هـ). السلوك : ٤ / ١٢٠ ، الضوء اللامع : ٣ / ٣٥.
- ٤ - السلوك : ٤ / ١٢٢.
- ٥ - السلوك : ٤ / ١٢٧.
- ٦ - النجوم الزاهرة . ١٣ / ١٠٥.

على جدار الجامع الكبير بتاريخ جمادى الآخرة سنة ٨٢٤ هـ ، أي في عهد المظفر ابن المؤيد شيخ المحمودي^(١) .

وتوالت المظالم في بعلبك أيام الملك الاشرف ابو السعادات (٨٢٥ - ٨٤١) ، وصدرت المراسيم التي تردعها ، ومنها ما دون على جدار الجامع الكبير بتاريخ منتصف شهر ربيع الأول سنة ٨٤٠ هـ^(٢) .

وفي سنة ٨٤٢ هـ . ثار نائب دمشق اينال الحكمي ضد الملك العزيز ، فسانده نائب بعلبك ، وانتهى التمرد بمقتل اينال الحكمي . لكن الاخبار ، لم تذكر مصير نائب بعلبك ، كما أنها اغفلت اسمه^(٣) .

وان جرت العادة بأن يستقر نائب دمشق بمن يختاره من أمرائه ومماليكه في نيابة بعلبك ، والقدس . وصيدا وبيروت والرملة وغيرها^(٤) فقد وقعت مخالفة للعادة ، عندما استقر (اسبغا) مملوك ابن كلبك شاد الشون السلطانية^(٥) في نيابة بعلبك ، في شهر ربيع الآخر من سنة ٨٥٠ هـ^(٦) . وتراكمت المظالم على المدينة في عهد الملك الاشرف سيف الدين اينال العلائي (٨٥٧ - ٨٦٥ هـ) فتجددت المراسيم السلطانية ، ابتداء من شعبان سنة ٨٥٧ هـ . « لتمكن الرعية بمدينة بعلبك من بيع

١ - شيخ المحمودي تسلطن بعد ثورته المستمرة ، وتوفي في محرم سنة ٨٢٤ هـ . وسلطنوا ولده المظفر وله من العمر سنة واحدة وثمانية أشهر . [شذرات الذهب : ٧ /

[١٦٥

٢ - الضوء اللامع : ٣ / ٩ .

٣ - النجوم الزاهرة : ١٥ / ٣١٨ ، ٢ / ٣٢٧ .

٤ - ابن تغري بردي : حوادث الدهور : ٥٤٥ .

٥ - شاد الشون : المشرف على السفن الحربية ، وتقال للمشرف على مخازن الغلال .

٦ - النجوم الزاهرة : ١٥ / ٣٧١ .



كتابة في الجامع الكبير من عهد الاشرف اينال سنة ١٤٠٣

اقتان بضايح المكان اختيارا من غير جبر عليهم في ذلك وأن يخرج القبان من الوكالة التي بمدينة بعلبك ، من وكالة المرحوم النجمي عبد الباسط ، والمرحوم البهائي بن حجي ، ولا يشركهم في الملك من أهل بعلبك . وإن الخراج المتعين لا يجبي عليهم . ومن خالف ذلك ، فعليه لعنة الله والملائكة أجمعين»^(١) .

وتجددت مراسيم دفع المظالم عن أهل بعلبك في عهد قايتباي في شهر ذي الحجة سنة ٨٧٧ هـ . وربيع الأول سنة ٨٩١ هـ . و ٨٩٧ هـ .

وتغيب عنا اسماء النواب في هذه الحقبة ، ويطالعنا إسم يونس المخصي الذي كان على بعلبك سنة ٨٩٤ هـ . وقد استدعاه نائب دمشق في شهر ذي القعدة لمظلمة ارتكبتها^(٢) . ومع فعلته ظل مستخدماً لدى نائب دمشق ، فولاه سنة ٨٩٥ هـ وظيفة الحسبة ثم أعاده الى نيابة بعلبك ، وظل حتى سنة ٨٩٧ هـ عندما سافر الى القاهرة برفقة نائب دمشق جندر دوادار^(٣) .

.....

- ١ - كتابته على جدار الجامع الكبير في بعلبك .
- ٢ - ذكر شمس الدين بن طولون في كتابه مفاكهة الخلان القصة التالية « في يوم الثلاثاء ١٦ ذي القعدة ، أقرت امرأة بحضرة نائب دمشق ، أن نائب بعلبك فعل بها الفاحشة بعد أن كان ادعى أنها أخته . . فطلبه نائب دمشق من بعلبك ماشياً فقابله وواجهه بما فعل بحضرة النائب بدار العدل فأمر باخصائه فخصي » مفاكهة الخلان : ١٠٩ / ١ .

- ٣ - مفاكهة الخلان : ١ / ١١٤٧ .

وفي ربيع الأول سنة ٨٩٥ هـ ورد كتاب بعزل قضاة بعلبك إلى النائب والقاضي الشافعي . لأن بعض قضاة القاضي شهاب الدين بن الفرفور مرَّ ببعلبك فلم يكرموا وإسمه شهاب الدين الكوكاجي الحنبلي^(١) ولعل استمرار المظالم حمل السلطان الاشرف قايتباي على اقطاع بعلبك الى الامير ناصر الدين بن الحنش كبير أمراء عربان حماه وذلك سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٣ م . وفي مطلع القرن العاشر الهجري كان على بعلبك أحد أمراء الخرافشة الذي ساند الدوادار آقبردي في محاصرته دمشق في شهر ذي الحجة سنة ٩٠٣ هـ . / ١٤٩٧ م .^(٢) وظل الخرافشة يحكمون بعلبك ، متحالفين مع ناصر الدين بن الحنش حتى مقدم السلطان سليم إلى بلاد سورية ، وضمها إلى سلطة الاتراك العثمانيين ، وأقر على بلاد الشام جان بردي الغزالي الذي تحايل وقتل ناصر الدين بن الحنش ، والامير الحرفوشي . سنة ٩٢٤ هـ . واعتبر ذلك الغدر من سعد ابن عثمان « ولولا تحايل الغزالي على قتل ابن الحنش بحيلة ، صعدت من يده ، لما قدر على قتله ابن عثمان أبدا وقد عجز عن ذلك سلاطين مصر »^(٣) .

خصائص الحقبة المملوكية :

أبرز خصائص الحقبة المملوكية تناقض بين الجيوش الثقافية والسياسية الأولى كانت في قمة التوهج ، والثانية عانت من كثرة الفتن والاضطرابات :

- ١ - مفاكهة الخلان : ١ / ١١٧ .
- ٢ - مفاكهة الخلان : ١ / ٢٠٠ .
- ٣ - بدائع الزهور : ٣ / ١٦٣ .



كتابة من عهد الاشرف قايتباي (١٤٦٨ - ١٤٩٥).

أ - الحياة الثقافية :

تنامت حركة الفقه في بعلبك أيام المماليك وآتت أكلها ، قادتها مدرستان : الشافعية في (النورية) ، والحنبلية في مسجد الحنابلة . ومدرستهم المجاورة التي أنشأها اليونيني الحنبلي ، وبلغ التنامي حدّ النضوج مع القرن الثامن الهجري (٧٠١ - ٨٠٠) ، اذ ترجم ابن حجر العسقلاني لأكثر من مائة وسبعين علماً بعلبكياً خرجتهم مدارس بعلبك ، ولعشرات سواهم ، أموا بعلبك وأفادوا من علمائها ، في قرن واحد من الزمن . بينما لا تذكر كتب التراجم الا عدداً ضئيلاً - قد لا يبلغ العشرة - في كل قرن سابق أو لاحق .

ب - الحياة السياسية :

لم تكن مضطربة مع الحياة الثقافية اذ تميزت بكثرة الفتن واضطراب الأوضاع ، وتركز الاقطاع ، والاستهتار بحق المزارعين ، ومصادرة منتوجاتهم ، مما حمل البعلبكيين على اختيار الخدمة العسكرية ، فتولوا (أرباب ايزاك) يحرسون طرقات دمشق وبيروت وطرابلس وصيدا ويرابطون على ثغور الساحل وبناء لسطوتهم تولوا أعمال (الروك) وجباية الاعشار في مناطق جبل لبنان . واستغلوا وظائفهم العسكرية لسلب الأموال ، فكثر الشكاوى ضد أعمالهم المتصفة بالعسف . وهذا ما رددته مرارا صالح بن يحيى في تاريخ بيروت . حتى أن أحد امراء الغرب الأمير شرف الدين عيسى بن أحمد بن صالح بن الحسين . نظم قصيدة للملك المؤيد شيخ ، ونعته بالعدل ، وطلب أن يلغي كشوفية بعلبك عن بيروت وصيدا ، تلك المظلمة التي وصمت عهود سلفه ،

وما زالت تسيء إلى ملكه وعدالته . وهذه أبيات من قصيدته :

لك السعد والاقبال والنصر قد بدا	ورأيت في كل الأمور مسددا
فحين حللت الشام أذهبت ظلمة	وأشرق نوراً بعدما كان أسودا
ملأت جميع الأرض عدلاً وحرمة	كما ملئت جوراً وظلماً واعتدا
محوت لظلم كان نوروز سنة	فليس بقي في الشام ظلم يعددا
سوى كشف بيروت وصيدا فانه	عليهم به ظلم عظيم محمدا
فا يطل كشوفية بعلبك عنهم	وزلها بحق الهاشمي محمدا
فأنت الذي ترجى لكل ملامة	لك الدهر عبداً طائعاً ومساعداً ^(١)

.....

١ - تاريخ بيروت : ٢٠٧ - ٢٠٨ .

بعلبك في عهد الاتراك العثمانيين (١٥١٦ - ١٩١٨)

في الرابع والعشرين من شهر آب سنة ١٥١٦ جرت معركة مرج دابق شمال حلب ، بين السلطان سليم العثماني ، وقانصوه الغوري . وتم النصر للعثمانيين على المماليك . وإبان المعركة أنقسم ولاية سوريا وأمراء لبنان ثلاثة أقسام : فريق انقلب على أسياده المماليك وانحاز إلى جانب العثمانيين وعلى رأسهم جان بردي الغزالي ، الذي كوفيء بنبابة سورية . والفريق الثاني تريت مراقباً نتائج المعركة لينحاز الى المنتصر ، ومنهم المعنيون امراء الشوف . والقسم الثالث ظل على ولائه للمماليك وخاض الى جانبهم حرب الدفاع عن بلاد سورية ، ويمثلهم بنوبحتر أمراء الغرب ، والحرافشة امراء بعلبك ، وناصر الدين بن الحنش أمير العربان وقد استولى على صيدا والبقاع، وأعلن عصيانه ضد الحكم الجديد ، فبادر جان بردي الغزالي واحتال على ابن الحنش ، ونصيره ابن الحرفوش ، والقي القبض عليهما ، وقطع رأسيهما وأرسلهما الى استانبول سنة ٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م ، تزلفا للسلطان ، واعتبر القضاء على الزعيمين العربيين « من سعد ابن عثمان »^(١) ولم يتبدل نظام الحكم في لبنان ، واستمر إقطاعياً كسالف عهده ، يتولى شؤون كل مقاطعة منه أمراء أو مقدمون أو مشايخ من طبقات أعيانه ، قوانينهم العرف الموروث في الحكم والقضاء والمكاتبات وظلت مرعية إلى آخر الحكم الاقطاعي المنتهي في منتصف القرن التاسع عشر .

١ - ابن أبياس : بدائع الزهور : ٣ / ١٦٣ .

الخرافشة في بعلبك والبقاع :

ينتهي نسبهم إلى حرفوش الخزاعي القحطاني ، من خزاعة العراق^(١) ، سار جدهم حرفوش الخزاعي مع سرايا الفتوح واستقر في غوطة دمشق . ولما توجه ابو عبيدة بن الجراح الى بعلبك عقد للخزاعي راية بقيادة فرقة^(٢) . ويبدو أن السكنى حلت له في بعلبك ، فأقام مع رافع السهمي يدرأ عنها أخطار الروم .

وتكاثر ابناؤه وأحفاده وقد اتصفوا بالشجاعة ، والكرم ، والبطش والظلم أحياناً . واستدل السيد محسن الامين في (اعيانه) على شجاعتهم وشهامتهم بحوادث رجالهم فذكر « ان الأمير سلمان كان مسجوناً في قلعة دمشق سنة ١٨٦٠ م ، فطلب مقراضاً يأخذ من شعره ، فجيء اليه ، فقص لوحاً من التنك بشكل سيف وشهره بيده وخرج . فلم يجسر أحد على الوقوف بوجهه ، وأغلقت أسواق دمشق خوفاً منه ، فركب جواداً وخرج^(٣) .

.....

١ - ظل الخرافشة في بعلبك على اتصال مع أنسابهم في العراق . وقد رحل اليهم الأمير جهجاه ، واستنجد بهم لاستعادة إمارة بعلبك . وذكر نسبه ، ورحلته في قصيده من الشعر العامي مطلعها :

ما قال الخزاعي في بيات يتمعن بها من كان واعي

٢ - تاريخ بعلبك : ٨٦

٣ - اعيان الشيعة : ٥ / ٣٧٢ .

وروى أيضاً انه « وقعت حجرة من النارجيلة على يد أحدهم - ولعله سلمان - فلم يرمها وصبر حتى جاء الخادم وأخذها عن يده^(١) ، وحكاية
ثالثة تقول :

ان الجزار بعدما حكم الشام أرسل إلى أمير الحرافشة يطلب
الأموال المقررة على امارته للسلطنة فملاً أكياساً من نعال الخيل
الحديدية ، وبعثها إليه ، فلما فتح الاكياس عرف انها إشارة الى الحرب
وفي غيرتهم أورد « ان الأمير يونس الحرفوش كان إذا خرجت حرمة
إلى الحمام أمر باقفال السوق ، وأخلى الطرقات من المارة^(٢) .

تاريخهم :

البدایات الأولى لتاريخ الحرافشة هي ظنون لم تخرجها الى الحقيقة
مصادر تاريخية ، وظلت اخبارهم غفلاً لم يعتن بتدوينها أحد^(٣) . مع
أنهم حكموا بلاد بعلبك والبقاع قرابة ثلاثة قرون . حتى الوثائق
المتوارثة عندهم ما زالت مدفونة في الصناديق القديمة وكأنها
احدى المخدرات المصونات كتب عليها ألا ترى النور وبذلك ظلت
الحقبة الأولى لحكمهم غامضة ومضطربة ، فلا نعلم أول لاعب منهم
جال على مسرح الاحداث .

ذكر ميخائيل (الوف) ان « أول سند تاريخي لبني الحرفوش ذكره

.....

١ - الامين : ٥ / ٣٧٣ .

٢ - نفسه : ١٧ / ٩٩ .

٣ - عقد فصلا عن الحرافشة ميخائيل الوف في كتابه . تاريخ بعلبك أن موجزاً وتخلله
ثغرات كثيرة .

صالح بن يحيى مؤرخ بيروت فقال: إن الملك الظاهر برقوق استعان بالامير علاء الدين الحرفوش على تركمان كسروان . وان علاء الدين المذكور قتل في موقعة جرت بين حاكم دمشق يلبغا ونعيم أمير العرب سنة ١٣٩٣ م^(١) .

لعل (أليف) وهم في الاسم لأن صالح بن يحيى لم يأت في كتابه تاريخ بيروت على ذكر علاء الدين الحرفوش بل أورد علاء الدين ابن الحنش . عندما عدّد أسماء الأمراء الذين قتلوا في موقعة عذرا بين حاكم دمشق (يلبغا) ونعيم أمير العرب قال « فُقِدَ شجاع الدين عبد الرحمن بن عماد الدين وقتل في (تلك اليوم) علاء الدين ابن الحنش ، وكان ذا سطوة وتجبر وكان قبله قد قتل منطاش والده وأخيه مسكوهما من بعلبك ، وكان علاء الدين المذكور قد اعطاه السلطان برقوق امرية طبلخانة... وجرده الى تركمان كسروان »^(٢) .

يبدأ تاريخهم المدون مع شمس الدين ابن طولون^(٣) ، الذي أكد ان الحرافشة كانوا على نيابة بعلبك سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م . إذ روى الحادثة التالية قال : « في شهر ذي الحجة سنة ٩٠٣ هـ . حاصر الدوادار آقبردي دمشق بعد وفاة نائبها قانصوه اليحياوي ، والتف عليه من المقدمين : شيخ بلاد نابلس حسن بن اسماعيل ، ونائب بعلبك ابن الحرفوش ، ومقدم الزبداني وغيره »^(٤) .

.....

- ١ - الوف : تاريخ بعلبك : ٨٦ .
- ٢ - تاريخ بيروت ٢١٥ - ٢١٦ .
- ٣ - هو المؤرخ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (خمارويه) بن طولون الصالحي الدمشقي توفي سنة ٩٥٣ هـ / ١٦٤٦ م . (الكواكب السائرة : ٢ / ٥٢) .
- ٤ - ابن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ! ١ / ٢٠٠ .

وعبارة « المقدمين » توحى بأن الحرافشة نالوا باديء ذي بدء رتبة المقدمين وارتقوا إلى الامارة . . .

ويطل المصدر الثاني مع ابن أياس في بدائع الزهور^(١) وقد ذكر ان جان بردي الغزالي قتل ناصر الدين بن الحنش امير البقاع ، وابن الحرفوش أمير بعلبك، وأرسل رأسيهما الى السلطان في حلب سنة ٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م . فاعتبر الناس ذلك من اقبال السعد على ابن عثمان ، إذ لولا تحايل الغزالي على قتل ابن الحنش لما قدر على قتله ابن عثمان أبداً . وقد عجز عن ذلك سلاطين مصر . وخصوصاً بعد تحالفه مع ابن الحرفوش^(٢) .

أما الحسن البوريني (٩٦٣ - ١٠٢٤ هـ) (١٥٥٦ - ١٦١٥) فشهادته تؤكد ان الحرافشة كانوا يتوارثون حكم بعلبك قبل سنة ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م قال في حوادث هذه السنة (٩٤٤ هـ): أراد جماعة من أقارب الأمير علي الحرفوشي صاحب بعلبك ، أن ينزعوا حكومتها من يد أبي علي الشهير بالاقرع ابن قنبر ، لأنه من غير أولاد الامراء وحكومة بعلبك متوارثة لبني الحرفوش^(٣) .

وعاضد هذا الرأي ما أورده نجم الدين الغزي في ترجمة علي بن موسى الحرفوشي . قال « علي بن موسى الأمير ابن الامير الحرفوشي

.....

١ - هو المؤرخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ، من المماليك . (٨٥٢ - ٩٣٠) (١٤٤٨ - ١٥٢٤) (الاعلام : ٦ / ٥) .

٢ - بدائع الزهور : ٣ / ١٦٢ - ١٦٣ .

٣ - البوريني : تراجم الاعيان من ابناء الزمان .

امير بعلبك^(١) . وهذا يفيد أن موسى كان أمير بعلبك قبل سنة ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م .

ومع الأمير علي بن موسى تبدأ تحركات الحرافشة في بعلبك والبقاع وجبال لبنان بشكل فعال ، ومدون . اذ جمع من كسروان والشوف ، وعين دارة الفي رجل لمحاربة قرقماس بن الفريخ وابن قنبر . ورغم هزيمة الأمير علي في الجولة الأولى . استطاع بعد زمن ان يقتل ابن الاقرع . مما أغضب والي دمشق والصدر الاعظم . لأن الاقرع قدّم رشوة للدقتر دار محمود قدرها خمسة عشر الف دينار ، مقابل عزل علي الحرفوشي ، وتسليم بعلبك للأقرع . فأدى ذلك الى خراب بعلبك ظاهرها وباطنها ، ورحل أكثر أهلها ، حتى تعطلت الاحكام الشرعية فيها . وعتا ابن الاقرع واتباعه وصادر الأموال والمحاصيل الزراعية ليجني الأموال التي التزم بها للسلطنة^(٢) .

امتد حكم الامير علي الحرفوشي لبعلبك اكثر من نصف قرن ، وعاش حياة قلقة بين رضا ولاية الشام وغضبهم ووشايات امراء لبنان ودسائسهم في سنة ٩٩٤ هـ / ١٥٨٥ قبض نائب الشام علي باشا بن علوان على قانصوه الغزي^(٣) والامير منصور الفريخ والامير علي الحرفوشي وساقهم الى السلطان مراد في اسلامبول . لكن السلطان أطلقهم وعادوا الى

.....

١ - النجم الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة : ٣ / ١٩٤ .

٢ - كردعلي : ٢ / ٢٣١ .

٣ - هو قانصوه بن مساعدة بن مسلم الغزاوي أمير عجلون والكرك وأمير الحاج الشامي .

مات في سنة ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١ م . [الغزي - الكواكب السائرة : ٣ / ٢٠١

و ٢٠٢]

بلادهم . ولما وصل سنان باشا والياً على الشام في سنة ٩٩٥ هـ / ١٥٨٦ م جدد المطاردة لعل الحرفوشي الذي استطاع النجاة ، وبعد عام نال سنان باشا الصدارة العظمى وخلفه على دمشق ابنه محمد باشا . فحاول يانظ ابراهيم التوسط بين الوالي الجديد والحرفوشي ودخلا دمشق يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٩٩٨ / ١٥٨٩ م . ومعهما جماعة من الينكجارية ، واجتمع الامير علي بمحمد باشا الذي اكرم وفادته وهرعت الناس للسلام عليه ونزل في بيت يانظ ابراهيم . ثم قبض عليه بعد عشرة أيام وحبس . وعرض الباشا فيه إلى أبيه وهو الوزير الاعظم . فلما علم بامساكه أنهى إلى السلطان انه من العصاة فأمر بقتله فضربت عنقه داخل قلعة دمشق بعد صلاة العشاء ليلة السبت ثاني عشر المحرم سنة ٩٩٩ وارسل رأسه إلى التخت السلطاني ودفن جسده بباب الفراديس « (١) .

وهنا تبرز من جديد تناقضات حول مصرع الأمير علي فالغزي دون الوفاة في مطلع سنة ٩٩٩ هـ أيام محمد بن سنان باشا . في حين قال المحبي « قتله مراد باشا في سنة احدى أو اثنتين بعد الالف » (٢) .

وربما كانت رواية الغزي اقرب الى الحقيقة لأنه أفرد ترجمة للأمير علي في حين ذكره المحبي عرضاً ورواية الغزي - الذي كان في دمشق - فيها دقة تدل على أن الغزي شهد فصولاً منها . وفي حواشي « نصيحة الملوك للإمام الغزالي » يروي مقتل الامير علي الحرفوشي على يد محمد بن سنان باشا في سنة ٩٩٩ هـ « (٣) .

.....

١ - الغزي : الكواكب السائرة : ٣ / ١٩٤ .

٢ - المحبي : خلاصة الأثر : ٤ / ٤ / ٤٣٢ .

٣ - عزل سنان باشا عن الصدارة في شوال سنة ٩٩٩ هـ .

تبقى رواية عيسى اسكندر المعلوف ، الذي دوّن فصولاً عن الحرافشة وقد حصل منهم على بعض الوثائق بسبب الصلاة الودية بين الحرافشة والمعالفة ، يتضح من رواية المعلوف ان قتل الأمير علي ثم خنقاً في قلعة دمشق على يد مراد باشا حاكم دمشق ، بدسيسه من الأمير فخر الدين المعني سنة ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٢ م . ثم خلفه ابنه الامير موسى^(١) . وعن المعلوف أخذ ميخائيل الوف في تاريخ بعلبك^(٢) . فجعل وفاته سنة ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٢ م .

الأمير موسى (٩٩٩ - ١٠١٦ هـ) (١٥٩٠ - ١٦٠٧) :

شايع ابن معن وتحالفا للوقوف بوجه ولاية دمشق الجشعين الذين كانوا يعمدون الى اشعال الفتن بين امراء لبنان إضعافاً لهم ، في مستهل ربيع الثاني سنة ١٠٠٢ هـ وقيل ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م تحركت الرسل بين الأميرين فخر الدين وموسى ابن الحرفوشي واتفقا على مفاجأة قرقماس بن الفريخ في قب الياس ، واتفق ان جاءه نذير فخرج الى ابن الحرفوشي والتقىا في (زينون) ، وكتب النصر للأمير موسى اذ قتل قرقماس ، ومصطفى ابن طبوله (هبوله) وبعض فرسان من بيت الفريخ . وقطع رؤوسهم وأرسلها إلى فخر الدين^(٣) . وظل التحالف بين الأميرين قائماً وسانده مرة ثانية سنة ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م^(٤) . لما

.....

- ١ - المعلوف : عيسى اسكندر : تاريخ المعني ٦٣ - ٦٤ .
- ٢ - الوف : تاريخ بعلبك : ٨٧ .
- ٣ - المعلوف : تاريخ المعني : ٦٨ ، ابن زنبيل الرماني ، تاريخ فتح السلطان سليم لسورية : ٢٢ .
- ٤ - رواية المحبي في خلاصة الأثر : ٤ / ٤٣٢ ، وفي روايات (١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥ م) .

عزم فخر الدين على محاربة يوسف باشا حاكم طرابلس . فزحف المعنى تلبية لأمر الوزير محمد باشا السيد نائب الشام . جمع الأمير موسى نحواً من خمسة عشر ألفاً وزحف إلى غزير وكانت الجولة الأولى لصالح ابن سيفاً فبعث الأمير حسن الأعوج رسالة إلى الأمير موسى الحرفوشي يحرضه على القتال ، وضمنها بيتين من الشعر^(١) .

غزيرٌ طورٌ ونار الحرب موقدةٌ وأنت موسى وهذا اليوم ميقات
الق العصا لتلقف كل ما صنعوا ولا تخف فحبال القوم حيات^(٢)
التقى الجيشان قرب نهر الكلب ، ودارت الدائرة على يوسف باشا
سيفاً . وهجم رعد بن نبعه الطبخاري البعلبكي^(٣) من جند
الحرفوشي ، على الأمير علي سيفاً ابن شقيق يوسف باشا وقتله ، فتمزق
شمل العساكر الطرابلسية ، وجنى الأمير فخر الدين نتيجة النصر فتولى
على كسروان ، واحتل بيروت وضبط أرزاق العسافيين^(٤) : وتكررت
تعديات الأمير موسى على مقاطعات آل سيفاً إذ فاجأ جبة بشري في
حزيران سنة ١٠١١ هـ / ١٦٠٢ م ونهب مواشيها وأموالها ، وعاد غانماً
منتصراً ، ويظهر انه لم يلق مقاومة تذكر لأن سكانها كانوا في الساحل
يعملون « بحلّ الحرير »^(٥) .

١ - هو الأمير أبو الفوارس حسن بن محمد المعروف بالأمير ابن الأعوج أمير حماه . كان
شاعراً مجيداً . توفي سنة ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م . [المجي : خلاصة الأثير : ٢ /
٤٥] .

٢ - هناك خلاف حول قائل الايات : فالصلاح الصفدي نسبهما للكمال بن النبيه قاهما في
الاشرف موسى لما نازل دمياط وصدرهما « دمياط طوت (المجي : ٢ / ٤٧) .

٣ - نسبة الى قرية طبشار من قضاء بعلبك .

٤ - خلاصة الأثر : ٤ / ٤٣ ؛ تاريخ فخر الدين للمعلوف : ٧٥ .

٥ - الشدياق : طنوس : أخبار الاعيان : ١ / ٢١٤ .

وعزم يوسف سيفاً على الثأر ، فجمع خمسة آلاف مقاتل من السكمانية وأهل جبة بشري ، وأغار على بلاد بعلبك ، فأحرق قرية حدث بعلبك ، وتقدم الى بعلبك فدخلها ، وتحصن رعد ابن نبعة في القلعة مع جماعة من الحرافشة ، وأهل البلاد ، وكانوا نحو ألف رجل ما عدا النساء والأولاد . ولم تأت المصادر على ذكر الأمير موسى ويظهر انه كان غائباً ، حاصر ابن سيفاً القلعة خمسين يوماً حتى استسلمت حاميتها ، فقتل ابن فاطمة^(١) ، ورعد بن نبعة الطبشاري ثأراً لأبن أخيه ، وبعد ان نهب وعاث فساداً انسحب الى بلاده^(٢) . وطمع الأمير موسى الى دور بارز في تحركات أمراء لبنان ، فشارك في قتال نصوح باشا والي حلب ، الذي رفض الاعتراف بحقوق امراء الجند الشامي ، ودامت هذه الفتنة مدة سنتين (١٠١٢ - ١٠١٣ هـ) (١٦٠٣ - ١٦٠٤ م) . كان لجند الشام فرقة دائمة في حلب بقيادة سردار ومهمتها جمع الاموال والاتاوة والاستيلاء على القرى ومراقبة تحركات ولاية السلاطين ، وعائداتها من الاموال تقسم بين فخر الدين المعني وموسى الحرفوشي وكرد حمزة ، والحداوردي رئيس جند الشام^(٣) .

وكانت سياسة فخر الدين ترمي الى ابقاء موسى الحرفوشي الى جانبه وخصوصاً لما وجد نفسه بين خصمين عنيدين هما أحمد باشا الحافظ نائب دمشق ويوسف باشا سيفاً أمير طرابلس ، وبحث المعني عن

.....

- ١ - لم أعثر له على ترجمة .
- ٢ - الدويهي : تاريخ الازمنة : ١٨٤ ، أخبار الاعيان : ٧ / ٢٢٧ . تاريخ المعني للمعلوف ٨٣٠ .
- ٣ - المحبي : خلاصة الاثر : ٤ / ٤٤٩ .

أصدقاء جدد فتحالف سنة ١٠١٥ هـ / ١٦٠٧ م مع علي باشا جانبولاد أمير حلب^(١) ، وكان السيفي قد تمكن من انتزاع أمر قيادة جيش الشام لنفسه لقاء محاربة المعارضين للسلطان وعلى رأسهم ابن جانبولاد ، سار الأخير الى البقاع ليلقى حلفاءه ويحصر ابن سيفا في دمشق . اجتمع المعنى وابن جانبولاد والأمير موسى الحرفوشي على نبع العاصي قرب الهرمل وتشاوروا في أمر العصيان واحتلال دمشق ، ارتأى الأمير موسى ان يبذل مساعيه الحميدة لرأب الصدع بين الفرقاء المتخاصمين ، فاستصوب المعنى رأيه وباركه ابن جانبولاد وقال له « كن يا موسى كليما »^(٢) سار الحرفوشي الى دمشق وفاوض الجند لكنهم رفضوا عروضه ، فقابل امير الامراء في دمشق ، وأطلعه على مطالب ابن جانبولاد وحلفائه وهي :

« ان تعطى حوران لعمر وبن مفرج البدوي ، والبقاع العزيزي لمنصور بن الفريخ وان يؤذن للحاج كيوان نعمة بالدخول الى الشام ، ويكتب ابن جانبولاد على نفسه ان لا يدخل دمشق ، وان المعنى يؤدي ما عليه من مال السلطان وبلاده موصوفة بالامان » . تم الاتفاق على هذه البنود بحضور زعماء دمشق ، لكن الشيخ محمد بن سعد الدين رأس مجالس الشام وأعيانها نقض بعض بنود الاتفاق في اليوم التالي ، وقال تعطى حوران لابن مفرج لكن في السنة القادمة . ولا يعطي

.....

١ - نفسه : ٤ / ٤٣٢ .

٢ - هو علي بن احمد بن جانبولاد بن قاسم الكردي ، نائب حلب وأمير جند الشام توفي سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١٢ م . [المحيي : ٣ / ١٣٥] .

البقاع لمنصور بن الفريخ لأنه مرفوض من الرعية . فعاد الأمير الحرفوشي مخذولا وأخبر حلفاءه بفشل المفاوضات ، تشاور الزعماء الثلاثة وتم الاتفاق على مهاجمة دمشق لاجراج ابن سيفا منها ، خشي الأمير موسى سوء العاقبة فترك حليفه والتحق بالشام وأخبر أمراءها بنية ابن جانبولاد وحليفه ابن معن اللذين اغتازا من عمله فهاجما بعلبك يساندهم الأمير يونس ابن حسين الحرفوشي ابن عم موسى ، فدخلوها ونهبوها وفرقوا انصار موسى وتسلمها يونس . وسار الثلاثة إلى دمشق وحاصروها يوم السبت في جمادى الأولى سنة ١٠١٥ هـ / ١٦٠٧ م . وانتصروا في اليوم التالي على جند الشام ، وفر ابن سيفا بعد أن سلم امراء دمشق مائة الف غرش رشوة لابن جانبولاد تدفعه عن دخول المدينة وافسادها ، وانتهى الحصار بصلح فنال علي باشا جانبولاد مائة وعشرين الف غرش ، ووصلح ابن معن على أن تكون بعلبك والبقاع للأمير يونس الحرفوشي ، رفض الأمير موسى هذه الاجراءات وخرج الى القيرانية^(١) وجمع عشيراً كبيراً لقتال ابن عمه واستعادة بعلبك . لكنه أحس بوطأة المرض ، فصرف العشير ودخل دمشق مريضاً ، ومالبت ان مات في يوم الجمعة السابع عشر من صفر سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٨ م . ودفن في مقبرة الفراديس الى جانب والده بقبة بني الحرفوش^(٢) .

كان الأمير موسى شاعراً وشجاعاً وجواداً كريماً . أحب العلم وأهتم بشأن المدرسة النورية وفوض أمرها الى مفتي بعلبك شمس الدين محمد بن علي الشهير بابن الفصي ، المتوفي سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٦ م^(٣) .

١ - القيرانية (الايرانية) : قرية كانت على منابع العاصي .

٢ - المحبي : ٤ / ٤٣٣ .

٣ - نفسه : ٤ / ٤٥ .



أبيات شعر على جدار مسجد النهر من عهد الأمير يونس الحرفوش

ومن شعر الامير موسى قوله مفتخرا :

كأن رأس جنود الضد ليس له علم بأن بلادي موطن الاسد
ومن مهابة سيفي في القلوب غدت ام العدو لغير الموت لم تلد
فليرقبوا صدمة مني معودة ان لا تقر لها الاعداء في البلد
الست نجل علي وهو من عرفوا منه المخافه في الاحشاء والكبد
وانني أنا موسى منه قد ورثت كفي سيوفاً تذيب الامن في الخلد^(١)

الأمير يونس بن حسين الحرفوشي (١٦٠٨ - ١٦٢٥)

بموت الأمير موسى تحققت امنية يونس وهي الاستقلال بحكم بعلبك والبقاع . وكان يمهّد لها منذ إمارة ابن عمه ، اذ بدأت المنافرات بينهما تظهر منذ سنة ١٦٠٥م . عندما نشب الخلاف بين الأمير الحاكم وابن عمه الطامح الطامع فلجأ الأخير الى الامير فخر الدين المعني ، وأقام معه معاهدة صداقة سنة ١٦٠٥م . كانت تحركات الامير يونس تهدف الى الارتباط بأمراء الجبل ، والتخفيف من حدة تدخل باشاوات الاتراك في شؤون بعلبك والبقاع ، فأغضبت هذه التحركات السلطان احمد العثماني فاوعز الى والي دمشق احمد باشا الحافظ سنة ١٠٢٠ / ١٦١١م ان يجهز جيشاً ويقتل الأمير يونس . لكن الأمير فخر الدين المعني ، ساعد الامير يونس وخلصه من القتل ليساعده وقت الشدة^(٢) . وظلت مشكلة الحرفوشي تشغل بال السلطة ، فلما قدم نصوح باشا واليا

.....

١ - امل الأمل : ١ / ١٨٦ ، الامين : اعيان الشيعة : ٤٩ / ٨٥ .

٢ - الخالدي الصفدي : تاريخ فخر الدين : ٥ ، الشدياق : أخبار الاعيان : ٢٣٩ .

على دمشق سنة ١٠٢١ / ١٦١٢م كرر الطلب في قتل الأمير يونس ، واستطاع فخر الدين ان يتلافى هذا التصميم ، وينقذ حياة حليفه ، ويشترى رضا السلطان بخمسين الف غرش ، ورضا الوالي نصوح باشا بخمسة وعشرين الف غرش^(١) .

وبادر الأمير يونس في سنة ١٦١٣ م يرد الجميل للمعني فوجه إلى إربد فرقة من جنوده تنجد الأمير على بن فخر الدين في حروبه ضد عساكر دمشق^(٢) .

لكن هذه المساندة سرعان ما توقفت خوفاً من سوء العاقبة إذ اتسعت شقة الخلاف بين المعني وأحمد باشا الحافظ الذي رفع تقريراً إلى السلطان بتجاوزات المعني وطموحاته التوسعية فقبل السلطان سليم الشكوى . وأعدَّ جيشاً بقيادة أربعة عشر باشا (بكسر بكيا)^(٣) وخمسين سنجقاً يقودون خمسين الف مقاتل لإبادة آل معن ، وجعل أحمد الحافظ مقدماً عليهم . ولما وصلوا إلى (باياس) ، توجه الأمير أحمد الشهابي يرافقه أخوه علي إلى دمشق ، وراسل أحمد الشهابي يونس الحرفوشي يحذره من العصيان ويرغبه في قبول طاعة الوالي الحافظ ، واطلعه على نوايا السلطان بإزالة المعنيين ولما وصل الحافظ بعساكره إلى (المفقر) ، وفد عليه الأمير يونس برجاله مكرهاً لأنه كان لا يرغب في قتال المعني^(٤) . إزاء هذه الحشود أقام فخر الدين الاستعدادات في قلعتي

١ - الشدياق : ٢٤٠ .

٢ - الشدياق : ٢٤١ .

٣ - منهم : مصطفى باشا والي ديار بكر ، عمر باشا كنانجي (الاناضول) باباكير باشا

٤ - (قرمان) ، مومن باشا (الرها) . . (الصفدي : ١٢) .

الصفدي : ١٢ .

بانياس والشقيف . لكنه يئس من النصر فغادر لبنان الى ايطاليا . وبدأ الزحف على قلاع المعنيين وبلادهم فشارك يونس الحرفوش في حصار قلعة الشقيف، وكلفه الحافظ قطع الطريق على النجيدات التي تأتيها . فتوجه برفقة حسين باشا سيفاً لقتال (جلب حسين) والي غزير الذي قدم يرفد رجال المعني المحاصرين في الشقيف . التقى الفريقان على جسر الخردلة ليلاً ودارت معركة بين الطرفين ، فقبض عسكر الامير يونس على رجلين وفر قسم آخر وانسحب الباقون مع جلب حسين باتجاه القلعة^(١) .

اتبع احمد باشا الحافظ سياسة المضايقات مع الامراء اللبنانيين الذين ناصروه، فطلب الى علي الشهابي أن يسلمه مفاتيح منزله، والي الامير يونس الحرفوشي تسليم عمارة قب الياس ، وحصن اللبوة ، وأمضى عمر باشا - والي الأناضول واحد قواد الفرق - الشتاء في بعلبك مع عساكر السلطان . وقدم الحافظ الى بعلبك في شهر ذي القعدة سنة ١٠٢٢ هـ / ١٦١٣ م ، ليتسلم قلعتها وحصن اللبوة من الامير يونس فأقام عشرة أيام كلها مفاوضات ومناورات حتى أرضاه الحرفوشي عن الحصنين وعن حوائج السكمانية الذين قتلهم ابنه الامير احمد في اللبوة ، بخمسين الف غرش فأخذ المال ووضعه في كيسه وانصرف عن بعلبك^(٢) وظل الحافظ يتجول في الديار بين دمشق والبقاع . ففي شعبان سنة ١٠٢٣ هـ / ١٦١٤ م غادر دمشق الى قب الياس ليقبض اموال من يونس المعني ، وجرد حملة ضد اهالي الشوف وعلى رأسها

.....

١ - الصفدي : ٢٢ ، الشدياق ٢٤٦ .

٢ - الصفدي : ٢٥ .

ثلاثة باشاوات وأحمد الشهابي ويونس الحرفوشي . لكنها عادت ولم تحقق رغبات الحافظ . الذي أعد حملة وتوجه الى شقيف أرنون من جديد . لكنه عزل وتولى دمشق جركس محمد باشا سنة ١٦١٥ م . وكان أول عمل قام به أن اعطى البقاع للأمير شلهوب الحرفوشي ، بعد ان أخذ اثني عشر الف غرش خدمة^(١) . وأمده بخمسمائة فارس يرافقه كورد حمزة وآغا مصطفى يناصرونه في أخذ البقاع من ابن عمه الاميريونس . تقدم شلهوب الى قب الياس فمانع ابن عمه حسين بن يونس تسليمه . فطلب شلهوب النجدة من اعداء الاميريونس فوافاه أحمد الشهابي والشيخ مظفر ، ومقدمو بلاد كفر سلوان ، وحسن آغا مملوك حسين باشا سيفاً ، فلما كثرت رجال الامير شلهوب انتقل الى قرية (مكسه) شمال قب الياس . وتوجه الاميريونس رجاله الى الكرك ونجحت المفاوضات بخروج الأمير حسين من قب الياس الى الكرك .

وتسلم شلهوب قب الياس و ضبط امورها مدة شهرين ، وعين جركس محمد (صوباشيا) على بعلبك من قبله فاغتاظ الأمير يونس وعمد الى اتصالاته وبذل الأموال . فذهب الى محمد باشا في حلب وصحب معه اربعين الف ذهب للوزير ومجلسه فقرروا عليه البقاع وبعلبك ، فعاد ومعه حكماً من الوزير محمد باشا الى جركس محمد بعزل شلهوب عن البقاع . غادر شلهوب الى دمشق ومنها الى الهرمل وأقام مع اخواله ابناء سيفاً . وتسلم الامير يونس قب الياس فأوكل أمرها الى ابنه أحمد . وأقام على بعلبك ابنه حسين . وتفرغ هو للقيام بأدوار سياسية

١ - نفسه : ٣٥ .

ومفاوضات تقوي نفوذه في البلاد ، ولما قابل الوزير محمد باشا في حلب
حادثة في شأن قلاع ابن معن المحاصرة وعرض نفسه وسيطا في
الاستسلام بشروط ترضي الطرفين ، ولما وصل الى بعلبك كتب الى
حسين اليازجي كتحدا فخر الدين يخبره بأن الوزير محمد باشا يميل الى
بيت معن وأنه أفضل وزير يرعى مصالحهم . وشجعهم على المفاوضات
معه^(١) .

ثم اسهم في فض النزاع بين يونس المعني ومحمد آغا بوشناق والي
صيدا ، في شهر ذي القعدة سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م^(٢) وأمكن
الامير المعني من أخذ المدينة ، وتابع الحرفوشي وساطته في صيدا .
فخرج الامير علي المعني وحسين اليازجي من قلعة بانياس ودخلوا صيدا .
ولمادبّ خلاف بين حسين اليازجي والامير علي الشهابي الذي أمل حضور
ولده المحصور في قلعة بانياس . لكن العسكر منعه قبل دفع (الرشوة)
فدفع الامير علي المعني خمسة آلاف غرش بكفالة الامير يونس
الحرفوشي^(٣) .

واستكمالاً للمفاوضات وفد حسين اليازجي ، ومصطفى كتحدا
إلى بعلبك فصحبهما الأمير يونس إلى الوزير محمد باشا في حلب ،
فخلع عليهم وشرط بهدم القلعتين (بانياس ، والشقيف) مع تقرير
سنجقيتي صيدا وصفد للأمير علي المعني . ووعد الأمير يونس الحرفوشي
بسنجقية حمص اذا نفذ الاتفاق^(٤) .

.....

١ - الصفدي : ٤٤ - ٤٥ .

٢ - نفسه : ٤٦ .

٣ - نفسه : ٧٤٦ .

٤ - نفسه : ٤٨ .

وهناك كلف الوزير الامير يونس ان يساند الامير حمدان بن قانصوه في تولية سنجقية عجلون^(١) وعاد الامير يونس يرافقه حسين اليازجي ومعهما (خلعة) للأمير علي المعني ولما وصلا عرضا الاتفاق وباشرا التنفيذ. فسار اليازجي والحرفوشي وباكير آغا رسول الوزير وأخرجوا نساء الامير فخر الدين من القلعة. ونفذوا هدم القلعتين، ونال الامير يونس الحرفوشي سنجقية حمص. سنة ١٦١٦م. ضبط حمص وجرى على عرب آل موسى (انصار ابن سيف) وهم في حولة (بعرين) فأخذ مواشيهم^(٢). وربح من الشيخ عبد النافع اثني عشر الف غرش^(٣).

ظل الأمير يونس محافظاً على علاقاته الجيدة مع الاطراف المتنازعة على الساحة. ففي سنة ١٦١٧م. أرسل الامير علي المعني «مدبره مصطفى كتحدا إلى بعلبك يلتمس من الامير يونس الحرفوشي رضا وزير دمشق» ليقدر عليه سنجقية صفد فتوجه الامير يونس بالمدبر الى دمشق^(٤).

وكان علي المعني ان يسدد اثنتي وأربعين الف غرش استدائها حسين اليازجي باسم الامير علي المعني، فاستدان المدبر عشرة آلاف غرش من الامير يونس ودفعها لهم وكتب صكاً بالباقي لمدة شهرين بكفالة الامير يونس، ولما عاد المدبر واخبر الامير كتب الى الأمير يونس يشكره على معروفه بالكفالة وارسل له المال الذي أقرضه للمدبر^(٥). هذه القصة

١ - نفسه : ٤٨ .

٢ - منها اربعماية جمل وعشرة رؤوس خيل .

٣ - الصفدي : ٥٠ .

٤ - الشدياق : ٢٢٥ .

٥ - الشدياق : ٢٥٥ .

رواها الصفدي لكنه جعل اللقاء في بعلبك وليس في دمشق اذ وفد إلى بعلبك كل الاطراف واتفقوا بحضور الامير يونس الحرفوشي . وأضاف شرطاً هو أن المبلغ المؤجل اذا لم يدفعه الامير علي في عيد شهر رمضان سنة ١٠٢٧ / ١٦١٧م يسدده الامير يونس الحرفوشي ويعطى سنجقية صفد^(١) .

ان رواية الصفدي أقرب الى الحقيقة لأنه عاش هذه الاحداث ودونها في حينها . ومنها نستخلص ان بعلبك غدت مركزاً مهماً للقاء الوفود كتب الصفدي « فطلبوا حضور مصطفى كتحدا (مدير الامير المعني) إلى عند ابن الحرفوشي ببعلبك ليتلاقى مع أصحاب الديون ، ويكتبوا عليه حجة بالوكالة عن الامير . فأمره بالتوجه ، فتوجه الى بعلبك . وطلع من الشام لاقاه قبوجي باشي حضرة الباشا ، ويحیی آغا من قبل الدفتر دار ، وكورد حمزة ، والحاج كيوان البلوكباشيان ، وجميع أصحاب المال وارباب الديوان وكتبوا الحجة التي طلبوها . . . فلما عاد مصطفى كتحدا اعلم الامير علي بالذي صار في بعلبك من تقريب وجهات النظر بين المتنازعين وفضّ خصوماتهم .

إطمأن الامير يونس الى نفوذه السياسي ، فحاول سنة ١٦١٧ م التوسع فبعث ولده الامير أحمد ليقم في مشغرة ، وشرع ببناء قصر يسكنه ، وكتب الى مشايخ بلاد بشارة الشيعة ، يدعوهم للالتفاف حوله والتعاون معه ، فوافاه الحاج ناصر الدين بهدايا زعمائهم من آل داغر وعلي الصغير ، وابن منكر . . ولما عاتبهم علي المعني اعتذروا بأن الحاج

١ - الصفدي : ٦٤ .

٢ - الصفدي : ٦٤ .

ناصر الدين ذهب للتسليم على أخيه الحاج علي بن منكر الذي لجأ الى الحرافشة^(١). وأحس علي المعني بالخطر الذي يتهدد إمارتهم بولادة حلف قوي من (المتاوله)، يمتد من بعلبك الى كرك نوح فقب الياس، فمشغرة، فجبل عامل فصغد. اختار علي المعني السيد نور الدين من قرية (جبع) لينقل رسالته الى الامير يونس الحرفوشي ومضمونها « ان كان مرادكم محبتنا و صداقتنا، فامنعوا ولدكم الامير أحمد من البنا في قرية مشغرا، ومن السكن بها أيضاً، فانه ما يتأتى من ذلك الا العداوة بيننا والبغضاء»^(٢). فاعتذر الامير يونس بأنه لا ينبغي الا التقرب من المعنيين، والذي خطر في ذهن ابن معن لم يخطر على بال ابن الحرفوشي.

ومضى الامير أحمد في عمله مما جدد الاتصالات لإنهاء الموضوع حفظاً للصداقة الحقة. فأوفد الامير يونس أحد انسبائه (امير حاج) الى المعني لينوب عنه في الاحتجاج. وأشار الى ولده أن يكف عن متابعة البناء. ويؤكد الصفدي ان الاتصالات بين الحرافشة وشيعة الجنوب لم تنقطع^(٣).

ولما عاد فخر الدين الى لبنان سنة ١٦١٧ سارع احمد بن يونس الحرفوشي للسلام عليه وقدم له خيلاً^(٤). كدليل على دوام العلاقات الودية بين العشيرتين. وفي هذه الاثناء حاول يوسف باشا سيفاً أن

- ١ - الحاج علي بن منكر فرمن ظلم الامير المعني ولجأ الى الامير يونس في بعلبك
- ٢ - الصفدي : ٦٦ .
- ٣ - الصفدي : ٦٧ .
- ٤ - الشدياق : ٢٥٦ .

يوغر صدر فخر الدين على الحرافشة . فبعث بواسطة الامير علي الشهابي « . . . سبحان الله دائما ما ينظر الامير فخر الدين الا عداوتنا ، والامير يونس ، ابن الحرفوشي قتل السكمانية الذين جاؤ وامن عند ولده من البرية ، وراح الى عند الوزير وتسبب في هدم القلاع ، وأمس أرسل ولده الامير احمد الى قرية مشغرا ، وصاريكاتب بني متوالي وينصحهم ويفسخهم » (١) .

بدأ فخر الدين أعماله بالاعتقالات والمصادرات فقبض في عكا على الحاج ناصر الدين بن منكر لأن أخاه علي بن منكر لاذ بالحرافشة وهو يغريهم ويحثهم على أخذ بلاد بشارة (المتواليه) وتخليصها من المعنيين . بادر الامير يونس الى انقاذ الحاج ناصر الدين فأنفذ كتخذه حسين الشارب يعرض اطلاق الحاج ناصر الدين مقابل اثني عشر الف غرش ، يسدها الامير يونس عن المعني لارباب الدين في دمشق (٢) .

ولما طالبت الدولة فخر الدين بالاموال سارع وفرض على بلاد جبل عامل ضرائب خمس سنوات ، وضيق على مشايخها « فنزحت مشايخ بلاد بشارة، بنو منكر ، وبنو علي الصغير الى بلاد بعلبك الى الامير يونس الحرفوشي » (٣) فهدم فخر الدين منازل اولاد منكر في عيناتا . والحاج علي ابن ابي شامة في بنت جبيل ، وفرحات ابن داغر في قرية انصار ، والحاج ناصر الدين في قرية الزريرية وولده في قرية حومين الفوقا وضبط جميع غلتهم . . » (٤) .

- ١ - الصفدي : ٧٠ .
- ٢ - الشدياق : ٢٥٧ ، الصفدي : (٧٠ - ٧١) .
- ٣ - الشدياق : ٢٥٧ .
- ٤ - الصفدي : ٧١ .

ومع ذلك بقيت الصداقة قائمة بين المعني والحرفوشي . ففي صفر سنة ١٠٢٨ / ١٦١٨م عزم فخر الدين على تأديب يوسف باشا سيفاً ففوض الامير يونس الحرفوشي ان يضبط ممتلكات آل سيفاً من المواشي والغلال في القيرانية^(١) والهرمل . فتوجه الحرفوشي الى برج القيرانية ، وحصر سكمانية ابن سيفاً وتسلمه في ثلاثة ايام ، وضبط ناحية القيرانية والهرمل وصادر جميع المواشي التي وفدت من جهة عكار . ثم ارسل الحرفوشي أربعة بلوكباشية من سكمانيته لنصرة فخر الدين في بلاد عكا^(٢) .

تمت هذه المراسلات؛ واللقاء بين المعني والحرفوشي لم يتم منذ مغادرة المعني لبنان الى ايطالية . فلما قدم المعني من عكار الى حدث بعلبك ثم الى (المجر) قرب نبع العاصي . أقام الامير يونس في حصن اللبوة « لا هلعاً ولا وهماً ولا فزعاً » هذه الالفاظ التي اطلقها الصفدي ، والشدياق مغايرة للحقيقة ، إنما قصد الامير يونس أن يلزم فخر الدين بزيارته ما دام يمر في أرض هي تحت سلطة الحرفوشي . وهذا ما حدث اذ «قصده الامير بعشرة فرسان فواجهه»^(٣) ودعاه الى خيمته ، فسار معه يونس ، وسرعان ما غادره معتذراً بتقدمه الميرة للعساكر . لكنه لم يرجع اليه ولم يرسل مالا ، لأنه « عرف في فخر الدين طمعاً وغدراً » .

وهنا تبرز مشكلة تخطيط فيها المؤرخون ، وهي المصاهرة بين المعني

.....

- ١ - نفسه : ٧٧ ، الشدياق : ٢٥٨ ، المعلوف : تاريخ المعني : ٢١٩ .
- ٢ - الصفدي : ٩٧ ، الشدياق : ٢٦٣ .
- ٣ - القيرانية قرية على مجرى العاصي قرب بساتين الهرمل وغدت الآن خراباً .

والحرفوشي اذ تزوج الامير احمد بن يونس الحرفوشي من ابنة الامير فخر الدين . هذه المصاهرة تخطط فيها ميخائيل الوف فتارة يقول انها تمت سنة ١٦٠٥ م والعروس هي ابنة الامير فخر الدين^(١) . وتارة يجعلها في حوادث سنة ١٦١٧ م والعروس هي فاخترة ابنة الامير علي المعني « حيث عقد الامير علي بن الامير فخر الدين عقد ابنته فاخترة على الامير احمد بن يونس الحرفوشي فأق وسكن مشغرة »^(٢) في حين جعلها الصفدي في حوادث سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م بقوله « وفي المحرم الحرام من السنة المذكورة قدم الامير حسين ابن الامير يونس ابن الحرفوشي وكواخي والده وجماعته الى عند الامير فخر الدين بيروت خاطبين كريمة الامير فخر الدين للامير احمد ابن الامير يونس المذكور . فتوجه الامير فخر الدين الى مدينة صيدا وقضى لهم مرادهم ، وعاد كل منهم بما حصل له من المجاورة وارسل كريمته مع المتعنين من اعيان جماعته وتوجهوا الى قب الياس وجاء الامير يونس ولاقاهم بها وراعى جميع الذين توجهوا من قبل الامير فخر الدين حق رعايتهم »^(٣) .

والصفدي نفسه تخطط في تاريخ الزواج اذ قال في حوادث سنة ١٦١٧ م « وقبل هذه الاحوال كان قد صار نصيب للامير احمد ابن الامير يونس ابن الحرفوشي في مصاهرة الامير فخر الدين ابن معن وعقد عقدة نكاحه على كريمته ! . . »^(٤) والامير حيدر الشهابي رواها في

١ - الوف : تاريخ بعلبك : (٨٧ - ٨٨) .

٢ - نفسه : ٨٩ .

٣ - الصفدي : ٩٣ .

٤ - الصفدي : ٦٦ .

حوادث سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ م . « تزوج الامير احمد فاحرة ابنة الامير علي المعني فجاء وسكن في مشغرى من عمل البقاع وبني فيها داراً عظيمة وجرت مكاتبات بينه وبين شيعة طرابلس اولاد داغروامراء جبل عامل بني علي الصغير وبني منكر . . » ولعل الخطبة تمت مسبقاً لكن الظروف حالت دون اتمام مراسم الزواج ؟ لكن المعروف ان الامير احمد توفي في شهر رمضان سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م اي بعد تسعة أشهر من التاريخ الذي ذكره الصفدي^(١) .

ود الامير يونس ان تبقى المصاهرة مع المعني مستمرة لذلك استغل مرور الحاج كيوان في بعلبك سنة ١٦٢١ م . وكلفه ان يلتمس من المعني زواج الامير حسين بن يونس من أرملة أخيه احمد كريمة الامير فخر الدين ، لقاء ثمانية آلاف غرش ارضاء لخاطره . توجه الحاج كيوان مدبر فخر الدين الى صيدا وخاطبه بشأن هذا الزواج فباركه . وأقام الحاج كيوان وكيلاً بالزواج يرافقه السيد نور الدين الجبعي . وأنه يقبض من الامير يونس خمسة آلاف غرش يدفعها لباشا دمشق ويدفع الثلاثة آلاف غرش لمصطفى جاويش احد غرمائه في دمشق^(٢) .

عادت المياه الى مجاريها ، فكتب الامير المعني مع اثنين من رجال الحاج كيوان وهما : حمد ان ورضوان ، أن يطلبوا من الحاج درويش كتحدا الامير في الباب العالي أن يكتب سنجقية حمص للامير يونس الحرفوشي ، ففعل ذلك لقاء ستة آلاف غرش . وأرسل الحكم والحجة الشرعية للمعني الذي ارسلهما بدوره الى يونس الحرفوشي . فسلم

١ - الصفدي : ١٠٢ .

٢ - الشدياق : ٦٧ ، الصفدي ١١٤ . المعلوم : تاريخ المعني : ٢٢٨ .

سنجقية حمص لابنه الامير حسين فضبط شؤونها وجبى مالا وفيراً^(١) .
ولما كانت السنجقيات تباع بالمزايدات ، تمكن عمر بن سيفاً أن يأخذ
سنجقية حمص لنفسه . مما أغاظ الامير يونس فزاد الاموال واستطاع
انتزاعها من جديد في شهر محرم سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢م^(٢) .

وغدا الامير يونس مقاسماً للمعني في زعامة البلاد . ففي ربيع
الأول سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢م . وزعت استانبول ولايتها على طرابلس
وحماه وجبله وعزلت يوسف باشا سيفاً ، فكتبت أحكاماً « لباشا الشام
وعساكرها وللأمير فخر الدين ابن معن ، والامير يونس ابن
الحرفوشي ، بأن يكونوا لهؤلاء من المساعدين على ضبط هذه المناصب
وضبط املاك ابن سيفاً .. »^(٣) .

بيد ان العلاقات تعكرت بين المتنافسين والسبب المباشر رسالة كتبها
الامير يونس الحرفوشي الى كرد حمزة يخبره فيها بعزل فخر الدين عن
صفد ، ويظهر فيها الشماتة لما لحق جماعة المعني في نابلس وعجلون من
هزائم . فأرسل كرد حمزة ذلك الكتاب الى المعني خطأ مع كتبه لأنه كان
أمياً . فلما قرأه المعني غضب ، وجمع أصحابه وأخذ يعدد أمامهم
تجاوزات الحرفوشي ضدهم : لقد منع أهل الشوف من الزراعة في
أرض البقاع ، وبسط نفوذه على أملاكهم التي ابتاعوها من أيام
منصور بن الفريخ ، وصادر (تل النمورة) قرب قب الياس ، وهو

.....

١ - الصفدي : ١١٧ .

٢ - نفسه : ١١٨ ، المعلوف تاريخ المعني : ٢٢٩ .

٣ - الصفدي : ١٢١ .

للأمير علي المعني ، وقتل سكمان علي المعني ، واسهم في هدم قلاعهم ، وغدا يعتز بقوته . . . بعد هذا العرض تم الرأي على وضع حد لتعدييات ابن الحرفوشي . ونهض فخر الدين من بيروت - في شهر ذي القعدة سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م - الى قب الياس . ولما وصلها استقبله صهره الأمير حسين الحرفوشي ودعاه الى ضيافته فلبى دعوته ثم ابرز المعني صكاً وحكماً سلطانياً بملكية حارة قب الياس وقال له :

« هذه الحارة ملكنا واسكنك بها هذه المدة الطويلة والان احتجناها وتوجه أنت الى والدك بالامن والامان »^(١) وبعد المفاوضات بين الأمير وصهره أصر فخر الدين على هدم حارة قب الياس لأنها ملكه وصرح للأمير حسين بأنه لا يريد أن يحكم بلاد البقاع .

خرج الأمير حسين مغتاضاً باتجاه بعلبك وخلف زوجه في قب الياس عند والدها فارسلها الأمير الى والدتها في صيدا ، وأمر سكمانيته واهل الشوف والجرد ، والمتن من مشايخ ومقدمين بنهب غلال الحرافشة وضبطوا ستماية من البقر والجاموس ، وأحضر البنائين والقلاعين من صيدا وبيروت وشرعوا بهدم الحارة في قب الياس^(٢) .

أما الأمير يونس فاستدعى حليفه كرد حمزة من حمص وهو رئيس عساكر الشام وكلمته نافذة لدى واليها . واتفقا على منح الباشا رشوة ليكتب سنجقية صفد على الأمير يونس بزيادة الف ذهب . . فلم يمانع وأعطاه

.....

١ - الشدياق : ٢٧١ ، الصفدي : ١٣٥ .

٢ - الشدياق : ٢٧٢ ، الصفدي : ١٣٦ .

حكم التحويل ودفع الامير يونس عشرة الاف ذهب من مال صفد مسبقاً . فلما بلغ المعني ذلك أراد الانتقام والمزايدة على بلاد بعلبك فكتب الى وزير دمشق قائلاً « بلغني ان الامير يونس زاد على سنجقية صفد الف ذهب ، وقبلتم منه فأنا عندي خدمة لحضرة مولانا السلطان على بلاد بعلبك زيادة مائة الف ذهب... »^(١) وكتب بمثل ذلك إلى دفتر دار الشام ورئيس الانكشارية فيها .

هذه المشاحنات أدت الى نشوء حلفين في بلاد سورية (جبل لبنان وبلاد الشام) الأول يقوده فخر الدين ومعه ابنه علي ، وأخوه يونس ، وعلي الشهابي وأحمد الشهابي والبلوكباشي الحاج كيوان ... ورجلهم من جبل لبنان وبيروت وصيدا ومتاوله جبل عامل وصفد وعجلون ونابلس والسكمان ...

والفريق الثاني يقوده يونس الحرفوشي ومعه ابنه حسين ، وعمر بن سيفا وعباس أمير عرب بلاد حمص وعرب آل موسى والبلوكباشي كرد حمزة وهؤلاء لبسوا ثوب الشرعية فامروا عليهم والي الشام مصطفى باشا ورجلهم من البقاع وطرابلس وحمص وعسكر الشام والسكمان ...

هذه التكتلات اوضحها الصفدي بقوله « رحل الامير فخر الدين من منزلة الملاحه وأرسل الى ولده الامير علي ان يلاقه بجميع الناس والرجال المجموعة عنده في بيروت الى قب الياس ... وكان بها عمه الاميريونس ابن معن ومعه الف رجل بل ازيد ورجال الامير علي

١ - الصفدي : ١٣٩ ، الشدياق : ٢٧٢ .

كانوا هذا المقدار وليلة الاحد المذكور -[٢٦ ذي الحجة من سنة ١٠٣٢ / ١٦٢٢]- كان الامير يونس ابن الحرفوش وابنه الامير حسين وجميع اقاربه ورجال بلاده وسكمانيته والامير عمر بن سيفاً بجميع رجاله وسكمانيته والامير عباس وعربه وتركمان بلاد بعلبك وحصص وعرب آل موسى جاؤوا من مدينة بعلبك ونزلوا على جسر دير زينون من معاملة البقاع متوجهين الى الشام للاجتماع بالبasha وعسكرها... وفي تلك الليلة ايضاً كان رحل الامير فخر الدين بجميع سكمانيته والعشير والامير علي ابن الشهاب . بجميع رجال بلاده ... ونزلوا على جسر القرعون»^(١) .

تقدم الامير يونس برجاله الى الديماس ليلاً على ضوء المشاعل فاغتنم المعنى الفرصة وهاجم كرك نوح بألفي فارس ، وكان الحرفوشي قد أقام عليها حامية من مائة بندقية ، وعلى رأسهم مملوكه صوباشي القرية ، وابن الغتمي فلما شاهدوا كثرة الخيل دخلوا مزار النبي نوح ، فحاصروهم رجال المعنى ، واستطاعوا كسر الابواب بالفؤوس ودارت معركة داخل المزار قتل فيها من المهاجمين خمسة رجال ومن المدافعين ما يقارب ثلاثين رجلاً واحتمى الباقون في المئذنة يصلون العدو ببوابل من الرصاص . وأحسن فخر الدين بالضعف والعجز « فأرسل الى ولده الامير علي وأخيه الامير يونس أن يحضرا اليه بجميع رجالهما»^(٢) . ولما تكاثر المهاجمون فضل رجال الحرفوشي الاستسلام بالامان على يد الامير علي الشهابي . وبعدها عاث فخر الدين ورجاله فساداً في القرية فنهبوا ثم أحرقوها

١ - الصفدي : ١٤٦ .

٢ - نفسه : ١٤٧ ، الشدياق : ٢٧٤ .

« وحرق العشير جميع البلد حتى لم يبقوا بها بيتاً واحداً بلا حريق »^(١) وتابعوا طريقهم فنهبوا القرى الشرقية واحرقوها . حتى وصلوا الى نبع عنجر . فلما بلغ أمراء بعلبك ذلك تحصنوا في القلعة ، وكتبوا الى الأمير يونس يخبرونه فأرسل خيالة بلاد بعلبك والسكمانية لحراسة بعلبك وقراها^(٢) . واستمر في طريقه الى ميسلون حيث التقى هناك عساكر مصطفى باشا وكرد حمزة في غرة محرم سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣م وفي اليوم التالي وصل جيش الشام الى سهل الجديدة . وتقدم الى تلال عنجر . وكان الامير فخر الدين قد خطط لتكون المعركة في عنجر « لأنه محل وعر » . وهناك جرت الوقعة التي انتصر فيها المعني وحلفاؤه بفضل التخطيط والثبات . وكان معه ما ينيف على خمسة آلاف رجل في حين كان جيش الوالي وحلفائه أزيد من اثني عشر الفا ينقصهم التنظيم^(٣) . وانجلت المعركة عن أسر الوالي مصطفى باشا وهزيمة يونس الحرفوشي وكرد حمزة وعمر سيفا الى بعلبك .

وبعد المعركة أظهر فخر الدين حنكة سياسية اذ جرد أعداءه من ثوب الشرعية وارتابه . قال الصفدي « أما مصطفى باشا بكلربكي الشام فما امكنه الانهزام مع المنتهزمين فمسك قبضاً باليد فلما وصل اليه الامير فخر الدين وولده الامير علي نزلا عن خيلهما وقبلا ذيله وعينوا معه محمد بلوكباشي القزاز ليوصله الى قب الياس . . »^(٤) .

.....

١ - نفسه : ١٤٧ . نفسه : ١٢٧٤ ، المجلد تاريخ فخر الدين ٢٢٩ .

٢ - نفسه : ١٤٨ ، نفسه : ٢٧٤ .

٣ - الصفدي : ١٤٩ .

٤ - (١٥٠ - ١٥١) .

تمسك فخر الدين بالوالي مصطفى باشا ، فعوضه كل ما خسر في
المعركة هو ورجاله . وأغراه بالأموال ، وأظهر له الخضوع ، ورمى
اعداءه الحرافشة آل سيفنا بالخروج على السلطان .

لما أدرك الامير يونس الحرفوشي وأصحابه انضمام مصطفى باشا
الى عسكر المعني وانقلابه عليهم احتاطوا للأمر . فأوكل الحرفوشي أمر
قلعة بعلبك الى « مائتين وعشرة أنفار »^(١) والتحق بحصن اللبوة .

قرر الوزير مصطفى باشا بمشورة المعني القضاء على سلطة يونس
الحرفوش وهنايرز سؤال ، هل المعركة كانت مؤامرة نسجت ضد ابن
الحرفوشي ؟ هذا التساؤل تدعمه عبارة أوردها (المحبي) عرضا في
كتابه « خلاصة الأثر » قال : « وذلك أن العسكر الشامي كانوا قصدوا
محاربة اولاد الحرفوشي ، وإخراجهم من بعلبك ، وطلبوا من مصطفى
باشا أن يخرج معهم فأبى أولاً ، وأمر بالتربص فلم يرضوا الا
بخروجه ، فخرج بهم بعد أن كتب عليهم حجة بذلك . ولما تقابل
الفريقان انكسر العسكر الشامي ، ووقع الوزير المذكور في أيدي عشير
ابن معن ، ثم بقي عنده بالبقاع أياماً ، ثم ذهب معه الى بعلبك في طلب أولاد
الحرفوشي »^(٢) .

هذا القول مع اضطرابه يثير شكوكاً حول مؤامرة نسج خيوطها
عسكر دمشق والباشا وابن معن . اذ استدرجوا الحرفوشي الى معركة ،
وتخلوا عنه . وخصوصاً بعدما اعاد معظم جنوده لحراسة بعلبك قبل

.....

١ - الشدياق : ٢٧٦ ، الصفدي : ١٥ .

٢ - المحبي : خلاصة الاثر : ٢٩٥ / ٤ .

حدوث المعركة . والروايات تؤكد أن الذين قاتلوا وصمدوا هم رجال الحرفوشي وابن سيفاً مع قلتهم . والصفدي مؤرخ فخر الدين زوى ان بداية المعركة كانت نصراً للحرفوشي وابن سيفاً اذ دحرا قوات المعني « وأطلعوهم من قرية المجدل حتى أوصلوهم الى كعب البرج وضايقوهم وملكت سكمانية ابن سيفاً وابن الحرفوش البلد »^(١) ويضيف إن مائة خيال فقط هجموا على الاية مصطفى باشا فانهزم عسكره واستسلم للأسر^(٢) . أما المحبي فشرح أسباب نقمة اهل الشام على يونس الحرفوشي وتلخص بأن الحرفوشي (الرافض) اخذ يضيق على السنة في بعلبك فنزحت منهم عائلات كثيرة إلى دمشق وهناك حرّضت عساكر الشام ضده ثم عمد فشيّد اول مسجد للشيعّة في بعلبك سنة ١٠٢٨ هـ / ١٦١٨ م . واتصالاته بمناولة . بلاد بشارة أزعجت المعنيين وحلفاءهم . . .

سار الحلف من قب الياس باتجاه بعلبك ، سالكين طريق تمّنين . فكانوا أنهم من الجراد يأكلون الأخضر ويحرقون اليابس .

ووصلوا بعلبك يوم الاحد ١٢ محرم سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م . فوجدوها خالية إلا من السكمانية المرابطين في قلعتها وهم تسعة بلوكباشية مع مائتين نفر وسردارهم بلوكباشي احمد بن حرب من قرية الدوير في بلاد الشقيف . ووصل الى بعلبك نجدة للمعني ابن عدوه اللدود سليمان بن سيفاً . فنزل مصطفى باشا في دار الامير شلهوب ، وفخر الدين وولده على في دار يونس والسيقي في دار الامير حسين .

١ - الصفدي : ١٥٠ .

٢ - نفسه : ١٥٠ .

واحمد بن الشهاب في دارسي أحمد صهر يونس الحرفوشي . وتفرق
الجنود في منازل المدينة .

وشرعوا ينهبون المنازل ومخازن الحبوب وأباح المعني عمليات
للصوصية الى أهالي « كسروان وجبيل والبترون وبشري ، وأهالي بلاد
وادي التيم والبقاع ، وعرب آل فضل وغيرهم من العربان »^(١) .

عندها غادر يونس الحرفوشي حصن اللبوة مع أهل بيته وكرد حمزة
ولجأوا الى قلعة الحصن وبعد أيام ترك ولده حسين في حمص وسار برفقة
كرد حمزة الى حماه فحلب حيث رفعوا الشكوى الى اسلامبول .

اما مصطفى باشا فكتب من بعلبك الى متسلمه بالشام ان يقتل
البلوكباشية والانكشارية من أتباع كرد حمزه فنفذوا ذلك^(٢) ولما كانت
استانبول عاجزة عن التحرك وفض الخصام بسرعة ، ارتأى الامير
يونس - وهو الذي اعتمد السياسة اكثر من السيف - ان يوجه ابن عمه
الامير شلهوب الى بعلبك لحفظ ما تبقى من المدينة . ولما قابل
مصطفى باشا وفخر الدين طمأنانه وأقام في بعلبك .

وفي هذه الاثناء حضر الى بعلبك وفد دمشقي من مردي مصطفى
باشا مثل قاضي دمشق عبد الله بن قاسم المعروف بببل زاده ، وابراهيم
باشا الدفتر دار السابق . وعشرة بلوكباشية والنجم الغزي صاحب
(الكواكب السائرة .. » فخيّموا على رأس العين وكانوا يترددون الى
زيارة الوزير والمعني والحاج كيوان رأس العشير . واتفق الجميع أن

.....

١ - الصفدي : ١٥٣ .

٢ - المعلوف : ٢٣٥ ، الصفدي : ١٥٣ .

يكون الحاج كيوان آغا الانكشاريين في دمشق وان يكون طريفي حسين بلوكباشي كتحدا فلبى الباشا طلباتهم ومكث الوفد في بعلبك مدة اثني عشر يوماً وضع خلالها النجم العزي رسالة وصف فيها كل مشاهداته .

وفي صباح الجمعة ٢٤ محرم حصلت نفرة بين المعني والحاج كيوان فاغتاظ ورام مغادرة بعلبك الى دمشق فمنعه السكمان حارس الباب . لأن المعني اغلق جميع أبواب المدينة . وأبقى واحداً للدخول والخروج ووضع عليه الخفراء يمنعون من يريد الخروج . فلما علم فخر الدين بسفر الحاج كيوان نهض اليه يسترضيه . فأعجزه أمره . واشتد اللدد بين الاثنين فتوعده الحاج كيوان بأنه ذاهب الى الباب العالي يشكو أمره ويكشف تجاوزات المعني في بلاد بعلبك . فحقن فخر الدين وأنزل الحاج كيوان عن جواده وطعنه بخنجر وأمر سكمانه بالاجهاز عليه . ودفن عند باب دمشق من بعلبك . وهكذا قتل فخر الدين مربيه ومساعدته الذي خدمه أيام المحن»^(١) .

بقي مصطفى باشا في بعلبك حتى نهاية شهر محرم فغادرها إلى دمشق سالكاً طريق سرغايا الزبداني . وظل فخر الدين في المدينة يحاصر قلعتها . وما زالت النجديات تفد اليه فوافاه الامير بلك ابن سيفاً^(٢) .

١ - الحاج كيوان هو كيوان بن عبد الله بن نعمة ضو (الماروني) ولد في دير القمر سنة ١٥٥٧م تقريباً . خدم الامير قرقماس وقد عينه سفيره في دمشق ، واعتمد على نصائحه . وهو الذي روى فخر الدين ويونس المعني ، ولما تولى فخر الدين الامارة عينه مديراً له (كتخدا). فدخل في وجاق الانكشارية في دمشق وترقى الى رتبة بلوكباشي . وساعد المعني في حروبه ، ورافقه في رحلته الى أوروبا وظل يساعد فخر الدين في حروبه حتى قتله في بعلبك سنة ١٦٢٣م . وقال لسكمانه « احفروا قبره تحت قدمي » . [المعلوف : ٣٩ - ٤٠] .

٢ - الصفدي : ١٥٦ .

فكان يبعث رجاله الى القرى الشرقية لسلب قطعان الماعز من جبة
عسال وجرود اللبوة . وأتاه كتحدا الامير مدلج الحيارى يستنجد - على
الامير حسن ابن فياض . فسار فخر الدين الى نجدته يرافقه شلهوب
الحرفوشي وسليمان بن سيفا وأبقى ولده علي واحمد الشهابي
وأمرهما بتشديد الحصار على القلعة كي لا يصلها مدد . ويروي الصفدي
ان فخر الدين كان يمر على البدو الامنين فيأخذ إبلهم وأغنامهم مكسباً
له ، حتى عاد بأسلاب وافرة^(١) ، وفي طريقه عرج على سهل اللبوة
وطلب التسليم من مرجان بلوكباشي مسؤول حصن اللبوة ، فأجابه
نحن نرتبط بحصن بعلبك فإذا أخذتموه فنحن نستسلم بلا تحكيم .
فرحل فخر الدين الى بعلبك ودخلها في ٢١ صفر سنة ١٠٣٣ / ١٦٢٣
م . وعزم على تشديد الحصار ، فدفع الأموال للسكمان ليجتهدوا في
المهجوم . وقطع الاشجار من بساتين بعلبك وأقامها في المتاريس ، وحفر
الخنادق وسهر ليلاً ونهاراً بلا جدوى واستطاع المدافعون أن يقتلوا اكثر
من أربعين رجلاً من جند المعني خلال الحصار الذي اعطانا صورة حية
عنه الصفدي : « أمر البلوكباشية والطايفة ان يتفرقوا ويحتاطوا بالقلعة
ويحاصروا من بها فوجد منهم التراخي ..

واقام فخر الدين على حصار قلعة بعلبك ، فورده الامير قاسم بن
علي الشهابي وطلب منه ان يسعى لدى مصطفى باشا ليعطيه مقاطعة
الزبداني . لكن الوزير رفض ذلك مراراً بسبب تعديات أبناء شهاب
على سكان قرى الزبداني القريبة من مركز الباشا وضبطهم مواشي

.....

١ - الصفدي : ١٥٧ .

فلاحى بعلبك التي لاذت بجبال الزبداني . لكن الامير قبض الفى
غرش رشوة وكتب الزبداني لقاسم الشهابي^(١) .

وفى ربيع الثانى قدم الى بعلبك جملة من بلوكياشية عمر ابن سيفا
يطلبون من فخر الدين ان تكون كريمته التي توفي زوجها حسن سيفا
لاخيه عمر سيفا ، « ويدفع نقدية خمسة وعشرين الف غرش فاعطى
القول والاقرار . . »^(٢) .

وفى الشهر نفسه وصل الى بعلبك احمد آغا قبوجى باشى السلطان
مراد يحمل خلعا لفخر الدين ويطلب مال إرسالية السنة السابقة . ثم
قدم الى بعلبك الامير علي بن يونس الحرفوشي وقابل فخر الدين بوساطة خاله
شلهوب الحرفوشي . فأقام فى بعلبك للمراقبة والترصد .

فى آخر جمادى الاولى سنة ١٠٣٣ ارسل مراد باشا الامير خالد بن
عجاج الى معرة النعمان للقبض على يونس الحرفوشي ووضعه فى قلعة
سلمية فلما بلغ الخبر ابنه الامير حسين انتقل من حماه الى قلعة
الحصن . حيث نساء الخرافشة ، وراسل خاله الامير شلهوب وأخاه
الامير علي وهم فى بعلبك يطلب منهما عرض الصلح على فخر الدين .
كى لا يحرص مراد باشا على قتل والده الامير يونس . ويأخذ ثمن سكوته
اربعين الف غرش^(٣) ثم ورد الى بعلبك الحاج درويش كتخدا المعنى لدى
الباب العالي ، فاستقبله فخر الدين خارج المدينة . وكان يحمل اليه تقرير

.....

١ - الصفدي : ١٦٥ .

٢ - الصفدي : ١٦٥ .

٣ - الصفدي : ١٧١ .

المناصب وفي اليوم التالي اوكل اليه المعني مهمة التوسط لدى بلوكباشية المدافعين عن القلعة لأن بلاد بعلبك كتبت لابن معن . لكن الجواب كان « لا نسلم وفي ناروح لو مكثنا في هذه القلعة عمر نوح »^(١) هذا مع انهم كانوا في موقف حرج لقلّة المؤونة . فهم يأكلون القمح المجروش مع الملح . « لأن ابن الحرفوشي ما كان ظن ان احداً يلقاه . فلم يلق باله الى وضع العازق في القلعة المذكورة » ويظهر ان السكمان كانوا ينزلقون عن الاسوار ليلاً وتحت حراسة زملائهم لأخذ الحطب من البساتين المحيطة بالقلعة . فعمد فخر الدين الى قطع اشجارها ليلاً حتى يمنع المحاصرين من خشبها . ولما تأكد سجن الامير يونس في قلعة سلمية ارسل فخر الدين الحاج حسن بلوكباشي احد رجاله لمفاوضة المحصورين . وكان النبأ قد وصلهم عن طريق زملائهم في اللبوة . وتهديدهم المعني بأن استمرار المقاومة يؤدي الى الانتقام من أميرهم يونس الحرفوشي . لذلك أخذوا عهداً ومواثيق بأنهم يخرجون بأسلحتهم وذخائرهم وأموالهم ونسائهم « ولا يوضع أحد منهم في الترس » فنزل منهم نهار الثلاثاء السادس من جمادى الآخرة ثلاثة بلوكباشية وفاوضوا فخر الدين وولده علي وعادوا الى زملائهم . وفي يوم الخميس الثامن من الشهر نفسه فتحوا باب القلعة ونزلوا بحضور فخر الدين . ولم يضبط المعني إلا أمتعة كانت للأمير يونس . وفي اليوم الحادي عشر أمر فخر الدين مائة وخمسين رجلاً من « الفعلة والمعلمين والقلاعين » بمباشرة هدم قلعة بعلبك فشرعوا في هدمها بالآلات وفي نقيبها بالدبورة^(٢) وأنى له أن

.....

١ - الصفدي : ١٧٢ .

٢ - نفسه : ١٧٣ .

يهدمها « كناطح صخرة يوما ليوهنها » « والنقب الذي كان عينه الأمير
فخر الدين استمروا فيه بالأزاميل من نصف الحصار الى هذا الحين وما
نقبوا غير حجر واحد »^(١) اما الامير يونس فنقله مراد باشا الى حلب (في
الترسيم) ليسجن في قلعته لكن صديقه كرد حمزة بمساعدة السباهية
منعوا مراد باشا من تنفيذ السجن ورشوه ببعض المال .

ولما استسلمت حامية قلعة بعلبك أرسل فخر الدين الى
مرجان بلوكباشي لتسليم حصن اللبوة بناء للاتفاق . لكنه رفض فدعا فخر
الدين سكمانيته وأعطاهم العلوفة استعدادا لمحاصرة حصن اللبوة .
فرفضوا المسير قبل استلام (البخشيش) . ولما اعتذر فخر الدين
جاراه نديمه محمود بلوكباشي القزاز فغضبت السكمانية وخرجت الى
رأس العين ، ورفعت راية العصيان وهددت القزاز وجماعته . وحاول
فخر الدين عبثاً أن يهديء ثورتهم . وأضطر أخيراً الى منحهم ألف غرش ووعدهم
بالأموال بعد ان يغنم من حصن اللبوة . وبينما فخر الدين
يخضر لغزو قرى شمال بعلبك بلغه وصول محمد باشا الى راس بعلبك
قادمًا من حمّاه . فخرج فخر الدين مع كبار رجاله لاستقبال الباشا الى
(يونين) فوجدوا رجال الباشا يسيرون أمامه « خيالة ومشاة اثنين اثنين
ونوبة خائنه خلفه على عادة البكر بكية . فلما قرب الامير فخر الدين
وولده علي من محمد باشا نزلا عن خيلهما وتمشيا اليه وقبلا ذيله فخلع
على كل واحد منهما خلعتين . . »^(٢) . ونزل محمد باشا في خيمة

.....

١ - نفسه : ١٧٣ .

٢ - الصفدي : ١٧٨ .

ضربت على مرجة رأس العين مدة ثلاثة أيام جدد خلالها تثبيت مقاطعات المعنيين، وكتب بلاد بعلبك للأمير علي بن يونس الحرفوشي بمائة الف ذهب^(١).

وفي شهر رجب عزم فخر الدين على مغادرة بعلبك ، بعدما قبض ستة عشر الف غرش ثمن مصالحة الخرافشة حملها الامير علي الحرفوشي ونسيبهم الامير سيد احمد وأبو بقعا كتحدا الامير مدلج الحيارى. وكتب فخر الدين الى رجال بلاد بشارة والشقيف وصيدا وبعض بلوكباشية الشام أن يلاقوه الى (مرج عدوس) قرب بعلبك. وطلب من اولاد علي الشهابى واحمد الشهابى ويونس ابن معن ان يتوجهوا الى البتروى لمناصرة عمر باشا وتمكينه من أخذ ولاية طرابلس من ابن سيف^(٢).

غادر فخر الدين بعلبك في غرة شهر شعبان سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣م أي بعد سبعة أشهر من دخوله اليها . « بعد أن اُخربت السكمانية جميع دور بعلبك سوى دور امارات بيت الحرفوش لأنهم بقوا طول الشتوية يهدمون السقوف ويوقدون الخشب . ومن كثرة الدهانات يشعل كالكبريت ، وبقيت المعلمين والقلاعين مجدين في تخريب قلعة بعلبك الى هذا الحين »^(٣) أقام في مرج عدوس أربعة أيام ينتظر الوفود والامدادات . وصدف أن قدم اليه حسن آغا مملوك ابن سيفا يحمل لفخر الدين عشرة آلاف غرش الباقي من مهر ابنته واوكل

.....

١ - نفسه : ١٧٨ .

٢ - نفسه : ١٨٠ .

٣ - الصفدي : ١٨٢ .

الى الحاج درويش قبض باقي المبلغ واجراء عقد النكاح . وثنى عزمه
عن التوجه الى بلاد طرابلس . ويم شطر سنجق عجلون^(١) .

عاد الأمير يونس الى بعلبك وأراد القضاء على أخصامه الأقربين .
وخاصة الأمير شلهوب الذي حاول أن يتولى بعلبك بانحيازهم الى فخر
الدين . فتوجه الأمير يونس الى جبة عسال وذهب برفقة عثمان آغا ابن
الياس كتحدا محمود آغا . الى مصطفى باشا الشام . وتم الاتفاق على
قتل شلهوب لقاء ثلاثين ألف غرش . وكان شلهوب قد التحق بدمشق
وسكنها . ولما تم الاتفاق ارسل الأمير يونس المال مع ابن خاله الأمير سيد
احمد . وسلمه الى الوالي الذي بادر والقي القبض على الأمير شلهوب
ورفعه إلى القلعة ثم قتله وضبط امواله باستثناء حوائج النساء في شوال سنة
١٠٣٣ / ١٦٢٣ » وبعد ذلك طلع الأمير علي بن الحرفوشي الى الشام
وتأهل بزوجة الأمير شلهوب ، وسكن بها في بيته الذي كان للأمير
شلهوب ساكناً فيه ، وصار من جملة بلوكباشية الشام »^(٢) .

وفي شهر ذي القعدة سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م . سار الأمير
حسين الحرفوشي برفقة الأمير علي الشهابي من حاصبيا الى صيدا
لاسترداد زوجه ابنة الأمير فخر الدين فدفع عشرة آلاف غرش . وقدم
كفالة بعشرة آلاف غرش أخرى يدفعها بعد مرور شهرين وعاد بزوجه
الى بعلبك^(٣) .

.....

١ - الصفدي : ١٨٣ .

٢ - الصفدي : ١٩٩ .

٣ - الصفدي : (٢٠١ - ٢٠٢) ، الشدياق : ٢٨٦ .

في سنة ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م. طالبت الدولة الامير يونس مال بعلبك عن سنتي (١٠٣٣ و ١٠٣٤ هـ) فأرسل الى والي دمشق ان المطلوب من مقاطعة بعلبك عشرة آلاف سكة حسنة ، وهو لا يستطيع ضمانها إلا بعشرة آلاف غرش ، فاعطيت له بعشرة آلاف قرش عن سنة ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م. لكنه لم يجب سوى سبعة آلاف غرش . أما اموال سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م فلم يُجب منها شيء لأن ابن معن قد خربها^(١) .

وفي سنة ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م. تم قتل الامير يونس الحرفوشي على يد والي الشام بدسياسة من فخر الدين المعني .

وفي سنة ١٦٢٦ سار الامير حسين يرافقه الامير علي الشهابي وابنه الامير قاسم الى صيدا للمصالحة بين فخر الدين وصهره حسين الحرفوشي فتم اللقاء الودي وساد التفاهم . لكن اعمال التخريب التي اقترفها فخر الدين ضد قرى البقاع كانت المسمار الأول الذي دق في نعش امارته وكانت أحد الاسباب التي رفعها الصدر الأعظم خليل باشا الى السلطان مبرراً حملة القضاء على فخر الدين .

او عز خليل باشا الى احمد كجك ان يحارب فخر الدين بعد أن اخذ موافقة السلطان مراد للاسباب التالية :

١ - نهب فخر الدين قرى البقاع ودمرها سنة ١٦٢٣ م . ثم كرر فعله مع طرابلس .

.....

١ - الشدياق : ٢٨٩ .

٢ - شاد قلعتين في حلب وأنطاكية لنقل تخوم امارته الى هناك .

٣ - تقليد السلطنة ببناء خان للوحوش في بيروت^(١) .

في سنة ١٦٣٤ م نهض احمد كجك باشا بالعساكر الى خان سسع واستدعى الاميرين حسين ومحمد ولدي يونس الحرفوشي وأقرهما على بلاد بعلبك بلا مراقبة فخر الدين واشرافه ودعاهما الى مساندته ، فشاركوا في الانتقام من المعني الذي دمر بلاد بعلبك وتسبب بقتل والدهما^(٢) . واجتاحت قوات احمد كجك بلاد فخر الدين الذي وقع في أسر الباشا فأنفذه مع أولاده الى اسلامبول حيث قتل في ٣ نيسان سنة ١٦٣٥ م^(٣) .

.....

١ - الشدياق : ٢٨٩ .

٢ - نفسه : ٢٩٠ .

٣ - نفسه : ٢٩٤ .

خلاصة : الامير يونس بن حسين الحرفوش رجل اعتمد السياسة اكثر مما اعتمد القوة والسيف لسيط نفوذه على بلاد بعلبك والبقاع . وعرف جيداً ان باشوات دمشق يبيعون كل مصالح السلطان بالمال . وهؤلاء الباشوات منحهم السلطان حق الاشراف على امراء الاقطاع في لبنان . كيف جمع يونس الحرفوش الأموال ؟ .

لم يلجأ الى السلب والنهب إنما استغل أراضي (سورية المجوفة) اي وادي البقاع من رأس بعلبك حتى مشغرة ، فالمصادر تؤكد انه اقتنى حوالي اربعين قطعاً من المواشي أي ما ينيف عن عشرين الف رأس من الماعز والغنم وأكثر من الف جاموس^(١) .

وامتلك الف فدان ، فأعاد الى سهل البقاع ثوبه الاخضر الذي ارتداه في العهد الروماني يوم كان (اهراءات روما) ثم خلعه احقاباً من الدهر حتى قبض له يونس الحرفوشي فأحيا مواته ، وحوله الى حقل أخضر يجود بغلال وفيرة . أما البساتين ، فانتشرت في القرى وكانت تغص بالاشجار المثمرة التي تزيد ثروة الامير^(٢) . وبذلك حوّل البقاع الى (اهراءات استانبول) فأحياناً كان يبعث القمح لينوب عن الاموال السلطانية المقررة على بلاده ، روى الصفدي أن غلال بني الحرفوشي التي

.....

١ - لقد صادر فخر الدين اثني عشر الف رأس من الماعز من جبة عسال وجبة اللبوة من ماعز يونس الحرفوشي . وستمائة رأس جاموس من قب الياس (صفدي ١٣٤) .

٢ - الصفدي : ١٤٧ .

ضبطها فخر الدين من قب الياس وحدها في موسم البيادر كانت تفوق الحصر. وقد استمر اهل الشوف والجرد والمتن من مشايخ ومقدمين وفلاحين شهرا يعملون ليلاً ونهاراً في نقل الغلال وما انتهت. ولما دخل فخر الدين بعلبك صادر ثلاثين مخزناً (حاصلاً) للقمح ومثلها من الشعير، واذا كانت تسجل اقطاعيات صفد ونابلس وصيدا بعشرة آلاف أو عشرين الف غرش. فمقاطعة بعلبك كانت تسجل سنوياً ما بين أربعين الف، ومائة الف غرش في ايام الامير يونس تبالسني القحط والخصب^(١) هذا المال الذي جناه من استخراج خيرات الأرض البقاعية، اشترى به رضا الولاة وكبت خصومة جيرانه، وخاصة فخر الدين واستطاع أن يضم الى (سورية المجوفة) سنجقيتي حمص، وصفد.

هذا الغنى أبعده عن النهب والسلب، فهو لم يغزو قرى جيرانه مثلما فعل نده الامير فخر الدين الذي جعل امواله اسلابة ومصادرات. إن الخراب الذي أصاب بعلبك على يد فخر الدين لم تشهد المدينة في احلك حقبها. هذا ما روته المصادر. فذيل مرآة الزمان اليونيني اكد ان دخول التتار الى بعلبك سنة ٦٥٨ هـ. تمّ سلمياً وأن المنازل سلمت، والغلال التي في القلعة تركت للأهالي بفدية زهيدة، وظل السكان يقيمون في مدينتهم. في حين روى الصفدي - مؤرخ فخر الدين وقدشهد معه هذه الوقائع ودونها عن كتب - وكان يتعصب لابن معن

.....

١ - لكن بعلبك بعد خرابها أبلغ الأمير يونس والي دمشق انه لا يمكنه ان يضمها الا بعشرة آلاف غرش.

ويكيل له عاطر الثناء - روى ما شاهد من خراب وسلب ونهب لقب الياس والكرك وسر عين وتمنين وبعلبك . وكان دائماً يقول « حرق القرية ولم يبق بيتاً واحداً بلا حريق » والمؤرخ كان فخوراً بهذه الاعمال يتبجح بها لأنها تدل على عظمة اميره وجبروته، والقرى المحروقة هي للرافضة . وأضاف ان فخر الدين قطع الاشجار ، وهدم المنازل ، واستخدم أخشاب السقوف حطباً . هذا فخر الدين العائد من أوروبا وقد اطلع على حضارتها وخبر قيمة المعالم الاثرية ، قام بأعمال طواها التاريخ ، وسكت عنها المحدثون تزويراً للحقيقة . وأثبتها الصفدي . لقد استقدم ابن معن اكثر من مائة وخمسين « قلاعاً وبناء » عملوا اكثر من ستة أشهر في تخريب وتدمير قلعة بعلبك ، فاسقطوا بعض الابراج والاعمدة الشاخنة ، وهدموا الاسوار ، وكسروا التيجان والمنحوتات ، وطمسوا كثيراً من معالمها التاريخية . واستمرت اعمال التخريب في انحاء المدينة منذ اليوم الأول لدخوله في ١٢ محرم سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣م^(١) . وحتى مغادرته المدينة في غرة شعبان سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣م^(٢) .

هذا التدمير جذب انتباه الرحالة الاجانب والعرب الذين زاروا هياكل بعلبك بعد عشرات السنين من حادثة ابن معن - وقد أجمعوا على ان المدينة ما زالت تعاني من الخراب ، وأن عدد سكانها تناقص كثيراً

١ - الصفدي : ١٥٣ .

٢ - بدأ حصار القلعة في اليوم الأول لدخوله ، وانتهى نهار الخميس من شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣م حين استسلمت الحامية بالأمان . (صفدي : ١٧٢) .

لأن المنازل هدمت والمقتنيات نهبت وبعد خرابها بمدة وجيزة مر عليها
يحیی المحاسني ، ووصف نكبتها في رحلته « المنازل المحاسنية في الرحلة
الطرابلسية » تمت سنة ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م قال « مدينة بعلبك المدينة
المشهورة المعروفة . . . صاحبة الفضائل في عظم بناء قلعتها كما هي في
كتب المتقدمين مسطورة . فلما بها حللنا وبقلعتها الخراب نزلنا . . . فاذا هي لم يبق
بها سوى آثار ابنية قديمة محكمة في محلها عظيمة . وأما البلدة فقد هربت أهاليها من
المظالم . . . وكنت رأيته قبل ذلك فلسوء حالها اشتبهت علي عند ذلك ، فقلت
مرتجلاً في ما هنالك :

ولما دخلنا بعلبك وجدتها	خرابا قفارا لا يلوح بها شخص
فقلت لصحبي عن قريب تغيرت	وقد كان عهدي وهي بالخير تختص
أجابوا بأن الظلم هرب أهلها	ولم يبق فيها ما يدار به بحص
وقلعتها تلك العظيم بناؤها	لقد ذكرتها الاقدمون وقد نصوا
أيادي ، ابن معن اخربتها فلم تجد	سوى حجر ملقى عظيم به حص ^(١)

ثم خرجنا وبما في البلدة أحطنا ومررت على بيوت بني الحرفوش .

واذا هي خراب . . . فأنشدت بعدما استعبرت قول الشريف
الرضي^(٢) . . .

ولقد وقفت على ديارهم وطلوها بيد البلى نهب
وقال (جون كارن) في رحلته « ومن حسن حظ بعلبك ان ابراهيم

١ - المنازل المحاسنية : ٣٩ - ٤٠ .

٢ - نفسه : ٩٩ .

باشا لم يكن له ذوق في التخريب كمن سبقه من الفاتحين الذين نزلوا
المكان : الاتراك مثلاً ، وفخر الدين الامير الدرزي الشهير ، عدا
الزلازل الأرضية . . . » (١) .

وذكرها عبد الغني النابلسي في رحلته « حلة الذهب الابريز في رحلة
بعلبك والبقاع العزيز » تمت سنة ١٦٨٨ م قال إنه دخل بعلبك وهي
خراب خربها ابن معن في حربه مع بني الحرفوش ولم يبق منها غير جامعها الكبير
ومعبدتها الخطير والخان الذي يقربه ، وأراد ان يهدم باب القلعة لكنه عجز عن
ذلك (٢) .

ومن أساليب يونس الحرفوش في تثبيت امارته ، المصاهرة ، اذ
زوج ابنه احمد من ابنة الامير فخر الدين . ولما توفي احمد حرص على
هذه الوشيعة فزوجها من ابنه حسين .

وهناك التحالف الشيعي الذي أقامه باتصاله بمشايع جبل عامل من
بني منكر وعلي الصغير ، وحماية زعماء الشيعة من تعديات فخر الدين
ورجاله . وقد لاذت جماعة منهم ببعلبك . واستطاع ان يكسب الى
جانبه كردحمزة أحد كبار مسؤولي عسكر الشام .

أما اعماله العمرانية فتتلخص في بناء مسجد النهر سنة ١٦١٨ م
وتشييد دار قرب هياكل بعلبك كانت تعد تحفة عمرانية وظلت قائمة
حتى مطلع القرن العشرين (٣) .

.....

١ - كارن - رحلة في لبنان : ١٦٦ .

٢ - رحلة النابلسي : ١٤ .

٣ - شاهدها السيد محسن الامين وذكر ذلك في أعيان الشيعة .

وبناء الحصون والقلاع في قب الياس والكرك واللبوة . . .

استطاع الامير يونس بمؤازرة ابنائه : حسين واحمد وعلي ومحمد ان يقيم إمارة قوية اعترف بقوتها السلطان في اسلامبول . وصار يفوض اليها إقامة السلام ومساعدة الولاة في دمشق وطرابلس وحمص وحماء . . . وهذا تعريف موجز بأبناء يونس الحرفوش . لأن أعمالهم ، وماشهدوا من أحداث مرّت في سياق البحث العام .

١ - الامير احمد بن يونس بن حسين الحرفوش ، آزر والده في ضبط امور بعلبك والبقاع ، رابط في حصن اللبوة سنة ١٠٢٢ هـ / ١٦١٣ م . ثم ضبط شؤون قب الياس سنة ١٦١٥ م . وانتقل الى مشغرة سنة ١٦١٧ م . تزوج من ابنة الامير فخر الدين سنة ١٦١٧ م وقيل سنة ١٦٢٠ م . توفي في شهر رمضان سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م .

٢ - الامير علي بن يونس بن حسين الحرفوش . سكن مشغرة مع اخيه احمد . وإبان احتلال فخر الدين لبعلبك رجع إليها الامير علي بحيلة كي لا تشغّر إمارتهم . فأظهر الخصام مع والده وإخوته واتصل بخاله شلهوب فشفع به عند فخر الدين . وبفضل خبرته السياسية اسهم في انقاذ والده من ملاحقات مراد باشا والي حلب ، مثلما انقذ حصن اللبوة من حصار فخر الدين (ظل على اتصال بأخيه حسين في حمص وحصن الاكراد . . . تولى شؤون بعلبك في غياب أبيه . إذ كتبها عليه الوالي محمد باشا في شهر جمادى الأولى سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٦ م . لما قتل خاله شلهوب تزوج من امرأته وسكن في منزلها

بدمشق وغدا من بلوكباشية الشام لم تذكر المصادر تاريخ وفاته . وربما حصل قبل سنة ١٠٤٣ هـ ١٦٣٣ م . نستنتج ذلك من قول الصفدي في حوادث هذه السنة « وكان باقي من أولاد الحرفوشي الأمير محمد والأمير حسين »^(١) .

وهنا لا بد من تعريف موجز بالأمير شلهوب : شقيق زوج يونس الحرفوش وأمه من آل سيف . طمع في الإمارة . وسلك طريق الدسائس . فنال مقاطعة البقاع من جركس محمد باشا لقاء اثني عشر ألف غرش . يساعده في مهمته كردهزة وخسماية خيال من عسكر باشا دمشق والأمير أحمد الشهابي والشيخ مظفر ومقدمو بلاد كفر سلوان ، وحسن آغا مملوك ابن سيف . أقام في قب الياس مدة شهرين يضبط البقاع ثم عزله محمد باشا والي حلب بسعاية الأمير يونس . ذهب الى دمشق يشكو امره بلا جدوى أقام في الهرمل عند أخواله أبناء سيف استنجد به الأمير يوسف باشا سيف سنة ١٦١٦ م لرد غارات المعنيين عن بيروت . لما هاجم فخر الدين بعلبك فر شلهوب مع الحرافشة وما لبث ان عاد وسار في ركاب فخر الدين وشاركه في غزواته لقرى شمال بعلبك شارك مع ابن شقيقته علي بن يونس في ضبط شؤون بعلبك وكان يطمع في توليتها . لكن الأمير يونس عاد الى بعلبك بعد مغادرة فخر الدين وأراد الانتقام من شلهوب ففر الى دمشق وقطن فيها . سعى به ابن عمه يونس لدى مصطفى باشا والي الشام فقتله في شوال سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م . لقاء رشوة ثلاثين ألف غرش^(٢) .

١ - الصفدي : ٢٤٤ .

٢ - الصفدي ١٩٨ .

٣ - الامير محمد بن يونس بن حسين الحرفوش : أصغر اخوته . لم يلعب دورا مهما في امارة الحرافشة . شارك في الانتقام من فخر الدين اذ ساند احمد كجك باشا مع اخيه الامير حسين وكان عوناً لأخيه في ضبط شؤون بعلبك .

٤ - الامير حسين بن يونس بن حسين الحرفوش . كان ساعد والده اليمين يشد عضده في إمارته . اعتمد عليه في ضبط شؤون قب الياس ، والكرك ، وبعلبك وحصن اللبوة ، وحصن وصفد . تزوج من ابنة الامير فخر الدين بعد وفاة شقيقه أحمد . وإبان احتلال بعلبك تنقل كثيراً بين قلعة الحصن وحمص وحماه . وكان مشرفاً على (حريم الحرافشة) ويدير خزانة ما لهم ناب عن والده في مفاوضات كثيرة ، أسهم في الحرب ضد الامير فخر الدين (والد زوجه) لأنه تسبب بقتل والده يونس الحرفوش .

تولى شؤون بعلبك بعد وفاة والده ، وأقره عليها أحمد كجك باشا سنة ١٦٣٤ م . وظل مدة يدير شؤونها بمساعدة شقيقه محمد ، وتسكت المصادر التاريخية عن تطورات الحكم الحرفوشي في بعلبك بشكل دقيق . ويظهر ان الامير حسين بن يونس استمر في ضبط بعلبك حتى وفاته ، ولم يعين تاريخها . وبرز بعده على مسرح الاحداث الامير عمر بن اسماعيل بن موسى بن علي بن موسى ، وكان محباً للعمران والادب فشاد قصراً في بعلبك ، إفتتحه سنة ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م ، بحفل ضم بعض الشعراء أمثال عبد الرحمن التاجي البعلبكي (١٠٤٦ هـ / ١١١٦ هـ) (١٦٣٧ - ١٧٠٤) الذي أنشد قصيدة مدح فيها

الامير عمر والحرافشة وأرخ بناء القصر^(١) :

أرواق مجد تحته لك مقعد أم صرح سعد بالنجوم ممرّد
أم هذه نعم الامير أباحها للواردين فطاب منها المورد
نعم من الباري نرى إظهارها مما يؤكد شكرها ومؤيد
(عمر) الامير النذب من غمر الوري احسانه الصافي فكل يحمد
ليث يريك البرق في يوم الوغى غضب يجرده وطف اجرد
من أسرة سادوا الوري بمكارم غر وآلاء لهم لا تجحد
أعني (الحرافشة) الكرام ومن لهم عزيزل له الاعز الاصيد
يا أيها المولى الامير ومن على آرائه عقد الخناصر تعقد
قد كان هذا القصر قفراً خالياً وبه البناء حكاية تستبعد
فجعلت منظره بهياً رائعاً وتركت فيه العندليب يغرد
ولذاك ثغر السعد قال مؤرخاً قصر زهى للأمير مشيد

ونشب الصراع بين الحرافشة سنة ١٦٧١م ، فاستنجد الامير علي الحرفوش بوالي الشام على ابناء عمه الامراء عمرو وشديد ويونس ، فامده بقوة عسكرية أمكنته من استلام بعلبك^(٢) . هذه المشاحنات أخرجت بلاد بعلبك من أيدي الحرافشة فتولاها سنة ١٦٨٠م . الأمير فارس الشهابي - الملقب بالكبير أمير حاصبيا فقدم بألفي فارس وانتصر في نوحا - مما أغاظ الحرافشة . فاستنجد الامير عمر الحرفوشي بآل حمادة

-
١ - المرادي : سلك الدرر : ٢ / ٢٨٨ .
٢ - الوف : تاريخ بعلبك : ٩٥ .

المتأولة ، فجمع رجالهم ودهم الامير فارس الشهابي ليلاً في قرية نبحا قرب الفرزل وانجلت المعركة عن سقوط الامير فارس صريعاً مع خمسين رجلاً من جماعته . واستعاد الحرافشة سلطانهم على بلاد بعلبك . لكن اقارب الشهابي نهضوا يطلبون ثأره . فتقدم امير حاصبيا موسى الشهابي يؤازره أمير راشيا علي الشهابي . فأحرقا بعض قرى بعلبك ونهبوها .

ولما تكررت محاولات الثأر ، جنح الامير عمر الى الصلح فعين أحد اصدقائه منصور الشدياق^(١) سفيراً للمفاوضات . فاتصل بالأمير أحمد المعني الذي رضي الوساطة . وقدم إلى بعلبك فقرر الصلح على أن يغرم الحرافشة سنوياً بخمسة آلاف غرش وجوادين كريمين تعطى للشهابيين دية الامير فارس ، وأن لا يسكن الدروز في بلاد بعلبك^(٢) . هذه الرواية تتناقلها العامة في بلاد بعلبك بشكل آخر ، وتقصها حكاية غدت جزءاً من التراث الشعبي . وعليها اعتمد (ميخائيل الوف في تاريخ بعلبك) . اذ جعل الامير شديد الحرفوشي هو الذي فتك بفارس الشهابي شمال بعلبك قرب قرية يونين .

ومفاد القصة ان الامير فارس الشهابي لما ضمن اموال بعلبك سنة ١٦٨٠م عاث فسادا في نواحيها مع جنوده ، حتى اعتدى احدهم على إحدى الفتيات ، فأخذت أمها راية بيضاء في يمانها وعصا في طرفها نعل خلق في يسراها ، وقصدت الامير شديد الحرفوش ، وخاطبته مغضبة ومتوسلة : إخرت إحدى الرايتين أيها الامير ، ولما عرف خطبها

.....

١ - الشدياق : ١١٣ .

٢ - نفسه : ٤٦ و ٢٩٨ .

ومصاها . صاح لبيك لبيك سأغسل عارك بالدماء . ثم جمع ستين رجلاً ، وأخذ يترصد الشهابي . فالتقيا شمال قرية يونين ، ودارت معركة بين الخصمين استبسل فيها فرسان الامير شديد ، وفتكوا بالدروز وطلب الامير شديد الامير فارس فانهزم امامه واندفع شديد في أثره يرافقه احد رجاله (يوسف السكرية) . ولاح ليوسف من الامير فارس مقتل فصرعه بضربة رمح . وتمزق شمل الدورز وفروا مخلفين على ارض المعركة نحو خمسين قتيلاً ، ودفن الامير فارس في المكان الذي سقط فيه . وما زال يعرف حتى الآن بقلعة فارس^(١) .

بعد هذه المعركة عاد التحالف الشيعي يبرز من جديد . فمشايخ الحمادية الذين ناصرُوا الامير عمر الحرفوشي ، قتلوا سنة ١٦٨٤م أبا نادر شيخ مزرعة عكار . وهاجموا قلعة طرابلس ، وأطلقوا سجناءهم ، وداهموا عشقوت وقتلوا من أهلها أحد عشر رجلاً ، فوجه والي طرابلس الامير احمد المعني لتأديبهم ، ومنحه مقاطعاتهم . فتقدم الامير احمد الى غزير بخمسة آلاف مقاتل وداهمهم . ففروا الى قضاء بعلبك ، فاستقبلهم الحرافشة ، وناصروهم ، وأعادوهم الى بلادهم^(٢) .

وفي سنة ١٦٨٦ أراد علي باشا النكدلي والي طرابلس أن يؤدب الامير شديد الحرفوش لأنه أحرق قرية رأس بعلبك ، فلاذ الأمير شديد بالحمادية مما اغضب النكدلي فأحرق العاقورة وأربعين قرية من مقاطعاتهم ، وهدم حارة الشيخ حسين في إيليج وقبر الامير عمر في

.....

١ - الوف : تاريخ بعلبك : ٩٥ .

٢ - اخبار الاعيان : ١٩٥ .

طورزیا، وبات عسكر الباشا على عين الباطية، فداهمه الشيعة من الحمادية والخرافشة ليلاً وقتلوا منهم خمسة وأربعين رجلاً وغنموا سلاحهم وذخائرهم . فانحدر الباشا الى جبيل ونكبها ، وتعقبه حزب الحمادية فغادرها باتجاه طرابلس ، فتقدموا وحرقوا قلعة جبيل^(١) .

.....

١ - نفسه : ١٩٥ .

في ٣١ تشرين الأول سنة ١٦٨٩ م . أم بعلبك الرحالة الفرنسي (جان دي لاروك) (Jean de La Roque) وأقام فيها حتى ١٥ تشرين الثاني ، وسجل ملاحظات قيمة عن الحياة السياسية والاجتماعية والعمرانية والاقتصادية . أفاض في حديثه عن شيخ بعلبك أي (أميرها الحرفوشي) . ولكنه لم يذكر اسمه . وعلى أغلب الظن أنه الأمير (عمر الحرفوشي) . ادرك (دي لاروك) بعد المعاينة ان حاكم بعلبك ليس شيخاً عادياً إنما يتميز بكل صفات الباشا مع أنه لم يحصل على هذا اللقب ، وهو صاحب فضل وكرم ومعرفة . بيد أنه يأنف من تعلم اللغة التركية . ولا يؤمن بالخرافات والالوهام التي تغلب على تفكير الشعب ، والسائدة في بعلبك حتى عند رهبان النصارى وحاخام اليهود . وكان الامير يقيم الولائم العامة ، ويمارس هواية صيد الطيور^(١) .

وإبان إقامته شهد تبادل المبعوثين بين شيخ بعلبك والامير الدرزي احمد المعني (١٦٦٤ - ١٦٩٧ م) ، وتبادل الرسائل مع والي الشام أحمد باشا (١٦٨٩ - ١٦٩٠)^(٢) واكتشف ان شيخ بعلبك كان يمقت هذا الباشا الجشع .

.....

١- De La Roque: Voyage de Sysie et du Mont— Liban. P. 38

٢- المرجع نفسه : ٦٣ .

زار (دي لاروك) هياكل بعلبك وامضى ثلاثة ارباع النهار يتأمل بدقة مدهشاتھا . ولما كان برفقة احد ضباط الأمير ، ولكثرة ما أطل التأملات ، ظنه السكان مهندساً أجنبياً استقدمه الحرفوشي لتحصين القلعة ، فاحتشد السكان في باحة الهياكل يمتدحون عمل الأمير في الاستعداد لدرء المخاطر عن المدينة^(١) . ولعل احد جواسيس باشا الشام في بعلبك أخبر سيده بقدوم هذا الأجنبي ، مما حمل الباشا على توجيه رسالة استفسار الى (شيخ بعلبك) ، أما قصر الأمير فأشاده على انقاض مبنى عام ، ولم يأل جهداً في استخدام حجارة الهياكل وأعمدتها وزين قصره ببذائع النقوش^(٢) . وفيه ردهة واسعة تعلوها قبة شاذخة وفي وسط الردهة بركة ماء مزودة بنوافير ترش الماء حتى سقف القبة . وهناك (طزر) مغطى بسجاجيد عجمية ، ومجهز بوسائد من المخمل القرمزي مزينة بشرائط من ذهب . ولم ينس هذا السائح حمام الأمير المتقن الذي اشرف على بنائه مهندس دمشقي .

وزار (دي لاروك) حمام بعلبك العام الملاصق للمسجد الكبير . وهذا المسجد كان فيما مضى كنيسة شيدت مكان السوق العام الروماني :^(٣) . ومن ملاحظاته الاجتماعية الاحصاء السكاني للمدينة التي تضم بعض المنازل الحديثة البناء . وعدد سكانها يتراوح بين ستة او سبعة آلاف نسمة غالبيتهم من المسلمين^(٤) ويوجد بينهم مجموعة

.....

١ - نفسه : ٣٥ .

٢ - نفسه : ٣٣ .

٣ - De LLaroque : 36 .

٤ - نفسه : ٥٩ .

عائلات من النصارى الروم والموارنة ولكل طائفة كاهنها الديني .
وهناك بضع أسر يهودية لها حاخام هو رئيس الكنيس laSynagogue des Juifs) وكان يتقن اللغات الرئيسة ، ويتحدث الايطالية بطلاقة ، وكان متعصباً (للتلمود) ، ومعلوماته عن هياكل بعلبك لا تتعدى الخرافات (ومرده سليمان). وكان يمتلك مكتبة غنية بالمخطوطات التاريخية ، وتضم (مفرح النفوس) للطبيب بدر الدين البعلبكي^(١) .

وأعجب هذا السائح بسهل بعلبك وقد رآه أكثر مناطق الشام ازدهارا لأنه مستغل ومحروث جيداً . وأثنى على رمان بعلبك وعنبها الشهي منظرًا وطعمًا . وحتى الخبز الذي اكله على مائدة الامير ، لم يذق يوماً خبزاً أشهى منه ، ولا اطيب^(٢) .

في مطلع القرن الثامن عشر كان على بعلبك الأمير حسين الحرفوش ، ربما كان من أحفاد حسين بن يونس بن حسين الحرفوش ، وفد اليه يوسف الدحداح سنة ١٧٠٢ م وخدم عنده ، وطلب مساعدته ضد عماد الهاشم لا قراره على مشيخة قرية العاقورة ، التابعة لولاية بعلبك ، فأعاده اليها بمساعدة الشيخ اسماعيل حمادة^(٣) .

وكان الامير حسين ذا سطوة وقوة ، لجأ اليه الامير حيدر الشهابي^(٤) لما طرده بشير باشا والي صيدا ، ونصب على ولايته الامير يوسف علم

.....

١ - نفسه : ٣٨ .

٢ - نفسه : ٣٢ .

٣ - اخبار الاعيان : ٩٥ .

٤ - حكم الامير حيدر الشهابي بلاد الشوف بين (١٧٠٨ - ١٧٣٢) .

الدين يسانده محمود باشا أبو هرموش . اختبأ الأمير حيدر باديء ذي بدء في مغارة عزرائيل بجوار الهرمل . ثم طلب مساعدة حاكم بعلبك الحرفوشي فمنحه الحماية ، وزوّده بالفين وخسماية رجل من شجعان بلاد بعلبك وعاد الأمير حيدر مع هذه القوة الصغيرة الى رأس المتن ، فالتف حوله أمراء القيسية (الحمراء) وارتفع عدد انصاره الى أربعة آلاف رجل خاض بهم معركة (عين دارا)^(٣) سنة ١٧١١م . ضد قوات اليمينية (البيضاء)^(٤) وبقيادة محمود أبي هرموش وأمراء آل علم الدين ، ومساندة نصوح باشا والي دمشق وبشير باشا والي صيدا ، وكتب النصر للأمير حيدر وجند بعلبك ، وفر اليمينيون مخلفين على ارض المعركة قرابة خمسمائة قتيل^(٥) .

تغنى مؤرخو لبنان بمعركة (عين دارا) ونتائجها لأنها « كانت المعركة الفاصلة في شأن لبنان ، اذ جاء بها النصر التام على الحزب اليميني الأبيض فهلك معظمهم في حومة الوغى وتفانى قوام عصبيتهم كل التفاني وفي جملتهم امراء آل علم الدين الذين كانوا صدعاً مستمراً في بناء سلطة المعنيين والشهابيين »^(٦) . لقد نسبوا النصر الى امراء جبل لبنان ومشايخه ، ومقدميه ، وطمسوا معالم الحقيقة ، وكشفها قنصل فرنسا في صيدا ، استيل Estelle برسالته الى وزير الدولة ، بونت

.....

١ - عين دارا ، قرية في جبل لبنان ، تابعة لقضاء عاليه .

٢ - اللون الاحمر كان شعار القيسية ، واللون الابيض شعار اليمينية .

٣ - 5 — Documents Diplomatiques. Adel Ismail 25/1

٤ - مزهر : تاريخ لبنان اليوم : ١ / ٤٠٨ .

شتران «Pont Chartrain» التقرير المؤرخ في الثالث والعشرين من أيار
سنة ١٧١١ م . وجاء فيه :

il (L;Emir Aydar) a demandé la protection d'un chek très puissant de
Balbek qui la lui a accordée, et lui a donné environ deux mille cinq cens
hommes de bonnestroupes pour cepays. il est venu fort sevète —ment a
vec cette petite armée au pays du Chouf où elle a bien tost ougumenté par
les druses de la banniere rouge qui le sont allés joindre. En très peu de
jours il a eu sous sesordres quatre milles hommes ...»^(١).

وهذه ترجمة النص :

« طلب الامير حيدر الحماية من شيخ بعلبك القوي جدا . وقد
منحه الحماية ، وأعطاه قرابة الفين وخمسمائة رجل من خيرة جنود
هذا البلد . وتقدم - بسرية تامة - مع هذا الجيش الصغير الى بلاد
الشوف . وبسرعة ازداد عدده بتجمعات الدروز من (القيسية الحمر)
الذين التفوا حوله . وخلال أيام قليلة بات تحت إمرته أربعة آلاف
رجل . لقد خاض الامير حيدر الشهابي معركة عين دارا بأربعة الاف
رجل منهم الفان وخمسمائة من جند الامير حسين الحرفوش ، والف
 وخمسمائة من بلاد الشوف . وقيل ان ان الامير حسين قتل سنة
١٧٢٤م بظروف غامضة ومقتله كان سبباً لحدوث مجزرة « جنية
اللطامة »^(٢) وحكم بعده الامير اسماعيل بن شديد الحرفوش الذي

.....

١ - Ismail : Documents Diplomatiques 1 M 95 ' .

٢ - تاريخ بعلبك : ٩٦ ،

بنى دارا للأماراة انتهى من تشييدها سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٦ م . وقد أرخ الخوري نقولا الصايغ دار الامير اسماعيل بمقطوعتين من الشعر^(١) . وشطر التاريخ في الأولى قوله :

« دم بيت اسماعيل فردوس عدن » وفي الثانية « تاريخه مغني البهج » ١١٤١ هـ . ودب الشقاق بين الامراء المتنازعين على الحكم . فتمكن الامير حيدر الحرفوش من حكم بلاد بعلبك ، ووفد اليه سنة ١٧٤١ م منصور الشدياق ، وخدم عنده واعتمد عليه في تدبير شؤون بعلبك « وكان عنده بمنزلة المدبر لاستقامته في مرضاته »^(٢) . وكانت بعلبك تقرر بين الامير حيدر وشقيقه حسين الحرفوش مع خلافات حادة بين الاثنين ، شارك فيها باشا الشام اسعد العظم ، وأمير جبل لبنان ملحم الشهابي . فالأخير ساند الامير حسين في حين أعان والي دمشق الامير حيدر ؛ ولما ضبط الأمير حسين شؤون بعلبك سنة ١١٥٩ هـ / ١٧٤٦ م . بمساعدة الامير ملحم ، أرسل أسعد باشا العظم عسكرياً ، وصف (بأنه عظيم) ، الى بعلبك فبلغها في آخر شهر ربيع الثاني ، وهدفهم قتل واليها الأمير حسين ، فلم يجدوا له أثراً . فدخلت القوة المدينة ونهبها ، وتسلمها الأمير حيدر الحرفوش ، وعاد جيش الباشا الى دمشق يحمل معه ثمانية من أعيان بعلبك ضمنهم المفتي ، فأمر أسعد باشا بشنق المفتي ، وضربت أعناق الباقيين^(٣) .

.....

- ١ - أعيان الشيعة : ١١ / ٢٣٠ ، مجلة العرفان : مقال عيسى اسكندر المعلوف .
- ٢ - اخبار الاعيان : ١١٣ ، وفيه استأجر منصور من الامير حيدر الحرفوشي قرية دير الاحمر لاستغلال ارضها .
- ٣ - البديري الحلاق : حوادث دمشق اليومية : ٧١ .

وقام الاميران ملحمة الشهابي وحسين الحرفوش بردة فعل تأريفة
فتقدما الى بعلبك ودخلاها في رجب سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧م . وبعد
أن عاث الدروز فسادا في المدينة غادروها وأثبتوا حسين الحرفوش على
نيابتها^(٤) .

وأخيراً ملّ والي دمشق أسعد العظم صراع الاشقاء ففوّض أمر
بعلبك سنة ١٧٤٨م الى الامير ملحمة الشهابي ، الذي أناب عنه أخويه
احمد ومنصور . وماتل الشهابي في دفع الاموال الاميرية ، وساءت
علاقاته مع والي ، لأن الباشا بعث رسولاً يطلبه بالمرتببات فاغلظ الأمير
ملحمة القول للرسول . فغضب والي أسعد باشا ، واستدعى حليفه
القديم الامير حيدر الحرفوش وأقره على بعلبك ، وطلب نصرته ضد
الامير ملحمة . وحاول اسعد باشا أن يأخذ عدوه على حين غرة فنهض
بجيشه الى بر الياس ، ولاقاه ملحمة الشهابي اليها يؤازره الامير حسين
الحرفوش شقيق حيدر . وجرت معركة « خطب بينهم البارود بذكر
الموت والرمس »^(١) وانتصر ملحمة ، وعاد والي الى دمشق خاسراً ، ثم
توجه الى الحج . فاستغل الامير ملحمة فرصة غياب والي ، وتقدم الى
قرى بعلبك فنهبا ، وفر الامير حيدر وتولى مكانه على
بعلبك شقيقه الامير حسين^(٢) ، الذي ظل مدبراً لشؤون المدينة حتى
سنة ١٧٥١ م ، عندما دهمه شقيقه حيدر مع جماعته وقتله^(٣) . دون

.....

- ١ - حوادث دمشق اليومية : ١٠٢ .
- ٢ - تاريخ الامير حيدر الشهابي : ٣٨ .
- ٣ - اخبار الاعيان : ٣٢٠ تاريخ الامير حيدر : ٣٨ .
- ٤ - Wood. R. the Ruins of. Baalbeck . P. 12

البديري الحلاق هذه الحادثة قال « وفي يوم الثلاثاء جاء خبر الى دمشق بأن ليلة الاثنين قتل حاكم بعلبك الامير حسين ، وقد كان خارجاً من الجامع ، فاغتاله ثلاثة اشخاص ، ورموه بثلاث بنادق وفروا هاربين وحمل الى داره ، وفي اليوم الثاني توفي .

وقد قيل بأن القاتلين له إخوته، حيث ان له من الاخوة سبعة»^(١) أخذ الامير حيدر بزمام الامور، ولقي معارضة من مفتي بعلبك وأنصاره فقتل المفتي وشقيقه، وهدم داريهما وقطع كرومهما في أوائل شعبان سنة ١١٦٤ هـ / ١٧٥١م^(٢). وثبت الامير حيدر حتى أواخر سنة ١١٦٨ هـ / ١٧٥٦م عندما عزله والي دمشق، فأبى الخروج، وأمر السكان بالرحيل وهددهم بالسلب. فرحلوا بعدما حرق بعض منازلهم، وتحصن في القلعة واعلن العصيان، لكنه ما لبث ان غادرها. وضمن شؤون بعلبك ابن عمه الامير حسين الحرفوش^(٣). وفي عهده رجع السكان الى منازلهم وأعمالهم. ويظهر ان الامير الجديد كان بحاجة الى اموال كي يسدها الى والي دمشق، ولما كانت بعلبك خراباً، بعد حصار الامير حيدر، انصرف الامير حسين الى قرية رأس بعلبك الغنية وفرض عليها ضرائب فادحة، فعجز سكانها عن دفع الأموال. فحاربهم وصادر املاكهم، فهجروا بلادهم ولاذوا برحلة ملتجئين الى الامراء اللمعيين^(٤).

.....

- ١ - حوادث دمشق اليومية : ١٥٧ .
- ٢ - حوادث دمشق اليومية : ١٦٠ .
- ٣ - حوادث دمشق اليومية : ١٨٧ .
- ٤ - تاريخ زحلة : ٩٣ .

لكن الامور لم تصف اذ برز منافس قديم هو الأمير اسماعيل بن شديد الذي تمكن سنة ١١٧٤ هـ / ١٧٥٩ من انتزاع بعلبك وإيالتها بسعاية والي طرابلس ، بمقطوع مائة كيس أي خمسين الف غرش ، ثم استعادها الأمير حيدر سنة ١٧٦٣م . وظل حتى وفاته سنة ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤م ومن أعماله أنه ساند المشايخ الحمادية سنة ١٧٦٧ م ضد الأمير يوسف الشهابي وارسل الامير حيدر مع الحمادية قوة الى جبة المنيطرة ، وبلاد جبيل فعاثوا فساداً وعادوا الى الهرمل^(١) . واشتهر الأمير حيدر بحبه للعدل ودمائة أخلاقه، وكرمه وشجاعته، وخلفه على بلاد بعلبك أخوة الامير مصطفى سنة ١٧٧٤ م^(٢) . حاول درويش بن حيدر أن ينازع عمه مصطفى فلاذ بالأمير يوسف الشهابي ليقره على بعلبك ، فأبى الأمير يوسف ، ولم يحقق آماله ، وصارحه بأن عمه الأمير مصطفى أجدر بادارة البلاد منه ، والحق درويش في طلب الحكم ، وراح يبيغ من والي عكا الشيخ ضاهر العمر الذي توسط لدى الأمير يوسف ، فقرر درويشاً على بعض قرى بعلبك^(٣) .

« ان الملك عقيم » بهذه العبارة أبرر مشاحنات الخرافشة ، لأن الأمير محمد ثار ضد أخيه مصطفى ، بسبب الولاية على الديار البعلبكية . وأقطعه اياها والي دمشق سنة ١٧٧٦ م مقابل رشوة^(٤) . في العام نفسه نال أحمد الجزار ولاية صيدا ، وبدأ يجوب أرض لبنان مدمراً

.....

- ١ - دواني القطوف : ٢٠٤ و ٢٠٧ .
- ٢ - تاريخ الامير حيدر : ١٠٦ ، دواني القطوف : ٢٠٤ .
- ٣ - تاريخ الامير حيدر : ١٠٦ .
- ٤ - دواني القطوف : ٢١٤ .

ومغرباً . فأرسل قائده مصطفى قره منلا^(١) مع عساكره القبسيين^(٢) وتسموا اكرادا الى بيروت . فأحرق المكلس ، والدكوانة ، والجديدة ، وتوجه الى البقاع فهاجم قرية زحلة في ١٩ تموز سنة ١٧٧٦م ، وتصدى له سكانها من الشيعة والدروز والنصارى ودحروه بمساندة الامير مصطفى الحرفوشي . ثم جمع قواته وأعاد الكرة في السابع من آب ، فتصدى له السكان يساندهم أمراء من لبنان . ولما استعر القتال فر المشايخ بعسكر الدروز، وبعض الامراء للমেیین فتبدد شمل المدافعين «وضعت عزائم الزحليين لهذه الخيانة فقتل منهم الاكراد اكثر مما قتل من عسكرهم وأحرقوا القرية ، ودير مار الياس الطوق ، وغابات المدينة المشتبكة ولولا معاضدة الامير مصطفى الحرفوشي للزحليين ووقوفه برجاله في وجه الاكراد لما أبقوا أحداً من السكان»^(٣) .

وانصرف قره منلا لمقابلة الأمير يوسف الشهابي في البقاع فانتصر قرة منلا وهزم خصمه شر خصيمة ، وتابع مسيره الى بعلبك وقبض على واليها الأمير محمد الحرفوشي وسجنه^(٢) . وأقام في المدينة وفكر باقتطاعها لنفسه . فبعث الجزار الى قواد عسكره يأمرهم باعتقال قره منلا، ولما أحس الاخير بالمكيدة فرّ هارباً . وتفرقت العساكر الى صيدا

.....

٦- قرة منلا : (القاريء الاسود) أصله من جبال الاكراد قرب حلب (دواني القطوف : ٢٠٠) .

١ - جند يقال له (لاوند) يلبسون الطرايش ، واشتهروا بشجاعتهم وبأسهم .

٢ - تاريخ زحلة : ١٠٤ .

٣ - دواني القطوف : ٢١١ .

« بعد ان اهلكوا ديار بعلبك والبقاع وما فيها من الارزاق والاقطاع »^(١)
وبعد انسحاب عسكر الجزار تقدم الامير مصطفى ووضع يده على بلاد
بعلبك، فاستغاث شقيقه محمد بالامير يوسف الشهابي سنة ١١٩٦ هـ
/ ١٧٨١ م فلبى استغاثته وأرسله بجيش قوامه خمسة الاف رجل ، يقوده
أميران شهابيان هما : بشير بن قاسم ، وحيدر بن احمد ، فدخل الجيش
بعلبك في أواخر سنة ١٧٨١ م وقد غادرها الأمير مصطفى مع عياله الى
حمص . وتم تنصيب الامير محمد الحرفوش . وعاد الشهابيون الى
(٣) بلادهم . أما الأمير مصطفى فالتقى عبد الله باشا العظم في حمص ،
اجتمع به وناشده المساعدة لقاء خمسة وعشرين الف قرش . فصحبته الى
الشام لمقابلة واليها محمد باشا العظم الذي حقق له رغبته ، فأصحبه
بعسكر أعاده واليا لبعلبك في شباط سنة ١٧٨٢ م ، وشرط عليه ان
يسلمه مرعى البقداني المتوالي البريتالي^(٢) . دخل مصطفى وفرّ محمد الى
الأمير يوسف الشهابي فأكرم وفادته ، وأنزله قرية المجدل في جرد المتن .
وبقي الأمير محمد عند الشهابيين أربع سنوات ، ثم توفي في دير القمر
ودفن في مدافن بيت شهاب سنة ١٧٨٦ م^(٣) .

هدف مصطفى الى تحسين العلاقات مع يوسف الشهابي ، فتبادل
معه المفاوضات ، وتم الصلح بين الرجلين سنة ١٧٨٢ م . واستقر مصطفى في
نيابة بعلبك . وأخذ مشايخ الشيعة في الجنوب يفدون اليه فراراً من أذى أحمد

.....

- ١ - تاريخ الامير حيدر : ١٢٠ .
- ٢ - دواني القطوف : ٢٠٧ .
- ٣ - تاريخ الامير حيدر : ١٣٤ .

الجزار . فاستقبلهم الخرافشة وكرموا وفادتهم^(١) .

ويقال ان الامير مصطفى أعطاهم - بوساطة احمد باشا العظم ،
والي دمشق - قريتي القاع ورأس بعلبك اللتين لوالة السلطان ونزع
الهرمل من يد الامير يوسف الشهابي وولى عليها جميعها الشيخ قبلان
المتوالي احد الفارين من وجه الجزار^(٢) .

فغضب الجزار واتفق مع محمد درويش باشا والي الشام على إنهاء
حكم الخرافشة المتأولة . فأنفذ محمد درويش جيشاً قوياً الى بعلبك
لتنفيذ المهمة ، فألقى القبض على الامير مصطفى وإخوته الستة وبعض اقاربه ،
وساقوهم أسرى الى دمشق ، وأعدموا ثلاثة منهم . وظل الجيش مرابطاً في
بعلبك يلاحق الخرافشة للقضاء عليهم قضاء مبرماً . فأحرق منازلهم ،
وسبى نساءهم ، وصادر أملاكهم . وذلك في حدود سنة ١٧٨٤ م .
وعين والي دمشق على بعلبك متسلماً جديداً وهو رمضان آغا . لكن الجزار
بدهائه نقل حكم بعلبك الى سلطته في السنة نفسها وأرسل سليم آغا
حاكماً من قبله^(٤) .

الأمير جهجاه وعودة الخرافشة : (١٧٨٦ - ١٨١٧) :

أفلت جهجاه بن مصطفى من عسكر الشام وتوارى عن الانظار ،
وأخذ على عاتقه استعادة حكم الخرافشة لبعلبك ، لاح له بارق أمل في
العراق عند أبناء عمومته عرب الخزاعة . فأم ديارهم وحثهم على

١ - Documents Diplomatiques : 2 M 389 ' .

٢ - تاريخ زحلة : ١٠٨ .

٣ - دواني القطوف : ٢١٨ .

مناصرتة ، فمنحوه مالاً وفيراً ، وفرساً صفراء كريمة الاصل . عاد الى البقاع سنة ١٧٨٦م يتسقط أخبار بعلبك فعلم أن حسين بطال باشا والي دمشق قد فوض أمرها الى محمد آغا العبد حاكم البقاع جمع جهجاه مائة فارس بذل لهم الأموال الطائلة لقاء معاونته وبينهم بنو شبلي المعلوف المقربين منه . وتقدم بهم إلى بعلبك ليلاً « وقد نقل المخیل بلباد » وقتلوا كل من صادفوه في طريقهم حتى سالت الدماء سواقياً . وفر محمد آغا العبد الى دمشق وأطلع الوزير على واقع الأمر^(١) لكن باشا الشام لم يتمكن من تجهيز حملة لقمع جهجاه لأنه كان قد هم بالخروج الى الحج . ولما عاد سنة ١٧٨٧ م أعدّ الفا ومايتي فارس ، ورمى بهم الامير جهجاه بقيادة المنلا اسماعيل فتصدى له جهجاه وأخوه سلطان بأهل زحلة ، وكمنت جماعة منهم في مضيق القرية ولما وصل عسكر الشام اصلوه وابلا من الرصاص فتزعزع وقابلوه بحزم ، فاندحرت قوات المنلا بعد أن خسرت عدداً كبيراً من القتلى وتبعهم رجال جهجاه الى قرية السلطان ابراهيم يسقونهم كأس الموت ويضاعفون خسارتهم في حين فقد الامير نفراً قليلاً من رجاله^(٢) وهكذا رجع جهجاه الى بعلبك وقبض على زمام الحكم .

ان الروايات الشعبية تجعل مجزرة « جنينة اللطامة » من صنع جهجاه نفذها اثر عودته من العراق ، وملخصها ان أهل السنة في بعلبك الذين عانوا من أذى الخرافشة وظلمهم ، أقنعوا والي دمشق بالقضاء على (الخرافشة المتأولة) فوجه درويش باشا جيشاً قبض على

١ - الشدياق : ٣٠٩ ، دواني القطوف : ٢٢٠ .

٢ - تاريخ زحلة : ١٠٩ ، دواني القطوف : ٢٢١ .

الامير مصطفى وأقاربه وقتلهم في دمشق وسبى حريم الحرافشة وشتت شملهم ، واستولى على أرزاقهم . وتوارى الناجون عن الانظار . وعا سنة بعلبك ، وانتقموا من الاسر الشيعية وصادروا بعض دورهم وأراضيهم ، ومنعوه حق الانتفاع بالمرافق العامة . فاتصل الشيعة بالامير جهجاه وحضوه على استعادة الحكم فنهض الى العراق ، واتصل بأقاربه عرب الخزاعة ، فأمدوه بالمال الذي خوَّله استرجاع حكم بعلبك ، وعزم على رد المكيدة بمثلها ، فأولم لأعيان السنة ، وفتك بهم وقتل أنصارهم ، فنزحت عشرات العائلات السنية من بعلبك الى الزبداني ودمشق . . .

وليثبت هذا التهجير عمد الى كرومهم وبساتينهم فقطعها ، وعرفت تلك المجزرة « بجنيئة اللطامة » وموقعها بين الباب الشرقي للهيكل ، والمسجد الكبير . وعلى أثر ذلك بعث والي دمشق (أظن ابراهيم باشا)^(١) الى الامير جهجاه الحرفوش « يتهدده لاعتدائه على بعلبك »^(٢) وأرسل عسكرياً لمطاردته ، ففر الامير جهجاه باهل المدينة من مسلمين ومسيحيين ، وخرَّب الطواحين ، وحمل الاهلين على مغادرة المدينة والقرى التي تتبعها ثم صعد الى قرية (صنبرة)^(٣) وحاصر فيها بجماعته واسند (الأظن) حكم بعلبك الى الامير كنج بن محمد الحرفوش^(٤) وأمدّه بعسكر دالاتية ، ومغاربة فاستنجد جهجاه بالأمير

١ - أظن كلمة تركية : بمعنى : طويل .

٢ - تاريخ زحلة : ١١٠ ، دواني القطوف : ٢٢١ .

٣ - قرية صغيرة : محرف صنوبرة ، وهي على الحدود بين قضاء بعلبك وقضاء النبك ، فوق قرية الشعيبة اللبنانية على قمة تحيط بها أشجار سرو وصنوبر نسبت القرية اليها ، وبجانباها الغربيبينوع ماء بارد ، وهي الآن خربة .

٤ - دواني القطوف : ٢٢١ .

يوسف الشهابي وبالأمر شديد مراد اللمعي حاكم زحلة ، فأرسل عسكراً تمكن معه جهجاه من قتل أربعين رجلاً من مغاربة الباشا، وفر الباقون الى بعلبك وتحصنوا في قلعتها تم ذلك في التاسع من آذار سنة ١٧٨٨م . ثم توسط الامر الشيخ عباس التل حاكم الزبداني فدفع جهجاه ثلاثين كيساً غرامة ، ونحو مائتي كيس على حكم بعلبك ، فأرسلت اليه الخلع مع حاكم الزبداني في ٢٥ آذار^(١) ثم سعى بابن عمه الأمير كنج لدى والي الشام فسجنه ثم قتله خنقاً^(٢) . في العام نفسه .

وفي العام نفسه هب جهجاه لنصرة حليفه يوسف الشهابي ضد عساكر الجزائر ، ونشبت معركة بين الفريقين في وادي (أبو عباد) قرب كامد اللوز ، وأبلى المتحالفون بلاء حسناً في المعركة ، فانهزمت عساكر الجزائر شر هزيمة^(٣) . بعد هذا الانتصار قويت شوكة الأمير جهجاه ، فامتنع عن دفع الغرامة الى والي الشام فاغتاظ الأخير، وسير جيوش حمص والشام بقيادة الحاج اسماعيل الكردي ، لتفاجيء جهجاه الذي كان خارج بعلبك، وتمكن الكردي من دخول المدينة بلا مقاومة، وسبى حريم جهجاه الأربع ، وصادر أمواله ، وقصد دمشق . ولما علم جهجاه بالأمر ثارت ثائرتة وتقدم الى بعلبك فدخلها وعاث فيها فساداً وهدد سكانها المتأمرين ضده ففروا الى زحلة ونواحي دمشق ، هذه الاعمال دفعت والي الشام الى عزل جهجاه وتسليم الحاج اسماعيل الكردي نيابة بعلبك فدخلها في شهر تشرين الثاني سنة ١٧٨٩م .

.....

- ١ - تاريخ زحلة : ١١٠ .
- ٢ - دواني القطوف : ٢٢٢ .
- ٣ - تاريخ حيدر الشهابي : ١٤٥ ، اخبار الاعيان : ٣٤٩ .

واقطفى أثر الامير جهجاه الى الكرك بغية القضاء عليه . فاستصرخ جهجاه اصدقاءه أمراء آل مراد اللمعيين فأمدوه بقوة وحاصر في زحلة ، وهياً فرسانها لاستعادة بعلبك ، فخف اليه الحاج اسماعيل بستمائة فارس ومائة راجل ، فقابله جهجاه وانتصر عليه وقتل من رجاله نحو مائتين رجل ولم يخسر جهجاه أحداً . ولاحق فلول خصمه المنهزم الى نواحي الزبداني في العاشر من كانون الثاني سنة ١٧٩٠م . ولما دخل جهجاه بعلبك انتقم من معارضيه فقطع رأس مفتي المدينة وقتل أعوانه . وانصرف الى المفاوضات فتوسط صديقه الشيخ عباس التل ، وأعاد الى جهجاه نساءه الاربع وأصلح بينه وبين الوالي لقاء اربعين كيساً ، وأن يرهن أخاه لقاء الأموال الاميرية المتأخرة عنده ، وعاد الى حكم بعلبك^(١) . وما ان انصرف الى توطيد الامن ، حتى ذرت قرون النزاع العائلي من جديد ، اذ طمع الامير قاسم بن حيدر الحرفوشي بحكم بعلبك . فقصده الامير بشير الشهابي وسأله التناصر . وكان الشهابي يسعى الى تحريك النزاع بين الحرافشة ليسهل عليه التدخل في شؤون امارتهم . فأعد عسكرياً سنة ١٧٨٩م ودفع به الى زحلة وأمر اهلها بمناصرة الامير قاسم الحرفوش ، الذي تقدم على رأس هذه القوات يسانده أمراء من اللمعيين ، الى قرية (تمنين) فنهض جهجاه والتقاها الى ابلح حيث نشب قتال انتصر فيه جهجاه وغنم سلاحاً وخيلاً ، وأسر الامير مراد بن شديد أبي اللمع ، ثم أطلقه مكرماً .

اما الامير قاسم فلم تثنه الهزيمة عن وطره ، فاستصرخ أحمد الجزار فاصحبه بعسكر المغاربة والدولة ، ومشايخ الدروز ، والامير حسن

١ - تاريخ زحلة : ١١٢ .

الشهابي شقيق بشير ، وكاخيته (مدبره) ناصيف آغا وزحفوا الى بعلبك ، فغادرها جهجاه الى حصن رأس بعلبك ، فاقتفوا أثره فرجع من طريق آخر ودخل بعلبك فجأة ونهبها ولم يبق فيها قوتاً . فقصده الى خارج المدينة . وإبان المناوشات استبسل الامير قاسم وهجم على جهجاه الى وسط عسكره ، وقبل ان يصل اليه أصابته رصاصة أردته قتيلاً^(١) ، وكان شجاعاً كريماً كوالده ، ولم يكن ظالماً مثل بقية بيت الحرفوش ، وكان له من العمر سبع عشرة سنة^(٢) . بعد هذه الموقعة اتجه الامير جهجاه الى التحالف مع الامير بشير الشهابي ، والارتباط بجبل لبنان بدل التعامل مع ولاية دمشق . فاستاء والي الشام وأرسل قواته سنة ١٧٩١ م الى بعلبك فغادرها جهجاه إلى الزبداني متخفياً واستدعى رجاله فالتف حوله نحو مائة مقاتل ومثلهم من الدروز وداهم بعلبك فقتل نحو ثلثي العسكر المرباط فيها ، ودخل القصر (السراي) ، وبعث الى الامير حيدر الشهابي ببعض رؤوس القتلى فهنأه بالظفر^(٣) لكن والي الشام أعاد الكرة ، بقوة اكبر هذه المرة ، واجبرت جهجاه على اخلاء المدينة ، وقصد حوش الامير سليمان قرب زحلة . فطارده عسكر الباشا وأدركه في العشرين من كانون الثاني سنة ١٧٩٢م . فأغار عليهم جهجاه ببعض اصحابه ، وقتل منهم ١٥ رجلاً وطردهم الى القرعون في البقاع . وبينما كان يتجول في قب الياس ، فاجأه عسكر الجزار المرباط في البقاع فتقدم باتجاه بعلبك فلاحقه الجند الى الفرزل وأبلح في

١ - اخطأ عيسى اسكندر المعلوف في (دوانيه) عندما جعل الأمير قاسم منتصراً وحاكماً لبعلبك بعد هذه الموقعة (دواني القطوف : ٢٢٥) .

٢ - تاريخ حيدر الشهابي : ١٥١ ، اخبار الاعيان : ٣٥٣ و٣٥٨ .

٣ - دواني القطوف : ٢٢٦ .

شهر شباط سنة ١٧٩٢م. وقتلوا بعض الرعاة وأرسلوا رؤوسهم الى الجزائر ، فلما علم أنها رؤوس رعاة المواشي اغتاز وكتب الى قواده « أنا أرسلتكم لتقطعوا رأس جهجاه الحرفوشي ، وأنتم لم تستطيعوا الا قتل الأولاد ، فاتركوا البقاع » فلبوا امره وعادوا الى عكا . وخلص البقاع من شرورهم^(١) .

وقفل جهجاه الى بعلبك وطمع بتوسيع رقعة نيابته فطلب الهرمل من الامير بشير الشهابي فكتبها له سنة ١٧٩٢ . لكن أصحابها آل حماده لم يذعنوا له ، فحاربهم وقتل من أعوانهم أربعين رجلاً وأحرق البلدة في شهر تموز . وبسبب الصراع على الحكم اضطر جهجاه الى أن يقتل ابن عمه الامير داود ، وأن يسمل أعين أخوته اولاد الأمير عمر سنة ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤م^(٢) .

ولم تهدأ المنافسة بين جهجاه وعسكر الشام الذي غزا بعلبك في أيار سنة ١٧٩٥ ففر جهجاه الى رأس بعلبك وتحصن فيها فاعترضه سكانها ، فأحرق بعض بيوتها ، فهرب الرهبان ، وتفرق سكانها^(٣) وما لبث ان عاد الى بعلبك وقبض على زمام الامور وهدأت المشاحنات مدة يسيرة ، فاستقبل في بعلبك الامير بشير الشهابي سنة ١٧٩٩م ، وقدم له الذخائر^(٤) ثم استقبل سنة ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ جرجس باز وكان قادماً من صفد ، قاصداً إخضاع الثائرين في جبيل والضنية فأمدّه

.....

١ - دواني القطوف : ٢٢٧ .

٢- تاريخ الامير حيدر : ١٧٩ .

٣ - دواني القطوف : ٢٢٨ .

٤ - تاريخ الامير حيدر : ٢٠١ .

جهجاه بقوة على رأسها شقيقه سلطان الحرفوش^(١) .

ثم وفد اليه الشيخ فارس الشدياق^(٢) سنة ١٨٠٥ ، وأقام عنده مديراً لشؤونه فأنعم عليه الامير وعلى أخيه يوسف الشدياق بقرية (بحّاما)^(٣) .

مع أن جهجاه قضى على منافسيه ، وارتاح مدة تزيد على عشر سنوات برز مناويء جديد هو شقيقه سلطان . فذب الشقاق بينهما سنة ١٨٠٧ ، ورحل سلطان الى بلاد حمص ثم اصلى امرهما الامير بشير الشهابي وعاد سلطان الى امثال اوامر اخيه^(٤) . هذا الشقاق استغله والي الشام يوسف كنج الكردي ، وغضب على جهجاه فتوسط الامير بشير لتسوية النزاع بين جهجاه والوالي الكردي ، وتمّ التصافي لقاء مبلغ من المال . وكان على جهجاه ان يدفع الثمن للأمير بشير توددا اليه . ولما كان الأمير بشير يطمع في امتلاك كرك نوح التابعة للحرافشة ، كتب جهجاه وثيقة بأسماء قاسم ، وخليل ، وأمين أبناء بشير الشهابي وملكهم إياها^(٥) وهناك بذلك نقولا الترك :

كما كرك البلاد بك استجارت فعزّت وازدهت بعد الاهانة
وقد جاءت براءتها تنادي جهاراً أنها لك ما لكانه

.....

١ - نفسه : ٤٢٥ .

٢ - هو الشيخ فارس بن منصور الشدياق ، توفي سنة ١٨١٧ م (اخبار الاعيان : ١١٨)

٣ - اخبار الاعيان : ١١٨ .

٤ - أخبار الاعيان ، ٣٨٩ ، تاريخ حيدر الشهابي : ٥٣٠ .

٥ - دواني القطوف : ٢٣١ .

٦ - ديوان نقولا الترك : ٢ / ٢٩٠ .

وسرعان ما تعكر صفو العلاقات بين الشقيقين ، فاعتنم الأمير سلطان وجود كنج يوسف باشا والي دمشق في حماه فزاره سنة ١٨٠٩ وأغراه بدفع ثلاثماية كيس ثمناً لولاية بعلبك . فلبى الوزير رغبته وأرشفه بعسكر للتغلب على جهجاه والسيطرة على بعلبك .

لما علم جهجاه بالمؤامرة ، أرسل عياله الى بلاد عكار^(١) ونهض برجاله الى الكرك وفي شهر نيسان سنة ١٨٠٩م وصل سلطان مع عساكر الباشا الى بعلبك وتقدم لمحاربة أخيه في الكرك . ونشبت المعركة فسقط فيها ثلاثة قتلى من جماعة جهجاه وتراجع الى قرية زحلة ، فحضر لمساندته الشيخ ضاهر التل من مشغرا . وكان الأمير بشير الشهابي يميل الى الأمير جهجاه . فقام بدور الوسيط مع سليمان باشا والي عكا لاقناع كنج يوسف باشا بعودة جهجاه الى حكم بعلبك وافق كنج يوسف باشا شرط ان يقيم الأمير جهجاه مدة وجيزة في قرية زحلة ريثما يدفع الأمير سلطان الاموال المترتبة عليه . لكن جهجاه مل المماطلة وكان حذرا من تصرفات الولاة فلم يأمن لهم وسار الى عكار . وهناك انشد قصيدة من الشعر العامي بين فضله على الخرافشة وذكر مواقفه المشهورة واستعادة اجداده .

اقام سلطان في بعلبك يجبي الأموال ، ويغدق على الوزير ليشمله بعطفه ورضاه . وأخوه جهجاه مشردا في عكار يرسل الوفود لاصلاح ذات البين . وكان صديقه الملا اسماعيل والي حماه في حركة دائبة لاعادته الى بعلبك وكان كنج يوسف باشا يصصر على مثول جهجاه امامه

.....

Documents Diplomatiques. 4 M 232' - ١

كي يصفح عنه وينظر في امره . مل جهجاه هذه المفاوضات وعاد الى أخيه سلطان مع ستة أشخاص من أتباعه . وقنع بأن يأخذ مرتباً يكفيه معاشه وتنازل عن حكم بعلبك لأخيه . لكن سلطان استبد بجهجاه وأذل أتباعه وأودع بعضهم في السجون . وعزم على قتل شقيقه . ولما أحس جهجاه بالشر . فر ليلاً الى صديقه الملا اسماعيل في حماه وعندما علم الأمير بشير الشهابي بأمر جهجاه فاوصى الملا اسماعيل به خيراً . فتوسط الملا مع كنج يوسف . فقبل عودة جهجاه الى الحكم لقاء مائة ألف غرش ولما حضر المال اعتذر الباشا وقال أنا فرضت المال عقبة في طريق عودة جهجاه . أما وقد أحضر المال فلا يستطيع ان انكث وعدي للأمير سلطان^(١) .

وأقام جهجاه عند صديقه ينتظر الفرج . وصدف ان عزل كنج يوسف باشا عن دمشق وتولى مكانه سليمان باشا والي عكا بمساعدة الأمير بشير الشهابي ، فلما تم له ذلك قرر الأمير جهجاه على حكم بلاد بعلبك سنة ١٨١٠م^(٢) . وما لبث سليمان باشا ان غضب على الملا اسماعيل والي حماه فلجأ الى بعلبك سنة ١٨١١م وأقام عند صديقه جهجاه مدة شهرين أجرى خلالها اتصالات مع الباشا فأبدى الرضا وأعاده الى حماه^(٣) .

أما الأمير سلطان فلاذ بعبود سك ابن عم علي بك الاسعد حاكم بلاد عكار . وظل يتحين الفرص لمقابلة سليمان باشا ، ولما زار الاخير

.....

١ - الشهابي : ٥٥٥ .

٢ - الشدياق : ٣٩٢ ، الشهابي : ٥٦٠ .

٣ - الشهابي : ٥٧٢ .

حماء ، بادر اليه سلطان ودفع له رشوة مائتين الف غرش . فأعاده بعد تردد الى حكم بعلبك سنة ١٨١٢م . وكان جهجاه حذرا يرقب تحركات شقيقه ، فوافته الاخبار بقدوم سلطان مع جيش الوالي ، فغادر بعلبك مع عياله الى بلاد الضنية وتسلم سلطان زمام الامور وكان جهجاه قد جمع الاموال الاميرية من البلاد . فجباها سلطان مرة ثانية . فضج الناس وخصوصاً مزارعو جبل لبنان ، فرفعوا مظلمتهم الى الامير بشير الشهابي الذي اقنع الوالي برفع مظالم سلطان^(١) .

ولما كانت إمارة بعلبك تباع سنوياً من أمير حرفوشي . تبعاً لنظام (المزايدة) سعى جهجاه الى استعادة إمارتها . فتحرك في مطلع سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م وحل بالهرمل . وأجرى المفاوضات بوساطة صديقه الملا اسماعيل والي حماه . واستاء سلطان من وجود شقيقه في الهرمل فتأهب لطرده . ولما ورده قرار الباشا بتولية جهجاه ، فضل الفرار فأدركه جيش الباشا في الطريق ، فساقوه الى دمشق فأودع السجن لأنه لم يؤد كل الأموال التي التزم بدفعها ، وعاد جهجاه الى بعلبك^(٢) .

ادى سلطان ما عليه من أموال ثمناً للافراج عنه ، وتوجه الى منفاه المعتاد الى بلاد عكار وبعد مدة طلب الصفح من أخيه جهجاه فتجاوز عن سيئاته واستقدمه الى مسقط رأسه^(٣) .

ظل جهجاه متسلماً لبعلبك حتى شهر آذار سنة ١٨١٧ م ، يوم ادركته الوفاة فضبط اخوه الامير امين جميع متروكاته وكان ولده

١ - الشهابي : ٥٨١ .

٢ - الشهابي : ٥٨٦ و ٥٨٧ .

٣ - الشهابي : ٥٩٤ .

نصوح^(١) قد بلغ الثانية عشرة من عمره ، فصحبه عمه الامير امين الى الشام ومثلا امام واليها صالح باشا فأنعم عليهما وأقرهما على حكم بلاد بعلبك . وكان الامير امين أصغر إخوته ولم يحدث شقاق بينه وبين جهجاه^(٢) . واثر عودة أمين ونصوح غادر سلطان الى الهرمل .

طمع الأمير امين في حكم بعلبك ، لأن نصوحاً ما زال حدثاً . واعترف نائب دمشق سليمان باشا بهذا الواقع ففوض سنة ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩م الى الامير امين أن يطرد المشايخ النازحين من جبل لبنان وهم (بيت عبد الملك ، وبيت تلحوق) فأعد الامير امين قوة ضدهم ، ففروا من قرية (معذر) شرقي البقاع الى (قارا والنبك)^(٣) .

وتصرفات الامير امين وطموحاته أثارت الشكوك في نفس الامير بشير الشهابي الذي كان يطالب باشا دمشق بحق الاشراف على حكام وادي التيم وبلاد بعلبك^(٤) فأوعز إلى والي دمشق بعزل الامير امين وتولييه الامير نصوح بن جهجاه . فنفذ الوالي ذلك سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠م. ورحل امين وأخوه سلطان الى الهرمل وشاركوا المشايخ الحمادية في التمرد ضد الامير بشير ، الذي وجه الامير ملحهم بن حيدر الشهابي الى الهرمل لطرد زعماء التمرد امين وسلطان والشيخ حمود حمادة وقدم ملحهم الشهابي الى بعلبك وصحبه الامير نصوح ولما بلغا الهرمل غادرها أمين وسلطان الى بلاد عكار في حين استسلم حمود حمادة وعقد

.....
١ - كان جهجاه يكنى ولده (بنصوح باشا) .

٢ - الشهابي ٦٣٣ .

٣ - الشهابي : ٦٥٤ ، الشدياق : ٣٩٩ .

٤ - الشدياق : ٤١٤ .



ابراهيم باشا

صلحاً مع الشهابي . وتابع نصوح طريقه برفقة الجيش الى الامير بشير الشهابي في قرية بشري ، فاکرم وفادته (١) .

وما ان انحدر بشير برفقة ملحم الى جبيل وبيروت حتى رجع امين وأخوه سلطان الى بعلبك وطردا نصوح منها ففر الى زحلة ، وفي احد الايام بلغه ان عمه امين في بدنايل فدهمه بجماعته وهزمه فتقهقر امين الى بعلبك ، وأخيراً اقتنع نصوح بأن الشعب لا يميل اليه وأن عمه أجدر بالحكم منه فأتاه معتذراً ، فقبل عذره ، وتظاهر بالعفو ، وأضمر الشر له . وبينما كان نصوح نائماً في قرية (مجدلون) أرسل امين أحد اتباعه (مكباشي درزي) فخنقه حوالي سنة ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥م (٢) . واستقل امين بحكم بعلبك حتى قدوم ابراهيم باشا المصري .

بعلبك في عهد ابراهيم باشا :

رأى الأمير امين ان عدوه الامير بشير الشهابي يسير في ركاب ابراهيم باشا فرفض التعامل مع المصريين ، وظل موالياً للأتراك . لذلك تقدم ابراهيم باشا ودخل بعلبك سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١م . وفوض امرها الى الأمير جواد الحرفوش . وفر الامير امين بعياله يتنقل من قرية الى قرية . وفي سنة ١٢٤٨ / ١٨٣٢م استغل الامير امين وجود ابراهيم باشا في حلب يطارد فلول العثمانيين الاتراك . فقصده الامير بشير الى حمص طالباً الصفح « فطيب قلبه ، ووعدته بأن يلتمس له الامان من الوزير » (٣) وورده الجواب بالقبول مشروطاً بمثل الامير

١ - نفسه الشهابي : ٦٩٣ .

٢ - الشهابي : ٧٧٩ .

٣ - الشدياق : ٤٤٩ .

امين أمامه . لكن الأمير امين خشي سوء العاقبة وفر ضارباً في القفار . فأرسل الوزير في طلبه شرذمة من الجند فلم تدركه ، ولما مل الفرار . ذهب الى (بتدين) مستسلماً فامر ابراهيم باشا بسجنه ، وبعد أيام اطلقه الامير بشير وبقي متردداً خائفاً من المثل امام ابراهيم باشا . وحذره اصحابه سوء العاقبة ففر هارباً من جديد فبعث ابراهيم باشا اربعمائة فارس من الهنادي لمطاردته . فتسقطوا أخباره ، وأدركوه في (عين الوعول) قرب (القريتين) وكان بصحبته ولده الامير قبلان واثنا عشر فارساً .

فتنحى الامير امين مع الحريم . وكر قبلان بفرسانه على الهنادي فشتت شملهم ومزقهم شر ممزق . وغادروا لا يلوون على شيء^(١) . ونجا الامير امين مع الحريم ، وعاد قبلان مع والده الى شعرة الدنادشة ، فأودعا عياهما عند آل دندش ، وقصدا معا استانبول . ولما أدركاها أنزلا أرفع منزلة ، وأقاما حتى غادر ابراهيم باشا بلاد سورية سنة ١٢٥٧ هـ / ١٨٤١م^(٢) .

أدرك ابراهيم باشا ان بعلبك تؤلف المركز الاستراتيجي المنشود . فهي قريبة من جبل لبنان ، ومحمية من بواخر انكلترا ، وتتحكم بطرق

.....

١ - غدت هذه الواقعة من أحاديث البطولات ، تروى في مجالس السمر ، وأشار اليها السيد حسين الحسيني مرتضى بقوله :

سل عنه يوم (القريتين) وقبله في يوم (حمص) فذاك يوم ثان
وسل الهنادي مالقوا لما التقوا معه ، وما لاقوا من الخذلان
(وثيقة من مخطوطات الشاعر) .

٢ - تاريخ بعلبك : ١٠٢ .

سورية المجوفة ومنها يتم الاتصال بسرعة مع دمشق وحمص
وبيت الدين وطرابلس مراكز قوى الجيش المصري وحلفائه . هذه
الاستراتيجية حملت ابراهيم باشا على اتخاذ بعلبك مركزاً حريباً دائماً ،
فشاد ثكنة عسكرية كبيرة ما تزال قائمة الى اليوم . وأقام في بعلبك
أكثر مما أقام في سائر المدن اللبنانية والسورية . وتردد إليه شعراؤها
ومدحوه (١) .

بعد عصيان الامير امين فوض ابراهيم باشا شؤون بعلبك الى
جواد الحرفوشي وما اعتم ان عزله لأنه لم يتفق مع مزارعي الدروز في
البقاع ، وعين مكانه احمد آغا الدزدار . رضخ الامير جواد للأمر الواقع
وسكن (بيرود) لقاء راتب شهري قدره (١١٥٠) قرشاً . لكن ابراهيم
باشا اوقف الصريفات . ولما كان « الامير جواد جواداً كاسمه قلت ذات
يده » فجمع فرسانه ومعه ابناء عمه خنجر ومحمد ، وأعلن العصيان
وشرع يقطع الطرق ، ويعتدي على موظفي السلطة ، فهابه الناس .
وأخيراً تمكن صديقه عبد القادر آغا خطاب ان يأخذ له أماناً من حاكم
دمشق شريف باشا المصري الذي عينه « سرسواري » رئيس خيالة بعد
استئذان ابراهيم باشا . لكن اعداء جواد أوغروا صدر شريف باشا

.....

١ - مدحه السيد حسين الحسيني مرتضى وتغنى بشجاعته وكرمه وحسن سياسته قال :
غدت الشام منيرة إذ حلها أسد كريم العنصرين جسور .
ويبدو ان اللقاءات تكررت بين السيد و ابراهيم باشا ، فخاطبه يوماً بأبيات أنهاها
بقوله :

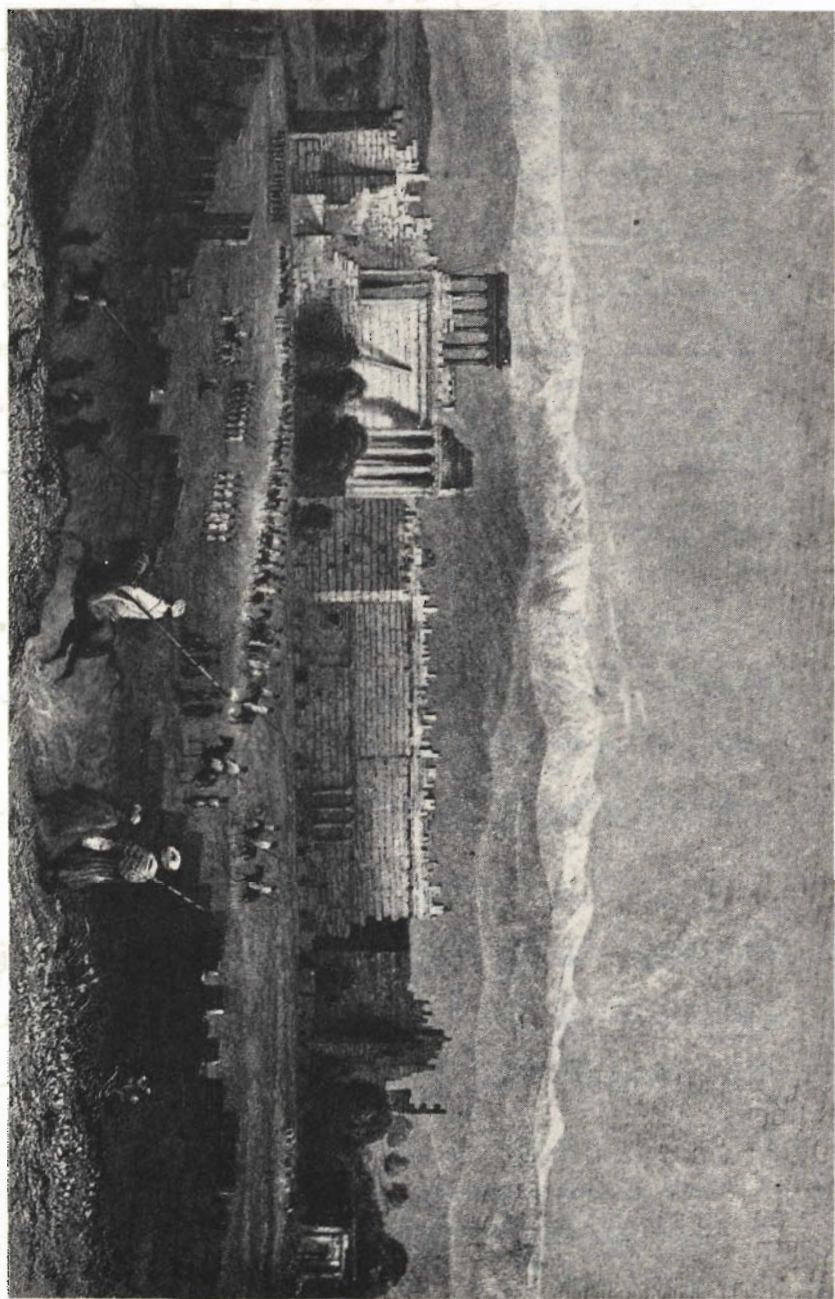
يا بني الزهراء والنور الذي ظن موسى انه نار قيس
صح عندي أن من عاداكم هو من آخر سطر في عبس
(آخر آية في سورة عبس هي ﴿ أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ .

ضده ، فعزله من منصبه ، وضيق عليه . فخرج من دمشق غاضباً ، مهدداً بآثارة الفتن ، ومعه من أقاربه الامراء محمد وعساف وعيسى ، وسعدون وثلاثون فارساً . فبعث شريف باشا في طلبهم اكثر من مائتي فارس بقيادة احمد آغا اليوسف وعجاج آغا الكردي متسلم جبل دروز حوران . والتقى الفريقان قرب (دير عطية) ، وانكشفت المصادمة عن مقتل عجاج الكردي وجرح الامير جواد الحرفوشي ، الذي توجه الى حمص . وبينما كان وحيداً في محل يدعى (الحريشة) فاجأته كتيبة من الهنادي ، وأحاط به رجالها وملكوا عليه جسر التل القائم على نهر العاصي . وكان لا بد من اجتيازه للخلاص « فهجم عليهم هجمة قسورية ففرق جمعهم بحد الحسام ، وأفلت منهم بعد أن قتل بضعة فرسان ، وتوارى عن الانظار »^(١) .

بعد فرار الامير جواد ، عزل الدردار عن بعلبك ، وتولاها خليل آغا وردة ، لكن تحركات الخرافشة المستمرة أقنعت ابراهيم باشا بضرورة عودتهم الى الحكم . فأسند شؤون بعلبك الى الامير حمد الحرفوش .

كان ابراهيم باشا ينتقل الى حمص وحماه وحلب وجبل لبنان ثم يؤوب الى بعلبك للراحة والاستعداد والاشراف على تدريبات جيشه . وقد شاهد جزءاً منها الرحالة الانكليزي (جون كارن) ووصفها بقوله « كان جمع من خيالة ابراهيم باشا قد توقفوا عند الخرائب ... يستغرقون في كل يوم بضع ساعات في تمارينهم العسكرية ، ويدل مظهرهم على النشاط والصحة . وهم فوق خيولهم العربية ، وبينهم عدد من الخيالة اللبنانيين الذين أمد بهم الامير بشير حليفه ، وما من هؤلاء

.....
١ - تاريخ بعلبك : ١٠٣ .



جیش ابراہیم باشا یتدرب امام میاں ملک (جون کارن)

الا من هو مسلح برمح وسيف وبعضهم مسلح ببندقيات علقوها بالأكتاف وراء الظهر . كانوا يقومون بتمارينهم في السهل عند سفح جدران الهيكل العظيمة، وكان مشاهدتهم بين الخرائب، وهم في ملابسهم الملونة تلونا خفيفاً مغرياً جداً بالتصوير والتأمل . وكانت حركاتهم رشيقة يندفعون احياناً اندفاع الريح بازاء الاعمدة والجدران ، ويمزقون سكون المكان بصيحاتهم العالية . أما خيامهم البيضاء وراءهم فكانت تضيء حياة على السهل . وكانت أسلحتهم المركومة وخيولهم المربوطة الى جانب ، وأشكالهم البربرية المتحركة تحت الاشجار او المستندة الى حجارة الهيكل المتداعي ، تبدو جميعها في معارضة قوية مع الهيكل وروعته . . . »^(١) .

غدت بعلبك مركزاً عسكرياً ومخزناً للذخائر الوافدة من مصر عن طريق البحر الى صيدا ، فرحلة ، فبعلبك . وهناك رسالة من ابراهيم باشا الى الامير قاسم الشهابي ، يأمره فيها بتوجيه الذخائر من صيدا الى بعلبك ، محررة بتاريخ ١٢ ذي القعدة سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م^(٢) .

وجود بعلبك في سهل البقاع الخصب منحها المركز التموييني الأول للجيش المصري . ففي سنة ١٨٣٢ كان الامير بشير في دمشق برفقة العساكر المصرية ، فبعث الى ولده امين الشهابي كي يحرر اربعة الاف (غرارة)^(٣) شعير من بلاد بعلبك والبقاع لأجل العساكر وان

.....

١ - رحلة في لبنان (جون كارن) تعريب رثيف خوري : ١٦٥ .

٢ - تاريخ حيدر الشهابي : ٨٤٤ .

٣ - الغرارة : قيمتها (أربعون مدأ) أي نحو ٨٠٠ كلف .

تجمع الغلال الى بعلبك وزحلة^(١) .

ورصدت رسائل القناصل الاوروبيين تحركات ابراهيم باشا بين بعلبك وسائر المدن ، لقد غادرها في أواخر نيسان سنة ١٨٣٢ الى جبل لبنان للقاء الامير بشير^(٢) ، وما لبث أن عاد اليها في مطلع ايار من السنة نفسها^(٣) والفرق الرئيسة للجيش المصري كانت ترابط في بعلبك ، ومنها فرقة المدفعية التي أمضت فيها طوال شتاء سنة ١٨٣٥^(٤) .

هذه الحشود العسكرية منعت تحركات الحرافشة في المنطقة ، وظهر عصيانهم في عكار . لقد غابت اخبار الامير جواد^(٥) لتظهر في تحرير قنصل فرنسة في طرابلس مؤرخ في السابع من حزيران سنة ١٨٣٩ م . جاء فيه « إن الامير جواد - امير بعلبك - ترأس عصابة من خمسمائة رجل ، عاثوا فساداً في مناطق عكار . وعجز حاكم طرابلس عن تبديد هذه القوة ، وفي ٢٧ أيار سنة ١٨٣٩ استطاع اربعون رجلاً من هذه العصابة أن يقتلوا حاكم عكار ، والحقوا به أمين الخزانة بعد

١ - تاريخ حيدر الشهابي : ٨٦٤ ، أخبار الاعيان ٤٤٨ .

(2) Le Liban Documents Diplomatiques 5 M 227

٣ - المرجع نفسه : ٥ / ٣٢٠ .

٤ - نفسه : ٥ / ٤٣٣ .

٥ - ذكر السيد محسن الامين ان الامير جواد قتل حوالي سنة ١٨٣٣ اذ استأمن للأمير بشير الشهابي ، فغدر به ، وسلمه الى شريف باشا المصري في دمشق فقتله (اعيان الشيعة : ١٧ / ١٠٢) .

وهذا ما ذكره ايضاً مخايل الوف . لكنه لم يحدد السنة (١٠٣) .

وهذه الرسالة تكشف ان الامير جواد كان حياً سنة ١٨٣٩ .

أن سلبوه الأموال ، وأتلفوا دفاتر المحاسبة^(١) .

وأخيراً مل الأمير جواد العصيان فتوجه الى الأمير بشير وقبل وصوله أرسل بشير جماعة كمنت له عند جسر القاضي وقبضت عليه وسيّره الأمير بشير الى حاكم دمشق شريف باشا المصري فقتله ، وقطعا لدابر الفتنة وجه الى بعلبك عثمان باشا أحد كبار قادة الجيش المصري وقضى مدة طويلة في المدينة^(٢) . وما إن غادرها في مطلع حزيران سنة ١٨٤٠ حتى ثار الحرافشة بقيادة الأمير محمد وغلبوا على بعلبك ، وغنموا أكثر من ألف بندقية . وتقدم الأمير محمد الحرفوش ومعه تسعمائة رجل من انصاره وسبعمائة من (المعلقة) ، وهاجم فرقة مصرية ، فاستولوا على الذخيرة وأسروا أربعماية جندي مصري . وعادوا الى بعلبك^(٣) .

وفي ١٠ حزيران سنة ١٨٤٠ وصلت الى بعلبك ثمانية فرق قادمة من بلاد حلب فأنت التمرّد ، وانضمت اليها أربع فرق وفدت من عكا ، وانطلق الجميع الى جبل لبنان لأخضاع المناطق المتمردة هناك^(٤) : . ولما خفت الحشود المصرية من المدينة ثار الحرافشة من جديد . وهاجم الأمير محمود الحرفوش حصنا صغيراً بجوار بعلبك . وكانت حاميته تتألف من أربعماية خيال ومائة من المشاة المصريين . فدخل الحصن في ٢٩ تموز سنة ١٨٤٠ واستولى على خمسة مدافع ، وبعض صناديق الذخيرة ، وأسرمئتي جندي ويّم شطر بعلبك فبلغها مع غياب الشمس .

.....

6 — Documents. Diplomatiques: 5 M 421 .

١ - اخبار الاعيان : ٤٦٠ .

Le Liban. Docu. Pol. 6M66'

٣ - نفسه : ١٣٢ / ٥ .

وفي صباح اليوم التالي ٣٠ تموز افتتح المدينة ، ونهب مخازنها وأسر ثلاثماية رجل . وفر خمسون خيالا مستنجدين بالقائد المصري عثمان باشا المقيم في زحلة . فبادر وأرسل خمسماية خيال الى بعلبك . فلما التقوا فلول الجنود المطاردين من الامير محمود رجعوا القهقري . وعادوا الى معسكرهم شراذم مع الغروب^(١) .

وفي اليوم نفسه صدف الامير محمود الحرفوش قافلة مؤلفة من ثلاثماية جمل تحمل ذخائر قادمة من حلب ، يحرسها أربعماية خيال أغار عليها برجاله وغنمها جميعها بلا مقاومة تذكر^(٢) .

عندها توجه ابراهيم باشا بنفسه الى بعلبك ودخلها واستقر فيها يترقب اخبار بوارج انكلترة التي تقصف مدن الساحل وفي ٢٥ آب عقد في بعلبك مؤتمراً دعا اليه الامير بشير الشهابي ، وشريف باشا والي الشام ، وبحري بك وكبار قواده^(٣) .

وفي ٨ ايلول أم بعلبك قنصل فرنسة في دمشق لمفاوضة ابراهيم باشا مشافهة ومطالبته بحفظ مصالح فرنسة في بلاد سورية^(٤) وبعد أيام دخل بعلبك خمسة آلاف جندي مصري^(٥) ، وأعاد ابراهيم باشا مركز قيادته (quartier Gènerale) الى بعلبك وتفيد تقارير قناصل فرنسة

.....

٤ - نفسه : ٦ / ٨٨ .

Le Liban : 6 M 88'

٢ - أخبار الاعيان : ٤٦٨ ، LeLiban: 6 M 151

LeLiban: 6 M 168'

نفسه : ٦ / ٠٤٢ .

٤ - نفسه : ٦ / ٨٦١ .

- المحررة في تشرين الثاني سنة ١٨٤٠ - بأن جيش ابراهيم باشا المرابط في بعلبك وجوارها بحال جيدة لا يخشى تحركات الاتراك^(١) ، وارتفع عدده الى عشرين الف جندي يعيشون من أعمال السلب والنهب^(٢) .

ولما انفجر الوضع واشتدت مقاومة اللبنانيين لابراهيم باشا شارك أمراء الحرافشة في الثورة التي اعلنوها منذ البداية بشخص الامير امين ، ولم يعلنها اللبنانيون الا عندما انهارت قوات المصريين .

جمع الامير خنجر الحرفوشي وشقيقه سلمان اربعماية فارس وقصدا المريجات للانضمام الى الأمير علي اللمعي المعارض للوجود المصري^(٣) . ومن هناك تقدموا باتجاه الحازمية ، حيث اجتمعوا بالامراء فاعور قعدان وفارس ويوسف الشهابيين وبعد أن أنفض الاجتماع سار خنجر وأخوه سلمان الى زوق مكاييل لجمع الرجال^(٤) . فلما بلغا المعاملتين خانها احد الاصدقاء فأتاهما برجال الامير عبد الله بن حسن الشهابي الموالي للمصريين .

ولما رأهم الامير خنجر قادمين ظنهم من (عامية غزير) الوافدين لالتفاف حوله . ولما أحاطوا به لم يتمكن من المقاومة . فقبضوا عليه ومعه سلمان وستة رجال من المتأولة ، فوضعهم الامير عبد الله في سجن غزير . ولما شاع الخبر في كسروان والفتوح انحدر الى غزير قرابة مائة رجل واتفقوا مع (عامية) غزير على اطلاق الامير خنجر اتصلوا بالامير

١ - نفسه : ٦ / ٤٢ .

٢ - نفسه : ٦ / ٢٨٢ .

٣ - الشدياق : ٤٦١ .

٤ - نفسه : ٤٦٣ .

عبد الله فابى اخراج المساجين ، فانقضوا على السجن وكسروا بابه وأخرجوا الاميرين واصحابهما ، وسلموهم اسلحتهم ، وانحدروا الى جونية ، فانضم اليهم رجالها وساروا الى المكلس لاثارة الفتنة^(١) ثم انضم الامير خنجر بعد ذلك الى عمر بك النمساوي العثماني . وسار بصحبته الى بيت شباب فوزعا السلاح على أهلها دعماً للثورة ضد المصريين^(٢) ولما بدأ ابراهيم باشا بالانسحاب شارك الامير خنجر في تعقب فلول جيشه وسلب وأسلحته لقد سار برفقة الامير محمد الحرفوش والامير قيس والامير عبد الله ومعهم الفا فارس الى الزبداني ثم الى قرية الهامة قاصدين التضيق على ابراهيم باشا المقيم في دمشق . وعند الصباح وردهم ان ابراهيم باشا انسحب الى ارض (القدم) فنهضوا بالعسكر الى مطل الصحراء ، لدخول دمشق ، ومن هناك اتجهوا الى مرجعيون^(٣) . ولقاء جهاده ضده المصريين انعمت عليه الحكومة التركية بامارة بعلبك في أواخر سنة ١٨٤٠ م وكان قدم اليها من حلب عثمان باشا بثمانية آلاف جندي فاحتل الثكنة العسكرية . وعزل الامير حمد وعين مكانه الامير خنجر .

وفي سنة ١٨٤١ م وصل الامير امين مع ابنه قبلان الى بيروت مزودين بأمر سلطاني يمنحهما حكم بلاد بعلبك . لكن القدر كان -على موعد مع الامير امين ففارق الحياة بعد أيام من وصوله الى بيروت . وكان قد أرسل ابنه الامير قبلان الى دمشق لمصادقة مرسوم تولية بعلبك ،

.....

١ - نفسه : ٤٦٤ .

٢ - نفسه : ٤٦٩ .

٣ - الشدياق : ٤٧٣ .

فمكث أياماً ينتظر الموافقة. وفي أحد الايام رأى (الشخصية) مقبلين اليه ينقلون خبر توقيع المرسوم . طمعاً بانعامه ، فتوهم الامير قبلان انهم يرومون القبض عليه ، فجن من ساعته وامتنطى لجواده وغادر دمشق ، وبقي مجنوناً حتى وفاته سنة ١٨٦٤م في الثمانين من عمره^(١) .

وظل الأمير خنجر متولياً بعلبك ، فشارك سنة ١٨٤١ في دفع الدروز عن زحلة بعد تردد ورباباغراء من (ريتشارد وود) (R. Wood) قنصل انكلترة في دمشق ، الذي استصدر إذناً للحرفوشيين من نجيب باشا والي الشام ، يميزهم مساعدة الزحليين^(٢) .

ويوم الاربعاء في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٨٤١ تقدم الامير خنجر الحرفوشي الى زحلة يرافقه الامير يوسف الحرفوش وابناء عمه برجالهم وبينهم نصارى بعلبك يقودهم شبلي المعلوف ، والشيعة بقيادة سليمان الحاج سليمان حيدر من بدنايل وحسن حمية من طاريا . فكان مجموعهم ستمائة فارس تقريباً ، تقدموا والطبول تفرع أمامهم ، وحامل علم العسكر البعلبكي فارس الديрани من قصر نبا . وانتشب القتال يوم السبت في ٢٥ تشرين الاول في شتورا وجلالا وتعلبايا . ففر الدروز الى قمل وجرح شبلي العريان وأخوه علي وقتل من عسكره اكثر من سبعين رجلاً ، وقتل من عسكر بعلبك ابن قرة بولاد المسيحي^(٣) . وبعد الهزيمة استصرخ شبلي العريان دروز الجبل لنجدته ، وقطع آذان قتلاه وأرسلها إليهم ليثير

.....

١ - تاريخ بعلبك : ١٠٤ .

٢ - Documents Diplomatiques: 7 M 51

٣ - تاريخ زحلة : ١٦٦ .

حياتهم فنهض الدروز وتقدموا الى البقاع وفي نيتهم تدمير زحلة . وكانوا نحوامن ستة آلاف رجل التقاهم العريان بألف فارس (١) .

فركب الامير خنجر يحدق به الفرسان والمشاة ، فوضعوا ثلاثماية في خندق البيادر ، ودارت المعركة على بيادر حوش الامراء (٢) .

.....

٤ - اخبار الاعيان : ٤٨٩ ، في تاريخ زحلة للمعلوف « عدد جيش الدروز خمسة وعشرون الف رجل » (تاريخ زحلة ١٦٦) .

١ - أتى على ذكر هذه الموقعة الزجال حسين أبو الحسن في زجلية طويلة ذكر فيها الامير بشير الشهابي وابراهيم باشا ، وحرب العامية . وقال في موقعة زحلة :

راحت أيام وجتتنا بدالها	مرّت علينا مثل مرات المنام
من يوم فخر الدين نحنا والدروز	ما وقع بيناتنا غيظ وأضام
نحن كنا بسعادة عايشين	والآ، خبر نافد علينا من الغيام
العريان جا لأرض البقاع	وعاد يحكم مثل حكام القدامى
بعث الى زحلة كتاب يقول لهم	سلّموا لي سلاحكم تلقوا السلام
جاوبناه اننا نخش الخون	والسلام يكون في حد السحام
ويوم السبت قام المير قايد	للعساكر طالعة من الغمام
دقت الطبله وصاح السيطري	قال قَرَب لي حصاني يا غلام
ابن أبي سويدان راد الانفصال	قَوْسه بالفرد كلمه ما ابزم
وتحاوطوا زحلة من اربع قصار	هَيْلرم يا لولاو زحلة هيلرم

أشار فيها إلى معارك الحرافشة ضد فخر الدين ، أما محمد سويدان فهو من رجال الامير خنجر ، حضر المعركة الأولى في تعلبایا . وكان مكلفاً بمراقبة تحركات الدروز . رأى عجّال (مواشي) ير الياس يوم الاربعاء في ٢٩ تشرين الأول سنة ١٨٤١ ! ، فعاد مذعوراً وقال للأمير : يا مولاي : الدروز مثل الضباب ، وقد ملأوا السهل بالخيّل والرجل ، ولما استطلع الأمير حقيقة الواقع أطلق عليه النار فوق مفرجا بدمه (تاريخ زحلة ١٦٦) .

وكتب النصر لرحلة بعد معركة ضارية استبسل فيها المدافعون
حلفاء وزحليين . وقتل من الحرفوشيين الامير يوسف . وجرح الامير
منصور ونقل الى النبي شيت فمات بعد أيام^(١) .

ثم ظهر النزاع بين الخرافشة من جديد فذهب الى دمشق الامراء
بشير وسعدون وشديد وفد عم وانتزعوا أمرا بحكم بعلبك للأمير حسين
بن قبلان في سنة ١٨٤٢ وكان صغير السن فأقاموا له وصيا الامير
سعدون . وفي سنة ١٨٤٣ عاد الامير حمد الذي حكم بعلبك ايام
ابراهيم باشا . الى نيابة بعلبك وظل حتى سنة ١٨٤٥ م . عندما
تأججت نار الفتنة بين الامراء الخرافشة . ذهب الامير محمد بن جواد
الحرفوش ورشا والى دمشق فمنحه حكومة بعلبك واصحبه بألف
وخمسمائة كردي برئاسة محمد آغا بوظو . فلما وصلوا الى قرية بر الياس
جمع الامير حمد رجاله وفي مقدمتهم فرسان آل حيدر وآل المعلوف ،
وزحف الى قرية تمنين التحتا ، وبادر كل فريق لملاقاة خصمه ، وتم
الصدام على أرض الدلمية ، وكانت المعركة بين كر وفر . اذ تراجعت
فرسان الامير حمد فدفع بالمشاة الى أرض المعركة فغيروا وجهتها وكتبوا
النصر لأمرهم واندحر عسكر الاكراد مخلصاً على أرض المعركة أكثر من
ستين قتيلاً في حين فقد الامير حمد ثلاثة من رجاله فقط احدهم الشيخ
شلي حيدر . وآب الى بعلبك منتصراً ومثبتاً حكمه بحد السيف^(٢) .

.....

٢ - دواني القطوف : ٢٦٧ .
اخبار الاعيان : ٤٨٩ ، تاريخ رحلة : ١٦٧ .

وانشد الامير حمد زجلية بمناسبة انتصاره منها^(١) :

ولك بوظو لا تسوق جنان انتم عشائر خصمكم فرسان
إسأل (العبد) يوم الي أتاه سلطان بأرض الكرك دعاه مبطحاً
يا كراد! يا سواقة حمارا! مين الي شار بحرب الامارا
إسأل عجاج يوم قتلى (قارا) من يد أبي السعود دعاه ملقحاً
بوظو كيف بعقلك تقول نحن خزاعا كم فختنا طبول
أنشد (الهنادي يوم عين الوعول) من يد (أبي هدلا) كم قتيل مطوحاً

وبعد ستة أشهر استطاع الامير محمد أن يأخذ حكماً ثانياً بولاية
بعلبك فبادر الامراء خنجر ويوسف بن حمد وشديد الى الغاء الحكم لدى
والي دمشق . وازاء هذه المشاحنات صدر فرمان سلطاني بتجزئة بعلبك
وشرقي البقاع الى مقاطعات صغيرة تسكت جشع الامراء الى الحكم .
بعد استقلال محمد علي باشا في مصر وغزو ابنه ابراهيم لسورية ،
وعصيان داود باشا زعيم أسرة المماليك في بغداد سنة ١٨٣٣ م .
ومحاولات امراء جبل لبنان في ايجاد حكم ذاتي ، قرر السلطان العثماني

.....

١ - إشارة الى العبد الذي حكم بعلبك فجاء جهجاه وسلطان والتقى به عند
الكرك ، وقتلوه في محلة الكروم .

واما حادثة (عجاج) فهو نسيب احمد باشا اليوسف . قاد خمسمائة فارس لمحاربة الامير جواد
الحرفوشي الملقب بابي السعود ، فسقط عجاج قتيلاً في أيام حكم ابراهيم باشا .
أما وقعة عين الوعول شمال بعلبك : فتمت سنة ١٨٣٢ . عندما أرسل ابراهيم باشا أربعماية
فارس من الهنادي لقتل الامير امين الحرفوشي وولده قبلان ، فاستطاع قبلان ابوه دلاً ومعه ١٢
فارساً من دحرهم وقتل عدد منهم .

القضاء على الحكم الوراثي المحلي ، ومقايسته بولاية ينتمي ولاؤهم للسلطان ولا يرتبط بالشعب والارض . من أجل ذلك الغى السلطان سنة ١٨٥٠م حكم الخرافشة . فأعلن الامير محمد بن جواد الحرفوش العصيان والتمرد . وجاب بلاد بعلبك والبقاع وأقليم البلان يجمع العساكر استعدادا للمقاومة وأخذ يدير شؤون المنطقة باستقلالية تامة ، فأرسلت الدولة حملة بقيادة مصطفى باشا الى بعلبك ولم يتمكن الامير محمد من الثبات أمام جحافل الباشا وفر الى قرية معلولا وتحصن بها مع اخوته الامراء عيسى وعساف و خليل وبعض أقاربه . فحصرتهم عساكر الباشا وتآمر اهل القرية على بني الحرفوش فساعدوا الوالي ومهدوا لهم دخول القرية ففر الامير خليل وأقاربه وظل الامراء محمد وعيسى وعساف فلبجأوا الى كهف وأقاموا مدة يدفعون العساكر التي تحاول التسلل اليهم . وأخيراً دهمتهم العساكر ودارت معركة قتل فيها الامير عيسى واستسلم محمد وشقيقه عساف . وعاد مصطفى باشا ومعه ثلاثة آلاف جندي فحاصروا بعلبك ودخلوها والقوا القبض على امراء الخرافشة حمد وابنه يوسف وخنجر وسلمان وفاعور وشديد وسليمان وقادوهم الى الشام ومن هناك نفوا مع الاميرين محمد وعساف الى جزيرة كريت . والغيت اماره بعلبك وتحولت الى لواء يدير شؤونها قائم مقام^(١) .

دور الخرافشة في بعلبك :

اتفقت كل المصادر التي ذكرت اخبار الخرافشة^(١) على وسمهم

.....

١ - كرد علي : ٣ / ٧٧ ، الوف : ١٠٦ .

٢ - الصفدي ، الامير حيدر الشهابي - طنوس الشدياق ، السيد محسن الامين ، الحر

العالمي في كتابه أمل الأمل ... ألوف في تاريخ بعلبك .

بصفات هي : الكرم والشجاعة والظلم ، والأصل العربي والتشيع . . .
ومن هذه الخلال انطلقوا لتأسيس إمارتهم على بلاد بعلبك والبقاع منذ
مطلع القرن السادس عشر مع الامير موسى الاول وابنه علي وحفيده
موسى الثاني ، وهؤلاء الثلاثة حكموا منذ حوالي سنة ١٥٠٠ م وحتى
١٦٠٨ م .

ما كان الاتراك يسمحون للحرافشة الشيعية بحكم البقاع البعلبكي
لولا وجود الصراعات الطائفية في لبنان اذ تبلورت في عهد الاتراك
النظم الطائفية فظهرت التكتلات المذهبية مثل الدروز ، والشيعية
والموارنة . . وبرزت الاسس الاقطاعية المعينون والحرافشة والسيفيون
والشهابيون . . . وحاول الحرافشة ان يربطوا بعلبك بجبل لبنان مثلما
كانت في الحقبة الفينيقية واليونانية والرومانية فالوشائج الحضارية كانت
متينة بين بيروت وبعلبك المستعمرتين المميزتين في العهد الروماني . . .
ومنذ الفتح الاسلامي ارتبطت بعلبك ببلاد الشام وحاول الحرافشة
التخلص من سلطة دمشق ، وعقدوا معاهدات الصداقة مع المعينين
والشهابين ، لكن الاتراك افسدوا اكثر من مرة هذه الارتباطات وقاموا
باكثر من عشر محاولات فاشلة لإنهاء حكم الحرافشة في بعلبك واستعان
باشوات دمشق خلالها بسنة بعلبك لاضعاف هذا النفوذ الشيعي ، مما
ادى الى صراعات دوافعها سياسية ومظاهرها طائفية (جنية اللطامة) .
فنتج عنها تهجير العائلات السنية الى الزبداني ودمشق ، ووفود اسر
شيعية من بلاد كسروان وعكار الى بعلبك ثم تبعه نزوح الطوائف
المسيحية من رأس بعلبك ، وبعلبك والفرزل ، الى قرية زحلة ، وأقاموا

تجمعاً هناك وولدت مدينة زحلة^(١) ، التي غدت اكبر مدينة في متصرفية جبل لبنان . هذا الاستبدال السكاني منح بعلبك وجهاً شيعياً بدأ بالتكون مع الاميريونس الحرفوش . ففي عهده بدأ علماء النورية ومدرسة الخنابلة في العالم الاسلامي يرحلون من بعلبك الى دمشق والقدس . . . حسب اخبار المحبي الذي ابي أن يترجم للأمير يونس الحرفوش - في كتابه خلاصة الأثر - تعصباً واعتبر سلفه الامير موسى أقرب اهله الى التسنن ، وقال عن الحرافشة لما ذكرهم عرضاً « الرافضة خذلهم الله » والامير يونس بنى اول مسجد للشيعه في بعلبك سنة ١٦١٨م وهو مسجد النهر . وحاول كما اسلفنا ان يقيم حلفاً شيعياً قوياً بإمارة تمتد من حمص الى بعلبك فالكرك فقب الياس ، فمشغرا ، فجبل عامل وحتى صفد .

اما الامير جهجاه فأعاد حكم الحرافشة الى بعلبك بمساعدة عرب الخزاعة العراقيين ثم عقد حلفاً مع مشايخ الحمادية الشيعه في الهرمل وعكار وبلاد جبيل . وقبل ذلك حدثت معركة (عين الباطية) سنة ١٦٨٦م . خاضها الحمادية والحرافشة ضد والي طرابلس علي باشا النكدلي .

ومصادر جبل عامل تثني على دور الحرافشة في حماية علماء الشيعة العاملين من تسلط باشوات الاتراك السنة وتجاوزات المعنيين الدروز . لقد استقبلوا زعماء جبل عامل وعلماءه بحفاوة ، واکرموا وفادتهم ،

.....

١ - هذا ما رده مراراً عيسى اسكندر المعلوف في كتابه تاريخ زحلة - ودواني القطوف (١٠٢٣)

وذادوا عنهم أذى الجزار^(١) . ورد في مجلة العرفان مقال للشيخ سليمان ظاهر^(٢) « ان من الأسر العاملة الوجيعة التي فرت من مظالم الجزار ، بعد مقتل الشيخ ناصيف النصار ، اسرة الحر ، فزحت من بلدها جباع قاعدة إقليم التفاح من اعمال صيدا الى مدينة (بعلبك) معتصمة بحماية أمرائها الخرافشة .

وكان كبير هذه الاسرة في ذلك الحين من العلماء الاعلام الشيخ عبد السلام ، وكان من عطف اولئك الامراء عليهم في موطنهم الجديد ورعايتهم لهم ما أنساهم موطنهم القديم ، فأمنوا سطوة الجزار الجبار . » .

إن وجود هذه الاسر العلمية في بلاد بعلبك أزعج الجزار فدخلتها جيوشه مرة ، ثم طرد منها ، وقام بمحاولات فاشلة بعد ذلك لدخولها وصمذت امامه بفضل شجاعة اميرها جهجاه الحرفوش ، الذي أرسل الى الجزار اكياساً مملوءة من نعال الخيل الحديدية جواباً على طلب الاموال الاميرية . وعاد الجزار رغم عتوه يصدر مرسوماً ببذل الامان لعلماء آل الحر الموجودين في بعلبك « باسم كبيرهم الشيخ محمد الحر وهذه صورته » فخر امثاله محسوبنا الشيخ محمد الحر ، لتحيطوا علماء بعد السؤال عن أحوالك نعرفك أنه قد تقرر لدينا نزوحكم من محلكم والمراد من وصول مرسومنا هذا حالا تقوم فتحضر الى محلك من غير عاقبة ، أنت وسائر الرعايا الذين توجهوا صحبتكم ، وتكونوا مطمئنين

١ - مجلة العرفان السنة ١٩٥٠ .

٢ - قتل الجزار من زعمائهم الامير ناصيف بن نصار وجماعة من علمائهم امثال الشيخ علي الخاتوني وسلمان البيزي ... (الامين اعيان ٥ / ٤٣١) .

القلوب والخواطر من سائر الوجوه . وإن شاء الله لم تشاهدوا من طرفنا الا ما يسر خاطر من وجه الحماية والصيانة ، فاعلم ذلك واعتمده عرفناك والسلام » . وهو موقع بتوقيع احمد باشا الجزائر ومؤرخ في ٢٥ شوال سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢م^(١) . وطالت إقامة آل الحر في بعلبك وبين ربوعها ولد الشيخ سيعد بن محمد الحر سنة ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤م . وكان والده قد لاز بالحرافشة تخلصاً من أذى الجزائر . وصدف مولد الطفل يوم وفاة الجزائر فأسماه والده سعيداً تيمناً واستبشاراً بموت هذا الطاغية^(٢) . ومن العلماء الذين أموا عاصمة الحرافشة السيد محمد الامين الاول جد والد السيد محسن الامين صاحب اعيان الشيعة^(٣) .

وأذكر منهم الشيخ ابراهيم يحيى بن محمد بن سليمان العاملي من قرية الطيبة (١١٥٤ - ١٢١٤ هـ) (١٧٤١ - ١٧٩٩) . جاء في ترجمته : لما استولى الجزائر على جبل عامل بعد قتل الامير ناصيف بن نصار ، أخذ يقتل علماء الشيعة فهرب جماعة منهم الى بعلبك ، ومنهم الشيخ ابراهيم بن يحيى . . . وقد صاهره بعض سادة آل مرتضى على ابنته . له ديوان شعر^(٤) وقد اقطعوا الجنوبيين رأس بعلبك والقاع والمهرمل .

.....

- ١ - مجلة العرفان سنة ١٩٥٠ .
- ٢ - توفي الشيخ سيعد بن محمد الحر سنة ١٢٦٩ هـ . (مروه : علي : تاريخ صباغ : ٣٢٩ .
- ٣ - الامين : اعيان الشيعة ٥ : ٣٧٣ .
- ٤ - الامين اعيان الشيعة : ٥ / ٤٣٠ - ٤٣١ .

ومن انجازاتهم الشيعة احداث اول منصب للافتاء الشيعي في بعلبك لأن تركية حصرت الافتاء والقضاء بالمذاهب الاربعة (الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) . وكان في بعلبك (شافعية وحنبلية) . ويظهر ان الامير جهجاه الحرفوشي حاول ايجاد منصب للافتاء الشيعي في بعلبك . فاستقدم السيد حسين الحسيني آل مرتضى من دمشق وأقره عالماً لبعلبك يقيم الصلاة ويقضي بين الشيعة ، ومنحه اقطاعات مغرية في دروس وتمنين وعلى النهري . . (١) . تحدياً لتركية التي رفضت اقرار مركز للافتاء الجعفري في بعلبك ، فحقق الخرافشة إفتاء شعبياً اثناء حكمهم عندما اختاروا علماء جعفرين أولوهم شؤون الاحكام الاسلامية . وبما ان تركية رفضت اصدار مرسوم يقرر السيد حسين مفتياً ظل عمله شعبياً ، ولم يصدر تواقيعه سمة الافتاء أو القضاء . ظل السيد حسين بضطلع بمهامه الدينية الى جانب الوعظ والتعليم مما احدث حركة علمية أمنت وجود العلماء الشيعة في بعلبك بانتظام . وقد خلفه ابنه محمد الحسيني بعد وفاته سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م . وكان شاعراً مدح الرسول وآله . ومدح الخرافشة (٢) .

الحياة الادبية

لم يتحمس الخرافشة للأدب والشعر حماسهم للفروسية وضروب الشجاعة بيد أنهم لم يهملوا الشعر ديوان العرب ، وهم عرب

١ - للسيد حسين قصيدة موجهة الى الامير امين الحرفوشي يشكو فيها من تعديات شيخ تمين على اراضيه .

٢ - مجموعة وثائق الحسيني وديوانه المخطوط .

صرحاء ، فقد نبغ منهم بعض العلماء والشعراء أمثال الشيخ محمد بن علي بن محمد الحرفوش الشهير بالحريري لأنه كان يعمل بالحرير ذكر له المحبي ، والحر العاملي أكثر من اثني عشر مصنفاً ، في اللغة والفقه والادب والشعر وديوانه ما زال مخطوطاً . توفي سنة ١٠٥٩ هـ (١) .

وابنه الشيخ ابراهيم بن محمد توفي سنة ١٠٨٠ هـ . بطوس (٢) ومنهم الأمير موسى بن علي المتوفي سنة ١٦٠٨ م . وقد استقبل الحرافشة في مجالسهم العامة الشعراء ، وسمعوا مدائحهم وأجازوهم . . وأشهر الشعراء الذين عثرت على قصائدهم في الحرافشة هم (٣) . عبد الرحمن التاجي البعلبكي (توفي سنة ١٧٠٤ م) ، ونقولا الصايغ الحلبي (١٦٩٢ - ١٧٥٦) . والسيد حسين الحسين آل مرتضى (توفي سنة ١٨٤٢) وطرز الريحان ، والسيد محمد الحسيني ، الذي قال في الحرافشة : (٤) .

ان الاكارم آل حرفوش لهم خطرٌ تقاصر دونه الاخطارُ
وهم المناصب حين تنسبهم وهم عين الوجود وغيثه المدرار
وهم ذوو الاصل الكريم كما أتى النقل الصحيح وجاءت الاخبارُ
قومٌ لهم نَصْرَ النبي محمدٌ فهم لدين محمد أنصارُ
وهم الأسود الضارياتُ اذا الوغى شَبَّتْ ، وفرَّ الفارسُ المغوارُ

.....

٤ - المحبي : خلاصة الاثر : ٤ / ٤٩ ، الحر العاملي : امل الآمل ، اعيان الشيعة ١٤٨ / ٤٦ .

٥ - الامين : ٥ / ٣٧٢ .

١ - ترد تراجمهم مفصلة في قسم الاعلام .

٢ - اعيان الشيعة : ١٧ / ١٠٠ .

انا نغمد معاكم بياسين
 استغنى شيوخ قري بعلوكم
 اذية وفسادكم شيوخ ثمانين
 رهط النبي واثنا اليامين
 والمشر من دينا بالدين
 بالضمه ولو يبرح بنا دني
 السقاء الذي مازال يفسد
 بل الطهارة التي فيها متاعه
 لا ينفك من اديسه
 ما شئت في شره ملاك شقي
 في كونهن ولا القوم للملاعين
 اما دري ان اجدادى ولا ينهم
 كانت وادم بين الماء والطين
 وانا سادة غر محنتنا
 فرض على الناس على وروى
 فكنى بقتله الاخر ابو حنيفة
 في حقه وهو لا ينفك يوزين
 ارى اذاه ولكن لا ارا حلا
 الا الاميرامين منه ينجيني
 حبيب عليا بوقلان تنصرا
 ونجدا منه ينجيني
 وهو الذي مازال يحسن
 نصره على الاعطاة بعدني
 وهو الذي مازال يمد يده
 على المعطى ويعطيني ويولين
 لا يستطيع بان احصى مكارمه
 ومن احصى عدا رولى يرين
 امتن ما الى دلهى تعالىه
 ولا كطبت لناه مسر دارين
 فسق بلفظه الاخر ضررته
 جدى النير كما الاخر يافى
 وسوى بقتله الاخر ابو حنيفة
 في حقه وهو لا ينفك يوزين
 دولى الى اخره ساقى المعطى
 من حقه ساقى المعطى
 لا زال في نعم يقره وزر
 عند حلول الحيا في عز السلا
 وهو لا يبرأ الى مازال ينجني
 بالبرمة ويعطيني ويرسني
 التي اذاه ولا التي اذا احل
 الا الاميرامين منه ينجيني
 اما دري اننا قوم محنتهم
 فرض على الناس على وروى
 وانا من بني قوم ولا ينهم
 كانت وادم بين الماء والطين
 ابدا يا الحية في شره ملاك شقي
 في كونهن ولا القوم للملاعين

قصيدة للسيد
 حسين الحسيني
 مرتضى يشكو
 فيها شيخ
 قرية ثمانين
 ويمدح الأمير
 أمين الحرفوش

لا عيبَ فيهم غير أن نزيلهم عنه الأكف من الملوك قصارُ
 كم من وزيرٍ ذاق طعم سيوفهمُ فلوى ، ومنهم (احمد الجزارُ)
 الحياة العمرانية : شاد الحرافشة كثيراً من القصور الضخمة ،
 والدور ، والحصون في بعلبك وضواحيها واللبنون والقيصرية والكرك . .
 قال السيد الأمين « سكنوا قلعة بعلبك وشيدوا الابنية الفاخرة ودار
 الامير يونس بجانب القلعة لا تزال قائمة وهي مثال القوة والعظمة
 والافتقار ولهم في بعلبك مقبرة عليها قبة شاذية . . »^(١) وفي الجبل
 الشرقي آثار وخرائب تنسب الى عهد الحرافشة ، استخدموا بعضها
 سجونا للعصاة والمجرمين والاعداء السياسيين والأسرى . . وفي عهد
 الأمير يونس حرثت الأرض البوار ، وكثرت الماشية وغرست الحقول
 بالاشجار المثمرة . وتحول سهل البقاع الى جنائن خضراء وهناك بعض
 البساتين تحمل اسماء أمرائهم . مثل سنان خنجر و (طاحونة) خنجر
 في بعلبك (وتين المير حيدر في قرية يونين) . . وقصر الأمير عمر
 الحرفوش الذي أרך بناءه الشعراء . وذكر دي لاروك انه استقدم مهندساً
 دمشقياً لبناء الحمام فأقى غاية في الافتقار . لكن المشاحنات الاخيرة
 للحرافشة ادت الى اهمال العمران ، والحقت الأذى بالمدينة . فتقهقرت
 الحياة العلمية والعمرانية والاقتصادية ، وعندها افتقر الحرافشة عنصر المال
 الذي أسكتوا به جشع الولاة واشتروا ضمائرهم . وبذلك كتب الحرافشة
 نهاية حكمهم بظلمهم ومشاحناتهم العائلية .

.....

حكم القائـمـامـين : وـمـر فـي عـهـدين :

أ- لواء بـعـلـبـك (١٨٥٠ - ١٨٧١) .

بـعـد إـنـهـاء حـكـم الحـرـافـشـة انـتـهـى حـكـم الـاقـطـاع فـي بـعـلـبـك ،
وتـحـولـت إـلى لـواء بـعـلـبـك وشرقي البقاع . يشرف عليه متصرف أو
قائمقام يرتبط بوالي الشام . وجرت عادة الدولة التركية أن تحدد مدة
المتصرف بسنة لكنها قد تعزله قبل اتمام المدة ، أو تجدد له الولاية بناء
لخدماته ، ومقدرته على ضبط الأمن ، وجباية الأموال .

كانت مهمة تيمور باشا أول قائمقام أن يطارد فلول الحرافشة
فاستقدم (أاليا) من الجند التركي لهذا الغرض ، رابط في ثكنة بـعـلـبـك
التي شادها إبراهيم باشا ، وأخذ يُصدر الحملة تلو الحملة للقضاء على
تمرد الأمير محمود بن حمد الحرفوش . ولم تنجح القوة في إنهاء عصيانه
فلجأت السلطة الى المفاوضات ، فجنح الى المسالمة بعد أن نال عفواً
وصفحاً .

ثم عزل تيمور باشا حوالي سنة ١٨٥١ م وخلفه فرحات باشا ،
الذي رمم مسجد الحنابلة في بـعـلـبـك ، وفي عهده قتل الأمير محمود
الحرفوش في قرية العين وألصقت التهمة زورا بابن عمه الامير سلمان
شقيق خنجر . فاغتاز سلمان وجمع خمسين فارساً وأخذ يطوف البلاد
ويقطع الطرقات ويفرض الغرامات على القرى .

وفي سنة ١٨٥٢ م عزل فرحات باشا ، وعين (القومندان صالح زاكي) وكيلا للقائمقام ، فأرسل الى دمشق الأمير منصور الحرفوش ، عم الامير محمود المغدور ، يرافقه الشيخ أحمد حمية . للبحث في عصيان الامير سلمان . فنالا أمرا بقيادة مائتي خيال للقضاء على سلمان . تعقباه يوما إلى سهل (طاريا) فنشب القتال بين الفريقين ، وأبدى الامير سلمان ضروبا من الشجاعة هزم فيها أخصامه . فأنجدهم زاكي ، بقوة نظامية ، ارتدت خائبة ، واستوعر سلمان باتجاه الشمال . وأخيراً سئم الامير سلمان الفرار والمطاردة فجنح الى المسألة بعد أن برأ نفسه من تهمة القتل . فمنحته الدولة لقب (سر هزار) سنة ١٨٥٤ م ، وأمرته على مايتي خيال ومنحته راتب أربعين فارساً مقابل توطيد الراحة في قضاء بعلبك^(١) فتودد اليه رجال الحكم في متصرفية جبل لبنان ، وقناصل الدولة الأوروبية . لقد زاره قنصل انكلترا في دمشق يوم الخميس في ٢٩ تموز سنة ١٨٥٤ م .

وأصلح بين الأمير سلمان الحرفوش والزحليين ، وتم اللقاء في قرية بدنايل . وكان الحرافشة قد أساءوا إلى سكان زحلة ، وضرب الأمير حسين الحرفوش بعض رجالها^(٢) .

لعب الأمير سلمان دوراً ريادياً في تيسير شؤون لواء بعلبك وتشهد على ذلك محررات القائمقامية النصرانية في جبل لبنان . فالمحررات ما بين سنتي ١٨٥٤ - ١٨٥٧ تؤكد ان الامير سلمان كان

.....

- ١ - المحررات السياسية : تعريب فريد وفيليب الخازن ١ / ٢٩٢ .
- ١ - تاريخ زحلة : ١٨٨ .

على قدم المساواة مع قائمقام بعلبك في ادارة شؤون اللواء ، وقد يتقدّم ذكر الامير سلمان ذكر القائمقام في بعض التحارير المعنونة بإسم الرجلين .

وهناك أكثر من ثلاثين تحريراً موجها الى الأمير سلمان للنظر في جرائم قتل وتجاوزات ، اقترفها مواطنون من لواء بعلبك ضد أفراد تابعين لواء متصرفية جبل لبنان ، وعبارات التحارير تنم عن صداقة بين الطرفين ، وعن تعظيم للأمير سلمان لا نجده في سائر التحارير المرسلة إلى الولاة والمتسلمين ، والحكام المجاورين ، وقناصل الدول ، وكبار التجار . . وهذا نموذج منها : (في ١٥ م سنة ٧١) (محرم ١٢٧١ هـ / ١٨٥٤ م .)^(١) تحريير للأمير سلمان الحرفوش .

غَبَّ الاحتشام بوفور الاحترام ، وبث لواعج الأشواق الوفية ، لمشاهدة نور وجهكم الكريم على كل خير وسرور إنه بالطف أوان ورد تحريير جنابكم فتلوناه حامدين المولى تعالى حيث أفسح لنا بالتطمين عن رفاه مزاجكم ، وما توهتموه لجهة رفع التحويل عن أهالي قرية مجدلا . قد صار معلوماً وبحسب استحسان وخاطر جنابكم أمرنا برفع التحويل عنهم . والأُن لأجل إحاطة ذلك بعلومكم الذكية ، وافتقادا لخاطر جنابكم اقتضى ترقيم غميقة الولا والوداد مؤثرين دوام الاطمئنان عن رفاه مزاجكم ، ودوام بقاكم »^(٢) .

.....

١ - سجل المحررات : ١ / ٣٩ و ٤٠ .

٢ - سجل محررات : ١ / ١٨٥ .

وهذه صورة تحرير لقائمقام بعلبك :

(في ٧ م سنة ٧٢ - محرم ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٦)

تحرير لقيمقام بعلبك شاكر بك (خطاب) .

إنه بتاريخه حضر لنا تحرير من إخواننا المشايخ قنصوه وعبد الله الخازن المأمورين بمقاطعة كسروان مع تحرير وارد لهم من أهالي قرية ميروبا الكاينة بأموريتهم يتضمن أنه نهار الثلاثاء الواقع في ٦ شهر محرم الجاري كانوا متوجهين بعض أهالي القرية المذكورة لأطراف مقاطعة بعلبك لأجل جلب غلة لبيوتهم فبرجوعهم وفي وسط الطريق ، بمحل يسمى دورة (حجر المنقوش) تلقوهم ثمانية أنفار من أهالي طاريا وشمسطار وهجموا عليهم قاصدين تشليحهم ، وقتلوا منهم نفرا . . وجرحوا منهم خمسة أنفار وأحدهم تحت الخطر . مؤملين استطلاع الاشخاص المجنيين من أهالي طاريا وتأمروا حينئذ بربطهم لكي بعده تصير المحاكمة القانونية حسب الأصول ، وحيث تأكيدنا دأب حقانية الجنب فنكتفي عن الاسهاب^(١) .

وهذه صورة تحرير لقنصل فرنسا .

(في ١٥ م سنة ٧١ محرم ١٢٧١ هـ / ١٨٥٤ م) .

تحرير لقنصل جنرال فرنسا في بيروت .

بعد الترجمة انه بالطف أوان ، ورد تحرير سعادتكم ، وجميع ما

.....

١ - نفسه : ٤٠ / ١ .

ذكرتموه بخصوص الصاري الذي أخذه أنطون وهو خاصة الخواجة
دركيو صار معلوما»^(٢).

أوردت هذه التحارير شاهداً على مكانة الأمير سلمان الحرفوشي ،
والتعامل معه بما يليق بأمر ورث المجد غابرا عن غابر.

استطاع سلمان أن يضبط الأمن في بلاد بعلبك . وكشف قاتل
الأمير محمود الحرفوش ، فانتقم الأمير منصور الحرفوش من القاتل أحمد
حمية سنة ١٨٥٤ م^(١). وفي السنة نفسها^(٢) فتك أهالي بريثال بناطور
قرية الطيبة وهو من أهالي زحلة . فاجتمع الزحليون وهاجوا بريثال
وأحرقوها . وقامت تحركات للثأر ، لكن الاتصالات السريعة بين
قائمقامية النصارى وقناصل الدول الأوروبية و قائمقام بعلبك والامير
سلمان الحرفوش ، هذه الاتصالات أخمدت نار الفتنة إلى حين^(٣).

في هذه الأثناء وصل مصطفى راشد متسلماً لواء بعلبك ، وفي
عهده فرَّ الأمير محمد بن جواد الحرفوش وشقيقه عساف من منفاهما في
كريت ووصلا الى بلاد بعلبك عن طريق يافا ، وتواريا عن
الأنظار^(٤) ثم أجريا المفاوضات ، فصفحت الدولة عنها .

وتسارع ملفّ المتصرفين ، أتى شاكر بك قائمقاماً لبعلبك ، وأول
تحرير من قائمقامية النصارى باسم شاكر بك يعود تاريخه إلى ٢٧ ذي

.....

- ١ - تاريخ بعلبك : ١٠٨ .
- ٢ - أرخ ميخائيل ألوف حادثة بريثال سنة ١٨٥٥م وهذا خطأ (تاريخ بعلبك ١٠٨) .
- ٣ - سجل محررات القائمقامية النصرانية : ١ / ١٠٧ .
- ٤ - المحررات السياسية (الخازن) ١ / ٢٩٤ - ٢٩٤ .

القعدة سنة ١٢٧١ هـ / ١٨٥٥ م^(١)، وإبان وصوله عصى الأمير محمد الحرفوش وشقيقه عساف ، وأشاعا الأراجيف ضد الدولة التركية ، وتكلف الأمير سلمان بمطاردتهم. فلذا بالشيخ طعان حماده في شمسطار وكانت تابعة لجبل لبنان ، فوجه الأمير آلاى عساكر شاهانية علي حبيب ، وقائمقام بعلبك شاكرك بك خطاباً الى مجلس متصرفية جبل لبنان للتعاون على اخماد فتنة الأميرين المذكورين^(٢) وظل شاكرك بك إلى مطلع سنة ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٦ ، اذ خلفه محمد آغا وبإسمه تحرير صادر في رجب سنة ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٦ م^(٣). ولم يطل به المقام فأخذ مكانه عبد الرحمن بك سنة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦^(٤) ثم جاء عبد الله بك العظم سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م^(٥).

ظل الخرافشة يحلمون باستعادة حكم بعلبك ، ويناصرون حلفاءهم لتقوية نفوذهم . فالأمير سلمان جمع رجاله ونهض لمناصرة محمد الخرفان أمير قبيلة الموالي الذي وفد إلى قرية القاع ، هارباً من أخصامه عرب الحديدية ، سار سلمان مع رجال بلاد بعلبك ، وفي مقدمتهم حاملا العلم حمود الحاج سليمان ، وياغي الطفيلي من بعلبك ، وبعض فرسان آل المعلوف . تقدم حتى بلغ مقام (زين العابدين) قرب حمه ، وجرت المعركة بين الطرفين في ٨ تشرين الثاني

.....

٥ - سجل محررات القائمة القامية النصرانية : ١ / ١٧٨ .

٦ - سجل محررات : ١ / ١٣٣ .

٧ - سجل محررات : ٢ / ٨٦ .

٨ - نفسه : ٢ / ١١٨ .

١ - سجل محررات : ٤ / ١٨٣ .

سنة ١٨٥٨ م . وبعد قتال عنيف انهزمت عرب الحديدية بعد أن خلفت وراءها ثلاثماية قتيل .

وانهمك رجال بعلبك بالسلب والنهب ، وتقدّم الأمير محمد الخرفان ومنح الأمير سلمان (حُرّ السلب) ووعدّه أن يزوجه ابنته . فاغتاز الأمير محمد الحرفوش الذي أبلى بلاء حسناً في المعركة ، ولم ينل إطراء أو مكافأة ، ووثب على محمد الخرفان ورماه بطلق ناري أراده قتيلاً ، فدبّت الفوضى في صفوف البعلبكيين ومعظمهم منصرف إلى السلب ، فاهتبلها الحديديون فرصة ، فأغاروا بجمعهم المتبقية على عساكر الأمير سلمان وأثخنوا فيهم ضرباً وقتل منهم نحو تسعين رجلاً^(١).

وقد كتب قنصل بريطانيا (برنت) تقريراً بهذه الواقعة وأرسله الى (بولفر) . عن دمشق بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٨٥٨ م وهذا نصه^(٢).

« سبق لي ان تشرفت فاخبرت سعادتكم في رسالتي المنفذة في ١٥ الجاري بأن فارس المزيّد زعيم قبيلة عربية نزع الى الثورة وهاجم محمد الخرفان زعيم قبيلة عربية أخرى ، قد كانت الحكومة أناطت به السهر على الراحة حوالي حمص . وإن الأمير سلمان الحرفوش من بعلبك جمع قوة من الشيعة والمسيحيين لنصرة هذا الأخير ، وانضمّ اليوم اليه وطارد فارس المزيّد إلى ما وراء حماه حيث اشتبك القتال فظهر الأمير

.....

١ - دواني القطوف : ٢٧٠ ، المحررات اسياسية (الخازن) : ١ / ٣٤٩ .

٢ - المحررات السياسية (الخازن) ١ / ٣٤٩ ، عن الكتاب الازرق عدد ٧٢ ص ٥٤ -

سلمان على خصمه ظهوراً باهراً بيد أنه ، بينما كان رجاله مشغولين في جمع أسلاب العدو ، تراكضت قبيلة الحديدية من قضاء حلب لنصرة فارس المزيّد فاعاد هذا الكرّة على الأمير سلمان وكسره شر كسرة ، وقتل من رجاله زهاء ١٥٠ رجلاً وفي عدادهم محمد الخرفان ، وأحد اعضاء أسرة حرفوش ، ويقال أن العرب كانت خسارتهم أعظم من الفريق الآخر . ثم عاد الأمير سلمان الى قريته العين .

وقد ولى فارس آغا قدرو قائم مقامية بعلبك وحرّم الأمير سلمان راتب الفرسان الموظف عليه قبلاً ، لأن القائم مقام الجديد يستصحب معه مائة وخمسين فارساً . هذه القوة قد زيدت لطرد الأمير سلمان من بعلبك . فانه منذ علم بان الباب العالي أمر القائم مقام بالقبض عليه أصبح يستخف به .»

أعلن سلمان العصيان ، وجال في البلاد متحدياً السلطة ، وعجز فارس آغا قدرو عن اخماد فتنة سلمان . فانجدته الحكومة بخمسية جندي نظامي يقودهم حسني باشا ، لمطاردة الأمير سلمان الذي توارى عن الأنظار لقلّة أنصاره ، وفي آخر سنة ١٨٥٨ م دخل سلمان زحلة متخفياً ، فغدر به بعض سكانها ، وأرشدوا حسني باشا إلى مخبئه ، فداهمه وقبض عليه في ١٢ كانون الثاني سنة ١٨٥٩ م^(١) وقد فصل هذه

.....

١ - أرخ غايل الوف حادثة القبض على سلمان الحرفوشي (في ١٥ شباط سنة ١٨٦٠م)

(تاريخ بعلبك : ١٠٩) ، هذا من الابخاء التي تتكرر في كتابه .

وينسخ هذا التاريخ الكتاب الذي بعثه برانت الى (بولفر)

في ١٢ كانون الثاني سنة ١٨٥٩ م . بشأن « كيفية القبض على الامير سلمان . . . » .

(المحررات السياسية : ٣٥٢ / ١) .

الحادثة المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف قال « وفي أوائل سنة ١٨٥٩ م جاء زحلة يوزباشي مع أنفار من فرقة حسني بك رئيس فرقة الفرسان الخمس مائة المنظمة المقيمة في بعلبك للبحث عن الأمير الحرفوشي . فبقي اليوزباشي في زحلة متنكراً أياماً يبحث عن الأمير سلمان فأخبره أحد أعيانها ممن كانوا مستائين من الأمير المذكور عن محل وجوده ، وهو معصرة أبي شاهين الحلوة . فذهب اليوزباشي حالاً الى بعلبك وأنبا حسني بك بالأمر ، فقام من فوره وجاء معه يرافقهما تابع آخر الى المعلقة التي كانت اذ ذاك تابعة لدمشق ثم جاء الى زحلة التي كانت في ذلك الحين قد الحقت بولاية بيروت وصيدا فأخذ حسني بك الجنود التي كانت مقيمة في زحلة والثلج يتساقط عليهم وأحاط بالبيت الذي فيه الأمير ليلاً وأنذره بالشر إن لم يسلم ، فأطلق الأمير الرصاص على الجنود فأخطأهم لاعتراض الظلمة بينهما ، ثم طلب ان يأتي اليه حسني بك وحده فيسلمه ذاته . فلم يرض حسني بك ولكنه استدعى صاحب البيت وهو أبو عطية النمير وسأله عن ثمن بيته فقال خمسة آلاف غرش . فقال حسني ادفع لك ضعف هذه القيمة واحرقه . ثم أمر الجنود باضرام النار وبينما هم يتأهبون لذلك كان الأمير سلمان قد فضل أمر التسليم وأقر عليه ، فنزع سلاحه مع ثلاثة من رجاله وسلم نفسه ورجاله إلى حسني بك . وعرض عليه مالاً ليفرّ ، فلم يقبل بل أوثقه وأرسله مخفورا الى بعلبك في ذلك الليل ، فبلغها قبل الفجر ، وكان ذلك يوم الاثنين في ١٢ ك ٢ سنة ١٨٥٩ م فأودع السجن»^(١) . فذهب شقيقه الأمير أسعد وابن عمه

١ - المعلوف : عيسى اسكندر : تاريخ زحلة : ١٩٦ ، المحررات السياسية (الخازن)
٣٥٣ / ١ .

الأمير محمد بن جواد ، وجمعا رجالاً وداهما مع الفجر منزل فارس قدرو ، فلم يعثرا عليه ، وقتلا أربعة من جنده ونهبوا كل محتويات بيته من الأسلحة والخيول ، والنقود ، وتحصنا في قرية نحلة شمال بعلبك ، هرب فارس قدرو إلى الشام ، وشكا تحديات الحرافشة ، فأصبحته الدولة بخمسماية جندي يقودهم حسن آغا اليازجي ، لتوطيد الأمن .

طال سجن الأمير سلمان^(١) فكان (برانت) القنصل البريطاني في دمشق يضمن مطالعته لرؤسائه عبارته التالية « إن الأمير سلمان الحرفوشي باق في السجن »^(٢) . وكان القنصل يعارض أية تسوية لوضع الأمير سلمان . أوضح ذلك في تقريره بتاريخ ٨ نيسان سنة ١٨٦٠ اذ جاء فيه : « إن الأمير سلمان الحرفوش باق في السجن ، وقد سئلت الحكومة اطلاق سراحه واعادته إلى وظيفته في بعلبك لقاء ضمانه مالية قدرها يتراوح على ما يقال بين خمسة آلاف وستة آلاف كيس ، وهو مبلغ يساوي عشرين إلى اربعة وعشرين الف ليرة انكليزية ، ويتعهد بهذا المبلغ اشخاص ذوو اقتدار تعرفهم الحكومة . ان الأمير يعجز عن تقديم مثل هذه الضمانة ومن المتفق عليه ان هذا المبلغ هو لقاء الحصول على مرغوبه . أما انا فاني اعتبر أن هذه التسوية تشف عن قصر نظر فان الأمير يستطيع دفع هذا المبلغ لو كان لديه مال مخبئ لكن أملاكه كلها محجوزة وليس في وسعه دفع هذه الضمانة الا

.....

١ - قال ميخائيل الوف « وأما الامير سلمان فبعد ان أقام في السجن نحو سبعة أشهر هرب منه » (تاريخ بعلبك : ١١٠) . وهذا خطأ لأن الامير سلمان اقام في سجنه قرابة سنتين .

٢ - المحررات السياسية : ١ / ٣٦٤ و ٣٧٤ و ٣٨٧ .

بابتزازها من فلاحى بعلبك المسلمين لحكمه ممّا يلحق ضرراً بالحكومة .

وخلافاً تقدم فيخشى انه إذا اطلق سبيل الأمير ضمّ إليه اعضاء عائلته الكثيرين وابناء طائفته المتأولة ، وعاد الى اثاره الفتن التي اعتادتها هذه الأسرة ، فتسقط هيئة الحكومة ، وتخرب المحال الممتدة عليها سلطتهم»^(١) ومع امتداد سجن الأمير سلمان امتدّ عصيان شقيقه أسعد الذي أخذ يجوب بلاد بعلبك ، ويفرض الغرامة على السكان ، ويطارد رجال الحكومة مما اضطر الباشا الى ارسال قوّة قوامها خمسون فارساً لوقاية ، بعلبك في مطلع حزيران سنة ١٨٦٠ م^(٢). ولما فشل فارس قدرّو في انهاء التمرد الحرفوشي عزل ، وناب عنه محمد راغب أفندي في نهاية سنة ١٨٦٠ م . واستطاع هذا أن يقنع الأمير أسعد بالاستسلام والتعاون مع السلطة التي عينته مأموراً على جمع المسلوب ، ثم نصّبته (يوز باشا) على مائتي خيال .^(٣)

إن وشاية أهل زحلة بالأمير سلمان أضمرها الحرافشة ، ولما وقعت فتنة النصارى والدروز عاضد الحرافشة الهجوم الدرزي في حزيران سنة ١٨٦٠ م وأسهموا في احتلال زحلة وإحراقها . وكانوا قد دفعوا عنها بلاء الدروز سنة ١٨٤١ م . وهناك إشارات إلى أن شيعة البقاع ، وخاصة أهل بريّال دعموا بقوة الهجوم الدرزي ضد زحلة ثاراً لحريق بريّال سنة ١٨٥٤ م . «وجلت نصارى بعلبك جميعها

- ١ - الكتاب الازرق الانكليزي : عدد ١٨ ص ٩٦ ، المحررات السياسية : ٣ / ٤ -
٢ - المحررات السياسية : ٣٣ / ٢ .
٣ - تاريخ بعلبك : ١٠٩ .

بعيائها الى قرية بشري من أعمال جبل لبنان ، وقد حافظ عليهم حسني باشا وفارس آغا في مسيرهم ، ولم يقلقهم مسلحو البلد بل همهم من الرعاع . فلم يحدث بحمد الله ما يقلق البال ! الا أن محلّتهم نهبها عسكر اليازجي^(١) وهذه الشهادة من مؤرخ مسيحي ينقضها تقرير كتبه ملاثيوس مطران بعلبك الذي بالغ في التجني على مسلمي بعلبك ، مناقضاً الحقيقة . وواضح من الرسالة أن غاية المبالغة استدرار عطف القنصل ، طلباً للتعويضات الماديّة^(٣).

أما الأمير سلمان فرسم خطة للفرار من سجنه ، فطلب مقراضاً ليأخذ من شعره فصنع من صفيحة معدنية لوحاً بشكل السيف وشهره بيده وخرج من سجنه ففرّق جموع الحرس ، وذعر الناس من صيحاته فأقفلت أسواق دمشق التي اجتازها . وخرج متمطياً جواداً وتوارى عن الانظار ، وعاد الى بعلبك متخفياً حذراً^(٤). وأجرى المفاوضات مع حسني باشا فأمنه . ثم عينته الدولة رئيس جردة الحج الشريف ، فأبى ذلك بعد أن نفرّه من هذا العمل بعض رجال بعلبك ، ومال الى العصيان من جديد .

وأخذ يطوف البلاد حتى قدم حسني باشا من الشام لجمع القرعة العسكرية فأمنه . (وهي أول قرعة عسكرية جرت في بلاد بعلبك) ، لأن المدينة نجت منها بفضل حکامها الخرافة . وتم تبديل

.....

١ - تاريخ بعلبك : (١٠٩ - ١١٠) .

٢ - المحررات السياسية : ٢ / ٢٣٣ .

٣ - اعيان الشيعة : ٥ / ٣٧٣ .

القائمقام ، اذ كانت مهمة أمين بك القائمقام الجديد ، السهر على راحة المسيحيين ، واعادة الامتعة التي سلبوها ، واعطاءهم ما يحتاجون اليه لزراعة اراضيهم وفقا لنيات دولته هذا ما ورد في تقرير ٢٧ شباط سنة ١٨٦١ م^(١). ان عنصر الوراثة في حب الامارة والحكم منع الأمير سلمان من الركون والخضوع ، وكانت نفسه تنزع إلى التحرر من الأتراك فعصى مع أخيه الأمير أسعد للمرة الرابعة سنة ١٨٦٤ م .

وغرّم أهالي يونين بخمسة آلاف غرش . فطاردهم حسني باشا إلى قرية الشعبية في الجبل الشرقي . فمال الأمير سلمان بجماعته شمالاً إلى الفاكهة ، وعبر سهل البقاع إلى الجبل الغربي ، وعسكر في (عيون أرغش) ، وبينما كان الأمراء وأتباعهم يتناولون الطعام فاجأتهم عساكر الترك ، فجرت مناوشات أسر خلالها الأمير حسين بن قبلان ، وياغي بن موسى ياغي ، وفرّ الباقون . وفي اليوم التالي شق ياغي في بعلبك ، وقد أرّخ وفاته بعد حين الشيخ علي النقي زغيب بقوله^(٢).

يا قبر ياغي عليك السادة الأمرا أجرت مدامعها كالغيث منهمرا
يا فارس الخيل من للخيل يركبها اذا أثار غبار النقع أسدُ شرا
لا تخش ضيماً فان الله ذو كرم وكلُّ ذنبٍ عرا ، أرخته غفرا

ونفي الامراء الحرافشة حسين بن قبلان ، وفارس ، وتامر وداود الى (أدرنة) مع حريم آل الحرفوش . في حين نجا الاميران سلمان وأسعد . وما لبث أسعد أن استسلم فنفي إلى (أدرنة) . وانحاز

.....

١ - المحررات السياسية : ٣ / ٣٤٨ .

٢ - ديوان الشيخ علي النقي زغيب مخطوط : ٤٠ .

سلمان الى يوسف كرم صاحب الثورة في جبل لبنان ، وكان من اكبر أنصاره ، ثم غادره سنة ١٨٦٦ م وتوارى في بلاد حمص . فوشى به أحد أتباعه الى هولو باشا العابد ففاجأه في مقره وأرسله إلى دمشق فسجن ومات في سجنه بعد ثلاثة أيام سنة ١٨٦٦ م^(١).

تمّ ذلك في عهد القائمقام محمد باشا اليوسف الحسيني ١٨٦٦ / ١٨٦٨^(٢) ب .-

ب- قضاء بعلبك ١٨٧١-١٩١٨ م .

ظلت بعلبك رأس لواء حتى سنة ١٨٧١ عندما سلخ عنها شرقي البقاع وتحولت الى قضاء . وأهم القرى التي فصلت عنها هي : رأس بعلبك الفاكهة الجديدة والقاع والحقت بالهرمل . والملاحظ أن قرى النصارى هي التي الحقت بمتصرفية جبل لبنان . ثم فصلت قرى أبلح والنبي أيلأ والفرزل ، ورياق وحوش الغنم وماسا وقوسايا ، ودير الغزال ، وحشمش ، وحوش حالا ، وتربل ، والدلمية ، وعين كفرزبد والحقت بقضاء البقاع^(٣). تم ذلك في عهد القائم مقام محمود

١ - الوف : ١١٠ .

٢ - مخطوطة الوف : صفحة من تاريخ بعلبك : ٢٤ .

٣- محمد باشا ابن احمد بن محمد يوسف الحسيني . ولد سنة ١٢٥٥ هـ « تعلم العربية والتركية والكردية ، مولى جردة الحج سنة ١٢٧٧ هـ . ثم قائمقام حمص سنة ١٢٧٧ هـ حتى ١٢٨٠ ، وفي سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ تولى قائمقامية بعلبك والبقاع حتى ١٢٨٥ / ١٨٦٨ هـ . عندما رحل الى الاسنانة . وتولى متصرفية طرابلس سنة ١٣٠٢ هـ . توفي سنة ١٣١٤ هـ . (البيطار : حلية البشر : ٣٦٩) .

بك اليوسف الذي أبدى اهتماماً بشؤون بعلبك . فبادر سنة ١٨٨٠ م
ينظم شوارعها . واستطاع ان يربط بعلبك بالمعلقة بشق طريق
العربات . ومن هناك يتم الاتصال ببيروت ودمشق .

وبفضل الطريق نشطت السياحة^(١) فزار بعلبك منذ سنة ١٨٨٧ م
حتى سنة ١٩١٨ م . عدد من الملوك والاباطرة والامراء والشعراء
وكبار القواد .. منهم :

الغراندوقان سرجينوس وبولس شقيقا امبراطور روسية اسكندر
الثالث ، والدوق أوف ادنبرغ شقيق ادوار السابع ملك بريطانيا
والبرنس فيكتور عما نوئيل ملك ايطاليا فيما بعد ، والبرنسديس في
ربيع (١٨٨٨) . والملك ميلان السربي في أيار سنة ١٨٨٩ ، وبيار
لوتي Piere Loti ، وموريس بارس M ' Parce في أيار سنة ١٨٩٤
م

.....

١ - في سنة ١٨٨٧ م فرضت لأول مرة الرسوم على زيارة الهياكل وكان الرسم ربع ريال
مجدي .

ومع ذلك فحكم القائمقامين لم يحمل الخير الى بعلبك ، ولئن سعى محمود اليوسف إلى بعض الاصلاحات ، فان خلفه أساؤا التصرف . فالشيخ صادق زغيب رسم لنا بشعره اوضاع بعلبك المتردية ، ومظالم حكامها الاتراك ، لما عين تحسين باشا قائم مقاما لبعلبك سنة ١٣٠٦ هـ ك ١٨٨٨ م .

مدحه الشيخ محمد صادق بقصيدة حثّه فيها على اصلاح بعلبك وتوقع منه خيراً ، لكن ظن الشيخ خاب ، وتحسين اسم الحاكم خالف كل صفات الخير ، وحدثت وفاته سنة ١٣١١ هـ ك ١٨٩٣ م فرحة في المدينة لانها تخلّصت من ظالم فاسد . . فأرخ الشيخ محمد صادق هذه الوفاة هاجيا الراحل بقوله :

فَقَدْ تحسّن من البعل لها زاد تحسّينا على تحسّينها
كُتِبَ فيها يد التاريخ ان لعنة الله على تحسّينها^(١)
١٣١١ هـ

من أهم الاحداث التي شهدتها بعلبك في اواخر القرن التاسع عشر ، زيارة غليوم الثاني امبراطور المانيا الذي زار سنة ١٨٩٨ م بيت المقدس والاقطار السورية ترافقه زوجه (أوغسطا فكتوريا) . وكان على سورية ناظم باشا فأمر بالاستعدادات لاستقباله في بعلبك فوصلها في العاشر من شهر تشرين الثاني ١٨٩٨ م . مع حاشية كبيرة نقلها عشرات العربات تضم وزير خارجية المانيا (وسفيرها في استامبول) ووزير خارجية تركية وسفيرها في المانيا ، وعدد من القادة الكبار .

١ - ديوان الشيخ محمد صادق زغيب مخطوط ص ٣٥ .

وأُنيرت الهياكل بألفي قنديل بترولي وكانت الخيام لا تقل عن الثمانين .

وخلدت الزيارة بلوحتين من الرخام نقش على الأولى الطغراء العثمانية وعلى الثانية الشعار الألماني ، وحفر على كل صخرة بالتركية والألمانية بالحرف الفارسي والغوي ، ما تعريبه : ١ - السلطان عبد الحميد خان الثاني سلطان العثمانيين ، وصديقه المعظم غليوم الثاني امبراطور المانيا وملك بروسيا والامبراطورة أوغسطة فيكتوريا .

تخليداً للصدقة المتبادلة الثابتة ، وذكرنا لزيارة الامبراطورين اصحاب الجلالة في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٨ »^(١).

ووضعتا على أحد مواقف الاصنام العليا في هيكل باخوس بناء على اقتراح غليوم . وفي سنة ١٩١٨ م أمر الجنرال (بارو) قائد جيش الاحتلال الانكليزي بانزالهما فكسرتا وانزلتا قطعاً مهشمة فجمعت اجزأؤهما وحفظت في متحف القلعة . وأعيدتا في الوقت الحاضر الى مكانهما . ونجم عن زيارة غليوم الثاني أن تدخل لدى السلطان عبد الحميد لإرسال بعثة حفريات الى هياكل بعلبك وكشف آثارها واستجلاء غوامض تاريخها ، فخصص غليوم ستمائة الف فرنك ذهباً لانجاز المهمة .

ووصلت طلائع البعثة في كانون الثاني سنة ١٨٩٩ م . فاستقبلها قائمقام بعلبك حسين عوني اذ حضر (كولدواي) و (اندره) لوضع

.....

١ - مخطوطة الوف : ٥٠

الخرائط والتصاميم اللازمة للشروع في العمل. وفي ايلول سنة ١٩٠٠م قدمت البعثة المكلفة بالتنقيب برئاسة أوتوبوخشتين Otto Puchs— tein ، وبرنو شولي Bruno Schugy ودانيال كرنكر Daniel Krenker وهنري كول H. Kohl والمستشرق موريس سوبرنهايم M. Sobernheim وتيودورفون لوبكه T. Lupché يرافقه الاثري مكريدي بك من المتحف السلطاني العثماني . وأقاموا حتى آذار سنة ١٩٠٤ م . وكشفوا كثيراً من غواض تاريخ الهياكل ونشروا أبحاثهم في مجلدين .

بعلبك مع الدستور : في تموز سنة ١٩٠٨ م أعلن الدستور التركي فعّمت الفرحة كل البلاد العربية ، ولمح المظلومون حريتهم تشع من حروف الكلمات التي صاغت الدستور ، فاحتشد أهالي بعلبك أمام دار الحكومة من كل الطبقات . الموظفون ورجال الدين وعامة الشعب ، واطلقوا الاهازيج ، ورقصوا ، والقوا الخطب ، وانشدوا القصائد .

ومنهم الشيخ علي النقي زغيب الذي قال من قصيدة طويلة :

أهلاً بعيد به وقت الصفا عادا أهلاً بمهلك حزب للهدى عادي
أهلاً بعيد جديد ، كم جلا كَرَباً وطوّق الكون إنعاماً وأسعادا
عيد به ثغر هذا الدهر متبسم فكل أيامه قد صرن أعمادا^(١)

وسرعان ما تلاشى فأل الناس وخابت آمالهم ، فالدستور قشور
رماها حزب الاتحاد والترقي لإلهاء الشعوب ، وزاد مظالمه وعنف

.....

١ - ديوان الشيخ علي النقي مخطوط : ٤٨ .

حركة التتريك ، فانشئت الجمعيات السرية تعمل سراً ، ضد حزب الاتحاديين الحاكم . وشارك مثقفو بعلبك في الأحزاب والجمعيات فكان (المتدى الادبي) سنة ١٩٠٩ م أسسته الجالية العربية في استانبول ومن أشهر مؤسسيه عبد الكريم الخليل ، ويوسف مخير حيدر (من بعلبك) ورفيق سلام ، وجميل الحسيني ، وسيف الدين الخطيب. وكان نخلة المطران من انصار الاتحاديين، واسعد حيدر من انصار الائتلافيين . وانتقلت عدوى المشاحنات الحزبية الى بعلبك . ثم حلّ الوثام بين الزعيمين البعلبكيين وانصرفا يسعيان لضم بعلبك إلى متصرفية جبل لبنان ذات الامتيازات الخاصة ، وجرى الاتصال بقنصلية فرنسة لتحقيق هذا الهدف . وأقام ندره المطران في العاصمة التركية بغية العمل عن كثب في تحقيق مطالب العرب عامة ، والبعلكيين خاصة . وكان يسانده الدكتور حسين حيدر . أما صالح بن اسعد حيدر فكان عضواً عاملاً في بعلبك للجمعية اللامركزية ، يتحرك بالخفاء لتأييد مطالب الجمعية ، ومساندة ابناء العرب . وفي سنة ١٩١٣ م توجه ندره المطران إلى باريس وشارك في مؤتمر زعماء العرب الذي طالب باستقلال البلاد العربية^(٢) مثلما شارك ثلاثة مندوبين رسميين من آل حيدر هم رستم حيدر وابراهيم حيدر والدكتور محمد حيدر^(٣) .

.....

٢ - الوف : ١١٢ .

٣- في سنة ١٩١١م أسس سبعة شباب من العرب جمعية (العربية الفتاة) وهم «عوني عبد الهادي من (جنين) جميل مردم من (دمشق) محمد المحمصاني من (بيروت) رستم حيدر من (بعلبك) توفيق الناطور من (بيروت) رفيق النيممي من (نابلس) عبد الغني العريسي من (بيروت) . . » .

بعلبك إبان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ م.

أطلقت الحرب على بعلبك ، بالتجنيد الاجباري ، والمصادرات ، والاعتقالات والنفي ، والاعدامات ..

دخلت تركية الحرب إلى جانب المانيا ، فأعلنت التعبئة العامة والتجنيد الاجباري ودعت الرجال الى حمل السلاح من سن العشرين الى سن الخمسة والاربعين . وعينت لجنة في بعلبك «للتكاليف الحربية» برئاسة حسني الجندي مدير مال قضاء بعلبك ، يساعده ميخائل ألوف البعلبكي ، مهمتها ضبط الحبوب ، والزيت ، والسمن ، والزبيب ، والخيول وسائر المواد التي يحتاجها الجيش التركي . . وهذه المصادرات ادت إلى مجاعات متلاحقة ، وطالت منازل السكان ، فالمدرسة الرسمية أصبحت مقراً عسكرياً ، ونقلت إلى بيت أحد النصارى ، إما مصادرة الاشخاص فتم عن طريقين : التجنيد الاجباري والاعتقالات . في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ م . اعتقلت السلطات التركية ، أسعد حيدر (شيعي) « وعبد الغني الرفاعي (سني) ونخلة المطران (كاثوليكي) . وسجنتهم في دار المشيرية بدمشق . لأن هذه السلطات ضبّطت بين اوراق القنصلية الفرنسية في دمشق رسائل تدل على تورط الثلاثة في حركة انفصالية تلتمس من الدول الأوروبية مساندتها لالحاق بعلبك والبقاع بمتصرفية جبل لبنان . وكان (خلوصي) والي الشام يميل الى اصدار حكم الاعدام بالمعتقلين لكن جمال باشا صديق نخلة

.....

= وقد انضم اليها عدد غفير من شباب آل حيدر وخصوصاً لما نقلت الى بيروت سنة ١٩١٣ ثم الى دمشق سنة ١٩٨٤ وأشهرهم الدكتور حسين حيدر والدكتور محمد حيدر وصالح حيدر .



صالح حيدر



الدكتور حسين حيدر

المطران تمكن من إطلاق سراح أسعد حيدر وعبد الغني الرفاعي ، مع الحكم بالسجن المؤبد على نخلة المطران مع التشهير الذي نفذ في ٥ كانون الثاني سنة ١٩١٥ م . « ثم نفي الى ديار بكر وعند وصوله إلى تل الأبيض على الفرات قتله حراسه في ٢١ شباط سنة ١٩١٥ م . فكان نخلة باشا أول شهيد سوري في سبيل القضية الوطنية »^(١).

وظلت السلطات تراقب تحركات آل حيدر فعادت اعتقال الدكتور حسني حيدر وشقيقه أسعد ، وابنه صالح رئيس بلدية بعلبك وقادتهم الى الديوان العرفي بعالیه في ٢٣ تموز سنة ١٩١٥ م . وأصدرت حكماً يقضي بنفي أسعد حيدر وشقيقه الى أزمير، في حين نفذت حكم الاعدام صلبا بصالح مع بضعة رفاق له في بيروت يوم ٢٤ تموز سنة ١٩١٥ م^(٢).

في نيسان سنة ١٩١٥ م عمدت السلطات التركية الى نفي الزعماء الوطنيين فنفت المطران اغاييوس معلوف اسقف بعلبك الكاثوليكي الى أورفا ، وتم تهجير عائلات من بعلبك إلى بلاد الاناضول بغية تتركهم أمثال آل مطران وآل حيدر وآل حمادة من الهرمل .

وتم بالمقابل استخدام عائلات من تركية لتوطينها في بلاد بعلبك . في شهر شباط سنة ١٩١٦ م ، مرّ ببعلبك ، أنور باشا ، وكيل السلطان

.....

١ - الوف : ١١٣ ض.

٢ - نفسه ١١٣ ، وقيل في ٢٤ آب .

والقائد الاعلى للجيش العثمانية ، آيأاً من جبهة الحرب في سينا ، يرافقه احمد جمال باشا السفاح ناظر البحرية ، والقائد العام في سورية وفلسطين ، فنزلا في بيت عبد الغني الرفاعي حيث اتخذ مقراً لصف ضباط الخدمة المقصورة . وكان في استقباهما قائد موقع بعلبك الالماني الماجور (فون ورتيناد) ، وقائد ثكنة بعلبك العسكرية (النقيب ويلاند الالماني) . وقائما بعلبك عبد الفتاح المرعبي تفقد أنور باشا المؤسسات العسكرية في بعلبك ، وزار الهياكل ، وأعطى أوامره بالتشدد ضد المتمردين . وكانت بلاد بعلبك في شبه ثورة ضد الاتراك ، فيها عصيان سياسي وآخر اقتصادي مادي ، الأول يثور ضد الاعتقالات والنفي ، والثاني يطلب لقمة العيش في قطع الطرقات أمام قوافل الجند الموقرة بالحبوب والمؤن والأموال ..

لقد تمرت جماعات من بعلبك يقودها شباب من آل حيدر ، واعتصمت بالجلال ونصبت كمائن للعسكر التركي - الالماني . واشتبكت معه في اللبوة يوم ١٥ أيلول سنة ١٩١٥ م . وقتلت جنديين . وتقابلوا ثانية في مرتفعات بدنايل في تشرين الثاني سنة ١٩١٦) . حيث قتل الثوار عشرة جنود وخسروا شهيداً واحداً هو سامي سلامة حيدر ، وكان ملحم قاسم المصري يسيطر على جرد بعلبك ومعه شباب من حورتعلا وبريتال .. في حين تغلغل آل دندش من وادي رعيان حتى جرود الهرمل ، وأكثروا من التعديات ، فطاردهم العساكر . وفي تموز سنة ١٩١٦ م وقع سبعة من الدنادشة في يد قائد الدرك ابراهيم الجرکس . فتنادى أقرباؤهم لانقاذهم . ولما وصل الى وادي رعيان أحاطوا به ، فأمر بقتل أسراه ، واشتبكت مع

المهاجرين ، فخسر جنديين وانسحب إلى بعلبك . وفي عملية ثأرية
تنادى الدنادشة في تشرين الأول سنة ١٩١٦ م لافناء مفرزة من الجند
النظامي تتألف من سبعة عشر نفرا ، كانت تنتقل من قرية رأس
بعلبك الى عرسال لشراء (البغال) للجيش التركي . فكمن لهم
الغرماء بزعامة (رشيد سلطانة دندش) ، وانقضوا على المفرزة
وأبادوها ، ثم جمعوا الاسلاب من سلاح وخيل ومال . . واستطاع
جندي واحد ان يفلت ، اذ تمدد بين القتل وأوهم المهاجرين بأنه فارق
الحياة . عاد هذا الناجي وأخبر السلطات بالمجزرة . فاعتبرت هذا
العمل انطلاقة ثورة تشتعل في بلاد بعلبك ضد الاتراك ، وتهدف الى
خلق سياسة استقلالية عربية تسري عدواها الى سائر الانحاء . .
فاجتمع في بعلبك ولاية الشام ، وحلب ، وبيروت وجبل لبنان وبعد
المداولات ، قرروا قمع هذه الحركة بحزم ، ورسموا خططا عسكرية
ضد أهالي القضاء لا تعرف اللين ولا الرحمة . وشكلوا ديوانا عرفيا
(حربيا) في بعلبك^(١) برئاسة آغاسي عاشور بك ، واربعة ضباط ،
جمال باشا الصغير قائد الفيلق الثامن^(٢) والمحقق ضيا بك) واربعة كتبة
والمدعي العام أديب هاشم النابلسي (ونصبت المشانق في ساحة
سراي بعلبك ، وتوجه الأمير آلاي ممتاز بك مع قوة كبيرة من
الجند الى القرى المجاورة لمكان وقوع الحادث فاعتقل مختير رأس
بعلبك والقاع والفاكهة وعرسال . مع عدد كبير من الأهالي حتى ناف
عدد المعتقلين عن ستماية رجل^(٣) ونفذ حكم الاعدام ببعضهم . وفي

١ - اتخذ مقره في حارة الوقف .

٢ - كان مقره في فندق مدام تراف مقابل الديوان العرفي .

٣ - مخطوطة الوف : ٩٧ .

كثير من الايام كان الناس يستيقظون صباحاً فيشاهدون جثثاً تتدلى تحت أعواد المشانق أمام سراي بعلبك .

وروى ميخائيل الوف في مذكراته ، أن السلطات الصقت به تهمة الاتصال برشيد سلطانه دندش ، وإمداده بالمال ليستمر في عصيانه ، وانه كان يشجعه على الصمود ، لأن الحرب باتت على ابواب النهاية ، والدولة العثمانية على شفير الانهيار ، وما على رشيد سلطانه الا أن يشغل جنود الدولة بثورة داخلية ، وسينال شأناً عظيماً من الحلفاء عند دخولهم البلاد^(١).

إن خوف السلطان من رشيد سلطانه له مبرره لأن رشيد أعلن نفسه رئيساً لحكومة الثورة ، وكان يضع على رأسه عمامة ، وينصب عرشاً يجلس عليه ، يحف به الحرس ، ويعقد جلسات محاكمة للجواسيس الذين يتسقطون أخباره ، ويقبض عليهم رجاله ...

وأمنعت الحكومة التركية في المصادرات فشكلت سنة ١٩١٧ م ، «دائرة اللوازم العسكرية» لمصادرة ما يحتاجه الجيش من مؤن ولوازم مثل الحديد والنحاس والسمن والزيت والحبوب .. وأشرف على اللجنة قائمقام بعلبك حسين رجائي ، وميخائيل ألوف^(٢).

وطيلة سني الحرب تحولت بعلبك الى خط عسكري يربط الاستانة بمختلف الولايات العربية في الشام وفلسطين حتى سيناء ، وشهد مرور كبار القادة الاتراك والالمان ، في شهر شباط سنة ١٩١٧

١ - نفسه : ٨٣ .

٢ - مذكرات الوف : ٩٤ .



اسعد حيدر

عاد أنور باشا من جبهة بئر السبع ، و مر بعلبك ، وتفقد المواقع .
وفي سنة ١٩١٨ اجتازتها قوافل الجيش التركي المهزم ففي أواخر
ايلول مر قائد جيش الصاعقة مصطفى كمال باشا والجنرال فؤاد
باشا ، فأقاما في بعلبك يومين يرتبان امر انسحاب فلول الجيش التركي
المهزم . وفي اليوم الثلاثين في ايلول كانت شراذم الجيش التركي
تتوافد من السهول والجبال تتجه شطر حمص ، فكان رجال القرى في
البقاع يهاجمونهم ويقتلونهم ويستولون على أموالهم وأسلحتهم ينتقمون
لأنفسهم وأقاربهم الذين قتلتهم تركية بلا ذنب .

أخذ الضابط الألماني (فون ورتيناد) يشرف على ترحيل الجنود ،
وتدبير شؤون الانسحاب ، ولما غادر الضابط مع آخر قطار باتجاه حمص
كان ينسف جسور السكة الحديدية وراءه ، وأمر بنصب بعض المدافع
على هضاب التل الأبيض ، المشرفة على بعلبك ، مهددا سكان المدينة
اذ تعرضوا لفلول الجيش الألماني ، فجزع الأهليون ولجأوا الى المغاور ،
وانتهز سكان بعلبك الفرصة فهاجموا المستشفيات والثكنات ومستودعات
الحبوب وقد تأبطوا بنادقهم التي غنموها من الجند المخذول ، ولما
وصلت أخبار السلب الى القرى بادر هؤلاء ليأخذوا نصيبهم فنهبوا
البيوت الخالية من السكان ، وقد وفدوا مع دواب وجمال لحمل ما
يتمكنوا من نهبه^(٢) .

وصف أعمال السلب هذه شاهد عيان هو ميخائيل الوف قال في
مذكراته دخلت المدينة فرأيتها بحالة فوضى غريبة الشكل ، فان

.....

١ - مذكرات الوف : ٩٨ .

الرعاع وصبيان الأزقة ، يهاجمون المستشفيات والثكنات ، ومستودعات الحبوب وقد تقلدوا الاسلحة الحربية التي استلبوها وأخذوا يطلقون العيارات النارية ويمعنون في النهب ، وهدم الابنية العسكرية ، والاستيلاء على اخشابها وحديدتها وما تركه الجنود ... (١).

الحكومة المحلية المؤقتة : ٣ تشرين الأول ١٩١٨ حتى ٧ تشرين الأول سنة ١٩١٨ م

إزاء هذه الفوضى تنادى زعماء بعلبك لتشكيل حكومة محلية على غرار حكومة رضا الركابي في دمشق ، وشكري الأيوبي في بيروت قال ميخائيل الوف في مذكراته : « لما وصلت إلى المدينة خفَّ إليَّ أسعد بك حيدر زعيم الشيعة ، وقال لي : قم يا مخائيل فقد أттنا إشارة من شكري باشا الأيوبي لشكل حكومة قومية، ونقف في وجه هذه الفوضى لكلا يتصل الشغب الى مداممة المسيحيين في بيوتهم والتمثيل بهم ، ونهب موجوداتهم ، فقمنا الى بيته حيث اجتمع عدد من أعيان المدينة وذوي الشأن فيها للنظر في الحالة الحاضرة ، وفي ما يجب اتخاذه من التدابير لتهدئة الخواطر ، فقرَّ الرأي على تشكيل حكومة مؤقتة قوامها أسعد بك رئيساً وعبد الغني بك الرفاعي وميخائيل الوف - كاتب هذه السطور - مستشارين ومصطفى بك ملحم حيدر قائداً للدرك المحلي ، وأديب أفندي فرحات كاتباً وكاتم أسرار ، فقررنا ان نفتح المستودعات واحداً بعد الآخر ونوزع مواد الاعاشة وما يوجد فيها من متاع ليتلهى بها الفقراء والرعاع ريثما يدخل الجيش البريطاني

.....

١ - مذكرات الوف : ٩٧ .

ويقرر الأمن ، وهكذا كنا في الايام الاربعة نهدء الجمهور الهائج بمدخرات الجيش التركي غير ان كثيرين من أهل اليسار شارك الجمهور بالنهب^(١) في ٧ تشرين الأول دخل بعلبك الجنرال (ماك أندرو) مع أركان حزبه ثم توجه إلى حلب ملاحقاً ساقه الجيش التركي المنهزم ، وبعد أيام وصل الجنرال (دبارو) قائد الجيش الرابع (البريطاني) فاحتل بعلبك والغى جدياً مهمة الحكومة المؤقتة . وعُين اسعد حيدر قائمقاماً لقضاء بعلبك تابعاً لحكومة دمشق المعروفة وقتئذ بالمنطقة الشرقية .

مع الحكومة العربية :

بعد انسحاب تركية أنقسم المناضلون فئتين ، جماعة تميل الى الانتداب الفرنسي ، وفئة تسعى الى حكومة عربية ، فالنصارى الذين أسهموا في النضال ضد تركية خافوا على مستقبلهم في اطار حكومة عربية إسلامية لذلك انضموا الى صفوف المستعمر الجديد .

في بعلبك انهى المسيحيون نضالهم ، ومشوا في ركاب الفرنسيين ، في حين لم يحقق المسلمون ما حلموا به من ثورتهم وجهادهم ضد تركية .

فالاستعمار هو استعمار تركياً كان أم فرنسياً واستمرت مقاومة الجيش البريطاني والفرنسي من قبل المسلمين في بلاد بعلبك وطالبوا بحكومة عربية .

.....

١ - مذكرات الوف : ٩٦ و ٩٧ .

عبر ميخائل الوف بصراحة عن نوايا المسيحيين في اختيار الاستعمار الفرنسي قال « مشيت في صف رجال لبنان الذين كانوا يميلون للانتداب الفرنسي على سورية ولبنان ، عن اعتقاد راسخ بان فرنسا التي عملت عصوراً طويلاً لخير بلادنا في نشر ثقافتها وفي تأسيس المشاريع العمرانية . . وفي حماية المسيحيين في أيام البؤس والشقاء والثورات ، لعلمي أيضاً بأن بلادنا ستكون داخلية في نطاق النفوذ الفرنسي الذي حددته معاهدة (سايكس- بيكو) . كل ذلك جعلني اعتقد ان فرنسا ستكون « الأم الحنون » للبنان ، ونكون في عهدها من أسعد الشعوب لذلك سعيت سعيّاً حثيثاً لتحبيب مواطني البعلبكيين بها ، وفتحت تحت بيتي (نادياً) للقراءة والدعابة الفرنسية ، وكانت المفوضية تغذيه بالجرائد والنشرات العربية والفرنسية ، والكتب الادبية السياسية والعلمية ، وكنت أطوف في البلاد داعياً لطلب الانتداب الفرنسي . فلقيت اضطهادات ومعاكسات جمة من الحكومة الشريفة^(١) .

وسرعان ما ظهرت التناقضات بين عمال الحكومة الشريفة والموظفين الانكليز . لأن العرب يتصرفون بما توجهه المصلحة القومية وهذا يتناقض مع مصالح بريطانيا .

وساءت العلاقات أكثر مع الحلفاء لما تكشف نوايا الفرنسيين بقدم الجنرال غورو الى لبنان وسورية ، ونشب خلاف بين الملك فيصل والفرنسيين ، لأن الملك طالب بالاستقلال العربي الناجز وهذا

.....
١ - مذكرات الوف : ١٠٣ - ١٠٤ .

يجافي اطماع فرنسة . وبدأ عمال الحكومة الشريفة يسيؤون الى عمال الفرنسيين المتطفلين على الحكم . وفي بعلبك أهين ضابط الارتباط الملازم أول (سول) وأخرج من بيته ، وأجبر على مغادرة بعلبك ، فأرسلت السلطة الفرنسية الضابط (هاك) ليحل مكانه ، ويجري التفاهم مع الحكومة العربية المحلية ، فاعتدى عليه محمود جعفر ورجاله ساعة وصوله إلى محطة بعلبك ، وصادر امتعته . فكان ذلك باعثاً لتجريد حملة عسكرية على بعلبك بقيادة الكولونيل (أندريا) ولما وصلت - مساء ١٦ كانون الأول سنة ١٩١٨ م - الى سهل الطيبة (وادي جريان) اعترضها بعض مئات من البعلبكيين وبعد مناوشة بسيطة انسحب المدافعون عن بعلبك أمام قذائف المدافع الفرنسية الثقيلة وفي اليوم الثاني ١٧ كانون الأول سنة ١٩١٨ م احتلت القوات الفرنسية بعلبك ، فعزلت قائمقام المدينة اسعد حيدر ، وعينت مكانه صبحي حيدر^(١) .

وفي عملية ارامية نصب الفرنسيون مدافعهم أمام منازل وجهاء بعلبك « أسعد حيدر ، وسعيد سليمان حيدر ، ومحمد قاسم الرفاعي ، ومحمد حسن مرتضى ، وخليل ياغي » وبعد أيام تم التفاهم مع المسؤولين الفرنسيين الذين تسلموا زمام الأمور لكنهم ما لبثوا أن انسحبوا من بعلبك بناء على طلب الجيش البريطاني ، لأن مناطق النفوذ كانت موضع نزاع بين الفرنسيين والانكليز .

وعادت بعلبك إلى سلطة الحكومة العربية ، فضيق المسؤولون على

.....

١ - مذكرات الوف : ١٠٥ .

أنصار الفرنسيين ومحبذي الانتداب . وجلهم من النصارى الذين نشطوا بتوجيهات من فرنسة لأخذ تواقع السكان المؤيدين للانتداب وحمل ثلاثة منهم الى بيروت عريضة ممهورة بتواقيع عدد من اهالي بعلبك وقراها يطلبون الوصاية الفرنسية ، لتقديمها الى المفوض السامي (جورج بيكو) لكن مجموعة من الدرك العربي اعادوا الثلاثة مخفورين إلى بعلبك في كانون الثاني سنة ١٩١٩ م . في حين تم انفاذ العريضة سراً عن طريق مختار قرية الطيبة .

وفي ٣٠ حزيران سنة ١٩١٩ م ، حلت في بعلبك لجنة الاستفتاء الدولية بقيادة (كراين) وجهد المسيحيون في توفير اكبر عدد ممكن من الاصوات المطالبة بالانتداب لأنهم كانوا مقتنعين - على رأي ميخائيل الوف - « بأن الوقت لم يَأْزَفْ بعد لنضوج فكرة الاستقلال الناجز وأن لا بد لنا من مناصرة وارشاد دولة اوروبية . . »^(١) وتم التصويت للانتداب لأن المعارضة قاطعت الاقتراع.

بعلبك مع لبنان :

ان المصادمات والمشاحنات بين رجال الحزب العربي المطالب بالاستقلال التام ، وحكومة الجنرال غورو ادت الى وقعة ميسلون في العشرين من شهر تموز سنة ١٩٢٠ م . وعلى أثرها احتل الفرنسيون بعلبك واقليم البقاع ، واعلنوا في أول شهر آب الحاق بعلبك والبقاع بلبنان (فدعي لبنان الكبير) .

.....

١ - مذكرات الوف : ١٠٨ .

وتم إعلان ضم بعلبك الى لبنان بحفلة شبه رسمية في اليوم الأول من شهر آب سنة ١٩٢٠ م أقامها الكولونيل نيجر . Col (Niger حاكم لبنان . اذ حضر الى بعلبك يصحبه ابراهيم حيدر ، وميشال تويني فاستقبلهم السكان بالأهازيج والزهور ، والقى خطابا من شرفة السراي ، وأقيم احتفال آخر في الثالث من آب سنة ١٩٢٠) ترأسه الجنرال غورو ، واستقبله على مدخل القلعة زعماء بعلبك وخطب بالجماهير المحتشدة شارحاً نوايا فرنسا « الطيبة في عمران البلاد ، وحفظ الأمن ، وإقامة العدل ، وحسن النظام . . (١) .

وفي أول أيلول سنة ١٩٢٠ م أعلن الجنرال غورو استقلال لبنان الكبير^(٢) وجرى تقسيمه اداريا الى مدينتين مستقلتين هما بيروت وطرابلس وأربعة ألوية (أوسنا جق) واثنى عشر قضاء ، واربع وخمسين مديرية تضم (١٦٧٠) مدينة وقرية .

وكانت بعلبك ضمن لواء البقاع الذي ضمّ خمسة أقضية ومركزه زحلة وأقضيته : زحلة - البقاع - بعلبك - راشيا - الهرمل . قضاء بعلبك وعدد سكانه ٣٢١٢٨ نسمة ويتألف من خمسة مديريات :

١ - مديرية بعلبك مركز القضاء يشرف عليها قائمقام هو محمود تقي الدين . وتشتمل على ثمان وعشرين قرية .

٢ - مديرية الفاكهة وتشتمل على اثني عشرة قرية .

٣ - مديرية سرعين وتشتمل على اثني عشرة قرية .

.....

١ - مذكرات الوف : ١١٤ .

٢ - الدليل السوري لسنة ١٩٢٣ : ١٣ .

٤ - مديرية دير الاحمر وتشتمل على خمس عشرة قرية .

٥ - مديرية شمسطار وتشمل على قرتين . (١)

وبلغ سكان قضاء بعلبك بموجب احصاء سنة ١٩٢٢ م
(٣٢١٢٨ نسمة) توزعوا على الطوائف التالية :

الشيعة (١٩٥٣٤ نسمة) ، روم كاثوليك (٤٦٢٦) السنة
(٣٥٥٦) ، الموارنة (٣٠١٨) ؛ روم ارثوذكس (٩٩١) بروتستانت
(٢٢) ؛ دروز (٨) ، أديان مختلفة (٢٢) ، أجانب (٣٥١) (٢) .

محافظة بعلبك - ١٩٢٥ -

ان التقسيم السابق الغي سنة ١٩٢٥ وأعلنت بعلبك مركز
محافظة ، تتبعها أربع مديريات هي : الهرمل ، رأس بعلبك ، ودير
الأحمر ، وطليا ، وبلغ عدد القرى التابعة لها ثمانين قرية باستثناء
المزارع . وعين عبد الله الخوري أول محافظ لها . وأهم ما شهدته من
الاحداث الثورة ضد الانتداب .

.....

٣ - الدليل السوري : ١٤ - ١٤٦ .

٤ - الدليل السوري : ٢٨١ .

ثورة سنة ١٩٢٦ .

.....

شبّت نيران الثورة السورية ضد الانتداب الفرنسي سنة ١٩٢٥ م واستقطبت رجالاً من شتى المناطق . ومثّل بعلبك زعيم ثوارها توفيق هولو حيدر الذي شارك في عقد الإتفاقات السريّة . وذكره الشهبندر في مذكراته مراراً وعدّه « مع فحول الثورة »^(١) وفي محاولة لمد جذور الثورة لى لبنان وتوسيع رقعتها ، فصل توفيق هولو لاعلان العصيان في وادي البقاع . بغية تحقيق بعض الأهداف وفي طليعتها :

١ - إشغال القوات الفرنسية في مناطق متعددة ، وتخفيف الحشود الفرنسية الضاغطة على جبل الدروز ، وغوطة دمشق .

٢ - قطع طريق الامدادات التي تتم عبر محطة رياق - الزبداني - دمشق .

٣ - هدف قومي إعلامي . يروم التأكيد للفرنسيين اولا وللعالم ثانياً بأن الشعب العربي في بلاد الشام كلها ، يرفض الانتداب الفرنسي ، ويطلب الاستقلال والحرية بالسيف وبذل الدماء .

وصل توفيق هولو متخفياً إلى بعلبك في اواخر سنة ١٩٢٥ م . وأجرى اتصالات سريّة مع زعماء العشائر والقرى ، وحرّضهم على الانتفاضة ضد الاستعمار . فلاقت دعوته هوى في نفوس بعض

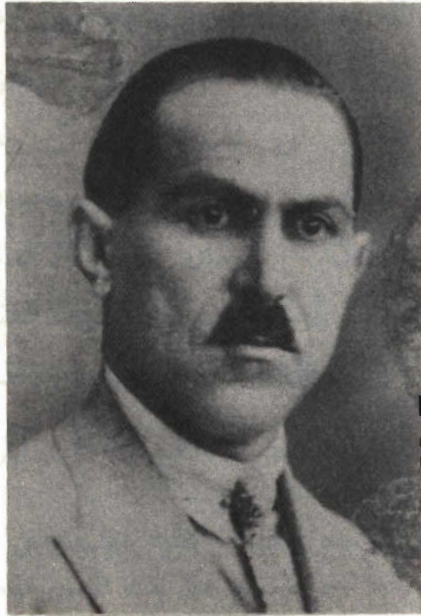
.....
١ - مذكرات عبد الرحمن الشهبندر : ٨٤ .

الشباب وقضى الاتفاق بعودة توفيق هولوا الى سورية ، وموعد لقائهم ربيع سنة ١٩٢٦ . لأن طبيعة جبال بعلبك لا تسمح بالعصيان في فصل الشتاء الثلج . وفي هذه الاشهر القليلة يتم التحضير والاعداد للانطلاق بثورة تحقق انتصارات سريعة ، واتسمت هذه الأعمال بسريّة تامة ، وكان محمد علي ابراهيم اليحفوفي من نحلة أحد المسؤولين عن الدعوة للمولود الجديد .

وفي آذار سنة ١٩٢٦ وصل توفيق هولوا الى جرود بعلبك وأعلن النفير ، فانضمَّ اليه شباب جذبتهم عوامل مختلفة منها القومية العربية ، والحماس الديني باسم الدفاع عن الاسلام . وحب المغامرة وطموحات الشباب الى مناصب في حكومة الثورة بعد النصر الموعود . وهناك فئة قليلة كانت مطاردة من العدالة فاحتمت بالثورة وأساءت لها إذ مارست السلب والسرقة . .

تجمع هؤلاء واعتصموا بالجبال شرقي بعلبك . ولما بلغ الدولة الفرنسية خبرهم لجأت الى المفاوضات فانتدبت (ماميه) ضابط الاستخبارات الفرنسية في البقاع . وأمن زعماء آل حيدر اللقاء بين توفيق هولوا والضابط الفرنسي في (وادي القلعتين) من (وادي رعيان) وقدم الضابط الوعود المعسولة ، والمغرية الى زعيم الثوار إن هو تخلى عن فكرته وجنح للسلم . لكن توفيق هولوا انبرى الى اقناع مفاوضه بأن الثورة هي مطلب حق للشعب العربي الذي يتمسك بحريته ، ويأبى المساومة عليها.

وانفض الاجتماع وقد صمم كل فريق على المواجهة .



توفیق ھولو حیدر

معركة وادي فيسان :

لإنجاح استراتيجية الثورة ، أمّ جرود الهرمل سعيد العاص ونظير النشواي من رجال الثورة السورية . وأخذوا يجمعان الانصار من جبال بعلبك والهرمل وعكار ، وقدرت بعض المصادر عدد الثوار بألف^(١). وفي أيار سنة ١٩٢٦ جرّدت القيادة الفرنسية حملة عسكرية بإمرة الكولونيل (ديرلو) ، واجتازت الحملة بعلبك إلى الهرمل ، ومنها سارت في الوديان والشعاب ، ولما بلغت (وادي فيسان) في الثامن عشر من أيار سنة ١٩٢٦ ، فاجأها الثوار - من آل جعفر ، ودندش ، وناصر الدين بقيادة زين مرعي جعفر ، يعضدهم سعيد العاص ، ونظير النشواي - وأصلوا الحملة نار بنادقهم من وراء الأشجار الملتفة ، فسقط من الجند قتلى كثيرون تراوح عددهم ما بين (٦٠ - ١٠٠) قتيل . وانهزم الباقون هزيمة نكراء حاملين جرحاهم الى الهرمل ثم الى بعلبك فيبيروت^(٣) وإبان مرورهم في بعلبك منهزمين أوجس المسيحيون خيفة وباشروا بالنزوح إلى جبل لبنان^(١). وكان ممثلو الانتداب ، والحكومة المصطنعة في الهرمل قد أرسلوا نجدة جديدة للقضاء على الثوار فتمرد مائتا فارس من القناصة اللبنانية ، وقلبوا ظهر المجن

.....
١ - مجلة العرفان : مجلد ١/ ، الجزء ٩ : ص ١٠٠٢ ، أيار سنة ١٩٢٦ .

مذكرات ميخائيل الوف : ١٢٥ .

٢ - ذكرت مجلة العرفان عدد القتلى من الثوار معتمدة على بيان الحكومة الفرنسية وقدرته بـ (١٥٠) قتيلاً وجريحاً . في حين نفت المصادر المحلية ان يكون قد سقط قتلى من الثوار في تلك الموقعة .

٣ - مذكرات مخايل ألوف : ١٢٥ .

لقائدهم الفرنسي ، وانضموا الى اخوانهم الثوار ، فلم يتمكن المستعمر من الثأر لقتلاه وأخفق في الحفاظ على ماء الوجه^(١).

وفي ١٤ أيار سنة ١٩٢٦ ، وصلت الى بعلبك قوة كبيرة بقيادة (دالوز) احد الضباط الفرنسيين ، واعتقلت شبان بعلبك ممن اهتموا بمناصرة الثورة ، وزجتهم في سجن بعبدا .

وهذه أبيات من قصيدة قالها لطفي حيدر بمناسبة اعتقاله يوم الجمعة في ١٤ أيار سنة ١٩٢٦ . نظمها في سجن بعبدا^(٢). وذكر المحافظ عبد الله الخوري و (دالوز) و (ماميه) ضابط الاستخبارات . ووجه قصيدته الى أخته التي التحقت بالثورة مع اشقائها مصطفى وحسين حيدر .

أفطم كفكفي الدمع الغزيرا	يكاد أسي فؤادي أن يطيرا
أتبكي ان يلمَّ به مصابٌ	وان يمسي بموطنه أسيرا
اذا رَزَحَتْ لثقل الحمل كتفي	فمن ذا يحمل الخطب الكبيرة؟
ومَنْ يعتد على الجلى يلاقي	عظيمَ الخطب في الجلي يسيرا
أفطم بلغي أما حنونا	وإخوانا جحاجة صقورا
بأنى قد ركبت العزَّ أسراً	إلى العليا فأسرعتُ المسيرا
مللت العيش في بعل ومثلي	يملُّ بمثلها عيشاً مريراً
تثور النفس من ظلم وجور	وليس الظلم يمنع أن تثورا

١ - مجلة العرفان : م ١١ ج ٩ (ص ١٠٠٢)

٢ - ديوان لطفي حيدر (مخطوط) ص ٤٢ - ٤٣ .

ويوم طافت الاجناد فيه
جنود فرنجة تصطاد مكرّاً
تعج الساحة الكبرى بجند
فماذا ! هل دهمى خطب جسيم
تقدّم بعضهم نحوي وبعض
دنا (البوليس) مني باحتشام
فدارت مثل طوق الخصر حولي
إلى بيت به درجت حشاي
نزعتُ به التمايم عن فؤادي
بحضرة ضابط وجنود سوء
وقادوني الى (القشلاق) قسراً
إذا (عبدو) و (دالوز) و (ميه)
وقد هشوا وبشوا لي جبورا^(١)

موقعة بعلبك : ١٩ أيار ١٩٢٦

في أيار توجه فريق من ثوار الشام إلى جرود بعلبك بقيادة سعيد
عكاش ، وأحمد عثمان الدمّراتي ومعهما زهاء ستين مسلحاً^(٢).

وسلكوا طريق سرغايا - معربون - حام - مزرعة عين البنية وفيها
كتب الدمّراتي رسالة إلى ملحم قاسم المصري يدعوه للانخراط في
صفوف الثورة ومساندتها . لكن ملحم قاسم كان مسجوناً في (بعدا)
وتم الاتصال بأبي شعلان فياض اسماعيل فقاد تسعين مسلحاً من قرية

.....

١ - عبدو (عبدالله الخوري) وميه (ضابط الاستخبارات) .

٢ - ال الجندي : أدهم : تاريخ الثورات السورية : ٤١١ .

بريتال وانضم الى الثوار^(١). وكان توفيق هولوا حيدر يرافقه محمد علي اليحفوفي وحسن حمية وآل دندش ، ومعهم أكثر من ستين مسلحاً معسكرين في (وادي سباط) . فالتقت الفرق الثلاث على (عين سباط) وتوزع المقاتلون بين الأحرار لأن طائرات الفرنسيين كانت تحلق فوق رؤوسهم في عمليات استكشاف وارهاب .

وبينما كان الثوار يرسمون خطة لمداخلة بعلبك ، بلغتهم أنباء موقعة وادي فيسان ، فاستعجلوا الهجوم كي لا تفوتهم الفرصة ، لأن العدو في البقاع يعيش الرعب لما شاهد من كثرة الجرحى المنقولة الى بيروت . واستعدادات الدولة لقمع الثورة ما زالت ضعيفة .

تقدم الثوار في ليل الأربعاء ١٩ أيار ، وعددهم لم يحدد بدقة اذ اختلطوا بأنصارهم من سكان المدينة ، والتقديرات وردت على الشكل التالي : (١٢٠ - ٢٠٠) (مجلة العرفان) ، (١٥٠ - ٣٠٠) ملصح (تاريخ الثورات السورية) . (١٢٠) مذكرات ملحم محمود حيدر .

قسمت القيادة المسلحين الى أربع فرق ، قدرت كل واحدة بأربعين رجلاً الفرقة الاولى : ترأسها توفيق هولوا حيدر ، وسعيد عكاش ، وفياض شهاب اسماعيل ، وقصدت سراي الحكومة .

والثانية رابطة على تلة الشيخ عبد الله المرتفع المشرف على المدينة وأطلقت رشاشاتها بكل اتجاه إرهاباً وأوكلت اليها مهمة رصد طريق بعلبك - رياق . وعلى رأسها قاسم عبد الساتر .

.....

١ - المرجع نفسه : ٤١١ .

الثالثة : بقيادة أحمد عثمان الدمراني اتجهت الى محطة القطار بين البساتين لمهاجمة الحامية الفرنسية .

الرابعة : بقيادة محمد علي اليحفوف وحسين عقيل حيدر ونصيبها ثكنة ابراهيم باشا وفيها المتطوعة (القناصة اللبنانية) .

وهناك مجموعة خامسة - انفصلت عن مجموعة السراي - بقيادة ملحم محمود حيدر ، وداهمت فنادق المدينة بحثاً عن الضباط الفرنسيين .^(١) دخل الثوار المدينة من جهاتها الاربع وشعارهم (لبن - حليب) ووصلت الفرقة الأولى الى سراي الحكومة ، فغادرتها حاميتها من الدرك بعد مقاومة طفيفة جرح فيها أحد المهاجمين وأكد عدد من الثوار الذين شاركوا في الهجوم أن الثورة لم تفكر في إحراق سراي الحكومة ، إنما حرّضت على هذا العمل فئة من المتنفذين في المدينة وكانت تبغي طمس حقائق عقارية ودعاوى مالية ومدنية ، صاح أتباع هؤلاء « أحرقوا دار الظلم » فانبرى الرجال « وجمعوا سجلات الدوائر الحكومية جميعها اكداساً وصبوا عليها الزيت واعملوا فيها النار بعد أن غذوها بالأخشاب والكراسي ، ومناضد المكاتب ، فالتهمت واتصلت نيرانها بالسقوف فشبت منها نار هائلة تصاعدت ألسنتها الى الجو ، والتهمت كل أوراق ودفاتر الحكومة ، والسجلات العقارية المالية وسجلات المحاكم ودوائر الاجراء ، وفي هذا غنى عن وصف ما أصاب اصحاب الحقوق والأراضي من بلاء جسيم اذ اختفت أسس الملكية في البلاد البعلبكية »^(٢) .

.....

١ - مذكرات ملحم حيدر : ٨ .

٢ - مذكرات الوف : ١٢٦ .

ونجم عنها مشاكل ودعاو بين الأهالي ظلت تتخبط بها الحكومات
بضع سنوات . وهاجم فريق من الثوار المخازن التجارية ونهبوا
محتوياتها . واتصل الشغب بحي المسيحيين المؤيدين للفرنسيين فامتدت
يد الثوار والمشاعبين من المدينة الى بيوت النصارى ونهبوا عددا منها . .

ثم دخلوا (نزل السترال) في حارة الوقف ليقتلوا محافظ بعلبك
عبد الله الخوري « فقاومهم صاحب النزل فضل الله جبران قرعة ،
فقتلوه . وكان المحافظ لاذ بالمحطة حيث توجد فرقة فرنسية . واعتقلوا
من النزل مأمور الاحراج ، وقصدوا نزل بلميرا ونهبوه وأخذوا رهينة
ابراهيم بن ميخائيل ألوف ، وحملوا الأوسمة التي نالها مخائيل الوف
ومجموعة أثرية من مسكوكات بعلبك الرومانية^(١) أما الفرق الباقية فلم
تحقق نجاحاً في احتلال المراكز العسكرية التي توجهت اليها ، إنما
منعت خروج العساكر منها لنجدة السراي .

ثم انسحب الثوار تحت جناح الظلام ، فوصلوا نبع اللجوج مع
الفجر . وأرسلوا إلى والدي المخطوفين رسالتين يطلبون فدية عنها
ثمانماية ليرة ذهباً . وبعد يومين أطلق سراحهما لقاء مايتي ليرة
ذهبا^(٢) نتائج المعركة : خلفت المعركة نتائج سلبية وإيجابية :

١ - إحراق دار الحكومة ، وإتلاف السجلات الرسمية ، وإخراج
المساجين ، وكانت سنة سيئة كررها البعلبكيون في ثوراتهم اللاحقة
١٩٥٨ و ١٩٧٥ . وكان الخاسر في كل مرة المواطن البعلبكي ، في
حين لم يخسر المسؤولون سوى بضع كلمات استنكار .

.....

١ - مذكرات الوف : ١٢٨ .

٢ - نفسه : ١٣٠ .

٢ - هذا التعامل مع السجلات الرسمية كان سبباً رئيساً لنقل مركز المحافظة من بعلبك الى زحلة .

٣ - شغل الثوار المستعمر الفرنسي بتوجيه فرق الى بعلبك والبقاع الذي غدا نارا ملتهبة تتأجج في وجه تحركات الجيش الفرنسي ،

٤ - اعتقلت السلطة جماعة من أعيان بعلبك وبريتال وحوار تعلا ونقلتهم الى سجن بعبدا ، ثم عزلت ابراهيم حيدر من مجلس الأعيان وعينت مكانه السيد أحمد الحسيني^(١).

٥ - حصلت بعض التعدييات على المواطنين من سلب ، وغرامات نَقْذا الثوار في بعلبك والقرى المجاورة ، لكنهم برروها بتمويل الثورة وتأمين السلاح والذخائر والطعام .

اما اعتداؤهم على حيي المسيحيين فبرروه قومياً بسبب تعامل هؤلاء مع الانتداب . وإن ميخائيل ألوف صرّح مرارا في مذكراته - بلا مواربة - انه كان يروّج للانتداب في بلاد بعلبك . وكان يسهم في نشر ثقافة فرنسة وحضارتها ، ويتعاون مع أجهزة الاستعمار^(٢) .
موقعة اللبوة ١١ حزيران ١٩٢٦ .

بعد موقعة بعلبك حاول الثوار أن يستقطبوا عددا أكبر من المواطنين فجابوا القرى ، وعقدوا الاجتماعات السرية ، مع الأهالي ، وبينما كانوا في اللبوة بتاريخ ١ حزيران سنة ١٩٢٦ - وعددهم لا

١ - مجلة العرفان : م ١١٠ ، ج ١٠ ، ص ١١١٨ حزيران ١٩٢٦ .

٢ - مذكرات ألوف : ١٠١ .

يتجاوز ٤٥ مسلحاً - دهمهم العدو الفرنسي قادما من رأس بعلبك ، فاشتبكوا معه مدة سبع ساعات أتهم خلالها نجدة بقيادة محمد طعان دندش وأطبقوا على الحملة وقتلوا عددا من أفرادها ، وأضطر الفرنسيون إلى استخدام القطار الحديدي لسحب قواتهم المحاصرة .
وبات الثوار في القرية للدفاع عنها . لكنهم آثروا الانسحاب مع الفجر بعدما علم الثوار بآلاف الجنود المتقدمين نحو القرية ، ونفذ ذخيرتهم^(١) .

بعد اللبوة اقتضت استراتيجية الثورة العامة أن يلتحق مقاتلو بعلبك بالغوطة ، وجبل الدروز ، فغادروا جرود بعلبك وشاركوا في معارك سورية ، ثم عادوا الى مراكزهم في مطلع أيلول .

موقعة الجباب ٩ أيلول ١٩٢٦ .

ما إن علم الفرنسيون بأوبة الثوار إلى الجبل الشرقي حتى أرسلوا الجواسيس لتسقط أخبارهم ، وعاد هؤلاء يحملون الأخبار بأن توفيق هولوحيدر يرافقه (٨ - ١٢) مسلحاً يعسكرون على بئر الجباب قرب الحدود (اللبنانية - السورية) شرقي بعلبك^(٢) . فجهزت سلطة الانتداب حملة من مئات الخيالة والمشاة ، ودفعت بهم الى ارض الجباب بتاريخ ٩ أيلول سنة ١٩٢٦ م . ولما شاهد الثوار طلائع الجند تمركزوا في قمم المرتفعات العالية بين الصخور ، وبينما كان الجنود يسيرون في الشعاب والوديان جابههم الثوار ببوابل من رصاص

٣ - مذكرات ثائر : ملحم محمود حيدر : ١١ .

١ - لقد تفرق أنصار الثورة يوم غادر توفيق هولوح مع بعض الرجال الى الغوطة .

رشاشاتهم ، وخاضوا معهم معركة شرسة ، وانسحب فيها العسكر مع هبوط الظلام يحملون بضعة قتلى وعشرات الجرحى ، في حين فقد الثوار شهيدين هما : عبد الله حسان أمهز ، ومحمد دياب أمهز^(١).

موقعة حقاب النقار . ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٦ .

بعد موقعة (الجباب) اتصل الثوار بزملائهم ، وعاد الانصار يتكاثرون وارتفع العدد الى ٢٥ مسلحاً . وصدف أن مرض توفيق هولو (بالملايا) ووصلت الأخبار الى السلطات تفصل وضع الثوار المعسكرين في (حقاب النقار) من جرود عرسال .

فجهزت حملة جديدة من ثلاث فرق : الأولى خرجت من بعلبك والثانية من رأس بعلبك ، والثالثة من النبك في سورية ، ولما وصلت طلائع القوة المنطلقة من رأس بعلبك كان الثوار متفرقين في الجبال - يبحثون عن طعامهم لدى الرعاة ولما سمعوا إطلاق الرصاص تجمعوا وساندوا زملاءهم المحاصرين . وقتل الثوار بعض قواد الحملة ، وقاوموا طيلة النهار ، وانسحبوا مع الظلام الى سهل البقاع ثم الى الجبل الغربي ، وخسروا في هذه المعركة شهيدين هما : عباس ياغي وعلي علّام الجبيلي . وجرح محمد علي اليحفوفي، ومصطفى فارس من شمسطار^(٢).

.....

١ - مذكرات ثائر : ١٥ .

٢ - مذكرات ملحم محمود حيدر : ١٩ .

كانت هذه الواقعة نهاية الثورة في بلاد بعلبك اذ تشتت شمل الثوار، وتعقبتهن السلطات وقبضت على عدد منهم ، وارسلوا إلى الديوان العدلي الذي شكل في بيروت لمحاكمتهم^(١). ولم يلتئم شملهم من جديد لأن الثورة السورية كانت قد انتهت .

.....

١ - مذكرات الوف : ١٣٠ ، مذكرات ملحم محمود حيدر ١٩ .

ادب الثورة :

.....

لا نعدم مقطوعات شعرية تناولت الثورة من قريب أو بعيد ، سلباً أو ايجاباً . إذ ورد ذكرها في ديوان الشيخ علي النقي زغيب ، ثم غناها لطفي حيدر ببضع قصائد . أما الأثر الذي تمخضت عنه فمذكرات كتبها ملحم محمود حيدر بعنوان « مذكرات ثائر » دونها في سجن (بيت الدين) ، غلب عليها طابع السرد الملون بصور منتقاة من الطبيعة التي عاش في أحضانها الثوار . وهي وثيقة تاريخية تضيء على الثورة روح النضال القومي ضد الاستعمار وتدحض التهم التي الصقت برجالها من السلب والنهب ، وقطع الطرق . وتروي بطولة البعلبكيين وشجاعتهم ، اذ كانوا يتحرشون بالجنود الفرنسيين لافتعال الصدام معهم تشوقاً الى الشهادة . وترسم روح حرب العصابات ضد الجيوش النظامية . فالثائر يقابل جندياً أو خمسين او مائة . . . ولا يعرف الهزيمة ، بل ينسحب بعد ضرب العدو ، حسبما تفرضه استراتيجية البقاء النضالي .

وحفظت لنا خطباً ألقاها زعيم الثورة توفيق هولو حيدر تذكرونا بعهود الاسلام الأولى ، وتكشف دور الكلمة في حسم المعركة . بيد أن هذه المذكرات اعترتها شوائب منها ، المبالغات الاسطورية في وصف المعارك وخسائر العدو ، وعدد أفراده .



ملحم محمود حيدر

بِرْعَايَةِ

حَضْرَةِ صَاحِبِ الْفَخَامَةِ رَئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ اللَّبْنَانِيَّةِ الْمُعَظَّمِ

لِجَنَةِ إِحْيَاءِ ذِكْرِي

النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ زَيْغِيْبُ

شَهِيدَ وَقَعَةِ الْمَالِكِيَّةِ عَامَ ١٩٤٨

الْجَيْشُ اللَّبْنَانِي فَقَائِدَةُ الْقِيَادَةِ

الزُّكِّي اللَّبْنَانِي جَمْعِيَّةُ أَهْلِ الْقَلَمِ

عَضَدَتُ تَكْرِيمِ الشُّهَدَاءِ لِحَنَةِ كُلِّ مَوَاطِنٍ خَفِيرِ

جَمْعِيَّةُ خُرُجِي الْجَامِعَةِ الْوُطْنِيَّةِ

نُتَشَرَفُ بِدَعْوَتِكُمْ إِلَى حُضُورِ الْحَفْلَةِ الْخُطَابِيَّةِ الَّتِي تَقَامُ تَكْرِيمًا لِدُكْرَاهُ

فِي صَالَةِ الرُّوْكَبِيِّ - بَيْرُوتَ

السَّاعَةَ الْخَامَةَ عَشْرَةَ صَبَاحًا مِنْ يَوْمِ الْاِثْنَاءِ الْوَاقِعِ فِيهِ اَوَّلُ نَشْرِهِ السَّنَةِ ١٩٥٥

صورة دعوة للاشتراك في الاحتفالات

ثم عدم تدوين تواريخ الصدمات، وأخيراً كثرة الأخطاء اللغوية والنحوية..

بعد انتصارات الثورة جذّت الدولة للقضاء على دابر الفتن خشية ان تمتد وتقوى، فاستبدلت المحافظ عبد الله الخوري بمحافظ آخر هو كميل الشدياق. وكان أكثر دهاء في السياسة توّدد إلى الشعب، واستقطب وجهاء بعلبك فأقام الاحتفالات الرسمية بمعاونة زعماء المدينة الروحيين والمدنيين. ورابط في الثكنات ضباط نجحوا في تحجيم الثورة، وخصوصاً رئيس قلم الاستخبارات في بعلبك والبقاع الضابط «ماميه» وقد مدحه الشيخ علي النقي زغيب بتاريخ ٢٥ أيلول سنة ١٩٢٧ م وابدى في قصيدته ارتياحاً لانتهاء الفتنة العمياء التي أنزلت ببعلبك الخراب والفوضى^(١).

ومن خطة المستعمر إحياء الأعياد الوطنية الفرنسية، وإعطاء التوجيهات لإشراك المسؤولين اللبنانيين. ففي ١٤ تموز سنة ١٩٢٧ أحييت بعلبك عيد جمهورية فرنسة بحشد عظيم حضره رجال السلطة والشعب، وأقيم استعراض للجيش الفرنسي، والقيت الخطب وأنشدت القصائد التي تمجّد فرنسة ودورها في توعية الشعب اللبناني وتنشئته، وتربيته..^(٢).

في ٧ آب سنة ١٩٢٧ عزل المحافظ كميل الشدياق وخلفه مصطفى خضر المرعبي، وتمّ التسليم بحفل حضره الناس مودّعين

.....

١ - ديوان الشيخ علي النقي زغيب مخطوط : ٢٧ .

٢ - نفسه : ٢٣ .

ومستقبلين ، قال الشيخ علي النقي زغيب^(١).

بعلُ تودّع ماجداً وتلاقي فاعجب لحالي : فرقة وتلاقي
وكذا الزمان تواصل وتفرّق طعمان : حلو جنى ، ومراً مذاق
رحل (الكميل) ففي فؤادي لسعة (والمصطفى) وافي فكان الراقي

وفي ١٢ أيلول سنة ١٩٢٨ زار بعلبك رئيس الجمهورية شارل
دباس يرافقه أركان الدولة وهم : رئيس المجلس النيابي محمد الجسر
ورئيس الوزراء ، حبيب باشا السعد ، ووزير المالية صبحي سليمان
حيدر ووزير الداخلية موسى نمور ، وعدد من النواب وممثلي الحكومة
المنتدبة ، وذلك بناء لدعوة رئيس بلدية بعلبك يوسف مخير سليمان
حيدر ، وأقيم مهرجاناً حافلاً في رأس العين : أقيمت الخطب ،
وأنشدت القصائد . وشارك في الكلام رئيس البلدية والمفتي الشيخ علي
النقي ، وصاحب جريدة بعلبك يوسف الغندور المعلوف . واتفقت
كلمة الجميع على إنصاف المدينة والمنطقة وعرضوا المشاريع التالية :
تنوير المدينة بالكهرباء ، فرش طرقاتها بالأسفلت ، جرماء اللجوج ؛
تنفيذ مشروع اليمونه ، شق طريق عيناتا الأرز ، العطف على الفلاح
بالاعفاء من الاعشار وتسليف القرض للبذار^(٢).

وبدل أن تنفذ الدولة هذه المطالب أضمرت الشر لبعلبك فألغت
المحافظة وأنزلتها الى رتبة القضاء . تم ذلك في عهد الوزارة الخامسة
برئاسة أميل ادة ؛ اذ صدر تعديل وزاري في ١١ تشرين الاول سنة

.....

٣ - ديوان : ٢٢ .

١ - . جريدة بعلبك : السنة الثانية عدد ٢٩ .

١٩٢٩ الغيت فيه محافظة بعلبك . فاستنكر الاهالي ، ورفعوا صوتهم الى مجلس النواب عبثاً^(١). وبادرت الحكومة الى تنفيذ الأمر ، ونقلت دوائر المحافظة الى زحلة ، واستلم قائممقامية بعلبك عبد الحليم الحجار ، وظل حتى وفاته سنة ١٩٣٧ م . وأعطى بعلبك كثيراً فعوضها بعض ما فقدته من حرمانها (مركز المحافظة) فجر مياه اللجوج الى المنازل ، وشق بعض الشوارع العامة ، وفي عهده أنيرت بعلبك بالكهرباء . .

وفي هذه الحقبة (١٩٢٠ - ١٩٣٠) انشعب سكان بعلبك الى شقين ، - بدسائس المتدينين - أولهما أخذ يناضل للعودة الى سورية وكانت تمثله جريدة الاضاحي بلسان مؤسسها لطفي حيدر يناصره عدد كبير من المسلمين . في حين تمسك القسم الثاني بالبقاء مع لبنان الكبير وتمثله جريدة « بعلبك » بلسان مؤسسها يوسف الغندور المعلوف ومعه كافة المسيحيين ، وجزء من المسلمين . حتى ان عائلة آل حيدر انقسمت على نفسها فالذين استفادوا من الوضع الجديد ونالوا المناصب الوزارية ، ورئاسة البلدية والوظائف العامة ، أيّدوا البقاء مع لبنان ، أما الفئة التي بعدت عن الوظائف ، فقادت المعارضة وطالبت بالعودة الى احضان سورية^(٢) ونشرت الاضاحي مقالا بعنوان « بين بعلبك والشام » جاء فيه : الشام أم رؤوم ، بعلبك ابنتها تلك تحنو بحكم

راجع قصيدة الشيخ توفيق الصاروط في ترجمته ، راجع ايضاً الاضاحي : (عدد

(٨٤

٢٠ - جريدة بعلبك السنة الثانية (العدد ٣٠ .



صبحي سليمان حيدر

الطبيعة، وهذه يقضي عليها الواجب أن تحترم عهد الأم وان تتخذ من نفسها مخبئاً يدرأ عن الأم الاخطار.

خبرنا بعلبك في الأيام الخالية ، فألفيناها جدُّ حريصة على أداء واجب البنون . كان زمان وانقضى ، وقضت بعده مقاصد ساسة البلاد - أو قل مرامي الفاتحين - بفصل الابنة البارة عن أمها مع ما فصل من البلاد الأخرى والساسة قلوبهم غلفٌ قاسية لا تلجها الرحمة ولا تجد الرأفة منفذا تنفذ منه إليها . .

سكتنا ننتظر اليوم الذي يعوز الطبيعة فيه الحلم ، أما القساة فقد أبوا إلا ان يواصلوا أعمال النكاية ، فأوعزوا إلى مأجورهم يطلبون اليهم إظهار بعلبك وإخواتها بمظهر الراغب عن القومية ، العاق للوطنية السورية ، تضليلاً بشتى الأساليب ليخدموا منا الأنفاس وليوهنوا بقية القوة فينا ، وليقضوا على آمالنا .

جاءت الأضاحي تذر في أعين الأفاكين رماداً ، وبزغت شمسها لترينا صورة صحيحة للفكرة في بعلبك مدينة الشمس وعرين القساورة الصيد ، ولتبين لنا الرشد من الغي فلا نضل السبيل واذا ببعلبك لا تزال على العهد مقيمة ، برّة بأمها تتحسّس بالشعور القومي ، وشبابها الناهض لا ينضب معين قوته تتأكله الغيرة على مصالح الأمة ، وليعمل على إشادة أركان القومية بنية خالصة ويقين لا يتزعزع . . »^(١)

.....

٢ - جريدة الاضاحي : السنة الاولى : العدد ٦ .

وآل ياغي ايضاً توزّعوا بين موال ومعارض . لقد انضم عباس ياغي الى صفوف الثورة ، وقتل في معركة (حقاب النصار) في حين كان خليل ياغي من الموالين للسلطة ، تنكر للثوار وقَدّم المعلومات عن تحركاتهم فكافأته الحكومة « بوسام الشرف » سنة ١٩٢٧ . وهنأه الشيخ علي النقي زغيب بقصيدة جاء فيه^(١).

بناتُ المعالي إليك تُزَفُّ وجنح السرور عليك يرفُ
وثغر الزمان غداً باسماً وشادي التهاني سروراً عَزَفُ

فأكرم بها دولة انعمت بأمر علينا بخير وَكَفُ
رأتك (خليلاً) جميل الوفاء لذا قلدتك وسام الشرفُ

ومن الأسر التي انقسمت بين المعارضة والموالاة آل زغيب ، فالفتي الشيخ علي النقي اتصل بالفرنسيين وحضر محافلهم ، معتبراً المجازاة الواعية أنجع من معارضة غير منظمة ، وغير قادرة على حسم الموقف . وتحركاتها لا تجدي نفعاً بل تجلب الخراب والدمار للبلاد . في حين عارض نجيب زغيب الوصاية ، وتقسيم لبنان وسورية ، ونذّر بالاستعمار المبطن ، وأطلق صرخته (وقفة على حرمون) نظمها يوم زار جبل حرمون سنة ١٩٢١ . ودعا فيها الى رفض الانتداب وإلى انقاذ فلسطين . وقد تنبأ بمصيرها المأساوي . وكانت قصيدته نذيراً لا يقاظ العرب من سباتهم ولتجسيد الخطر الصهيوني أمام أعينهم .

.....

١ - ديوان الشيخ علي النقي زغيب : ٥٧ .

وقد لاحقته السلطات الفرنسية لما نشر قصيدته لما تضمنته من حسّ وطني ، ومعارضة عنيفة . ومنها قوله :

فلسطين ما بالي أراك جريحة أصاب يداً مُدَّت اليك « شلولُ »
أباحوا حماك لليهود وأولّوا وماذا الى غير الدمار يؤول
أيستعبد الأحرار فيك أذلةً يحكمُ فيك الأكثرين قليلُ

البنانُ لا تأب قبول نصيحتي حنانيك داء الانتداب قتول
البنان لا ترض الوصاية إنها قيودُ وأغلالُ وكبولُ

ويذكرنا بالمغازلة الأبدية بين لبنان وسورية فيقول :

كان دمشقاً في الجمال (بثينة) ولبنان في حب الوصال (جميل)

فهبوا بني قومي لطرد عدوكم وإني لكم بالانتصار كفيل^(١)

وفي سنة ١٩٢٨ وضعت لجنة من الجمعية التأسيسية السورية مشروع الدستور السوري في ١١٥ مادة . وكانت المادة الثانية تتعلق بحدود لبنان ونصها « البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية وحدة سياسية لا تتجزأ ، ولا عبء بكل تجزئة طرأت عليها بعد نهاية الحرب » استغل دعاة الوحدة السورية اجتماع الجمعية التأسيسية السورية وبادروا الى عقد « مؤتمر البلاد المفصلة عن سورية » في الساعة العاشرة من يوم السبت الواقع في ٥ محرم سنة ١٣٤٧ هـ

.....

١ - راجع القصيدة في باب الاعلام .

الموافق ٢٣ حزيران سنة ١٩٢٨ اجتمع المؤتمر في دمشق وطالبوا بتحقيق (الوحدة السورية) العامة بضم جبل الدروز وبلاد العلويين والبلاد التي ضمت الى لبنان القديم . ومثل بعلبك في المؤتمر : أديب الرفاعي ، ونجيب حيدر ، وعباس ياغي ومحمد الحاج حسن شومان ، وأديب قانصوه ولطفي حيدر صاحب الأضاحي^(١) .-

لكن الاعتراض على الدستور السوري من قبل الانتداب الفرنسي أجل صدوره إلى ٢٢ أيار سنة ١٩٣٠ ، وقد عدّلت منه سلطات الانتداب كل ما يمس بحقوقها الاستعمارية فقبل نشره على هذا المنوال بأشد مظاهر الاستياء والاستنكار ، فعطلت الأعمال وأغلقت المدن . وقامت المظاهرات « واغتنمها أنصار الوحدة في الساحل اللبناني فرصة فأرسلوا وفداً الى دمشق أيّد ميثاق سورية القومي ، وطالب بالوحدة وبضم الأفضية الاربعة إلى سورية ومثل بعلبك في الوفد صبحي حيدر^(٢) .

بعلبك إبان الحرب العالمية الثانية :

لم تشهد المدينة صراعات إبان الحرب العالمية الثانية . فطوال السنة الأولى كانت في كل لبنان « حرباً غريبة عجيبة » « Droleguerre »

.....

١ - جريدة الاضاحي : السنة الاولى عدد ٢٩ ، ١٥ تموز سنة ١٩٢٨ .

٢ - مزهر : تاريخ لبنان العام : ٢ / ٩٧٤ .

لم يطبق على لبنان من مقتضياتها سوى خنق الأنوار ، ومصادرة بعض البيوت والسيارات^(١). ونجت بعلبك سنة ١٩٤١ من الحرب المدفوعة التي شهدتها الساحل وبيروت . لأن الصراع بين الحلفاء وقوات فيشي دار في عكا والدامور ومرجعيون وبيروت ودرعا ودمشق . . ولما حُسمت المعارك هناك انسحبت قوات فيشي من بعلبك سنة ١٩٤١ بلا قتال وأخذ مكانها الجيش البريطاني الذي حرّض المواطنين ضد الفرنسيين فقذفهم البعلبكيون بالبطاطا والبندورة والبيض الفاسد وانزلوا العلم الفرنسي ومزقوه . وتوزعت القوات البريطانية في بعلبك قرب مقابر سطحا وفي الشكنات وبجوار المدينة . وما زالت آثار معسكراتهم باقية الى اليوم في سهل الطيبة .

في عهد الاستقلال : أسهمت بعلبك أكثر من سائر المدن اللبنانية في صنع الاستقلال . وشهد الفرنسيون انفسهم بأنهم عانوا من جرأة البعلبكيين وشراستهم وقد تصدّى البعلبكيون لأول فرقة فرنسية ودّت ان تدخل مدينتهم سنة ١٩١٩ . واستمر نضالهم طيلة الانتداب شارك فيه المدنيون والعسكريون .

« عندما اعتقلت السلطان الفرنسية رئيس الجمهورية اللبنانية ، وأعضاء الحكومة عام ١٩٤٣ كان محمد عقيل زغيب قائد موقع

.....

١ - تاريخ لبنان العام : ١٠١٠ .

الدامور ، فاتصل بحكومة بشامون الوطنية وعرض عليها خدماته واضعاً نفسه وجنوده تحت تصرفها ، فقوبلت منه تلك المبادرة بالتقدير والثناء ورقّي على أثرها الى رتبة ملازم أول^(١) . لكن الاستقلال حرم بعلبك بعض الاصلاحات القليلة التي شهدتها أيام الانتداب . ولم تتذوق من حلاوة الاستقلال الا شارعاً واحداً في عهد بشارة الخوري . وكثرت تدخلات السلطة في شؤون الشعب حتى أنها كانت تفرض ترشيح نواب للمقاعد السنيّة والمارونية ، والكاثوليكية من خارج منطقة بعلبك ، وكانت تؤمن لهم الفوز بالانتخابات وهؤلاء كانوا قليلي الوفاء يذهبون الى المجلس النيابي ويقطعون كل صلاتهم بالمدينة . ويعتبرون علاقاتهم معها (صفقة نيابية) أوصلتهم الى أهدافهم التي عجزوا عن تحقيقها في دوائهم الانتخابية .

ولم يكن نواب بعلبك في معظمهم بأفضل من الأغراب لأنهم لم يعطوا المدينة شيئاً . فمنذ سنة ١٩٤٦ وحتى سنة ١٩٨٣ لم يقدم أحدٌ منهم على بناء مدرسة رسميّة أو مصنع وطني أو تنفيذ مشروع عام . . .

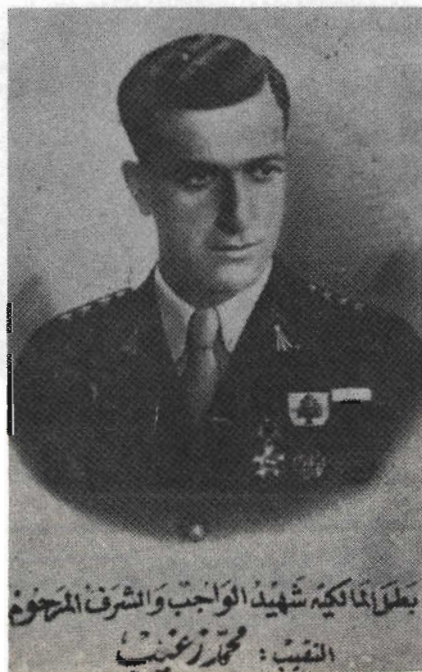
.....

١ - ذكرى النقيب محمد زغيب . اعداد وزارة الدفاع سنة ١٩٥٥ ص ١١ .

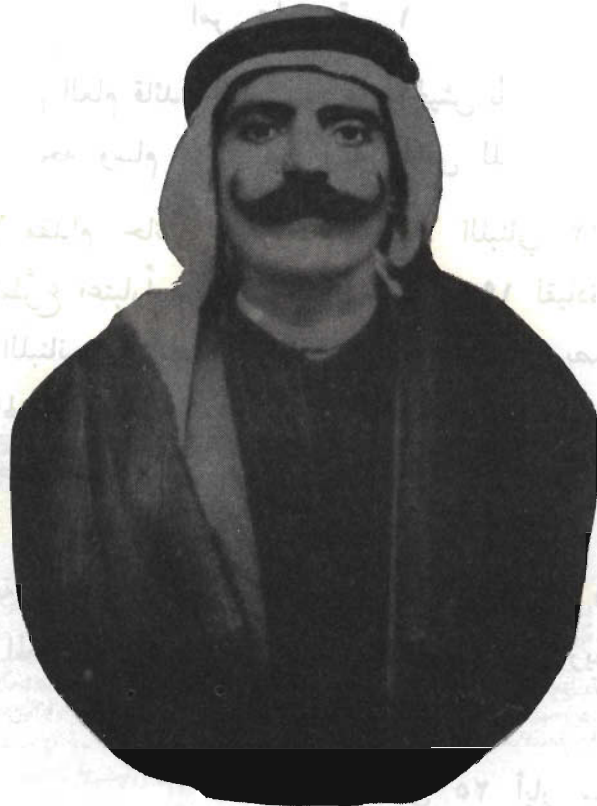
بعلبك ونكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ :

تجند البعلبكيون للدفاع عن فلسطين ، وذاذوا عنها بطاقتهم الشعبية ، بقيادة النقيب محمد عقيل زغيب الذي كان ضابطاً للارتباط في القيادة العامة للجيش العربي . ولما شاهد تحاذل العرب في تلك الحرب ، ملّ حياة المكتب ، وأبى الا ان يخوض المعركة بنفسه . فقدّم استقالته وتطوّع مختاراً لقيادة سرية المتطوعة اللبنانية من المجاهدين - وضمنهم عدد كبير من البعلبكيين - وأظهر ضروباً نادرة من التضحية واشتبك مع العدو في معارك عنيفة أشهرها معركة الهراوي في اول أيار سنة ١٩٤٨ وقد احتلّ مواقعها الدفاعية الأمامية . وانتصر على الاسرائيليين وسدد اليهم ضربات أربكت تحركاتهم . وفي ليل ١٤ - ١٥ - أيار سنة ١٩٤٨ شن الاسرائيليون هجوماً شرساً على (المالكية) لاحتلالها فاستبسل القائد محمد زغيب والمتطوعة وثبتوا في وجه الاعداء ، يوم كانت الجيوش العربية تتقهقر أمام هجوم أقلّ شراسة . وأصيب النقيب برصاصة اخترقت صدره وظلّ يتابع النضال الى أن سقط عند الصباح مغمى عليه . ونقل الى المستشفى . لكنه ما لبث أن فارق الحياة بتاريخ ٢١ أيار سنة ١٩٤٨ . وقد آزره في معارك أيار رجال من بعلبك أستमतوا في القتال حتى قضوا على طريق الشهادة . منهم (أبو معروف) علي عيسى فرج . ذاك الكهل الذي استأسد في موقعه الهراوي وقتل اثني عشر جندياً اسرائيلياً بشهادة (معروف سعد - نائب صيدا) رفيق الخندق الواحد ، هكذا قدمت

بعلبك ثلة من خيرة رجالها شهداء يوم باع العرب ملوكهم ورؤساؤهم
أرض فلسطين .



محمد زهير



علي فرج (ابو معروف)

أمر عام رقم ١

ان الزعيم العام قائد الجيش ينوه على الجيش بأعمال النقيب محمد زغيب مع منحه وسام الارز من رتبة فارس للسبب الآتي:

ضابط مقدم حائز على وسام الجهاد اللبناني ٢٢ / ١١ / ١٩٤٥ . تطوّر اعتباراً من ١٢ نيسان سنة ١٩٤٨ لقيادة سرية من المجاهدين اللبنانيين . أبليت في فلسطين أحسن البلاء وبصورة خاصة في معركة الهراوي بتاريخ أول أيار سنة ١٩٤٨ . وفي ليل ١٤ - ١٥ الجاري هاجم مقر قيادته في المالكية « فلسطين » حشد متفوق في العدد والسلاح . فدافع عن سرية دفاع الابطال ، وقام بتسيير دفعة المعركة بكل شجاعة ورباطة جأش . مرغما العدو على التراجع . وقد اصيب خلال هذه المعركة بجرح بليغ في صدره أودى بحياته بتاريخ ٢١ أيار الجاري .

بيروت في ٢٥ أيار سنة ١٩٤٨
الزعيم العام فؤاد شهاب قائد الجيش



اجتماع للشوار بقيادة صبري حمادة في هياكل بعلبك ١٢ آب سنة ١٩٥٨

أحداث سنة ١٩٥٨ .

رغب رئيس الجمهورية كميل شمعون في ضم لبنان الى حلف بغداد ، ومشروع « أيزنهاور » فرفضت المعارضة هذا الاتجاه وشهدت بعلبك في ١٦ آذار سنة ١٩٥٨ أول اجتماع للمعارضة في لبنان حضره مندوبون عن المحافظات الخمس لتعميم الحملة ضد تعديل الدستور ، والتجديد للرئاسة . وكتبت عنه جريدة البلاد « وتساءل الناس عن موقف الحكومة من هذا الاجتماع الذي قد لا يكون الأخير من نوعه ، بل قد يكون فاتحة اجتماعات كثيرة شعبية . يعلم الحاكمون والمعارضون معاً كيف تبتيء ، لكنهم قد لا يعرفون كيف تنتهي »^(١).

وصح التنبؤ لأن الاجتماع الذي ولد في بعلبك سرعان ما كبر في لبنان ، وتحول في ٨ أيار سنة ١٩٥٨ مع إغتيال الصحافي نسيب المتني الى حرب أهلية لبنانية . ولعبت بعلبك دوراً استراتيجياً في الحرب لقربها من الحدود السورية ، وتدفق الاسلحة اليها .

وشاركت في الثورة بقيادة رئيس مجلس النواب صبري حمادة (نائب بعلبك الهرمل) ، وتنظمت فيها مقاومة شعبية ، تمكنت من طرد موظفي الحكومة ، ورجال الامن ، واحتلت السراي في ٢٤ أيار سنة ١٩٥٨ وأعيدت مشاهد سنة ١٩١٨ إذ بدأت أعمال النهب والسلب فأخذوا المحتويات من مكاتب ومناضد وأموال ، وطوابع

.....

١ - جريدة البلاد عدد ٢٠٧ - زحلة ١٥ آذار سنة ١٩٥٨ .

مالية .. ثم أتى دور الابواب والنوافذ . فلم يجدوا إلا الجدران
فاقتلعوا بلاط الارض والمغاسل .. ثم جمعوا المستندات الرسمية
والدفاتر وأحرقوها ..

وفي شهر تموز استطاعت قوة من الجيش ان تتمركز على تلة الشيخ
عبدالله وقصفت بمدفعتها المدينة وتجمعات الثوار وقتلت خمسة
أشخاص ومن هناك سيطرت على تحركات المدافعين الذين شنوا أكثر
من هجوم لطرد الجيش اللبناني الموالي لرئيس الجمهورية من مرتفع
الشيخ عبد الله .

وظلت المدينة بيد الثوار حتى انتهاء ولاية شمعون وتسلم زمام
الأمر اللواء فؤاد شهاب في أيلول سنة ١٩٥٨ . ونجحت الثورة في
إسقاط مشروع أيزنهاور .

في العقود اللاحقة مرّت على بعلبك سنوات عجاف من الفوضى
والاخذ بالتأثر والانتقام .. مع وجود اداريين غير أكفاء . وكل ما عرفته
من عمران تأسيس ثكنة للجيش اللبناني ضمت معهد الأغرار ،
ومدرسة الرتباء ، فانتعشت الحياة الاقتصادية قليلاً ...

هذا الاهمال المتعمّد أوجد نفرة في النفوس ضد الدولة ، فقامت
المهرجانات تندد بالتخلف المفروض على المنطقة . وشهدت بعلبك
بتاريخ ١٧ آذار سنة ١٩٧٤ أكبر مسيرة وأضحخم مهرجانا في تاريخها .
اذ لبي سبعون ألف شخص نداء الإمام موسى الصدر ، وفدوا احتجاجاً
على إهمال الدولة لمنطقة بعلبك الهرمل .

وكان خمس المتظاهرين يحمل السلاح امثالاً لقول الامام الصدر « السلاح زينة الرجال ». ووصفت جريدة النهار الحشد قالت : « الناس كأنها في يوم الحشر ، لا مكان لقدم ، ولا يد الا وتحمل سلاح أكثر من عشرة آلاف قطعة من مختلف الانواع اختلطت بالجماهير التي قدر عددها بما لا يقل عن ٧٥ ألفا . بين الرأس والآخر رشاش أو بندقية أو مسدس ورصاص . . رصاص . . زخات غزيرة لا تنقطع . »^(١) وعلى مروج رأس العين بايعت الوفود الامام الصدر ، ورددوا معه القسم التالي : « نحلف بالله العظيم ، وبالنبي الكريم ، وبشرف الانسانية نحلف بالله العظيم أن نستمر في طريق مطالب حقوق الطائفة الشيعية نطالب ونصر ونستمر ونشدد من دون خوف أو وجل ولا تراجع ولا مساومة . سنقف مع كل مظلوم ، ومع كل ضعيف ، ولا نرجع عن ذلك ولا نضعف ولا نتوانى ، ونكون في خطى نبينا الذي يقول . والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركت أو أموت دونه .

هذا ميثاقنا وشرفنا ودمنا وعرضنا ، ومستقبل أولادنا وصيانة وطننا . سنبقى في الخط وسنوحّد جهودنا ونسقى مواقفنا ، الى أن نحقق الأهداف أو نموت شهداء في سبيل الله .

والله على ما أقول شهيد ، وملائكته شهداء ، وأنبيأؤه شهداء

.....

١ - جريدة النهار . العدد الصادر يوم الاثنين ١٨ آذار سنة ١٩٧٤ .

وأرواح الشهداء والصديقين والصالحين وعباده الطيبين يشهدون على ذلك . سنبقى الى جانب الحق وإلى جانب الوطن نخاصم أعداءه ، نخاصم اسرائيل ، ونخاصم أصدقاء اسرائيل . ونخاصم من هم وراء اسرائيل ، والله على ما نقول شهيد» .



الامام موسى الصدر

الحرب اللبنانية - الأهلية - الاسرائيلية - الدولية . (١٩٧٥ -
(؟...)

كلمات تشابكت مثلما تشابكت الاطراف المتنازعة في لبنان . حتى
اتسعت رقعة هذا الوطن الصغير لجيوش العالم . شارك في حرب لبنان
اللبنانيون على مختلف طوائفهم ومذاهبهم وأحزابهم ومدنهم وقراهم
(قوات أهلية) ؛ والفلسطينيون (أطراف نزاع) ، والسوريون
والسودانيون والسعوديون ، واليمنيون (قوات ردع) والنباليون
والسنغاليون ، والفيدجيون والایرانيون ، والنروجيون ، والایرلنديون ،
والنيجيريون ، والفرنسيون (قوات طواريء دولية) والأميركيون ، والبريطانيون
والإيطاليون والفرنسيون (قوات متعددة الجنسيات) والسوفييات الروس
(خبراء ومدربون) ، والاسرائيليون (قوات احتلال) ، والایرانيون
(متطوعة) ، أما المرتزقة فجاءوا من كل بلد عرفته هيئة الأمم ام لم
تعرفه (عربي وأجنبي) ولكثرة ما نرى في سمائنا من طائرات بتنا
نتوجس خيفة من الاطباق الطائرة ، وغزاة الفضاء . ورغم ذلك ما
زال لبنان يبتسم . إنه أكبر من الموت . واللبناني يعيش ويتحدى
الكون .

أما بعلبك في عهد الحرب اللبنانية التي انطلقت شرارتها الأولى في
١٣ نيسان سنة ١٩٧٥ - فظلت بعيدة عن أجواء الرعب ، الا ساعات
قلائل ، وتعود الى حياتها العادية من جديد ، وربما أتى ذلك مصداقا
لقول الامام علي (عليه السلام) ، « وتكون فتنة لبنان .. ويومها

بعلبك في أمان ..»^(١) وإنَّ ما حدث في بعلبك لا يتجاوز الاضطرابات لأسباب منها :

أولاً - ان سكان المنطقة تغلب عليهم العشائرية ، فلم يتأثر شبابها بالتنظيمات مثلما تأثر شبان سائر المناطق اللبنانية .

وهذه العشائرية خدمت أمن المنطقة ، والمدينة بالذات ، فحتى الاشتباكات الحزبية كانت تخلف في نهاية المطاف ذيولاً قبلية وتنادي باخذ الثار ممن يشبه بهم أنهم تسببوا بسقوط بعض الضحايا ، فالعشائرية كانت بادرة خير على المنطقة إبان الاحداث لأنها كبحت جماح المسلّحين ، وانذرتهم ، بأن الأسرة مهما قلّ عدد أفرادها مستعدة للثار من المعتدين مهما كثروا عدداً وعُددا .

ثانياً - إن عدد القتلى الذين سقطوا في المدينة خلال الاحداث هو عدد كانت تعرفه بعلبك في سنيها العادية ، أيام تواجد السلطة . اذ كانت تشهد بضعة قتلى في العام يسقطون ضحايا عادة الثار . وإن ما وقع فيها من مناوشات بين التنظيمات هي انعكاسات مستوردة تهدف إلى اثبات الذات ، واستقطاب الانصار. وان اهملت الغوص في استراتيجية الاحداث لأن الحرب لم تضع أوزارها بعد أجدني مضطرا لعرض شريط الاحداث التي شهدتها المنطقة خلال سنوات الحرب الأهلية .

.....

١ - علي اليزدي الحائري : إلزام الناصب : مطبعة النعمان النجف سنة ١٩٦٣ ج ٢ ص ٢٤٠ .

سنة ١٩٧٥ : -

في مطلع تموز هجوم على قرية القاع حصيلته احد عشر قتيلاً و٢٢ جريحاً معظمهم من سكان القرية^(١) وتلاه في تشرين هجوم مسلح على قرية حوش بردي نتج عنه سلب ونهب وتهجير .

بتاريخ ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٧٥ . داهمت المعارضة سراي الحكومة ونهبها وتكرر مشهد سنة ١٩٥٨ . وسقط قتيل من الجيش وآخر من المهاجرين . وأطلق سراح المساجين .

سنة ١٩٧٦ - ليل ٢١ - ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٧٦ احتلت المعارضة سيار الدرك . ونهبت محتوياته . وفي صباح اليوم التالي ٢٢ كانون الثاني تقدمت التنظيمات لاحتلال الثكنات العسكرية بغية الاستيلاء على الاسلحة بحجة استخدامها في المعركة . وبتواطؤ من بعض الضباط نهبت جموع غفيرة - « اختلط فيها الحابل بالنابل » - الاسلحة الخفيفة ، والثقيلة - وأفلت زمام الأمور من أيدي المخططين ، وتم النهب بشكل مذهل ، وحدثت حكايات مضحكة . تذكرنا بعهد الانسان الحجري اذ كان الرجل يضع يده على قطعة سلاح فيتملكها بوضع اليد ، لكن قد يأتي ناهب آخر أشرس منه فيسلبها ويفوز بها .

ودخل الناس منازل الضباط الملحقة بالثكنة ، فحملوا البرادات والغسالات ، والارائك والسجاجيد والقدرور والصحون . . والمؤن . . وبينما كان أحدهم يطوي سجادة أوى آخر وساعده وطالب بحصته

.....

١ - ٧ قتلى من القرية و ٤ قتلى من المهاجرين .

فكانت الخلافات تُغض بالقوة أو بالتراضي، استباح الناس كل المحرمات حتى ان احد الحجاج نهب الخمر وباعها . مشاهد وروايات وقصص . . ثم أتى دور الابواب والنوافذ وتهديم الابنية والحمامات وبلغت الخسة ببعض الناس أنهم قطعوا أشجار الصنوبر والسرو المغروسة في الباحات وحملوها الى منازلهم واستخدموها حطباً . . وان كان سكان القرى قد وفدوا سنة ١٩١٨ مع الدواب والجمال لنقل الاسلاب . فقد وفدوا الى بعلبك سنة ١٩٧٦ مع وسائل الحضارة الجديدة : الشاحنات ، والسيارات ، والجرارات الزراعية لنقل ما يقع تحت أيديهم . . وخلال ساعات كانت الأسلحة والذخيرة معروضة للبيع في ساحة السراي بشكل لم تشهده سوق من قبل . وكانت الاسلحة تباع لمن يدفع الثمن المناسب . وربما اشترى بعضها سماسرة الاخصام وكشفت المساومات عن سخرية مرّة ، فكثيرا ما كان البائع يغلظ الايمان بان الاسعار غير وافية . وكأن المسلوب له رأس مال ! وإبان عمليات النهب سقط ثلاثة قتلى وحوالي عشرة جرحى . وخلال الاسبوع الأول شهدت المدينة عدداً جديداً من القتلى والجرحى في المنازل والاحياء سببها توافر الاسلحة وجهل استعمالها وخصوصاً الذين تملكوها لأول مرّة في تاريخ حياتهم .

كان الواجب يقضي على المسلحين إبقاء الاسلحة في الثكنات واتخاذها مراكز عسكرية لتجمعاتهم وتحركاتهم . . مثلما حدث في طرابلس وجونية وبيروت . لكن اخطاء الآباء إرتكبها الابناء . وعلى اثر سقوط الثكنات توجهت التنظيمات لاحتلال دير الاحمر (القرية

المسيحية) من جديد . وكانت المعركة التي سبقت احتلال الثكنات ضد دير الأحمر قد انكشفت عن تراجع المهاجرين بعد أن خلفوا وراءهم عددا من القتلى والجرحى والأسرى . ولا بد من كلمة توضيحية ان التنظيمات وحدها شنت الهجوم في حين امتعزت العشائر من هذا التصرف وحثت قرية دير الاحمر على عدم الاستسلام بينما استقبلت قرية اليمونة بعض نساء دير الاحمر وأطفالها واموالها ، وحافظت عليهم وقامت بحقوق الجيرة . وشجعها على المضي في هذا الاتجاه نداء الامام موسى الصدر ! « كل طلبة تطلق على دير الاحمر والقاع وشليفا تطلق على منبري ومحرابي وصدري وأولادي . . » .

وفي ١٢ تموز سنة ١٩٧٦ دخلت قوات الردع العربية مدينة بعلبك بعد مناوشات خفيفة تركت ثلاثة قتلى وعددا من الجرحى . وعقب دخولها تمت هجمات ليلية على مراكزها . ثم حدثت سلسلة انفجارات طالت المحال التجارية لأهداف تأرية وسياسية وتجارية . . وخلفت عددا من القتلى والجرحى .

في أواخر سنة ١٩٧٨ نفذت مؤامرة أخفاء الامام الصدر ، وتشابكت الايدي في نسج خيوطها فتلاقت من اليمين الى اليسار والفلسطينيون ، وسفارات الدول العربية . . لأن الامام الصدر بقوة شخصيته وذكائه عرف كيف يلم شمل الشيعة فالعشائر بايعته بيعة مطلقة لم ينلها أحد قبله . وغالبية الشباب الشيعي انفضت من صفوف الاحزاب ، وانضوت تحت لواء الامام الصدر ، وبات يشكل خطرا بقوته المتنامية بسرعة مذهلة على كل الاطراف وخشيت دول

البترول والدول الاستعمارية ، على مصالحها ، لقد أربكهم قسم آذار سنة ١٩٧٤ عندما وقف سبعون ألفاً - خمسهم على الأقل حمل السلاح - ينادون بانصاف المحرومين .

ونفذت ليلية المؤامرة ، وتحذى شيعة الامام الصدر حاكم ليلية وردوه خائباً لما حاول زيارة لبنان بعد عام .

إن ظهور الامام الصدر في مطلع الاحداث نعمة إلهية أغدقتها السماء على شيعة لبنان . لأنه تمكن من لم شملهم وإلا تفرقوا أيدي سباً» بين الاحزاب من اليمين الى اليسار سعيا وراء الدولار .

ومرت السنوات التالية بلا أحداث تذكر في بعلبك حتى كان يوم السبت بتاريخ ٢٦ تموز سنة ١٩٨٠ - وأبان مرور جثمان نقيب الصحافة رياض طه - وقع الصدام الأول بين حركة أمل وبعض التنظيمات وأسفرت الاشتباكات عن سقوط ١٢ قتيلاً وقرابة عشرين جريحاً . وفي العشر الاخير من آذار سنة ١٩٨١ ، ومع فجر يوم الأحد ٢٢ آذار وقعت صدامات بين حركة أمل من جهة يساندها انصارها من الشيعة ، وحزب البعث الموالي للعراق تسانده كافة التنظيمات وبعض الانصار من السنة . وتوقفت الاشتباكات المدفعية بعد ظهر الاحد وذهب ضحيتها قتيلان . ثم تباددت الاشتباكات ضحى يوم الثلاثاء ٢٤ آذار على اثر انفجار وقع قرب احدى المدارس الرسمية . وتبادل القصف المدفعي . وانتهى القتال ليلاً خلفاً ضحيتين جديدتين ، وبات عدد كبير من الطلاب خارج منازلهم لأن القصف العشوائي منعهم من العودة إلى أهليهم .

وفي مطلع حزيران سنة ١٩٨٢ اجتاحت جيش إسرائيل الجنوب اللبناني والبقاع الغربي ، وبلاد الشوف ، وشهد سماء البقاع معارك طيران يوم ٩ حزيران بين السوريين والاسرائيليين ، اعتبرت اكبر معركة طيران جرت في الحروب العالمية ، إذ اشتبكت اكثر من مائة وخمسين طائرة منذ شروق الشمس وحتى غروبها . وفي صباح ١٠ حزيران خلا الجو للطائرات الاسرائيلية ، وأخذت تقصف تحركات المسافرين على طريق رياق - بعلبك - حمص وخلف الاعتداء قرابة مائة قتيل من المواطنين اللبنانيين .

وطال القصف ضاحية بعلبك الغربية ودمّر بعض المصانع والمنازل وألحق اضرارا بالممتلكات والسيارات . .

وبعد الاجتياح الاسرائيلي ، أرسلت جمهورية ايران الاسلامية قرابة ٦٠٠٠ متطوع من الحرس الثوري للدفاع عن شيعة لبنان ومساندة حليفتها سورية . ووصلوا إلى منطقة بعلبك مع مطلع تموز سنة ١٩٨٢ . عن طريق الزبداني - المصنع ، والزبداني - سرغايا - جنتا وشارك الحرس الثوري الايراني في عمليات محدودة ضد القوات الاسرائيلية على خطوط المواجهة ، وبادر الى تأسيس الحرس الثوري اللبناني ودعمه بالمال والسلاح . وتجنب الحرس الثوري الايراني الخوض في أعمال الشعب التي تمت ضد المؤسسات الحكومية بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٨٢ .

وآخر الاحداث التي شهدتها منطقة بعلبك وقعت يوم الجمعة بتاريخ ٤ آذار سنة ١٩٨٣ عندما كمن مسلحون تابعون لتنظيمات

شيعية محلية - على مفرق قرية بريثال - لقافلة من الجيش اللبناني كانت تتقدم من أبلح إلى حقل الرماية في الطيبة لاجراء المناورات . وأسفر الكمين عن مقتل ستة جنود بينهم ضابط . وجرح اثني عشر جندياً . ووقعت بعض الاصابات في صفوف المهاجمين .

وبما أن الحرب اللبنانية لم تنته بعد فالناس يرقبون بحذر ما تحمله الأيام المقبلة في جعبتها .

احصاءات السكان .

.....

أغفل القدماء تدوين إحصاءات السكان في بعلبك . وغدا التعرف الدقيق الى عدد سكان المدينة في العهود الغابرة، ضرباً من التخمين ، مما أوجد تفاوتاً بين التقديرات التي ارتدت ثوب المبالغات والتظني . فقليل بلغ تعدادهم في العهد الروماني خمسمائة ألف نسمة ، وهبط الرقم الى ثلاثمائة الف مع كتاب آخرين ، وقيل ايضاً مايتا الف نسمة . لكنني لا أجد مبرراً لهذه الأرقام الخيالية ، لأن منطقة الاعمار والصور القديم لا يوحيان بهذه التقديرات المغالية . . فعدد السكان ربما قارب مائة وعشرين الف نسمة ، بما فيهم آلاف العمال والأسرى الذين عملوا في بناء الهياكل ، ورفع الأحجار الضخمة ، ولا سيما اذا عرفنا أن أحد المهندسين الأوروبيين المعاصرين قال : ان (حجر الحبلى) بحاجة الى اربعين الف رجل لتحريكه ودفعه . وكان معظم هؤلاء يقيمون في معسكرات للعمل ، أو في الكهوف الواسعة (الشراونة ، وحي الواد قرب (المقالع) .

وإبان الفتح الاسلامي سنة ٦٣٧ م خرج هربيس حاكم المدينة مع « سبعة آلاف فارس سوى من اتبعه من سواد بلده^(١) . لمحاربة المسلمين . وعلم (ديموغرافية) المدن يفترض خروج جندي من كل

.....

١ - الواقدي : فتوح الشام : ١ / ٧٦

بيت ، والعدد المتوسطي لافراد الأسرة ستة أشخاص ونصل الى المعادلة التالية ($6 \times 7000 = 42000$) نسمة . من الروم والفرس والعرب والأقباط^(٢) . وتراجع العدد بعد نزوح جماعات من الروم الى بيزنطة ، وبينهم بعض رجال العلم امثال « كالينيكوس » ، ثم نقلت مجموعات من فرس المدينة الى طرابلس والساحل اللبناني سنة ١٧ هـ . لحماية الشواطئ .

واعتقد ان عدد سكان المدينة ظل يتراوح بين ٤٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ نسمة في حقبةا المزدهرة ، ومال الى التراجع بناء لعوامل الحروب ، والنزوح وفقدان المركز الديني الذي مثَّله المدينة في عهود الفينيقيين والرومان والبيزنطيين . ثم تقلَّصت مكانتها السياسية ، فبعد أن كانت المدينة الثانية في بلاد الشام بعد إنطاكية في العهد الروماني ، تأخرت في العهد العربي ، وبرزت دمشق وحلب وطرابلس . . لكن السكان ظلوا يمثلون أخلاطاً من العرب والفرس ، بين مسلمين ونصارى وقلة يهودية ، وفي عهد الايوبيين أمَّتها جماعات من السمرة تمكنت من السيطرة على شؤون البلد ، بعد أن وزر رئيسهم مهذب الدين للملك الأمجد ، ثم خلفه ابن أخيه أمين الدولة أبو الحسن ابن غزال وزير الملك الصالح اسماعيل^(١) .

وفي سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧م اجتاحت سيل عظيم مدينة بعلبك وخرب المنازل والخوانيت والمساجد والحمامات والمطاحن

١ - وفد القبط مع الاعمدة الغرانيئية ، والقسم الاكبر كان من الاسرى الذين ارسلوا من الاسكندرية الى بعلبك في أيام جوليان الجاحد ، والاضطهاد الديني .

المصادر ان عدد البيوت الخراب والمتصدعة ٩٨٠ منزلاً و ١٣٢ حانوتاً وقال آخرون تهدم ثلث المدينة . وهذا يعني أن عدد منازل بعلبك يومها نحو ثلاثة آلاف منزل ، وعدد السكان قرابة عشرين ألف نسمة . في مطلع العهد التركي ذكرت (دفتر الطابو) إحصاءات تفصل الأسر المقيمة في بعلبك من المسلمين والمسيحيين واليهود . ونستخلص منها عدد السكان الاجمالي :

السنة حوالي ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م^(١) ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠ م^(٢)
٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م^(٣) ٩٣٠ هـ ٩٣٧ هـ ٩٥٠ هـ

الأسر المسلمة (مسلمون) خانه ١٣٣٨	١٦٣٠	١٤٤٥
عازب (مجرد)	١٨٢	١٧٩
إمام لا يؤدي الضريبة) ١١ + ٣ سادة	٢٧	١٣
نصارى خانه	١٤١	١٤٥
مجرد	٦١	١٠
الاسر اليهودية (يهود خانه)	٢٣	٣٠
مجرد -	٦	٦
٩٠٠٠	١١٠٠٠	١٠٠٠٠

العدد الاجمالي التقريبي تسعة آلاف نسمة أحد عشر ألف شخص عشرة آلاف نسمة .

-
١ - طابو دفترى رقم ٤٣٠ استانبول .
٢ - طابو دفترى رقم ٣٨٣ استانبول .
٣ - طابو دفترى رقم ٤٠١ استانبول .

وبدأت الارقام تظهر مع الرحالة الأجانب الذين زاروا بعلبك
ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي . وهذا ما ذكروه مرتباً على
السنين :

السنة	عدد السكان
١٦٦٠	٧٠٠٠ - ٨٠٠٠ نسمة ^(١)
١٦٨٩	٦٠٠٠ - ٧٠٠٠ نسمة غالبيتهم من المسلمين وقلة من النصارى واليهود لهم حاخام ^(٢) .
١٧٠٠	٥٠٠٠ نسمة
١٧٣٣	٢٠٠٠ نسمة
١٧٣٥	٢٤٠٠ نسمة منهم ٨٠٠ مسيحيون ^(٣) .
١٧٥١	٥٠٠٠ نسمة ^(٤)
١٧٨٥	١٢٠٠ نسمة . فقراء ^(٥)
١٨٣١	٢٠٠ نسمة ^(٦) هذا العدد لا يقبله المنطق ، لأن بعلبك كانت مركز إمارة فيها من الموظفين والجند اكثـر من هذا العدد ^(٧) .

.....

Lucus: P r 74

DeLa Roque P: 59

٣ - تقرير Granger إلى دي موربا Demaurpas وزير لويس الخامس عشر .

Wood: P9 '

Volney 2 M 229 '

Chevallier Mont Liban P54 '

٧ - التناقض بين الارقام يعود الى امور اهمها : ١- التقديرات الظنية .

السنة	عدد السكان
١٩٠٠	٥٥٠٠ نسمة . منهم ٤٣٠٠ إسلام ١٢٠٠ نصارى
١٩٢٥	٤٩٥٠ نسمة ٢٣٥٠ شيعة و ١٦٥٠ سنة و ٦٠٠ روم كاثوليك و ٢٥٠ موارنة و ١٠٠ روم ارثوذكس وأنجيليون ^(١) .
١٩٢٨	١٠٠٠ نسمة ٧٥٪ مسلمون و ٢٥٪ مسيحيون ^(٢)
١٩٣٦	٨٠٠٠ نسمة ^(٣) .
١٩٨٣	٥٠٠٠٠ - ٦٠٠٠٠ نسمة سكان المدينة ويرتفع العدد الى قرابة ١٠٠ ٠٠٠ نسمة مع المهاجرين من القرى .

.....

٢ - احصاء الذكور فقط . ٣ - الحروب والتهجير الجماعي في الحوادث المدمرة ان زلزال

سنة ١٧٥٩ قضى على ثلث سكان المدينة .

١ - تاريخ بعلبك : ١١

٢ - جريدة بعلبك العدد العاشر ايار سنة ١٩٢٨ .

٣ - مذكرات الوف (مخطوط) .

الكوارث أو (حرب الطبيعة)

نكبات الطبيعة قصاص إلهي ضد البشر بما كسبت أيديهم .

والكتب السماوية فصلت غضب الله يصبه على الكفرة الذين يستهترون بارشادات الانبياء والرسل ، ويعتون عتواً كبيراً . فالقرية التي تمضي في عبادة الاصنام ، وارتكاب الفواحش والآثام ، وإيذاء المؤمنين ، كان يأتيها عذاب الله بعد الانذارات المتكررة : « بسم الله الرحمن الرحيم .

فكلاً أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »^(١) .

إن هياكل بعلبك كانت مركزاً للعبادة الوثنية ، نصب فيها أكثر من ثلاثمائة وخمسين صنماً ، وهبلهم (البعل أو هدد أو جوبيتر) . وكانت ترتكب الفواحش في أيام معينة من السنة داخل الهياكل . فأرسل الله سبحانه اليهم بنبيه (إلياس) (ع) ونهاهم عن عبادة البعل فقتلوه واستمروا على غيهم فكان عقابهم الزلازل والصواعق التي قوّضت معابدهم . ثم أعاد الرومان بناءها على . . . مستوى أضخم وأعظم . وان غاب عنا تاريخ النكبات الأولى فقد

.....
١ - سورة العنكبوت : رقم ٢٩ آية ٤٠ .

روّعتنا زلازل حادثات بقضاء قضاء ربّ السماء
هدمت حصن شيزر وحماه أهلكت أهله بسوء القضاء
وإذا ما رنت عيون إليها أجرت الدمع عندها بالدماء^(٢)
وتجددت الزلازل في الثاني عشر من شوال سنة ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م .

قال ابن الأثير « كانت زلزلة عظيمة لم ير الناس مثلها ، عمّت أكثر
البلاد من الشام ومصر والجزيرة والموصل والعراق ، وغيرها ، إلا أن
أشدّها كان بالشام فخرت بعلبك ، وحصن وحماه وشيزر وبعرين وغيرها
وتهدّمت أسوارها وقلاعها ، وسقطت الدور على أهلها وهلك من الناس
ما يخرج عن العد والاحصاء . فلما أتى نور الدين خبرها وإلى بعلبك
ليعمر ما انهدم من أسوارها وقلعتها . . »^(٣) .

وعادت الزلازل تضرب بعلبك يوم الثلاثاء ٧ ربيع الأول سنة ٥٨١ هـ
لكنها لم تحدث أضراراً تذكر^(١) وفي شعبان سنة ٥٩٧ هـ خرج قوم من
بعلبك يجنون الرياس من جبل لبنان ، فالتقى عليهم الجبلان ، وماتوا
بأسرهم ، وتهدّمت قلعة بعلبك مع عظم حجارتها^(٥) .

وفي رجب سنة ٦٩٢ هـ هطلت أمطار غزيرة في بعلبك فأحدثت
سيولاً جارفة ففسد من كرومها ومساكنها ومزارعها ما تزيد قيمته على مائه
الف دينار^(٢) .

.....

٢ - أبو شامة : الروضتين : ١ / ١٠٤ .

٣ - نفسه : ١ / ١٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ١١ / ٣٥٤ .

١ - المقرئزي : السلوك ١ / ١١٥ .

٢ - نفسه : ١ / ٧٨٥ .

٥ - مرآة الزمان : ٨ / ٣٠٨ .

دوّنت منذ العهدين الروماني والبيزنطي . فكانت هزة سنة ٣٦٩ م في آخر الدولة الرومانية الموحّدة . وهذه الهزة التي هدمت جزءاً من الهياكل الشامخة كانت قد سبقتها أعمال تخريب وتهشيم للاصنام على عهد الامبراطور قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٥ م) . ثم تعاقبت زلازل منجمة على السنين ٤٩٤م و ٥٠٢ و ٥٢٦ و ٥٥١ و ٥٥٥ م . وكان أشدها تخريباً ، الزلزال الذي ضرب الشاطيء اللبناني والسوري في ٢٠ أيار سنة ٥٢٦ م . ثم تلاه آخر في التاسع من آب ، فدمّر بيروت وأصاب بعلبك . وعزا بعض المؤرخين ما حل ببلبك الى صاعقة أحرقت سقفها المصنوع من خشب الارز ، المغلف بالرصا ص . وسقطت الابواب البرونزية ، والتمثيل البرونزية ، تلك الاصنام التي سحرت بجمالها سكان المدينة ، والوافدين من البعيد لتقديم الضحايا ، أتاها أمر الله فأنزل الصاعقة فأحرقت المعابد ولم تبق شيئاً حتى الحجارة استحالت كلساً^(١) .

أما الزلزال الذي ضرب البلاد سنة ٥٥٥م فهدم معظم مدن الساحل اللبناني ، وقوّض أجزاء مهمة من معابد بعلبك وجدرانها ونكس أعمدتها . وهذه الهزات وقعت بعد انتشار المسيحية ، لذلك لم يعمد الأباطرة الى ترميم الهياكل ، ولم تعاد الاعمدة التي سقطت الى أماكنها .

وتغيب أخبار الزلازل حقبة طويلة ، وتعود الى الظهور سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م وأيام نور الدين زنكي - حيث ضربت هذه المدن السورية وخرّبت أكثرها . وكانت أضرار بعلبك طفيفة اذا ما قيست بما لحق دمشق وحماه وحمص وحلب وشيزر ، حتى قال أحد الشعراء :

.....

Michael. the Syrian. Chronicle. P 245 ' .

وفي ربيع الأول سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٧م وقع المطر في قارا وحمص وبعلبك ، وفي بلاد حلب وإعزاز وحارم ، بخلاف المعهود ، وعقبه برد قدر النارج ، فيها مازنته ثلاث أواق دمشقية ، هلك بها من الناس والاغنام والدواب شيء كثير . وخربت عدة ضياع ، وتلف من التركمان وأهل الضياع خلق كثير . وعقب هذا المطر نزول سمك ما بين صغار وكبار بالحياة ، تناوله أهل الضياع واشتووه واكلوه ثم نزل ثلج عظيم طمّ القرى وسدّ الطرقات والأودية . وامتنع السفر حتى بعث النواب الرجال من البلاد والجبال مع الولاة (بالمساحي)^(١) وعملوا فيها حتى فتحت الطرقات^(٢) .

السييل الكبير :

يوم الثلاثاء في ٢٧ صفر سنة ٧١٧ هـ الموافق ١٠ أيار سنة ١٣١٧ م ، هطل مطر غزير على التلال الشرقية لبعلبك فانحدر سييل جارف على المدينة خلّف الدمار ، والموت ، ولفّ المدينة بثوب الحزن تمزقه صرخات الايتام والأرامل . وقد دوّنت هذه الحادثة بمحضر شرعي على يد بدر الدين بن معبد البعلبكي فصلّ أسباب الكارثة ، واحصى الخسائر البشرية والمادية من منازل ومساجد ومدارس ، وطواحين وحمامات ، وبساتين ، واجزاء السور العظيم والبيمارستان وشهد على المحضر الشيخ القطب موسى بن محمد اليونيني صاحب ذيل مرآة الزمان (٦٤٠ - ٧٢٦ هـ) (١٢٤٢ - ١٣٢٦م) . وابن شقيقه محي الدين عبد القادر بن

.....

٣ - المساحي : مفردھا (مسحاة) آلة تستعمل في سحي الطين وجرفه .

٤ - السلوك : ٢ / ١٦٠ - ١٦١ .

علي ابن محمد اليونيني المتوفي سنة ٧٤٧ هـ . وكتبه أبو بكر الخابوري^(١) . ولأهمية هذه الحادثة دَوَّنَهَا سبعة من المؤرخين القدماء .

وورد نص المحضر الشرعي كاملاً في تاريخ حمزة بن أحمد بن ساباط العالبي المتوفي سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م . قال « وفي هذه السنة - أي سنة ٧١٧ هـ - كان دخول السيل العظيم الى مدينة بعلبك لم يعهد مثله ، حتى ان السيل دخل الجامع ووجد الشيخ لي بن الحريري غريقاً به ومعه جماعة كثيرة ، ثم توجه من دمشق الأمير بدر الدين ابن معبد الى بعلبك لرؤية الحال وكشف الأمور . فرجع ومعه كتاب نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وما نرسل بالآيات الا تخويفاً ﴾^(٢) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^(٣) . فمن لمح هذه الواقعة العظيمة بعين الاعتبار وشاهدها بقلب الافتكار حمد الله تعالى كيف أَرَادَهُ بخيره . وجعل عبرة نفسه بغيره . « إنما امره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه يرجعون »^(٤) .

.....:.....

١ - هو القاضي شمس الدين احمد بن عياش الخابوري المتوفي في سنة ٧٢٣ هـ . (ابن كثير ١٤ / ١٠٧ ، الدرر الكامنة : ٣ / ٢٣٦ ، ابن شاکر الکتبی : فوات الوفیات : ١ / ١٤٩ .

٢ - سورة الاسراء : آية ٥٩ .

٣ - سورة آل عمران : آية : ١٣ .

٤ - سورة يس : الايتان ٨٢ و ٨٣ .

التي تليه^(١) . فانجزر بها حتى كاد يطلع روس العمد في تناهيه فأتلف ما فيها من المصاحف والربعات وكتب العلوم والاحاديث والنبويات ، وسرح فيها ، وخرَّب وغرَّق ما أزعج القلوب وأقلق ، وانفجر بالجدار الغربي من الجامع فهذَّمه ، وأخذ ما مرَّ عليه من البنيان وهذا شاهد بالعيان ، حتى بلغ خندق القلعة المنصورة ، فخرق من سور البلد الغربي الملاصق لها ما مقدار خمسة وعشرون ذراعاً وما قيل :

« يا أرض ابلعي ماء / ويا سماء اقلعي »^(٢) حتى صارت دور المساكن على الطرقات ، وأصحاب الأموال يستحقون الصدقات ، وتهدمت المساجد ، ثم تعطلت الصلوات .

ولقد جرى في هذا اليوم من العجايب ما لا يعد ، ومن الغرائب ما لا يحد ، حتى اخبر الثقات أنه نزل من السماء عامود عظيم من نار ، من أوایل السيل ورأى من الدخان ، وسمع من الصرخات في الأوان ما يضعف الحيل ويزيد الويل . ووجد في الأماكن المستغلة من الغرقى خلق كثير ، وتعطلت الطواحين والحمامات ، وتشعث المارستان ، وافضت المرضى فيه الى الممات . وما دفع الله كان أعظم واكبر ، وما بقي من العامر والاحياء فهو اكثر ، وحصلت الشهادة الموجبة للجنان للأموات ، والموعظة المودية الى رضا الرحمن للأحياء في جميع الجهات ويشهد بذلك خط الحاكم بأعاليه ، وشهادة من يضع شهادته فيه ، وخط الحاكم ثبت عندي مضمونه ، وعانيت بعض ذلك ، وكتبه أبو بكر الخابوري ، ومن

.....

١ - المدرسة الملاصقة للمسجد الكبير هي المدرسة النورية .

٢ - سورة هود : آية ٤٤ .

ولما كان بين الظهر والعصر ، والسابع والعشرون من صفر سنة سبعة عشرة وسبعماية ، أرسل الله سبحانه وتعالى سحابة عظيمة ذات رعد ، وبرق ، ومطر غزير ، وبرد . سالت منها الأودية شر في بعلبك المحروسة ، وحملت ما مرّت عليه من أشجار العنب وغيره . وانفردت على البلد فرقتين ، فرقة في الناحية الشرقية بقبلة ، سالت حتى انتهت الى النهر ، وبحرت بحرة عظيمة على السور حتى كادت تبلغ شرفاته ارتفاعاً ، وتزايدت عظماً وإفزاعاً ، فلطف الله تعالى وثبت السور ، ولم يحصل - بحمد الله تعالى - كثير أمر ولا فساد^(١) .

والفرقة الثانية ركبت البلد فيما بين باب دمشق وباب نحلة شرقي البلد بشمال وانزجرت هناك على السور نحو من ذلك المنوال ، فلما اجتمعت وثقلت خرقت من سور البلد ما مساحته في الطول أربعين ذراعاً مع أنه محكم البنيان ، شايد الأركان . وحصل مما يليه الصدع مع أن سمكه خمسة أذرع ، وأخذت برجاً على التمام والكمال وبعض بدنة عن اليمين ، وبعض بدنة على الشمال . وهذا البرج ذرعه من كل جانب خمسة عشر ذراعاً فحمله الماء وهو على حاله لم ينقض حتى مرّ على فسحة عظيمة نحو خمسمائة ذراع من الأرض . وأخذ السيل في البلد الى جهة الغرب جارياً ، فما مرّ على شيء في طريقه الا جعله خاوياً ، ولا شاخص البناء ولا غيره الا جعله للأرض مساوياً ، فخرّب المساكن وأذهب الأموال ، وغرق الرجال والحريم والاطفال ، وأثكل الامهات والآباء ، وأيم الأزواج ویتّم الابناء . ثم لم يزل حتى دخل الجامع الاعظم والمدرسة

.....

١ - ما زالت اثار هذا المجرى ظاهره الى اليوم بين مقابر سطحا والخوانم .

شهد به : الشيخ قطب الدين اليونيني وابن أخيه محيي الدين ، وشمس الدين^(١) ، ومحيي الدين بن الخطيب^(٢) من الأكابر ، وكتب أوراقه تشتمل على ما هدم السيل بمدينة بعلبك المحروسة بتاريخ نهار الثلاثاء سابع عشرين صفر سنة سبعة عشرة وسبع ومائة ، وسعته كما تذكره الجامع المشهور المعمور بذكر الله تعالى ، والمساجد المعمورة ، وما يذكر من السور من الجانبين ، والدور ، والخوانيت ، والحمامات ، والطواحين ، والاصطبلات ، وما عدم فيه من الرجال ، والنساء والاطفال ، والخيول والدواب ، وغير ذلك لمن لبث المال منه نصيب . وذلك ما أمكن ضبطه من المعروف خارجاً عن الغرباء الذين كانوا بالجامع والمساجد والطرق لم يعرفوا ذلك بمقتضى التذكرة الواردة على يد الجنب الكريم ، العالي المولوي الشيخ الامامي ، العالمي ، العلامي ، الكمالي ، وكيل بيت المال المعمور بالشام المحروس .

وجرى ذلك جميعه بمباشرة وكيل المال ببعلبك ، ومن ندب معه من العُدل الواضعين خطوطهم ، والمباشرين بالديوان المعمور ، بحضور الجنب الكريم العالي ، نايب السلطنة المعظمة ببعلبك المحروسة وأعمالها

.....

١ - هو قاضي القضاة ببعلبك وطرابلس (شمس الدين) محمد بن عيسى بن عبد اللطيف البعلبكي المعروف بابن المجد (٩٦٦ - ٧٣٠ هـ) الدرر الكامنة : ٤ / ٢٤٨ ، ابن الوردي ٢ / ٢٩٣ .

٢ - هو محمد بن عبد الرحيم السلمي ويكنى ابا المعالي ، ويعرف بالامام محيي الدين خطيب بعلبك كان مسندها وشيخ الكتابة بها . ولد سنة ٦٥٨ هـ وتوفي سنة (٧٤٣ هـ) .

(الدرر الكامنة : ٤ / ١٢٩ ، النجوم الزاهرة : ١٠ / ١٠٤)

الجناب العالي ، القضاء الكمالي ، وذلك خارج عن الكروم والبساتين
ظاهر المدينة ، بحكم أنه لم يقف عليها أحد ، ما عدته :

١ - رجال ونساء وأطفال خارجاً عن عدم في الجامع والطرق ولم
يعرفوا: ما به وسبعة وأربعين نفرأ .

٢ - بيوت ثمانماية وخمسة وتسعون : أربعماية وخمسين مشعثة
اربعمائة وأربعة عشر خراباً .

٣ - حوانيت : مائة وواحد وثلاثين . خراب منها اربعة وخمسين .
مشعثة سبعة وسبعين .

٤ - بساتين اربعة وأربعين .

٥ - الجامع المعمور .

٦ - المدارس والمساجد ثلاثة عشر .

٧ - أفرنه : سبع عشرة .

٨ - فني خراب للسبيل : اربعة :

٩ - طواحين : أحد عشر ، والذي عدم فيها من الأدميين سبعة
وأربعين»^(١) .

.....

١ - ابن سابط العاليهي : مخطوط : ١ / ١٢٧ . (الجامعة الاميركية : مصورة : رقم
(٩٦٥ - ٩) .

قال ابن الوردي في وصف هذا السيل شعراً:

سيل طغا في بعلبك وراعد ولهيب نار ثار للتعذيب
فلئن تركب ثم مازج سوره فلبعلبك المزج في التركيب^(١)

.....

١ - تنمة المختصر في اخبار البشر: ٢ / ٢٦٦ . « تركب : تجمع ، مازج : ضرب ،
واسم بعلبك مركب من بعل وبك) .

تابع

المكتبات	كتب الحديث	مكتبة شمس الدين	الكتب والمصاحف	كتب الحديث والمصاحف	المصاحف وكتب العلوم والحديث
المكتبات					
الطواحين				٨	١١
الافران					١٧
الاقنية					٤
البساتين					٤٤ بستان
والكروم					الكروم لا تخصي
					٤٠

خلاصة : بيان إحصائي للمخزب الذي حل بمدينة بعلبك من جراء
سبل سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧م مثلاً ورد في سبعة مصادر تاريخية قديمة .

ابن سباط ٩٢٦ / ١٥٢٠ تاريخ ابن سباط ١٢٧ / ١	المقريزي ٨٤٥ / ١٤٤١ السلوك ج ٢ ق ١ / ١٧١	ابن كثير ٧٧٤ / ١٣٧٢ البداية النهاية ٨١ / ١٤	ابن الوردي ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ تنمة المختصر ٣٧٩ / ٢	الذهبي ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ دول الإسلام ٢٢٣ / ٢	أبو الفداء ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ المختصر من أخبار البشر ٨١ - ٨٢	ابن أبيك ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م الدر الفاخر ٢٩٠ / ٩	شيخ المسجد الكبير علي بن الحريري	أكثر من ٥٠٠ دار	المسجد الكبير	المسجد الكبير	المساجد	المدارس
٤٧ + ١٤٧ في الطواحين والشيخ الحريري	١٥٠٠ نسمة سوى من مات تحت الردم	١٤٤ سوى الغرياء وضمهم الشيخ الحريري	الشيخ علي الحريري	١٤٠ نسمة	عدة كثيرة من الرجال والنساء والأطفال							
٨٩٥ داراً	٨٩٥ دارا	ثلث البلد ٢٠٠ دار وحانوت خراب	ثلث البلد									
١٣١	١٣١	٢٠٠ دار وحانوت										
١٣ مدرسة ومسجد مها التورية	١٣ مدرسة ومسجد	المسجد الكبير	المسجد الكبير	المسجد الكبير	المسجد الكبير							
١٣ مدرسة ومسجد	١٣ مدرسة ومسجد	الأمينية		الأمينية								

وذكر محمد بن محمد بن مصري بعض غرائب هذا السيل قال : ذكر لي بعض مشايخ بعلبك عن أبيه أنه قال له : جاء سيل الى بعلبك في سنين شيء وسبعماية . فأخذ سور المدينة وقلعه من أساسه ، ورماه قطعة واحدة . ودخل الماء الى المدينة أخرب منها شيئاً كثيراً ، ومات بها ناس كثير ليس لهم عدد . وأعجب ما جرى فيه أن ناس جالسين في بيتهم والماء جاءهم ، وكان له بنت طفلة في السرير ، فلما رأوا ذلك وثبوا هاربين خوفاً على أنفسهم ، وتركوا الطفلة في السرير في البيت ، فأخذهم الماء ولم ينج منهم أحد . وأما الصغيرة فان الماء حمل السرير وارتفع وكان في جانب البيت خازوق طويل فعلق السرير في الخازوق ثم هبط الماء . وأما الحارات التي في أعالي المدينة ، فإن الماء لم يصل إليها فجاء أقارب اصحاب البيوت التي غرقت يكشفون خبر أهلهم فدخلوا البيت الذي فيه السرير ، وجدوا الصغيرة في السرير معلقة تبكي ، فنزلوها وربوها وكبرت ، وأنجبت اولادا ، وهذا من أعجب ما يكون في الدنيا » . وذكر أيضاً أن جماعة كانوا جالسين في بيت وغندهم شيخ أعمى والماء دخل الى البيت ، فوثبوا حتى ينجوا بأنفسهم ، ولم يلتفتوا الى الشيخ ، فلما خرجوا من البيت أخذهم الماء . وأما الشيخ الأعمى ، فانه لما حسَّ بالماء قام يريد الهروب ، وكان في البيت دست كبير ، الذي يعمل فيه الدبس فوق في وسطه وهو لم ينظره ، وقوي الماء فساق الدست على وجه الماء فبقي كأنه في مركب حتى نقص الماء ، وقعد الدست على الارض والاعمى فيه سالم ، فلما جاؤا اليهم أهلهم يتفقدهم وجدوا الشيخ الاعمى في الدست جالساً والباقي ماتوا كلهم . وقد صدق الذي قال « الاجل حصين »^(١) .

.....

١ - ابن مصري : الدرة المضية في الدولة الظاهرية : ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، كالفورنيا ١٩٦٣ .

فساد العشير : ذكر المقرئ في حوادث سنة ٧٤٥ هـ قال « قدم الخبر بكثرة فساد العشير ببلاد الشام وقطعهم الطرقات ، لقلة حرمة الأمير « طقزدمر » نائب الشام ، فانقطعت طرق طرابلس وبعليك ونهبت بلادهما . وامتدت الفتنة بين العشير زيادة على شهر قتل فيها خلق كثير . ونحروا الأطفال على صدور أمهاتهم ، وأضرمو النار على موضع احترق فيه زيادة على عشرين امرأة » (١) .

الجراد سنة ٧٤٨ هـ ، انتشر الجراد من بعليك الى البلقاء ورعى الزرع فارتفعت الاسعار في بلاد الشام ، وبيعت الغرارة بمائتين وخمسين درهماً (٢) .

حمرة الشفق سنة ٧٧٢ هـ : في سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م رأى أهل الشام في السماء بعد الشفق حمرة عظيمة من جهة الشمال ، ثم اشتدت الحمرة حتى صارت كالنار الموقدة . وانتشرت في السماء حتى كاد يغطي ثلثها . وعم بلاد الشام حتى كان بدمشق وبعليك وحلب وقاقون والرملة والقدس وطرابلس ، حتى خاف جميع أهل هذه البلاد على أنفسهم الهلاك ، وضرعوا الى الله تعالى وابتهلوا اليه ، فكشف الله عنهم بعد نصف الليل (٣) .

وفي سنة ١٦٦٤ م . كانت زلزلة عظيمة قوّضت جانباً من قلعة بعليك (٤) .

١ - المقرئ : السلوك ، ج ٢ ق ٣ / ٦٦٩ .

٢ - المرجع نفسه : ج ٢ ق ٣ / ٧٢٨ .

٣ - القلقشندي : حج الاعشى : ١ / ٤٥٨ .

٤ - الوف : ٩٥ .

الثلج سنة ١٧٥٠ م سقط ثلج عظيم سد الطرقات واتصل الى ساحل بيروت حتى كان على المراكب ثلاثة أشبار ، وعقبه جوع وغلاء^(٥).

زلزال سنة ١٧٥٩ م . في ليلة الثلاثاء ٧ شعبان سنة ١١١٧ هـ الموافق ٣٠ تشرين الأول سنة ١٧٥٩ م ضرب بعلبك زلزال شديد استمر يعاود المدينة حتى ٢٦ تشرين الثاني ، وأشدّها ضرراً الهزة التي وقعت في نصف تشرين الثاني بعد غياب الشمس فأخربت بلاد بعلبك ونواحيها وجهات الشام وقتل نحو ثلاثماية نفس ، وكان نصيب بعلبك كبيراً فدمر الابنية وأسوار القلعة وأسقط اعمدة الهياكل ، فتداعت ثلاثة اعمدة من هيكل جوبتير كانت على مصاف الستة الباقية وسقط عامودان من الهيكل الصغير وتهدمت مئذنة الجامع الكبير ، وقتل من جراء الزلزال رجلان في بعلبك^(١).

وسنة ١٧٦١ م في ١٧ نيسان عادت الزلزلة في الساعة الثانية ليلاً فألحقت اضراراً طفيفة ببعلبك . لكن رأس بعلبك هدمت برمتها . وقتلت خلقاً كثيراً بانقراض المهذومات . وبينهم أربعون امرأة كن في محضن القز.

وفي سنة ١٧٧٩ م سقط ثلج عظيم بقي مدة طويلة متجمداً فتضايق الناس وفي الثامن من شهر أيار سقط بردٌ في شمال بعلبك حتى حمص حجمه يتراوح بين حجم الخوخة وبيضة الدجاج فسبب اضراراً كثيرة في المواشي والمزروعات :^(٢).

.....

٥ - المجلد : تاريخ زحلة : ٩١ .

١ - الوف : ٩٧ ، المجلد : تاريخ زحلة : ٩٣ . Dela Roque: 38

٢ - المجلد : ١٠٦ .

في ٣٠ أيلول سنة ١٩٠١ هطل مطر غزير فوق تلال بعلبك الشرقية فانحدر سيل عظيم ودخل طرقات المدينة وأسواقها فهدم عددا من المنازل وهلك فيه أربعة أشخاص وكثير من المواشي^(١).

ومما شهدناه عواصف سنة ١٩٨٣م السنة التي ولدت مع الثلج واستمر تساقطه متقطعا حتى آخر كانون الثاني ، وعم الفرح الناس لما حمله الثلج من مخزون مياه يغذي الينابيع . ثم تجدد سقوطه مساء الخميس ١٧ شباط . وفي اليوم التالي ضربت لبنان عاصفة ثلجية هوجاء ، حجزت السيارات على طريق (ظهر البيدر) ليلة (الجمعة - السبت) (١٨ - ١٩) حيث قضى أكثر من ستين شخصا صرداً (دنقاً) ، في السيارات المحتجزة ، بينهم عدد من منطقة بعلبك وبلغ ارتفاع الثلوج بين ثلاثة أمتار على التلال والطرقات ، وعشرة أمتار في الشعاب والوديان . وإن وجه الولاية سنة ٧١٧ هـ العمال مع (المساحي) لفتح الطرقات ، فقد شكلت السلطات ، فرق إنقاذ - مزوّد (بالجرافات) والمعدات الحديثة - تمكنت من مساعدة بعض الأشخاص المعزولين وسط الكثبان الثلجية ، يومي الاثنين والثلاثاء (٢١ و ٢٢) شباط ، وقد حصل فيهما انفراجات . ثم تجددت العاصفة ثانية الخميس ٢٤ شباط ، فازدادت الكوارث وارتفع عدد القتلى إلى مائة . - واستمر سقوط الثلج متقطعا الى يوم السبت الخامس من آذار . هذه (الكثافة البيضاء) ادت الى ارتفاع منسوب المياه في الانهار اللبنانية ، وحدثت فيضانات ، قوضت الجسور وقطعت الطرقات . ونتج عن العاصفة أن عزلت الحكومة محافظي البقاع وجبل لبنان لتقصيرهما في الواجب الانساني والوطني إذ لم يبادرا الى مساعدة المواطنين المحتجزين في سياراتهم على الطرقات الجبلية .

١ - الوف : ١١٢ .

هياكل بعلبك ، اسطورة شعبها وملحمته :

زعموا أنها معجزة من صنع الجن ، شاهدها مرده سليمان مهراً لمحظيته بلقيس . وقيل هي طفرة فنية هندستها كائنات وفدت من كواكب أخرى ، وبنت أنموذجاً من معابد السماء ، ثم غادرت تاركة « الرائعة الفنية » تشهد على عجز إنسان الأرض أمام سكان الكواكب السماوية . وطبعاً لا نوافق العالم الروسي (إجرست) على زعمه « ان الاحجار الموجودة في بعلبك هي بقايا مطارات لسفن ، أو للأطباق الطائرة من كواكب أخرى »^(١) لأن الذين تحدّثوا عن ألغاز الفضاء واكتشفوا مخلفات الغزاة في أماكن عدّة من القارات الخمس ، لم يجدوا أحجاراً ضخمة توازي أحجار بعلبك . وهذا يعني أن المركبات لا تحتاج الى مطارات صخرية مقطوعة . بيد أن قطع الاحجار في بعلبك ونقلها وبناءها ، أمور لا تفسر علمي لها حتى الآن ، وظلت لغزاً تقبل التأولات ، ولا تجد الحلّ العلمي الدامغ ، هذا الغموض وهبها القدسية وغدت في رأي كبار العلماء الاثريين ، أروع أثر خلفه القدماء على سطح الكرة الارضية . قال « دي لاروك » De Laroëue « تضم أجمل آثار معروفة في الشرق بلا استثناء ، ولا أستثني أهرام مصر »^(٢) . وقال المؤرخ اندريه جيجر A . Geiger « ليس للأكروبول في أثينا ، ولا للكوليزيوم في روما . وهما أعظم

.....

١ - منصور : أنيس : الذين هبطوا من السماء : ١٥٣ .

De la Roque: 39¹

وأبدع بناء على سطح الغبراء ، ما لبعلبك من جمال وروعة في عرف جميع الباحثين في العالم طراً» .

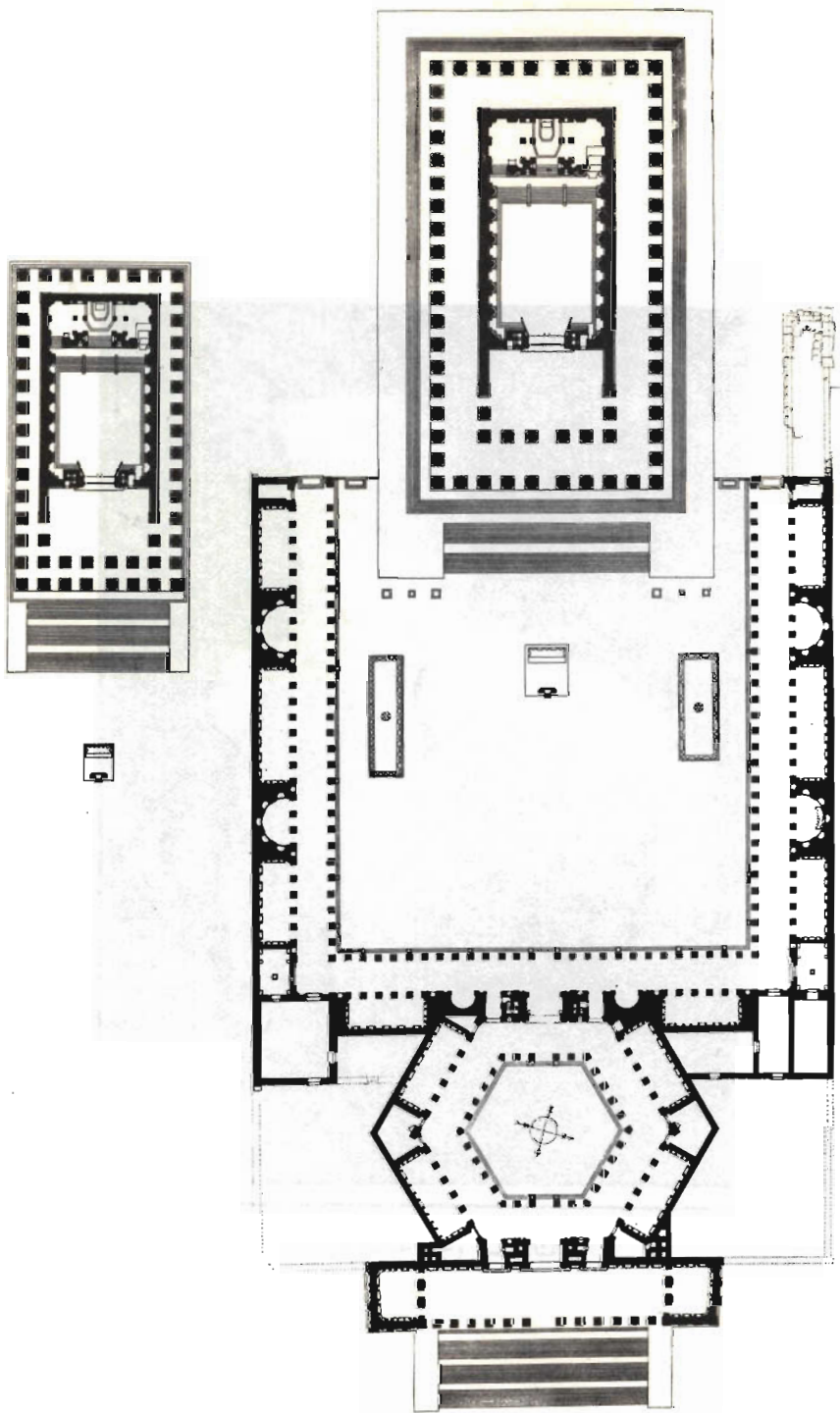
وأقول اذا كانت لكل شعب « رائعة خالدة » « un chef d'œuvre » فمعجزة شعبنا تجسدت في هياكل بعلبك . ان الياذة هوميروس الأثر الغني الخالد ، لم تكن من صنع شاعر واحد ، إنما هي نتاج شعب بكامله ، نهد له هوميروس وجمعه في ملحمة . وهياكل بعلبك أسطورة شعب لم يقتصر عملها على عبقرى واحد إنما أولدتها عباقرة المدينة ولبنان ، وسورية ، وروما . . .

واذا كانت الكلمة المرنة قد سلس قيادها للانسان فسخرها للتعبير عن أفكاره وخيالاته ، وتجسيم عناصر الصورة : اللون والشكل والحركة والصوت . . مما تعجز عن تأديتها معاً سائر الفنون الجميلة : الموسيقى والنحت والرسم . . فإن الذي يقف أمام هياكل بعلبك ، ويتأملها ملياً يعيش عناصر الصورة مجتمعة ، منفوحة بالروح ، وتكاد تحيا ، وهنا تعجز الكلمة ولأول مرة عن تأدية دورها التعبيري المتقن ، ولا شك في أن العمل الذي يؤد إيفاء الهياكل حقها من الوصف والتصوير لم يولد بعد ، وعندما يظهر سيكون حاملاً سيماء الملاحم الخالدات . إن عشرات الكتاب ولا أجافي الحقيقة اذا قلت نافوا عن المائة بين عرب وأجانب زاروا هياكل بعلبك . وذكروها . وإن أقللت فئة أطنبت أخرى . واتفق الجميع على صفتين : ضخامة البناء المذهل . ودقة النقش وروعته .

من الكتاب العرب القدامى : أبو محمد زكريا القزويني في « آثار البلاد^(١) وابن حوقل « المسالك والممالك »^(٢) ومحمد بن علي المعروف بابن شداد

١ - ١٠٤ .

٢ - ص : ١١٦ .



تصميم هيكل جوتير وهيكل باخوس



تمثال نسر وجد حديثاً في بعلبك

«الاعلاق الخطيرة»^(١)والمقدسي في «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»^(٢)وشمس الدين الدمشقي «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»^(٣)وياقوت الحموي «معجم البلدان» وخليل بن شاهين الظاهري «زبدة كشف الممالك» وابن بطوطة والقلقشندي ، وعبد الغني النابلسي . . .

ومن الاجانب : بنيامين الاسباني زار بعلبك سنة ١١٦٣ م
« Benjamin » وبير بيلون ، Pierre Belon سنة ١٥٤٧ ؛ وإيحين روجر
Eugèn Roger سنة ١٦٣٦ م ؛ ومونكونيز battra Zor Monconys سنة ١٦٤٧
م . وجان دي لاروك « J .DeLaroque » ١٦٨٩ ، وهنري ماندريل Henry
Mandrelle سنة ١٦٩٧ ، وروبرت وود وصديقه دوكنس Robert Wood
« and James kDokins » سنة ١٧٥١ م .

وصموئيل جوسيب « Samuel Jessup » ، في نهاية القرن الثامن عشر ،
وقسطنطين فولني : Constantin Vo ney سنة ١٧٨٥ م ، والفنانان ليون دي
لابورد « Lèon Deloborde » ودافيد روبير David Roberts ؛ وعميد كلية الطب
في ليون لويس لوريت Louis Loret ، والمستشرق الفرنسي : سالومان ريناك
Salomon Reinach . والبعثة الأثرية الالمانية . وقد ورد ذكر أعضائها أكثر من
مرة . .

وصف الهياكل : ان مدخل الهياكل الأساسي يقع في الجهة الشرقية ،
وتقسم هذه المعابد الى أروقة ، ودور ، ومعابد :
.....

٣ - ص : ١٧٠ .

٤ - ٣٤ و ١٦ و ١٧٩ .

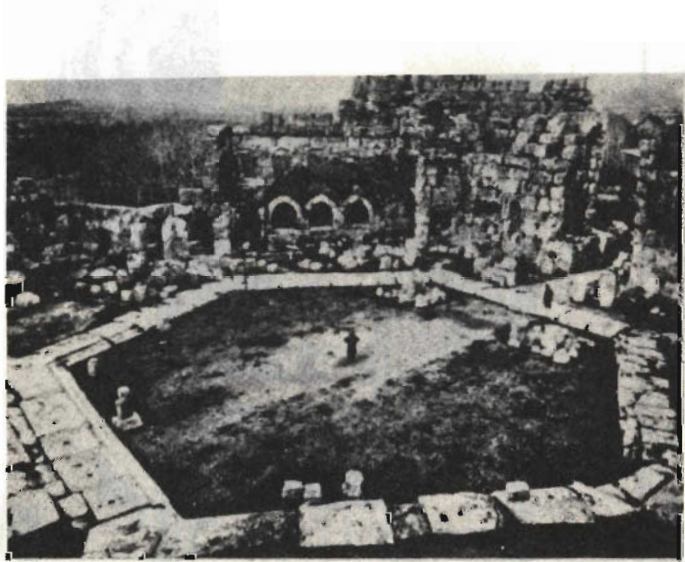
٥ - ٣٥ و ٣٧ .

الدرج الكبير : طوله خمسون متراً ، وبين درجاته ثلاث مصاطب ، ويرقى إلى ارتفاع ثمانية أمتار ، مفضياً إلى الرواق .

الرواق الكبير : مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب خمسون متراً وعرضه أحد عشر متراً . ينتهي كل طرف بغرفة مزخرفة بنقوش جميلة ومزودة بمواقف للأصنام . وقد بنى العرب فوق الغرفتين تحصينات ومرامي للسهام . وفي مقدم الرواق صف من اثني عشر عموداً من الحجر المحجب (الغرانيت) . وللرواق ثلاثة أبواب تفضي إلى بهو مسدس . وبين هذه الابواب أدراج لولبية يصعد منها إلى سقف الرواق .

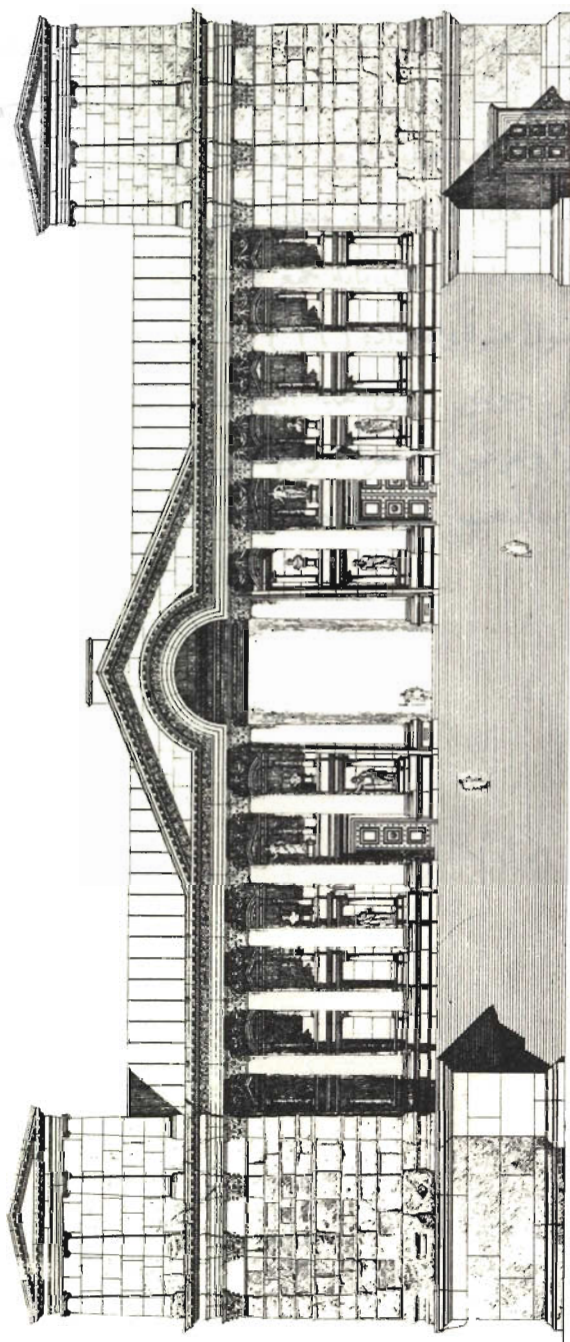
البهو المسدس : هو دار مسدسة الشكل قطرها نحو ٥٠ متراً ، أنصبت على زواياها غرف . وبين كل غرفة وجارتها معبداً مربع الشكل . كانت أمامه أربعة أعمدة من الغرانيت .

البهو الكبير : ويعرف بهيكل الآلهة . هو بناء مستطيل الشكل ، طوله من الشمال إلى الجنوب ١١٧ م وعرضه ١١٢ م . ولذلك نعت بأنه (مربع مستطيل) يحيط به اثنا عشر معبداً ، أربعة منها نصف دائرية ، والباقية مربعة ومستطيلة ، وأمامها أعمدة الغرانيت . وكل معبد نقش فيه صفان من مواقف الاصنام (Niches) الواحد فوق الآخر . وتعلو المواقف العليا واجهات مثلثة الشكل ومزخرفة . في وسط البهو مذبحان طول الواحد أحد عشر متراً ، وعرضه عشرة أمتار ، ومزودان بأدراج محفورة في الصخر . يصعد بواسطتها إلى سطح المذبح بما يقابل هيكل جوبتير ، لتقديم الضحايا . وعلى الأرجح درج اليمين للصعود ودرج اليسار للهبوط ، وإلى جانب المذبحين حوضان للماء طول الواحد منها ٢١ متراً وعرضه سبعة أمتار وارتفاعه ثمانون سنتيم .



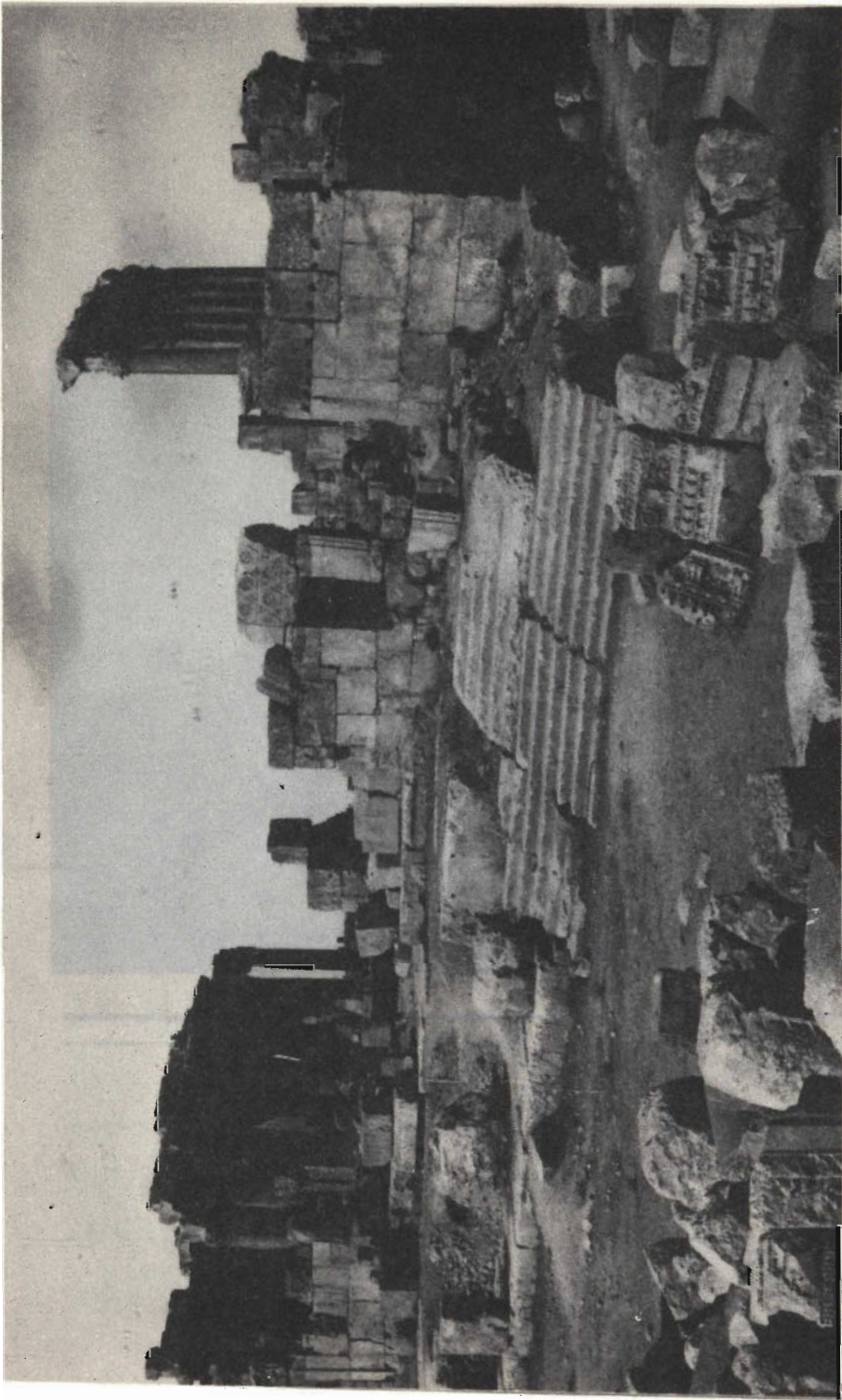
البحر المسدس



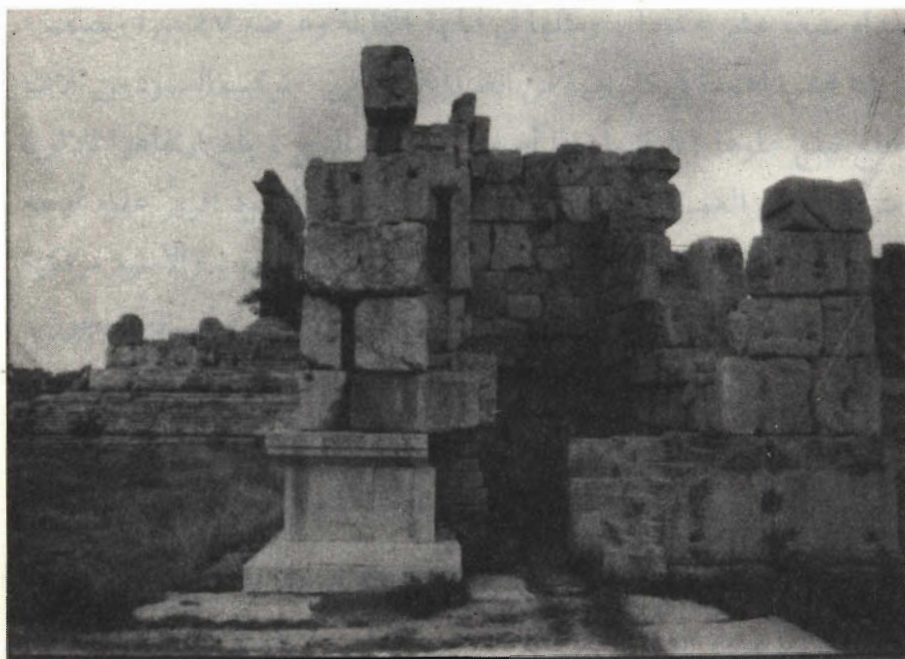


الرواق الكبير

وجدران الخوضين مزركشة برؤوس البقر وأكاليل الزهور ، وتظهر آلهة الحب حاملة الأكاليل راكبة على التنانين تصطاد الدلافين . ورسوم أخرى تمثل ميدوزا وشعرها مسترسل كالحيات . وعثر على رأس سبع فاغرفاه كانت المياه تتدفق منه الى الخوض . وأمامه عمودان من الغرانيت الرمادي ، ولم يعثر في الهياكل على غيرهما من هذا الصنف ، وهذا البهو يؤكد الصفة الشرقية للمعابد لأنه يتميز عن معابد الرومان بأنه جمع فنون الشرق والغرب . وهو ينتهي بدرج طوله خمسون متراً وامتداده (١٦) متراً يرقى ارتفاعاً الى ثمانية أمتار مفضياً الى هيكل جوبيتر . وفي هذا البهو بنى ثيودوسيوس كنيسته المشهورة بطول ٦٣ متراً وعرض ٣٧ متراً . ومنها نقل الوليد بن عبد الملك قبة من النحاس مغشاة بالذهب الى مسجد بيت المقدس .



مدرج الهيكل الكبير



المذبح

الهيكل الكبير أو هيكل جوبتير : هو الرائعة الفنيّة في بعلبك يرتفع ثمانية أمتار عن سائر الابنية التي تحف به ، وعشرين متراً عن مستوى الأرض الرابض فوقها . اتخذ شكل مستطيل ضلعه ٨٧ متراً ونصف ، انتصب على مداه سبعة عشر عموداً ، ومثلها في الجهة المقابلة وعرضه ٤٧ متراً ونصف ، زينته عشرة أعمدة في كل جهة من الطراز الكورنثي . تركيب العمود من ثلاث قطع يبلغ علوها ٦٢ قدماً وإذا أضفنا القاعدة والتاج ، بلغ ارتفاعها ثلاثون متراً ، وقطر العمود متران و٢٣ سنتمراً ، وفوق العمود افريزٌ علوه أربعة أمتار وهو لطيف النقش ، زينته سلسلة من تماثيل الثيران ، والأسود مرتكزة على قاعدة من ورق الخرشوف . وفي طنفه الأعلى خط من أسنان العجوز ، والبيض والنبال ، وحب اللؤلؤ ، وفوقها نقش المفتاح اليوناني ، وفوق ذلك كله أوراق مختلفة مجسّمة ، يتخللها على خط مستقيم ، فوق كل عمود ، رؤوس سباع فاغرة أشداقها لتصرف ماء المطر من سقف الهيكل .

كان عدد الأعمدة المحيطة بهذا الهيكل ٥٤ عموداً نكّستها عوامل الدهر لتزيل عنها سمة القدسيّة ، المزيّقة ، ويفهم من كتابات (بيير بيلون) P. Belon أن الأعمدة المنتصبة من هذا الهيكل كانت عشرين سنة ١٥٤٧ م . لكن الاتراك نقلوا بعضها إلى الاستانة لبناء جامع سليمان القانوني . ولما زار بعلبك دي لاروك سنة ١٦٨٩ شاهد تسعة أعمدة شامخة واستمرت منتصبة حتى زيارة (وود) سنة ١٧٥١ م . لكن زلزال سنة ١٧٥٩ م . نكّس ثلاثة أعمدة وبقيت ستة شامخة^(١) قال عنها كاتب فرنسي « اذا تداعت هذه الأعمدة وسقطت يوماً ما ، فإن العالم يشعر بأن شيئاً من الجمال قد فارقه ، ويشعر

.....

Wood. R. the Ruins of Baalbec P 12, Volmy: II, P 218 ٢

لبنان أنه لم يعد هنالك شعر تحت سمائه»^(١).

ويحيط بالهيكل الكبير من الغرب والشمال سور ضخّم ، بني السور الشمالي من تسعة أحجار فقط طول الحجر منها تسعة أمتار ونصف ، وارتفاعه أربعة أمتار وعرضه ٣ أمتار و٦٥ سنتم . أما الجدار الغربي (الدكة الكبيرة) فتضم مدماكين الأول مركب من ستة أحجار يبلغ طول الواحد منها عشرة أمتار وعلوه أربعة أمتار . ويعلوها المدماك الثاني معجزة الهياكل وأسطورتها وقد تألف من ثلاثة أحجار طول كل منها ١٩ متراً ونصف وارتفاعها ٤ أمتار و١٠ سنتم وعرضه ٣ م و٦٥ سنتم أي ٢٩٢ متراً مكعباً بزنة (٧٢٠) طناً^(٢) وهذه الضخامة أذهلت زوار القلعة وأثارت الشكوك في نفوسهم ، اذ كيف استطاع الانسان ان يرفعها الى مكانها ، وعرفت هذه الجلاميد في كتب الكلاسيكيين (بالحجارة الثلاثة) (تريلايتن) « Trilithon » وهناك شبهها ما زال في مقلعه ويعرف (بحجر الحبل) .

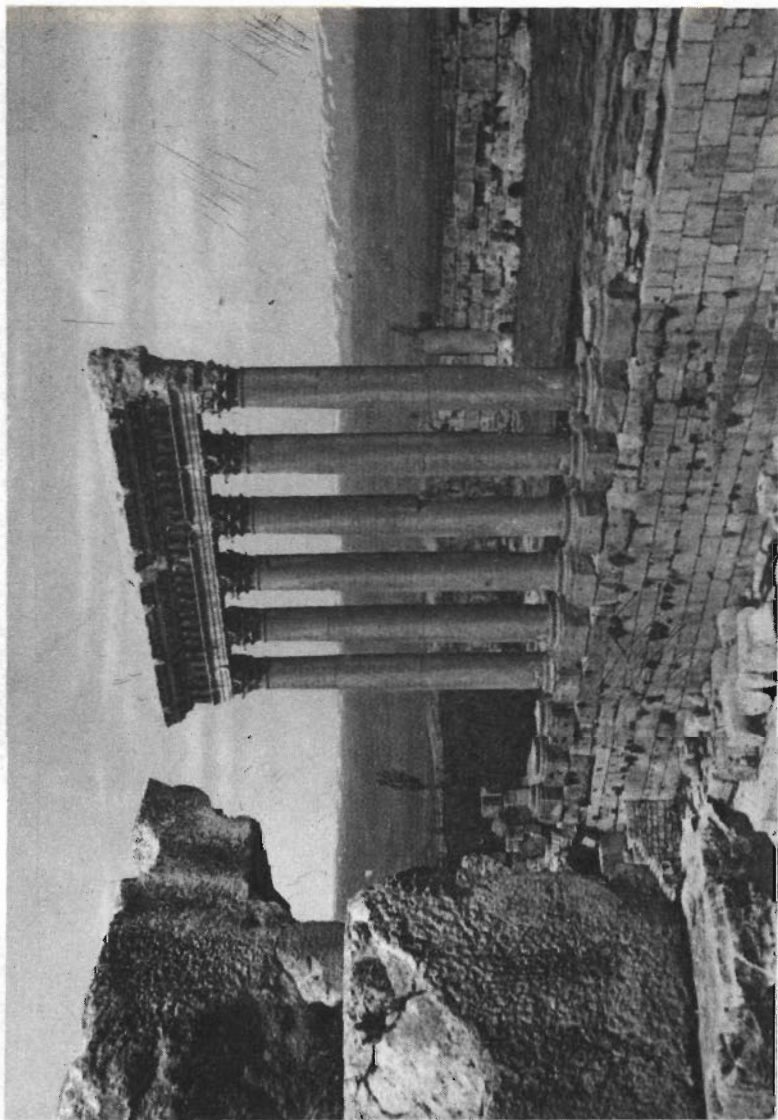
وهذه الاحجار مرتفعة عن مستوى الارض ب ٢٣ قدماً ، ورفعتها ما زال سراً من أسرار بعلبك وهي مبنية بمنتهى الدقة متقاربة الالتصاق بحيث يصعب غرز شفرة سكين رقيقة في الحل بين الحجرين .

برج الأجد : في الزاوية الشمالية الغربية من الهيكل الكبير برج بناء الأجد بهرام شاه ملك بعلبك سنة ٦٢٢ هـ لتقوية تحصينات القلعة . ويعرف الآن لدى العامة بـ (باب الهوا) . وعليه كتابة عربية مرّت في الحديث عن أعمال الأجد العمرانية .

.....

١ - لبنان في التاريخ : ٢٦٨ .

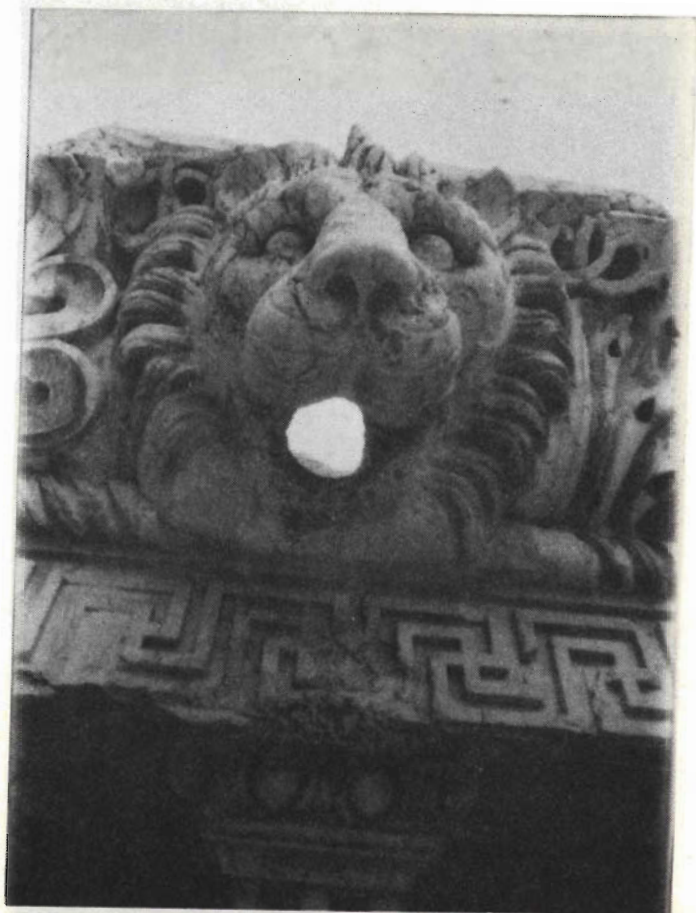
٢ - أعطيت قياساتها بالقدم « طول الحجر ٦٢ قدماً وعرضه ١٤ قدماً ، وارتفاعه ١١ قدماً وزنته ٧٥٠ طناً » .



بقايا هيكل جوبيتر.



الاعملة التسعة سنة ١٧٥١ (وود)



اسد قاغر فاه هوی عن اعمدة جوبتیر

النسب ربح جوفته الشامي





40 Baalbeck - Les assises du Temple de Jupiter

الاحجار الثلاثة

الهيكل الصغير أو (هيكل باخوس) . ويعرف (بدار السعادة) .
ربض جنوبي الهيكل الكبير تفصله عنه مسافة خمسين متراً تقريباً . وآثاره
تحدت عاديّات الزمن فظلت بادية حتى قيل « إنه أحسن هيكل قديم بقي
سليماً بشكله ، وزخرفته ، وروعته ، في هذه المنطقة من الدنيا » .

شيد على دكة مستطيلة ، طولها ٦٨ متراً وعرضها ٣٤ متراً وارتفاعها
قاربة خمسة أمتار . يبدو بديعاً بارتفاعه ثلاثين درجة مع مصطبتين عرض
الدرجة (٣٧ ستم) وعرض المصطبة متران ويرافقه من كل جانب جدار
منحوت ينتهي بقاعدة كانت مقراً لتمثال . وأمام باب الهيكل رواق يمتد
ثلاثين قدماً ، يزينه صفان من الأعمدة : الداخلي منها يتألف من أربعة
أعمدة كورنثية ومضلّعة . ويؤلفون أمام الهيكل باحة جميلة . وكان يحيط
باليكل ٤٤ عموداً من النوع الكورنثي ومعظمها من خمسة قطع مع التاج
والقاعدة . بلغ ارتفاع اجزائه الخمسة ١٨ م و ٢٠ س وقطر العمود من
الاسفل ١٨٠ ستم ومن الاعلى (١٤٠) ستم . وتوزعت ١٢ عموداً من
كل جهة لطوله ، ٨ أعمدة من الخلف ومثلها أمام الباب وتؤلف باحة
المدخل .

والرواق الأمامي نفسه يلتف حول الهيكل ويكون رواق الأعمدة .
بعرض ثلاثة أمتار مسقوفة بصخور حجرية كبيرة متقنة النقش وغنيته وهي
مقسمة بمسدسات في الوسط حولها مثلثات ومعينات وفي وسط كل مسدس
صورة مجسّمة لاله من الآلهة اليونانية والرومانية وفي المعينات صورة صغيرة
لأنصاف الآلهة ، فهذا رسم مارس اله الحرب لابساً الدرع ، وتلك صورة
ديمتر أم الأرض ، وديانا إلهة الصيد ، وفولكان إله الحديد مع مطرقة على
كتفه ، وباخوس اله الخمر ، يلف رأسه العنب ، وسيرس آلهة الزرع ،

وبجانبتها سنابل القمح وأجراس الخشخاش ، وسيرابيس ، وايريبي الهة السلام ترضع بلوتس اله الغنى ، وميفرفا الآثينية بخوذتها ، وإيليوبولس ممثلاً مدينة بعلبك كامرأة يحفها ملاكان يحملان وشاحاً فوق رأسها ، وميدوزا والافاعي مسترسلة من شعرها . وحسنا العاصي اورنتس محمولة على جناحي ملاك . ومما أثار دهش العلماء تلك الدقة في النقش ، فالعمال لم يتساهلوا إطلاقاً في تمة نقوش هذا الرواق الشاهق الارتفاع . والانسان يحاول عبثاً البحث عن تقصير في كل هذا البناء ، فلا يعثر إلا على اتقان وعظمة وروعة لامتناهية أما باب الهيكل الرخامي فجماع فن المعابد ، تمثلت فيه الدقة ، ولطافة البناء ، وغزارة الشخصيات ، أي فن الحفر الجميل الذي جسّم التماثيل والنباتات فعلوه ١٣ متراً وعرضه ستة أمتار ونصف وجانباه أحجار مغطاة بنقوش مختلفة بعرض متر وربع فأولها نقش « مثني » ثم صف من أوراق النباتات ، ثم حب اللؤلؤ ثم البيض والنبال ثم ساقية عرشت عليها شجرتا كرمة ، وبينها تماثيل الفون من آلهة البداوة والكوبيدون ابن الآلهة (فينوس) والجواري تحمل عناقيد العنب ، ثم سلسلة محبوكة تليها ساقية تمثل نقشاً بديعاً مزينة بسنابل القمح والخنشار ، وشقائق النعمان رمز الموت والحياة ، ويعجب المرء من نقوش الساكف المؤلف من ثلاثة أحجار هي استمرار للنقش على جانبيه . ثم إفريز عليه رسوم في غاية الدقة يتخللها غصن من الأوراق المعرّشة ، بينها صور سباع وطيور ، وفوق ذلك كله طنف عليه رسوم أسنان العجوز ، والبيض والنبال وأنواع الورود ، والمفتاح اليوناني ، على جانبي العتبة زفر بارز تحت الطنف كحرف S يعد بنقوشه من أدق والطف الزخارف ، وأما وجه الساكف مما يلي الأرض فقد نقش في وسطه نسر الشمس باسط جناحيه ، حامل في برائه كادوسة عطارد « un caducée »



معبد باخوس



نقوش باب هيكل باخوس ونقوشها السنابل والحشخاش...



صورة هيكل باخوس البوابه - ومقاعد الأصنام في الداخل

(de Mercure) وهي قضيب ذو جناحين تلتف حوله حيتان . وهو رمز التجارة . وقيل رمز إله الطب (الكلابيوس) . وعلى جانبي النسر ملاكان يحملان غصنين مثقلين بالورق والثمر ويمسكان بالثانية طرف وشاح يغطيها بشكل نصفين ، ويمنحهما وضعية الطيران . « ويمكن القول بجرأة أنها أفضل القطع الباقية من هذا النوع »^(١) . إن حجر الوسط من هذا الساكف انهار في زلزال سنة ١٧٥٩ م وظلّ معلقاً بين زميليه . وقد رمم حالياً وعاد إلى مكانه . بيد أن نقوش الحجر الثالث من جهة اليسار قد اندثرت تماماً في يومنا هذا . إن أسفل الجدران التي تسور الرواق مزينة بنقش تأتيء متصل كافريز ، ويمثل أسرار الديانة الوثنية وذبائحها ، ويبدو فيه بوضوح اختلاط الانسان والحيوان .

الهيكل الداخلي : طوله ٣٥ متراً وعرضه عشرون متراً ونصف ، وقسم الى قسمين الأول يشغل الثلثين . وهو لوقوف الشعب (الصحن) ، والجزء الداخلي صدر المعبد (الخورس) فهو مقدّس ، يرتفع أربعة أمتار عن سائر بناء الهيكل .

يرتكز الصحن على صفين من العمدة المضلّعة الكورنثية عددها ٦ في كل جهة ويبلغ قطرها من ٣ الى ٤ أقدام وارتفاعها مع القاعدة والتاج ٣٦ قدماً .

وليست الجدران بلا زينة بل تحتوي على (كوى) كبيرة وصغيرة منقوشة وفيها مقاعد للتماثيل والأصنام ، وجمل بنسق آخر من الأعمدة

.....

J' de La Roque: P. 44 '

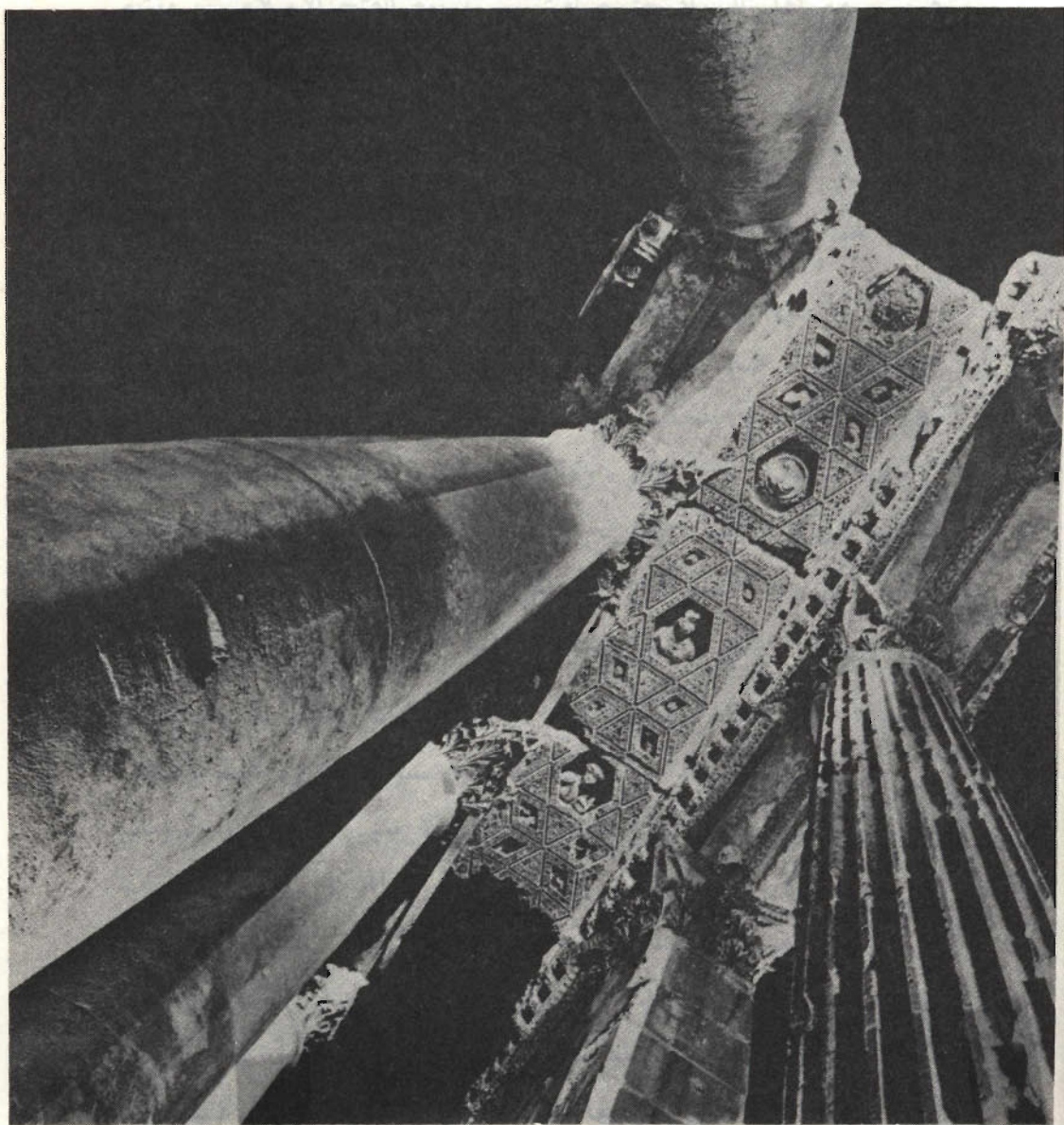
De La Roque: P. 45 '

المنتصبة بين (الكوى) ويدخل ثلثها تقريباً في صلب الجدران . هذه الأعمدة نصف أسطوانية ، ومتتابة بموازية أعمدة الصحن .

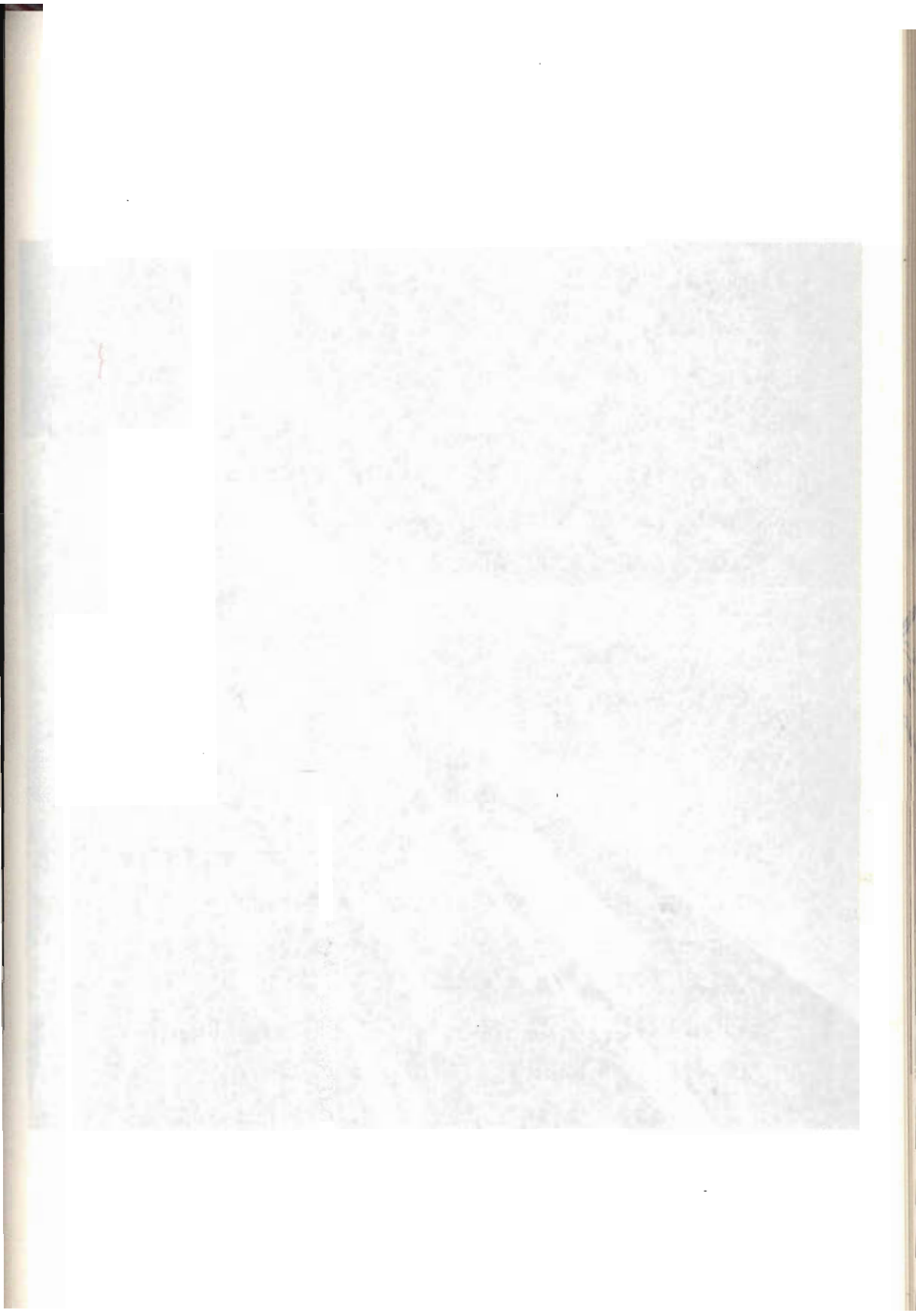
صدر المعبد (الخورس) يرقى اليه بثلاث عشرة درجة من الرخام ، وهو تنمة لنقش الصحن ، فيه أربعة أعمدة منفردة تدعم القبة ، وجدرانها مزخرفة بصفين من الكوى ، المنحوتة والمجلمة باعتناء كامل ، بيد أن أعمدته وضعت على قواعد بسيطة ونلاحظ بين الزخرفة المترفة غصناً مثقلاً بالثمار والورود والعصافير ، وإلى جانبه صور الراقصات الباخوسات ، وتمثال نبتون Neptune وآلهة البحر . ومقعد الصنم المعبود يحتل صدر الجدار ويقال أن هذا الهيكل كان مسقوفاً بخشب الارز والواح الرصاص والزجاج .

الأقبية : بني الهيكل الكبير على أقبية . منها اثنان متوازيان يصل بينهما ثالث ، القبو الجنوبي طوله ١٢٠ متراً وعرضه خمسة أمتار وربع ، ارتفاعه ستة أمتار . وعلى بعد ٢٠ متراً من مدخله قبو عرضي طوله ٩٣ متراً يؤدي الى القبو الشمالي الموازي ، وفي سقوفها المعقودة باتقان بعض التماثيل والنقوش . هذه الاقبية استخدمها العرب لضبط المؤن والنساء والأطفال أيام الحروب .

قلعة العرب : بعد الفتح الاسلامي أفاد العرب من هذا البناء الهائل واستخدموه قلعة حربية . فأحاطوها بالأسوار الشاهقة وزودوها بمرامي للسهم . وشادوا على جوانبها الابراج والثكنات ، وزادوا على علو الهياكل علواً ، وأحاطوها من الخارج بالخنادق ، وبنوا داخلها المسجد (مقام ابراهيم) والمنازل ، والحمامات والأفران وطاحونة ..



صورة نقوش رواق هيكل باخوس



والهياكل بدأت تأخذ أهمية حربية قبل الاسلام ، اذ تحصّن فيها هربيس مع أهل السواد حتى ضاقت بهم ، يوم الفتح الاسلامي ، وتشير الأخبار الى أن معاوية وعبد الملك بن مروان قد سجنا رهائهما من الروم في قلعة بعلبك . واشتهر أمرها مع البوريين والزنكيين . ولاقت اهتماماً خاصاً من الامجد بهرام شاه الايوي الذي بنى البرج الجنوبي الغربي سنة ٦١١ هـ / ١٢١٣ م .

تم بنى برج (باب الهواء) سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٤ م . وفي عهد المماليك شاد السلطان قلاوون (٦٨١ - ٦٨٩ هـ) (١٢٨٢ - ١٢٩٠ م) البرج المحصن في الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة ، ووصفها ميخائيل الوف قال « وكان باب القلعة العربي في الزاوية القبلية الغربية ووراؤه أقبية وتعاريج تؤدي الى باب ثان ثم ثالث لتزيد العقبات في وجه العدو قبل ان يظفر بالقلعة وبعد الباب الثالث ممشى معقود وراء الهيكل الصغير يتصل بأبنية السكن في البهو الكبير . .

وراء الجامع للغرب ايضاً برج ذو ثلاثة طوابق ومرام للسهم يتصل من جهة بباب القلعة ، ومن الجهة الأخرى بسورها الذي يحيط بالهياكل كلها على اربع جهاتها ، والقسم الاكبر منها مبني فوق البناء الروماني القديم ومنتها ببرج كبير مبني على طرف درج الهيكل . . وللبرج باب من الطراز العربي المقرنص وراءه باب صغير للطابق الأول بينهما فراغ يتصل بالطابق الثالث وقد كان لحماية الأبواب برمي الحجارة والزفت الغالي كلما تقدم العدو لتحطيمها ، ويهبط الى الطابق الأول بدرج ينتهي امام فسحة بنيت على جوانبها غرف وبينها قناطر ، وفيها كلها مرام للنبال . . .

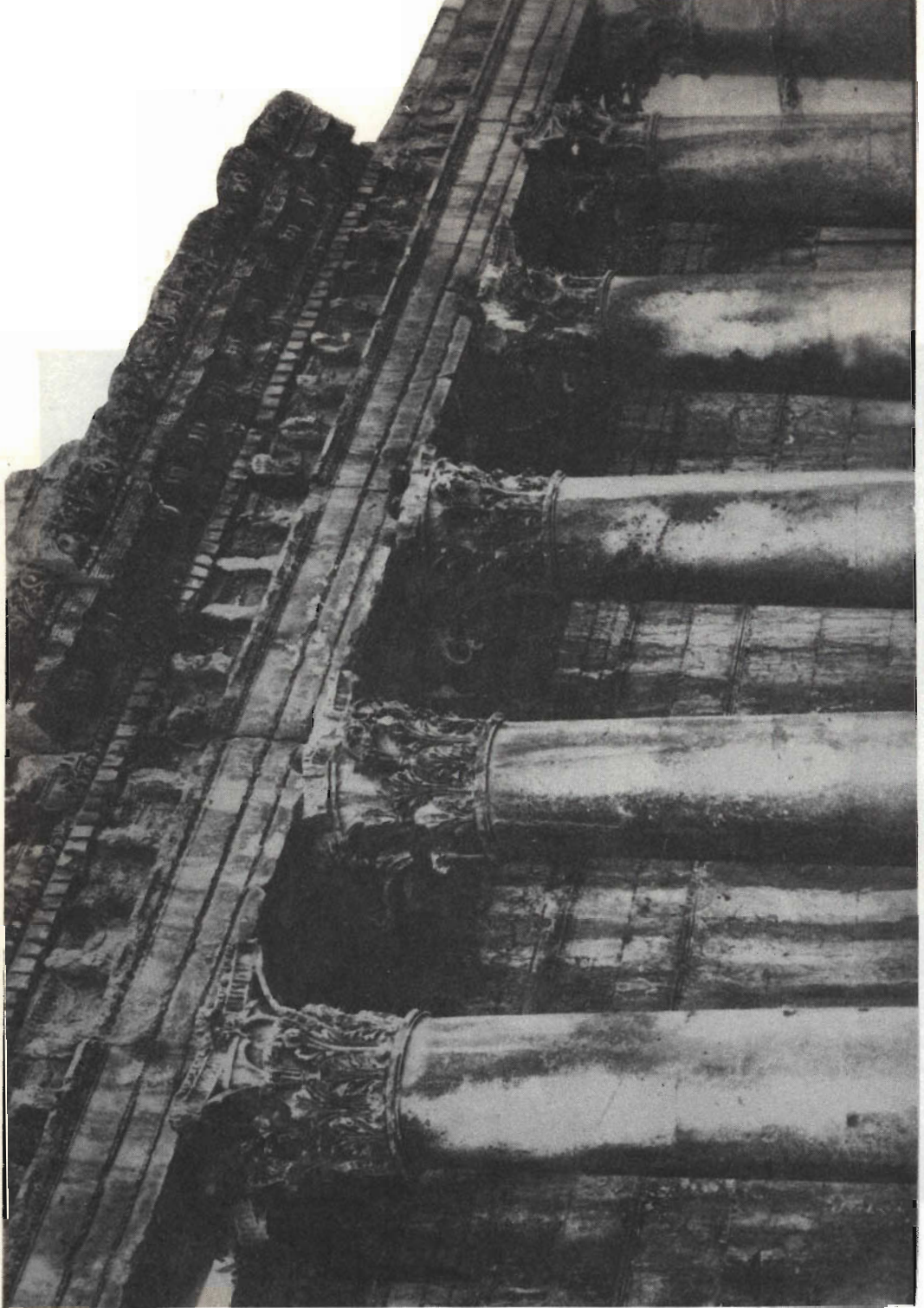
واحتفر العرب آباراً في داخل القلعة ليأمنوا مضرّة انقطاع الماء ، من ذلك بئر في البهو المسدّس وأخرى بقرب حوض الماء الايمن في البهو الكبير . وأهمها البئر التي احتفروها بين جدار القبو القبلي ودكة الهيكل الصغير مما يلي الدرج . ويبلغ عمقها نحو ال ٤٥ متراً ولعلها بئر الرحمة التي ذكرها ابن شدّاد والدمشقي . . «^(١)» .

هيكل فينوس (Venus) (الزهرة) يبعد عن زميله مقدار ٣٠٠ ياردة (١٥٠ متراً تقريباً) ، وهو مستدير ، ولكن على كثير من جمال الصنع شيد على دكة طولها ٢٣ متراً وعرضها نحو ١٦ متراً ، وارتفاعها قرابة أربعة أمتار ، واتخذ شكل المحارة المقلوبة ، ويتألف من ثمانية أنصاف دوائر ، لها ثمانية أقواس تدعمها ثمانية أعمدة كورنثية ، تحيط بالهيكل من الخارج . وطول العمود ثمانية أمتار ، ومحيطه ثلاثة أمتار . وهو من قطعة واحدة . وله تاج كورنثي ، وقاعدة نصف دائرية . وقد تجلّى فيه الفن الروماني حتى أن بلثازار مونكونيس « B . Monconys » شبهه بهيكل « جانيس » Janus في روما ، وقد حوّل في العصور الوسطى الى كنيسة مسيحية كرست للقديسة بربارة مما حفظه من الخراب .

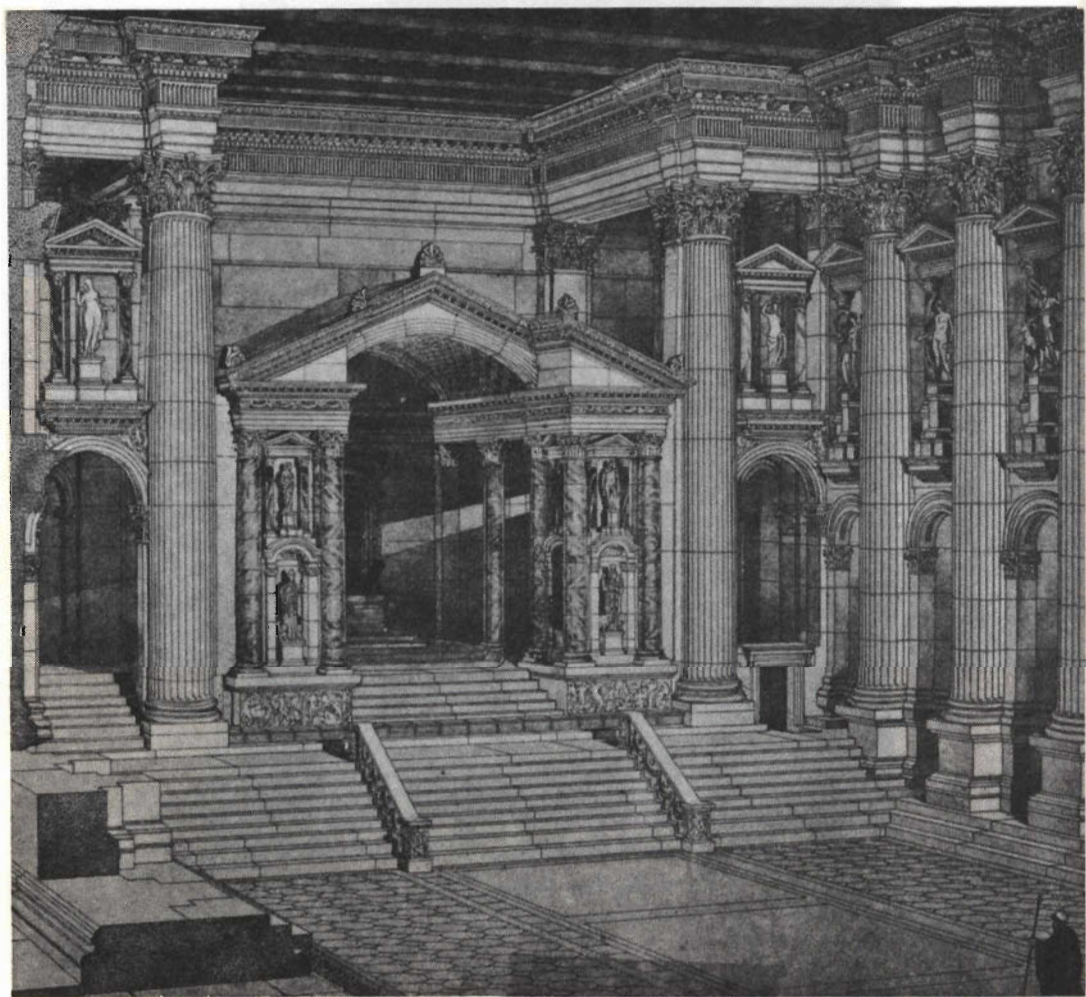
حجر الحبلى : يربض كقطعة من جبل في المقالع جنوبي بعلبك ، وهو اكبر حجر منحوت في العالم طوله ٧١ قدماً (٢١ متراً) ، وعرضه ١٤ قدماً (٥ متراً) وارتفاعه ١٣ قدماً (٣٠ و ٤ م) ويكون حجمه ٤٥١ متراً مكعباً وزنته أكثر من ٤٠٠٠ قنطاراً أي الف طن . وقدّر

.....

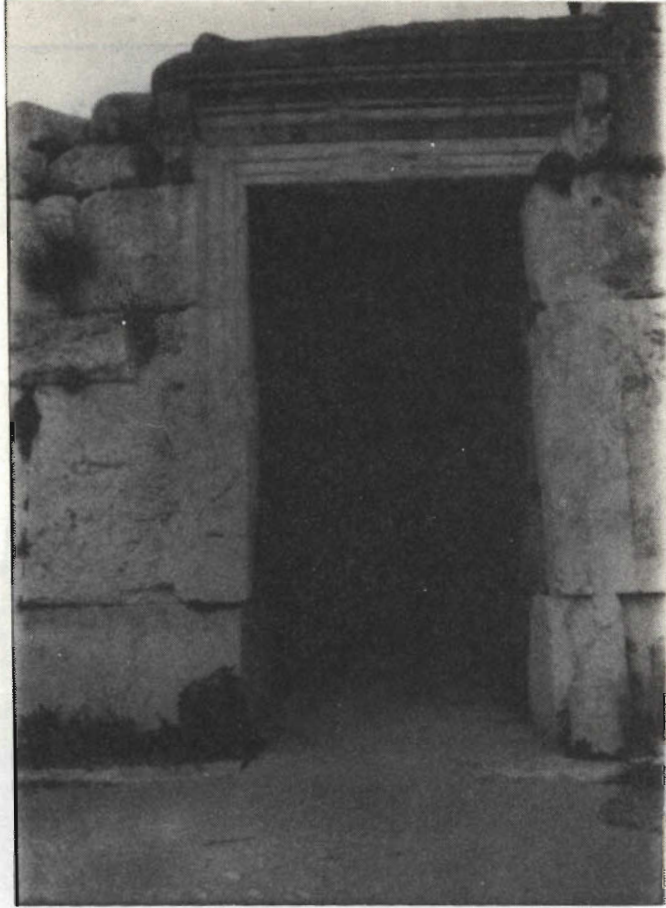
١ - الوف تاريخ بعلبك : ١٤٤ و ١٤٥ .



معبد باخوس الافاريز الخارجية.



داخل هيكل باخوس (المكان المقدس) (دانيال كرنكر) (٥٠)



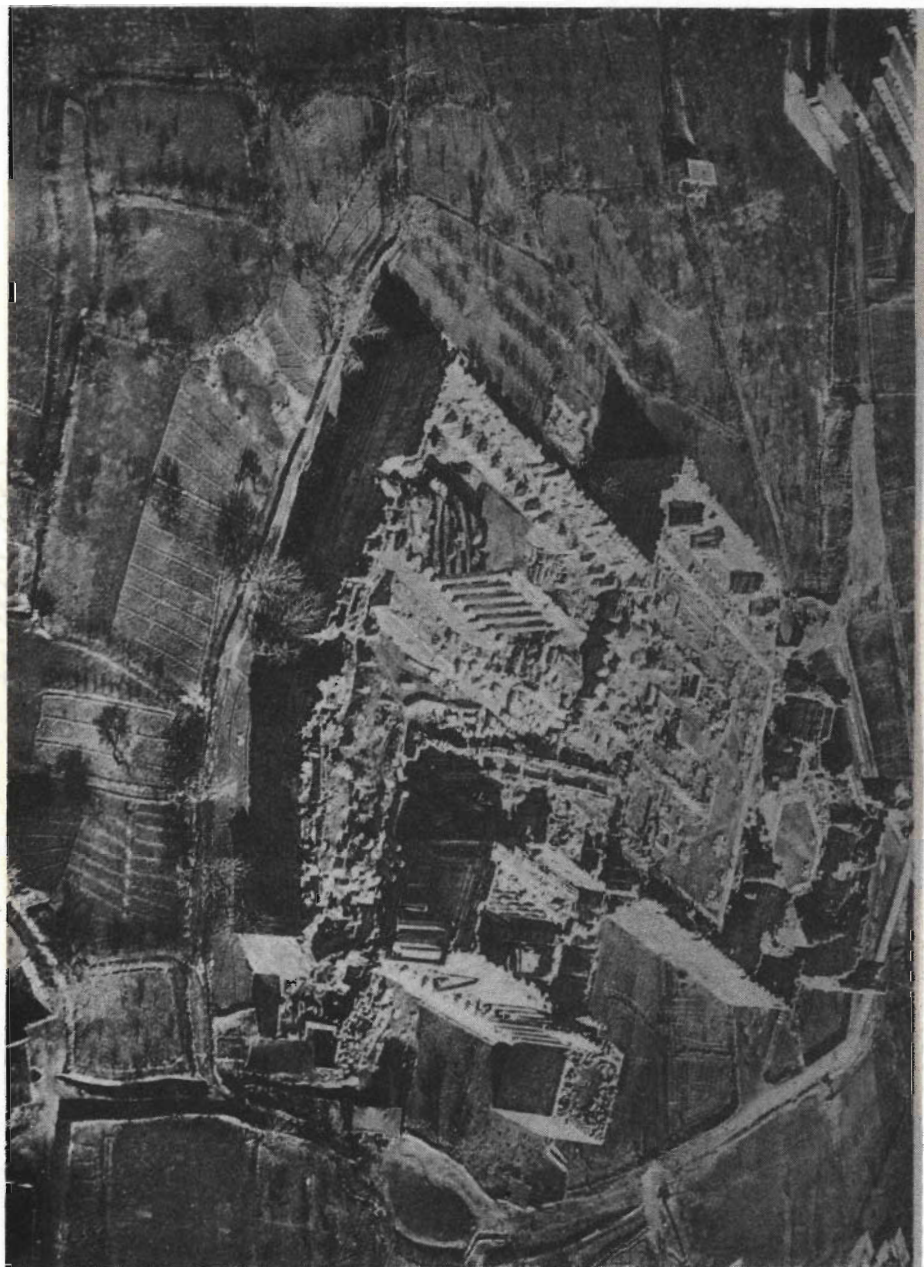
باب القبر الرئيسي



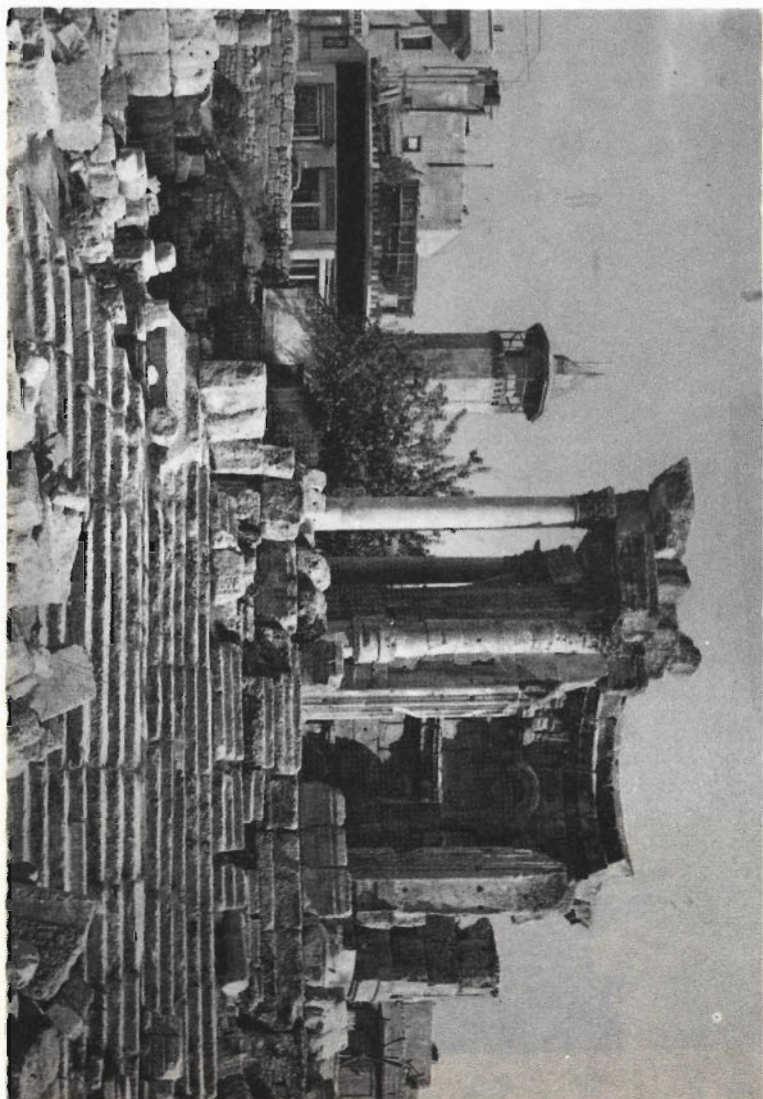
قلعة العرب الباب المقرنص



مسجد ابراهيم والتحصينات العربية

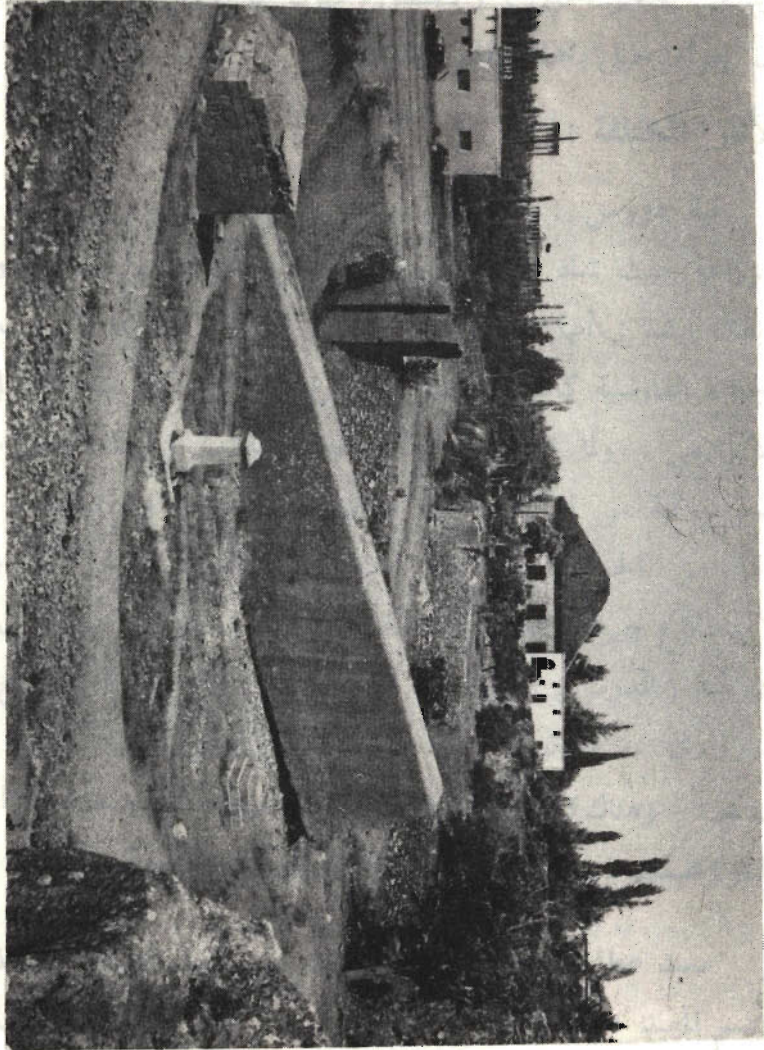


الهيكل وقد حوّلها العرب إلى قلعة حربية



هیکل فینوس (البریارة)

حصن الجبل



المهندس دي سوسي أن تحريك هذا الحجر يقتضي ٤٠ ألف رجل ،
ويسمى بحجر الحبل ، والأسطورة تقول ان العاقر اذ لامسته تحبل ، أو
أن امرأة حبل حملته فلم تسقط .

الآثار المختلفة :

قبة دورس : قيل انها مشتقة من (ذو) و (إيريس) أي إله
الزراعة حيث شاد القدماء له معبداً مشرفاً على سهول بعلبك وبساتينها
ويقال أيضاً : أنها نسبت إلى داريوس الفارسي ، ومما لا ريب فيه أن
الجالية الفارسية كانت تؤلف نسبة مرتفعة من سكان بعلبك قبل الفتح
الاسلامي . ولما تقوّضت أركان المعبد القديم وهوت أعمدته ، شاد
العرب قبة من ثمانية أعمدة غرانيئية بلا قواعد ولا تيجان ، تمسكها
دكة من الحجارة المتوسطة الحجم . واتخذوها مرقباً أو ؛ ربيثة)
لاستطلاع جيوش الغزاة المتقدمة نحو بعلبك ، وهناك رواية رابعة تقول
إن قبة (الدُرس) بنيت سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م فوق ضريح الحسن
الزرزاري ، وبجوارها بئر عميقة تدعى (بئر القبة) ردمها السكان
مؤخراً . وهناك كتابة على افريز العمد نصها « أمر بعمارة هذا الموضع
المبارك عيسى بن حسن . . . في سنة أحد وأربعين وستماية .

معبد عطارد : (Mercure) : شيد على رابية الشيخ عبد-الله ونقش
رسم المعبد على قطعة نقود رومانية ، وهو معبد على تلة مرتفعة يتقدمه
درج طويل وكشف التنقيب الذي تم سنة ١٩٣٨ على بقايا الدرج
يصعد على منعطف شير ، وقد عثر أخيراً على حجر هناك نقش عليه
إسم عطارد .

السوق الرومانية (Agora) ، اكتشفت آثارها في بستان الخان ، وهي سوق محاطة بصفين من الأعمدة كانت مسقوفة بقناطر معقودة . وعملها يشبه سوق عكاظ ، تعرض البضائع المختلفة ، ثم يجلس الخطباء على المنابر ، ويتحفون الشعب ببلاغتهم ومثلهم الشعراء ورجال السياسة ، وإلى جانب السوق الرومانية ظهرت بقايا المجلس البلدي ، حيث كان يجتمع رجال السياسة ويقررون مصالح المملكة الصغيرة .

المقابر والمدافن القديمة : هي عبارة عن مغاور وكهوف منتشرة حول المدينة في (الواد) عند المقالع ، وعلى تلة الشيخ عبد الله ومغاور (الشراونة) فيها تداخل وعمق ، وضمت نماذج مختلفة اذ نجد القبر الفينيقي ، واليوناني ، والروماني والبيزنطي . .

طريقة البناء :

حار العلماء في كيفية بناء الهياكل ، وعاشوا غياهب التخمين المحاطة بعالم الخرافات ، تفسيراً لعمل أدهش العقول ، وفاق حدود الإدراك ، اذ كيف استطاع البشر ، أن يقطعوا الجلاميد وينقلوها من مقالعها حول المدينة ثم يرفعوها الى علو شاهق إن بنيامين اليهود الاسباني زار بعلبك سنة ١١٦٣ م وقال « إن الملك سليمان عندما بنى المدينة تمكن من اجتراف هذه الأعجوبة الهندسية بشيء واحد هو الاستعانة بالجن » . وتوغل الأسطورة في القدم لتقول ، إن حجارة بعلبك نقلت على (البهמות) أو (المصطودنت) الحيوان الذي يكبر الفيل بعشرة أضعاف ، وقد وجدت عظامه وحفظت في معاهد أوروبا وأميركة العلمية . لكن العلم يرفض هذه التكهّنات ، وراح يبحث عن حلول



قبة دورس



السوق الرومانية

ترضي العقل ، وظل حائراً . اذ كيف استطاع الانسان أن ينقل حجراً واحداً يحتاج الى اربعين الف لرجل لتحريكه ورفع ، وكيف يتزاحم مثل هذا العدد حول حجر طوله عشرون متراً .

تكهن العلماء والمهندسون ، الذين عناهم أمر الهياكل ، تكهنات لم تحل اللغز ، وأتت متناقضة ، ذهبت جماعة الى ان الحجارة قطعت بمنشير خاصة ، وربما كانت كهربائية ، وفقدت واختفاؤها يثير الشكوك ، وقيل قطعت بالزوايا الخشبية ، وقد صُبَّ عليها الماء بعد تركيزها في شقوق نحتت بالأزاميل على عمق ٣٠ سنتم في الصخر . ثم نقلت ورفعت بآلات تتناسب وضخامة الحجارة ، لكنها فقدت أيضاً وبتنا نجعل هويتها ، وذهب آخرون الى استخدام تعلية الارض بالاتربة ، ثم تدفع الحجارة على خط منحني بطريقة الانزلاق تدعمها الاخشاب والقضبان الحديدية . أما الأعمدة فلها رافعات خشبية ، وزرد الحديد (البكرة) وتُرى في الاحجار والاعمدة ثقوبٌ مربعة ، ومستطيلة ، كانت تقبض عليها كلاليب الآلة الرافعة^(١).

أما الاعمدة الغرانيئية فقد نقلت من أسوان مصر بواسطة الارماث (الطوافات) المقطورة بالمراكب . كانت تنحدر في نهر النيل الى البحر المتوسط ثم الى الشاطيء اللبناني وتنزل إما في طرابلس واما في صيدا ، وتنقل قطع الاعمدة على عجلات تجرها الخيل أو الثيران ، ولما كان العنصر البشري هو العنصر الأول في بناء الهياكل ، فقد استخدم الرومان عشرات الألوف من الأسرى والمستعبدين في بناء معابد هيليو

.....

١ - تاريخ بعلبك

بولس ، وبات مهندسو القرن العشرين يتمنون لو يبعث أحد العمال ليكشف لهم سرّ بناء الهياكل* .

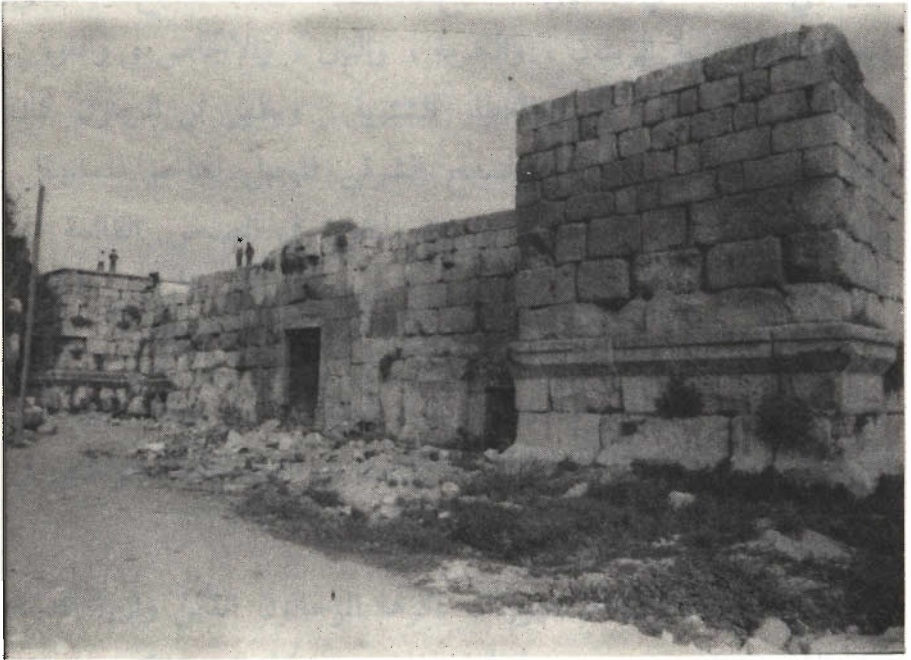
الأسوار : كانت بعلبك مدينة محصّنة ، أحاطت بها الأسوار العالية ، وتدل بقاياها على ان ارتفاعها قارب عشرة أمتار ، وآثارها ما تزال باقية بجوار ثكنة ابراهيم باشا ، حيث نجد باب حمص^(١) ، ويسير شمالا الى حي المهاجرين وفيه باب مقنة ، ويتقدم شرقاً الى باب نحلة ثم يمر بجوار مقابر سطحا فرأس العين ، فمقابر النصارى القديمة فتلة الشيخ عبد الله (تنور الكفار) فباب دمشق^(٢) فالقلعة ، وطوله قرابة (٩ كلم) . ولما تقلّصت المدينة تراجعت الأسوار الى طول (٦ كلم) إذ انحسر البناء عن رأس العين ، وآثار السور بادية في السويدية بموازة شارع الشيخ حبيب فحي النهر تحت الشير . وهناك ذكر لبوابات أخرى منها بوابة همدان ، وباب القفاعة وأحياناً (القطّاعة) المفضي الى مقبرة برتيا (برثيا)^(٣) والأرجح أنهما بين رأس العين وتلة الشيخ عبد الله .

.....

١ - ذيل مرآة الزمان : ٢ / ٤٦٠

٢ - نفسه : ٣ / ٢٣١ .

٣ - ذيل مرآة الزمان : ٤ / ٢٠٠ .



باب حمص وبقايا السور

الزراعة :

المياه متوافرة ، لكنها ليست من الغزارة بحيث تروي مجمل الأراضي الخصبة في السهل الفسيح ، لذلك اعتمد الفلاح البعلبكي منذ القديم زراعة الزيتون ، والكرمة ، والتين ، والابجاص ، واللوز . وهي أشجار بعلية تروىها الأمطار الشتوية . ويظهر أن الزيتون كان يغطي مساحات شاسعة من السفح الشرقي للجبل المتاخم للمدينة . وما زالت عشرات (المعاصر) القديمة المنقورة في الصخور القائمة الى الآن ، تشهد على ذلك . لقد استغل الفلاح البعلبكي الأراضي الجبلية فاستصلحها ، ورفع منها الحجارة ، وأقامها سوراً على الأطراف ، وهذه (السنائل الحجرية) ، ما زالت بادية للعيان تطوق قطعاً كبيرة من الأرض كانت صالحة يوماً للزراعة ، وغدت بوراً بعد إهمال المواطنين في الحقب المتلاحقة .

أما بساتين بعلبك فمشهورة ، ذكرها الرحالون الذين زاروا المدينة منذ القديم . وهي تتزين بأشجار المشمس والخنوخ ، والكرز (حب الملوك) ، والتفاح والجوز ، والابجاص ، والدراق ، والسفرجل ، والرمان . . لذلك قيل : « بعلبك كثيرة الخيرات »^(١) « واسعة الرزق »^(٢) قال ابن بطوطة الذي زار المدينة سنة ٧٢٥ هـ . « مدينة

١ - أبو الفداء : تقويم البلدان : ٢٥٤ .

٢ - القلقشندي : صبح الاعشر : ٤ / ١١٠ .

بعلبك . . حسنة قديمة من أطيب مدن الشام ، تحدد بها البساتين الشريفة والجنت المنيقة ، وتحترق أرضها الانهار الجارية ، وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية وبها من حبّ الملوك ، ما ليس في سواها»^(١) وهذا التفرد بزراعة (الكرز) الجأ ملوك مصر في العهد الوسيط إلى إتباع وسائل مثيرة لنقل (حب الملوك) من بعلبك إلى موائلهم . ومنها استخدام الحمام الزاجل ، إذ كان ولاية دمشق وحماة وحمص وصفد . . ينفذون حمام مصر الزاجل الى بعلبك بأمر السلطان وفي بعلبك يوقر الحمام بحب الكرز بدل الرسائل ، ويطلق فيعود إلى مصر ، فينال الملك مراده ، ويقدم لمحظياته، ما اشتتهين .

وقال القلقشندي « بعلبك واسعة الرزق رخيصة السعر . . وتحفّ سورها وقلعتها غوطة عظيمة انيقة ذات بساتين مشتبكة الاشجار ، بها الثمار الفائقة والفواكه المختلفة»^(٢).

وهناك أثمار اقترن اسمها بإسم بعلبك وأهمها بعد (حب الملوك) المشمش ، والعنب ، والتفاح ، والرمان . .

ورد في خطط الشام : « قسّم المشمش الى واحد وعشرين صنفاً أشهره الحموي والبعلبكي»^(٣). ونحن الآن لا نعرف المشمش البعلبكي « وخسرناه مثلما خسرنا « الثوب البعلبكي » الذي غزا أسواق العالم في القرون الوسطى . وهذا لا يعني أن المشمش انعدم في

.....

١ - رحلة ابن بطوطة : ٧٨ .

٢ - القلقشندي : ٤ / ١١٠ .

٣ - كرد علي : خطط الشام : ٤ / ١٥٥ .

المدينة ، بل ما زال موجودا بأصنافه العديدة المستوردة ، وتصدر سنويا ما يقرب من أربعين ألف صندوق مشمش .

الكرمة : من أقدم مزروعات المدينة تحيط بها من الجنوب والشرق والشمال الشرقي وتمتد الى (العقيبة) واشتهرت زراعتها منذ العهد الروماني ، وأقام السكان معبداً (لباخوس) اله الخمرة . وزينوا باب هيكله بشجرة الكرمة وعناقيدها ، وذاع امر خمرتها فقصدها الناس ، ومنهم بعض شعراء العرب في الجاهلية ، قال عمرو بن كلثوم :
وكأسٍ قد شربت ببعليك وأخرى في دمشق وقاصرينا^(١)
وقال المقدسي « ولا أشرب للخمور من أهل بعليك »^(٢) .

ثم اندحرت صناعة الخمر في العهد الاسلامي وخلفتها صناعة الدبس . وازدادت العناية بالكرمة حتى قيل « بعليك معدن الاعناب »^(٣) وأضاف المقدسي « في بعليك جميع أصناف العنب العجيب »^(٤) وأصنافه كثيرة شهية المنظر لذينة الطعم وأشهره : العبيدي ، والرازقي ، والسويدي والجوزاني والجبيلي ، والتففيحي . . وقد راجت تجارة العنب في ايام المماليك الاتراك وصدر الى بلاد سورية والساحل اللبناني وإلى أوروبا . عن طريق بيروت وصيدا^(٥) .

.....

٣ - شرح المعلقات للشنقيطي ١١٠ .

٤ - المقدسي : احسن التقاسيم : ٣٤ .

٥ - كرد علي : ٤ / ١٤٨ .

٦ - المقدسي : ١٨١ .

١ - Montrant : Reylement . P. 29 .

ولما زار (دي لاروك) بعليك سنة ١٦٨٩ م أعجب « بعنب بعليك الشهي شكلاً وطعماً ورمائها الذي لا نظير له في العالم »^(٢).

وكانت تنتج بعليك في مطلع القرن العشرين ما يقرب من ألف طن عنب سنوياً^(١) بيد أن زراعته تراجعت كثيراً في هذه الأيام .

أما تفاح بعليك فكان جيداً ومشهوراً حتى أن ولاية المدينة وموظفيها فرضوا عليه ضرائب خاصة ، ثم صادروه لصالح السلطان فارتفعت الشكاوى ، فاضطر السلطان الى اصدار مرسوم يلغي هذه التصرفات ، وأنفذه الى والي بعليك (تنكزبغا) الذي نقشه على حجر وضعه في جدار المسجد الكبير ليعمل به ويطلع عليه الناس ، وهذا نصه « استجد مرسوم شريف ظاهري تاريخه ثامن عشر شهر الله المحرم سنة سبع وتسعين وسبعماية الى المقر العالي السيفي تنكزبغا نائب السلطنة الشريفة ببعليك المحروسة ، مضمونه انه قد إتصل بمسامعنا الشريفة إن بعليك تتفق منها في كل سنة مظلمة لم تتصل في مسامعنا الشريفة الا في هذا الوقت وهو ان جماعة من البلاصين يطوفون في كل سنة على البساتين يطلبون من أهلها التفاح اللباني ويقولون ، ان ذلك برسم حاضرة الشام الشريفة . فليس لنا احتياج الى ذلك ».

زراعة التوت : كانت قليلة في بعليك ، ولما حدث تشجيع لزراعتها من قبل الصناعيين الأوربيين ما بين سنتي ١٨٨٩ و ١٨٩٣ م تضاعفت زراعة التوت في مدة خمس سنوات تقريباً وخصوصاً في سهل

.....

١ - ألوف : تاريخ بعليك : ١٦ .

البقاع وبعلبك . وقَدَّر (ديكوسو) « Ducouso » عدد أشجار التوت في ولاية الشام ب (٣,٣٩٥,٠٠٠) شجرة موزعة على الشكل التالي: (١).

البقاع	٢,٠٠٠,٠٠٠	مليوناً شجرة .
بعلبك	٦٠٠,٠٠٠	ستمائة الف شجرة .
دوما	١٠٠,٠٠٠	مائة الف شجرة .
وادي العجم	١٣٠,٠٠٠	مائة وثلاثون الف شجرة
حاصبيا ومرجعيون	٥٠٠,٠٠٠	خمسماية الف شجرة.
النَّبْك	١٠,٠٠٠	عشرة آلاف شجرة .
القنيطرة	١٤٠,٠٠٠	مائة واربعون الف شجرة .
حوران وجبل الدروز	١٠٠,٠٠٠	مائة الف شجرة .

وزراعة التوت قديمة في بعلبك ذكر السائح كرانجه ، Granger الذي زار بعلبك سنة ١٧٣٥ ، في تقريره الى دي موربا De Mourpas وزير لويس الخامس عشر . قال : إن محصول شرانق القز في بعلبك كان يربي على ثلاثة آلاف كنتال سنة ١٧٣٥ م . وكانت تربية دود القز وشيل الحرير تتم في بساتين المدينة .

زراعة الحبوب : ازدهرت في سهول المدينة ، زراعة القمح والشعير والذرة والعدس والحمص ، والفول والكرسنة . . وكان الفائض عن الاستهلاك المحلي يصدَّر الى جبل لبنان وبلاد الأناضول .

.....

١ - Dncouso. G . L'industrie de la Soie en Sirie. Paris 1913. P. 117 ' .

وعندما مرَّ جيش تيمور ببلبك سنة ١٤٠٠ م وجد فيها مقادير عظيمة من الفاكهة والحبوب ، والبضائع فأخذ الجند ما يكفيه مدة طويلة»^(١).

ان سهل البقاع المشهور قديما باهرات روما ، أعاد اليه خصبة الامير يونس الحرفوش في مطلع القرن السابع عشر ، عندما امتلك وحده ألف فدان لحراثة السهل . ونستخلص من روايات « الصفدي » ان غلال يونس الحرفوش ، لم تشهدا ببلبك في عهدها الأكثر ازدهاراً ، وحافظ سهلها على خصبه طيلة القرن السابع عشر رغم الدمار الذي خلفه فخر الدين المعني ورغم دسائس ولاية دمشق . قال (دي لاروك) سنة ١٦٨٩ م « ربما كان سهل ببلبك أكثر مناطق الشام استغلالا وحراثة^(٢) وخبز أميرها الحرفوش لم يذق في حياته أشهى أو أطيب منه^(٣) أما « فولني » « Volney » في زيارته لببلبك سنة ١٧٨٥ فامتدح الذرة الصفراء ذات النكهة اللذيذة وقد رآها تغطي سهول ببلبك^(٤).

وظلت المدينة تستخدم الآلة القديمة في حراثة الارض حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين ، مع أنها عرفت الآلة الحديثة لأول مرة سنة ١٩٢٨ م عندما استورد أحد المواطنين الجرار الزراعي^(٥) لكن

٢ - تاريخ تيمور : ٢ / ١٨٠

٣ - De la Roque : P. 37 .

١ - قال الكاتب . De la Roque . « enfin je n'ai jamais Manage de pain de Meilleur goût ... » P. 32.

٢ - Volney . Voyage en sine et en Egypte 1783 — 1785 . Paris : 1787 . T. I P. 149 .

٣ - جريدة ببلبك ، عدد ٢٨ سنة ١٩٢٨ .

الاقبال عليه ظل نادراً بسبب الجهل والفقر وإهمال السلطات .

وكانت الحنطة قديماً تكفي السكان ، أما اليوم فخفت زراعتها لأن السكان استبدلوها بالخضار ، وخصوصاً بعد استحداث المشاريع الزراعية) فالأبار انتشرت في سهل المدينة وتفوقت زراعة الخضار على الحبوب وأشهرها :

البندورة ، الباذنجان ، البطاطا ، البصل ، الثوم ، الخيار ، الكوسى ، القثاء ، الخس السلق ، الهندباء ، السبانخ ، البقدونس ، النعناع ، الملفوف ، القنبيط ، الجزر ، الشمندر ، اللفت . . .

ولا بد في حديث الزراعة من ذكر نبتتين لعبتا دوراً في الحياة الزراعية المعاصرة في منطقة بعلبك وهما « الحشيشة » أو القنب الهندي ، و « دوار الشمس » أو « عباد الشمس » .

حشيشة الكيف تلك النبتة المخدرة ، بدأت زراعتها سنة ١٩٢٧ م في قرية عيناتا التابعة لقضاء بعلبك ، ثم غزت جرود الهرمل ، وتوزعت في الجبل الشرقي بعيداً عن أنظار السلطات ، التي كافحتها مكافحة غير جدية ولم يأت القانون اللبناني على ذكرها إلا أبان الاستقلال سنة ١٩٤٦ . المادة الثانية (المكملّة بقانون ٢٠ آب سنة ١٩٥٦ ونصها « تحظر زراعة القنب الهندي المعروف بحشيشة الكيف ، وزراعة الخشخاش المعروف بأبي النوم ، وبصورة عامة زراعة أي نبات يستحصل من تحضيره على إحدى المواد المخدرة ولا يجوز الترخيص بزراعة هذا النبات ، في حال زرع القنب الهندي المعروف بحشيشة الكيف ، تقوم الإدارة دون انتظار صدور الحكم على المخالف ، باتلاف

المزروعات بالطرق الفنية التي تراها ، وتقوم وزارة المالية وفقاً للقوانين والانظمة المتعلقة بتحصيل الأموال الاميرية والنفقات التي تكون قد تكبدتها الادارة في هذا السبيل ، من صاحب العقار أو المزارع أو المستأجر باعتبارهم مسؤولين تجاهها بالتكافل والتضامن .

ولما تفاقمت زراعة القنب الهندي ولجأ الناس الى تغطيته بزراعة القنب الشامي ، صدر قانون في ٢٠ آب سنة ١٩٥٦ ينظم زراعة القنب الشامي .

المادة الأولى :- تخضع زراعة القنب الشامي في جميع الأراضي اللبنانية لاجازة مسبقة تعطيها وزارة الزراعة ، على أن تبقى حرية للمزارعين في اختيار المساحات والأماكن .

والقنب الشامي هو ذات النبتة التي تعطي الحشيشة أي Cannabis « Sativa لكن تركيز المادّة الفعالة في السائل الذي تفرزه الزهرة الانثى في هذا النوع من القنب ضئيلة لدرجة تستوجب كميات كبيرة من النبات لاستخراج كمية زهيدة من الحشيشة ، لذا فهو يستعمل لاستخراج الخيوط النسيجية من قضبانه .

لكن القانون لم يطبق عملياً ، وحتى حملات الاتلاف كانت تتعرض للتزوير والرشاوي ، فهي تتم غالباً بعد نضج النبتة ويجب ان تتم قبل ذلك . وكثيراً ما يجمع العمال (المتلفون) النبتة الذكر فقط ، ويحرقها المسؤولون في حين تبقى النبتة الانثى التي تحتوي المادّة المخدّرة - صالحة للاستعمال .

وإبان سنوات الحرب اللبنانية ، ازدادات المساحات المزروعة بالحشيشة وبلغت أوجها سنة ١٩٧٨ ، أي ما يقارب سبعمائة ألف دونم في حين كانت في السنوات العادية تتراوح بين ٣٠٠ ألف و ٤٠٠ ألف دونم .

وبعملية حسابية نتعرف إلى الأرباح التي تدرها سنوياً على المتعاملين معها زراعة وتجارة .

فالدونم المصنّع جيداً يعطي (أوقه) من الزهرة أي (نصف رطل) وأوقيتين من (الكبشة) العادي ويتراوح السعر لتتاج الدونم بين ٦٠٠ ل . ل . و ٨٠٠ ل . ل . و ١٠٠٠ ل . ل . فلو أخذنا معدلاً وسطاً ٧٠٠ ل . ل . لتتاج الدونم يكون المدخول :

٤٠٠ ألف دونم تعطي : $400.000 \times 700 = 280.000.000$ ل . ل أي أكثر من ربع مليار ليرة وتضاعفت هذه القيمة سنة ١٩٧٨ ما يساوي $\frac{1}{4}$ ميزانية الدولة اللبنانية :

لكن الأرقام تختلف كثيراً اذا عرفنا ان سعر الأوقه يرتفع بمعدل وسط الى خمسة آلاف ليرة لبنانية في البلاد المستهلكة : مصر وأوروبا والولايات المتحدة الأميركية . وتشير الاحصاءات الى أن ثلثي هذه الكميات تُصادر سنوياً من قبل السلطات العالمية أثناء تهريبه وبيع الثلث فقط . وتصبح المعادلة على الشكل التالي :

الكمية المصنّعة : $3 \times 400.000 = 1.200.000$ أوقه
الكمية المصدّرة (المباعه) : $1.200.000 \div 3 = 400.000$ أوقه
السعر المتوسط للصادرات : $400.000 \times 5000 = 2.000.000.000$ ل . ل

مليارا ليرة لبنانية توازي ميزانية الدولة اللبنانية في تلك السنوات » .

ان مكافحة تهريب الحشيشة أوجدت لدى المهربين طرقاً جد متقنة لتصدير هذه المادة الى بلاد العالم ، لأن المدمنين على تدخينها، يبدلون أموالاً طائلة في سبيل الحصول على بضع غرامات منها . لقد وضعوها في نبتة الملفوف وتركوها تلتف حولها ، ونقلوها الى مصر ، ثم وضعوها في خزانات الوقود بعد ان قسموا خزان وقود السيارة الى قسمين الاسفل للحشيشة والاعلى (للبنزين) ، في المعلبات وغلافات الشاي . . كل ذلك بغية التمويه والتهريب . . وبات لبنان مشهوراً دولياً بتصنيع حشيشة الكيف . والبعلبكي عادة يخضع لتفتيش دقيق في بلاد اوروبة لأن منطقته ارتبط اسمها بهذه المادة المخدرة ، وقد جنى بعض السكان ارباحاً وافرة من تعاطي زراعتها وتجارها . مع أن القانون يحرمها والشرع الاسلامي أصدر فتاوى تحرم زراعتها ، والسبب أنها تحوي مادة فعالة وسامة هي « تيترا - هيدرو كانا بينول » .

« Tetra . Hydro Cannabinol » أو (t . H . c) . وتتراوح مدّة المفعول بين ساعتين وعشر ساعات . ويسبب الادمان أمراضاً عقلية مزمنة ويسمى بالجنون السّمى . وتهبط وسائل الدفاع المناعية في دم المدمن الى نصف ما هي عليه عند الانسان العادي ، وثبت أن جسم الانسان يحتاج الى خمسة عشر يوماً لازالة الرواسب الكيميائية التي تخلفها الحشيشة بعد تناولها مرّة واحدة .

أما المدمن فيصاب بتسمم مزمن ، ينتقل الى دم أطفاله الذين يولدون بعد الادمان^(١).

ويبرر السكان عملهم في زراعة الحشيشة وتجارتها بأنهم يصدّرون هذه المادة المخدّرة الى أوروبا وأميركة تلك الدول الاستعمارية التي ترسل السلاح للفتك بأطفالنا وشعوبنا ، فعلينا أن نغزو عقولهم . لكن التبرير يبطل إذا عرفنا أن نسبة تدخين الحشيشة (التحشيش) قد إرتفعت في بلاد بعلبك خلال سنوات الحرب ، وإذا قارنا الحشيشة بالمسكرات ، فيصدق عليها قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) « لعن الله في الخمر . . . عاصرها وناقلها وساقها وشاربها . . . » . وتطال اللعنة في الحشيشة : زارعها ومصنعها وبائعها ومدخنها . . .

وفي عملية لتخفيف حدّة زراعة (القنب الهندي) عمدت الحكومة اللبنانية في مطلع الستينات بمساعدة منظمات دولية الى استبدالها بنبتة (دوّار الشمس) ووزعت البذار ، ودفعت التعويضات . لكن السياسة الفاشلة التي اعتمدت في توزيع المغام أدّت الى اخفاق زراعة دوّار الشمس واقلع عنها المواطن ثم تلاشت في هذه الأيام .

الثروة الحيوانية : المراعي الخصبة والفسيحة التي توفرها جبال بعلبك الشرقية أدّت الى تربية قطعان من المعز والاغنام منذ عهد مبكر . قد أتى على ذكرها كتاب الأمان - الذي منحه أبو عبيدة لسكان

.....
١ - المخدرات اعرف عنها وتجنّبها : ٤٠ .

بعلبك سنة ٦٣٧ م - إذ تضمن : « وللروم أن يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلاً . »^(١).

ومشتقات الحليب اقترنت باسم المدينة فقليل الجبن البعلبكي قال ياقوت : « ببعلبك دبس وجبن وزيت ولبن ليس في الدنيا مثلها يضرب بها المثل : قال أعرابي :

فكشفت عن أبيض مدك كأنه قعب نضار مكّي
أو جبنه من جبن بعلبك . »^(٢)

والمقدسي الذي مرّ في بعلبك سنة ٩٩٥ م أخبرنا بأن بعلبك مدينة تكثر فيها الألبان ومشتقاتها^(٣). وتفننت البعلبكيات بصنع اللبنة فاهتدين الى تحضير (القنبريسة)^(٤) ومن بعلبك انتقلت الى الصالحية فدمشق . . قال ابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ . في تاريخ الصالحية . « قال شيخنا أبو المحاسن ابن المبرد ، سمعت شيخنا التقي بن قندس يقول : الصالحى اذا ضيفه أحد لحما على عجّين في غير الصالحية فقد ظلم نفسه والبعلبكي إذا ضيفه أحد قنبريسية في غير بعلبك فقد ظلم نفسه ، فان اللحم على عجّين للصالحية ، والقنبريسية لبعلبك »^(٥).

.....

١ - البلاذري : فتوح البلدان : ١٣٦ .

٢ - ياقوت : معجم البلدان : ١ / ٤٥٤ .

٣ - المقدسي : ١٨١ .

١ - ما زال تحضير (القنبريس) جارياً الى اليوم في بعلبك وقراها ، إذ يصبّ الحليب في (جرّة) من الفخار مثقوبة في أسفلها ، تقفل بواسطة عود يسمح بتسرب الماء ، ويبقى اللبن الخائر .

٢ - ابن طولون الصالحى : القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية : ٢ / ٥٠٨ .

أما الأمير يونس الحرفوش فاقتنى اربعين قطيعا من المواشي واكثر من الف جاموس ، وأقام مراكز في الجبال للمراقبة تحمي القطعان من الغزاة وآثار الأبراج ما زالت قائمة الى اليوم . ونشطت تربية المواشي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، وانصرفت بضع أسر بكاملها من بعلبك تعمل في تربية المواشي دون سواها .

وزاد عدد الماعز والاغنام على ١٧,٠٠٠ رأس في سنة ١٩٥٠ م ثم أخذ بالتراجع الى ١٠,٠٠٠ رأس في سنة ١٩٨٢ م . وفي النصف الثاني للقرن العشرين بدأت تنتشر مزارع تربية الدجاج وتوزعت في سهل المدينة والقرى المجاورة ، وغدت ثروة مهمة تقدم البيض واللحوم ، وتصدر الى كافة البلاد العربية .

الصناعة :

.....

ان أول صناعة شهدها سكان بعلبك كانت صناعة الأدوات
الظّرانية^(١) من فؤوس ومكاشط ومناشير ، ونبال . . ونجد محطاتها في
بعض المغاور المحيطة بالمدينة . وتطور البعلبكي مع الزمن فراجت في
المدينة صناعة التماثيل البرونزية . وهي عبارة عن أصنام لمعبودات
المدينة ، كانت تباع للزوار والتجار والجنود ، وانتشرت هذه التماثيل في
بلاد أوروبا وقد عثر على تماثيل جوبتير البعلبكي في نيم وفيينا وروما . .

وربما إتقان هذه الصناعة شجع أباطرة الرومان على إنشاء دار لسك
النقود البرونزية في بعلبك منذ عهد مبكر .

وصناعة الزيوت عرفتها بعلبك قديماً ، واختفت في العهود الاسلامية
وحول المدينة عشرات المعاصر القديمة المنقورة في الصخر ، وأشجار
الزيتون تلاشت من المدينة منذ أمد بعيد ، لأن مؤرخي العرب لم
يذكروا الزيتون في بعلبك .

واشتهرت المدينة بالتركيبات الكيميائية ، والآ كيف نفسّر اهتداء
كلينيكوس الى اختراع النار الاغريقية التي لا تطفئها المياه ؟ .

ومن المنتجات الكيماوية الدهان الذي برعت بتركيبه بعلبك منذ
أمد بعيد ، واتسم بالجودة والاتقان . « فالدهان الفائق الذي انتجته

.....

١ - الظرانية : أدوات مصنوعة من حجارة الصوان .

بعلبك كان يحمل الى انحاء العالم ، وإذا دهن به الحجر والخشب بقي زاهيا قروناً طويلة^(١) واستخدم في تزيين قاعات دمشق والمدن الكبرى ، ومن يدخل تلك القاعات يرى الألوان زاهية وكأنه نقش الآن^(٢).

وراجت في بعلبك صناعة الطبخور ، بسبب وجود المقالع الكثيرة الى جنوب المدينة^(٣).

وفصل ابن بطوطة في رحلته سنة ٧٢٥ هـ صناعات بعلبك المتوافرة إبان زيارته قال « وبها يصنع الدبس المنسوب إليها وهو نوع من الرُّب يصنعونه من العنب ، ولهم تربة يضعونها فيه ، فيجمد وتكسر القلّة فيبقى قطعة واحدة ، وتصنع منه الحلواء ، ويجعل فيها الفستق واللوز ويسمونها حلواء بالملبن ، ويسمونها أيضاً « بجلد الفرس » .

وتصنع ببعلبك الثياب المنسوبة اليها من الاحرام وغيره ، ويصنع بها أواني الخشب وملاعقه التي لا نظير لها في البلاد ، وهم يسمّون الصّحاف بالدسوت ، وربما صنعوا الصحيفة ، وصنعوا صحيفة أخرى تسع في جوفها ، وأخرى في جوفها إلى أن يبلغوا العشر ، يخيل لرائيها أنها صحيفة واحدة . وكذلك الملاعق يصنعون منها عشراً ، واحدة في جوف واحدة ، فيظن رائيها أنها ملعقة واحدة^(٤).

هذا الافتنان في إخراج القدور ، أخذه العالم وأخرج « أسرة

.....

١- القلقشندي : صحح الاعشى : ١٠٩ / ٤ .

٢- كرد علي - خطط الشام : ٢١٨ / ٤ .

٣- حتي : لبنان في التاريخ : ٢٣٨ .

٤- رحلة ابن بطوطة ٧٩ .

القدور» . لكن «أسرة الملاعق» على الشكل الذي وصفه ابن بطوطة باد وانتهى .

صناعة النسيج : النسيج البعلبكي توافرت مواده الأولى في منطقة بعلبك والبقاع فالصوف الذي تعطيه أغنام بعلبك ، ناعم وجيد ، أما القطن فكان يزرع على ضفاف العاصي . ومن هاتين المادتين ولد « الثوب البعلبكي » الذي طارت شهرته في العالم الاسلامي ، وصدر الى مراكش وأسبانية ، فغدا رمزاً للثروة والترف والتفاخر ، تهاداه الملوك مثلما تهادوا من قبل « الثوب الارجواني السوري » لبسه السلاطين زهوا في الحياة . واحتفلوا بارتدائه ، وتكفنوا به ذخراً للماة ، وقامت ثورات في القاهرة بسبب ارتفاع اسعاره ، هذا ما نستشفه من كتاب النجوم الزاهرة .

قال ابن تغري بردي «أما بعلبك فقد كانت تصنع نوعاً من القماش من القطن والصوف يعرف بالنسيج البعلبكي وهو أغلى الاثواب . كان يقبل على شرائه الملوك والاشراف . . وكان ولاية سورية عندما يتوددون الى السلطان يرسلون إليه الثوب البعلبكي . وقد أبى أحد هؤلاء السلاطين ان يتقبل ثوباً بعلبكياً ينقص ثمنه عن الثلاثين ديناراً . ولارتفاع ثمنه لما مات الملك العادل بن أيوب لم يكفن بثوب بعلبكي .

وزاد ابن تغري بردي « ان ثورة قادها المماليك الاجلاب نشبت في القاهرة سنة ٨٦٢ هـ . ضد صاحب جمال الدين ناظر الجيش ، بسبب غلاء الثوب البعلبكي ، واعتذر ناظر الجيش بأن ارتفاع الاسعار

من عمل محتسب القاهرة . فاضطر السلطان إلى عزل صلاح الدين أمير حاج بن بركوك عن حسة القاهرة . وقال أيضاً : وفي يوم الجمعة ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨٦٢ هـ لبس السلطان القماش الابيض البعلبيكي المعدّ لأيام الصيف على العادة في كل سنة .^(١)

ومن أنسجة بعلبك الأغطية والاحرام والمشدات وكانت تتركش بخيوط من ذهب وهي نادرة المثال^(٢) وحافظت بعلبك على مركزها الممتاز في صنع القماش القطني في عهد المماليك وغدا يصدر الى أوروبا عن طريق طرابلس ، وإلى الأناضول عبر حماه .

واستمرت صناعته في اضطراد حتى القرن السابع عشر الميلادي . فالرحالة دارفيو « D'arvieux » مرّ في بعلبك سنة ١٦٦٠ م وقال « ان سكان المدينة يعملون في الزراعة ، لكن القسم الأكبر يعمل في نسج القطن ، ويصدر منها الى دمشق وطرابلس » .

- وعرفت بعلبك المطاحن المائية^(٣) اقيمت على طول نهر رأس العين امتدادا حتى البساتين وجرف سيل سنة ٧١٧ هـ احدى عشرة طاحونة بناء للاحصاءات الرسمية . وعرفت بعلبك محاضن القز في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حيث كثرت في المدينة وضواحيها زراعة التوت ، وانتشرت تربية دودة القز^(٤) ووجدت في بعلبك صناعة البسط الصوفية و

.....

١ - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ٦ / ١٧١ و ٧ / ٣٣١ ، و ١٦ / ١١٨ و ١١٩ .

٢ - ابن تغري بردي : ٦ / ١٧١ ، ٤ : ٢٠٠ .

٣ - النابلسي : حلة الذهب الابريز : ٨٢ .

٤ - Ducouso. G. L'industrie. de l'asoié P. 117.

«اللباد» و«البلاس» المصنوع من شعر الماعز ، ولم تفلح بعلبك في نقل حياكة السجاد ، الذي اشتهر في « الفاكهة » شمال بعلبك .

أما دبغ الجلود فشهدته المدينة حقبة طويلة ، وقَدَّم المادَّة الأولى لصنع الحزام البعلبكي الجلدي ، والنعال المتينة ، ولما زار عبد الغني النابلسي بعلبك سنة ١٦٨٨ م . شاهد « الدبَّاعة » حيث تدبغ الجلود وتصنَّع . على نهر بعلبك قرب باب القلعة^(٣) .

وفي مطلع القرن العشرين بادت كل الصناعات باستثناء الاحذية والبسط .

.....

١ - D'arvieux — Mémoires. P 441 —

٢ - اول من اتخذ المطاحن المائية بليساروس سنة ٥٥٠ م . ثم عرفت المطاحن الهوائية سنة ١٢٩٩ م . في المشرق ونقلها الصليبيون الى المغرب .

التجارة

.....

بعلبك المدينة الداخلية الرابضة بين سلسلي جبال لبنان الشرقية والغربية استطاعت منذ القديم أن تؤمن ممرات عبر الجبال تربطها بالغرب والشرق . فهي تتصل بطرابلس بواسطة طريق عربات شقها الرومان لنقل الاعمدة الغرانيتية الوافدة من أسوان على أرماث تقطرها المراكب . وأهم طرقاتها هي :

- بعلبك تل كلخ - طرابلس .
- بعلبك - ظهر البيدر - بيروت - صيدا - صور .
- بعلبك - مشغرا - جبل الريحان - صيدا .
- بعلبك - عنجر (خالكيس) - دمشق .
- بعلبك - الزبداني - دمشق .
- بعلبك اللبوة - جوسي - تدمر .
- بعلبك - حمص - حماه - حلب - الاناضول .

تؤكد المصادر القديمة أن بعلبك احدى « مدن المخازن » في عهد سليمان « solomon » وكانت مركزاً وسطاً بين اورشليم وتدمر . واشتهرت بتصدير الحبوب والثوم . هذا الدور التجاري الموهل في القدم استفادت منه المدينة وحافظت عليه ، فظلّت عاصمة (سورية المجوفة) آلاف السنين .

في العهد الروماني أمّتها قوافل الزوار والتجار موقرة بالبضائع العالمية من اقمشة وسكروتوابل. وأقيمت عند المدخل الرئيسي للهيكل سوق عامة « Forum » كانت تغص بالتجار يعرضون سلعهم ، وبالزبائن يتاعون حوائجهم .

وكانت سوق بعلبك مفتوحة أمام كافة الشعوب وفد إليها العرب والفرس والرومان .. وهذه العناصر كوّنت سكان المدينة في العهد البيزنطي وظلت حتى الفتح الاسلامي^(١).

ومنتوجات بعلبك في ذاك العهد هي التماثيل البرونزية التذكارية لجوبتير وفينوس وقد سافرت الى روما ونيم وفينا ... وتليها الآلات الموسيقية ولا سيما « العود » صدّرتها مع الموسيقيين الى حواضر الامبراطورية الرومانية . وأخبرنا الواقدي عن احدى القوافل القادمة الى بعلبك في آخر العهد البيزنطي . وقد أدركها المسلمون بجوار المدينة تريد دخولها « يوم الفتح » سنة ٦٣٧ م - قال « فلما قرب منها أبو عبيدة وإذا بقافلة عظيمة فيها جمع من الناس ومعهم البغال والدواب ، وعليها من أنواع التجارات وقد أقبلت من الساحل يريدون بعلبك . قال شداد بن عدي : فاحتوينا على القافلة وكان فيها أربعماية حمل من السكر والفسق والتين وغير ذلك ، وأخذنا أهلها أسارى فقال أبو عبيدة كفوا عن القتل واطلبوا منهم الفداء ، فابتعناهم أنفسهم بالذهب والفضة والثياب والدواب .. »^(٢).

.....

١ - البلاذري : فتوح البلدان :

٢ - الواقدي : فتوح الشام : ١ / ٧٥ .

هذه الرواية تؤكد اتصال بعلبك بالساحل وتكشف انواع السلع المستوردة وحجم التجارة . فالقافلة التي تضم اربعمائة حمل توضح عظم المدينة وازدهار تجارتها وعمرانها .

في العهد الاسلامي قوي مركز بعلبك التجاري ، واشتهرت بتصدير أقمشتها المتصفة بالجودة التي حملت الى دمشق ومصر بغداد ومراكش وأسبانيا^(١).

وكانت القوافل شبه يومية تسير موقرة بالانسجة والاحزمة والاحرام والخبز ، والالبان ، والدبس والملبن والقذور والدهان البعلبكي باتجاه دمشق وسائر المدن اللبنانية^(٢).

في عهد الايوبيين والمماليك عرفت بعلبك تجارة طريفة وغريبة اذ صدرت حبّ الملوك (الكرز) مع الحمام الزاجل الى سلاطين القاهرة وهذه الوسيلة كانت ناجعة في توفير الترف للسلطين ومحظياتهم وضيوفهم .

وغدت المدينة مركزا لتصدير القماش القطني الجيد ، حمل الى أوروبا عن طريق مرفأ طرابلس ، والى الاناضول عبر حماه ، وفي هذه الايام اصبحت علاقتها بطرابلس تضارع علاقتها بدمشق^(٣).

ويلى النسيج القطني أهمية الحبوب والاعناب . وقد قيل « بعلبك معدن الاعناب » وكانت تباع في كل سورية ، وتصدّر الى خارج لبنان

.....

١ - حتي : لبنان في التاريخ : ٤١٤ .

٢ - رحلة ابن بطوطة : ٧٨ .

٣ - Lapedus. Muslim . P. 41 .

عن طريق بيروت وصيدا^(١).

وفي نهاية القرن التاسع عشر صدرت بعلبك كثيرا من شرايق الحرير ، وحيوطه المحلولة . وفي مطلع القرن العشرين رُوج تجارتها الخط الحديدي الذي وصلها ببيروت ودمشق وحمص وحلب . واقتصرت صادراتها على المنتجات الزراعية . لأن الصناعة غابت عن أجواء المدينة المتقهقرة . وقَدَّرت صادراتها في مطلع القرن العشرين بأكثر من ستين ألف صندوق فاكهة سنوياً من مشمش وتفاح وخوخ ، ودراق وإجاص . بالإضافة إلى كميات كبيرة من الجوز واللوز والبطاطا والشمندر واللفت والقنبيط والملفوف . ويشحن من محطة بعلبك أكثر من ألفي طن من الحنطة والشعير والعدس والحمص .. »^(٢).

ومنذ سنة ١٩٤٦ م عملت الحكومة الوطنية على إهمال شؤون المدينة فانصرفت منطقة بعلبك الى تجارة (حشيشة الكيف) وصفقاتها تدر أرباحاً طائلة . لكنها ليست مضمونة النجاح دائماً . وخصوصاً بعد ان اتخذت مكافحتها وسائل علمية حديثة .

ومن التجارات المخالفة للقانون في بعلبك وبعض القرى المجاورة بيع وشراء الاسلحة الحربية والتبغ الاميركي .

وتحرس قوافلها أحياناً جماعة من المسلحين ، تمنع مصادرتها من قبل رجال الأمن . وازدهرت هذه التجارة مع القرى السورية بواسطة طرق ترابية شقت في الجبل الشرقي بعيداً عن مراقبة السلطات .

.....

١ - Montran . Reglement . P. 29 , De la Roque : 36 .

٢ - الوف : تاريخ بعلبك : ١٦ .

وتباع آلاف القطع الحربية الخفيفة في الشهر الواحد أحياناً وتأخذ طريقها الى الاردن والسعودية .

كلمة أخيرة عن الأسعار . لقد عرفت بعلبك في الحقب الخالية باعتدال أسعار بضائعها بل كانت تميل الى « الرخص » هذا ما دونه الرحالون الذين زاروا المدينة . قال القلقشندي : « بعلبك واسعة الرزق رخيصة السعر . . »^(١) في القرن الثامن عشر بيع كيل القمح باثني عشر غرشاً في جبل لبنان وبثلاثة غروش في بعلبك^(٢) للعام الواحد . وبيع كيل الذرة بغرش في بعلبك . وبثمانية غروش في جبل لبنان .

ومنذ أن اندلعت نيران الحرب اللبنانية سنة ١٩٧٥م، اضطبغت بعلبك بلون الغلاء المنكر ، وفارقتها مسحة الاعتدال . وتخطت الأسعار المعهودة في سائر المدن اللبنانية للسلع الاجنبية والمحلية ، بدافع جشع تجارها ، وغياب مراقبة السلطة والضمير .

.....

١ - القلقشندي : صبح الاعشى : ٤ / ١١٠ .

٢ - الكيل الشامي : ست أمداد ، أي ١٢٠ كلغ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
بعلبك	١٩
نشأة بعلبك	٢٧
العهد الظراني (الحجري) : (٦٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م)	٣١
مع سليمان بن داود	٣٥
عهد الاسكندر وخلفائه	٣٧
الجمال البعلبكي	٣٩
بعلبك في العهد الروماني (٦٤ ق.م - ٣٩٥ م)	٤١
بعلبك في العهد البيزنطي : (٣٩٥ - ٦٣٥ م)	٦٥
خراب هياكل بعلبك	٦٨
طقوس العبادة في الهياكل	٧٢
بعلبك والفتح الإسلامي	٧٩
حكاية بعلبك	٨٠
بعلبك في العهد الأموي (٤١ - ١٣٢) (٢٦٦ - ٧٥٠ م)	٩٥
دار السكة في بعلبك	٩٩
الفرس في بعلبك	١٠٤
بعلبك في العهد العباسي	١٠٧
بعلبك وثورة المنيطرة	١٠٨
- بعلبك وصراع الدويلات -	١١٣

الموضوع	الصفحة
مع الاخشيد	١١٥
بعلبك مع الدولة الحمدانية (٣٣٣-٤٠٢) (٩٤٤-١٠١٢)	١١٦
في ظل الدولة الفاطمية	١١٦
حملة ابن الشمشقيق	١٢٠
بعلبك في العهد السلجوقي	١٢١
بعلبك صدّرت حكامها البوريين ملوكاً لدمشق	١٢٣
بعلبك ودولة البوريين	١٢٥
العهد الزنكي الثاني	١٣٩
الزلازل	١٤٤
الحركة العمرانية والعلمية	١٤٤
بعلبك في العهد الأيوبي	١٤٧
الامجد بهرام شاه ملك بعلبك (٥٧٨ هـ - ٦٢٧) (١١٨٢ - ١٣٢١)	١٥٥
اعماله العمرانية	١٦٣
الأيوبيون والسمرّة في بعلبك	١٦٤
بعلبك مع الصالح اسماعيل (٦٢٨ - ٦٤٣ هـ) (١٢٣١ - ١٢٤٦)	١٧٠
الغزو التتاري	١٧٩
بعلبك مع المماليك	١٨٦
بعلبك وثورة منطاش	٢٠٠
خصائص الحقبة المملوكية	٢١٨
بعلبك في عهد الاتراك العثمانيين (١٥١٦ - ١٩١٨)	٢٢٣
الحرافشة في بعلبك والبقاع	٢٢٤

الموضوع	الصفحة
الامير موسى (٩٩٩ - ١٠١٦ هـ) (١٥٩٠ - ١٦٠٧)	٢٣٠
الامير يونس بن حسين الحرفوش (١٦٠٨ - ١٦٢٥)	٢٣٧
الامير جهجاه وعودة الحرافشة : (١٧٨٦ - ١٨١٧)	٢٨٩
بعلبك في عهد ابراهيم باشا	٣٠٣
دور الحرافشة في بعلبك	٣١٩
الحياة الادبية	٣٢٤
حكم القائممقامين : ومرفي عهدين	٣٢٨
قضاء بعلبك ١٨٧١ - ١٩١٨ م	٣٤٢
بعلبك مع الدستور	٣٤٦
بعلبك إبان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ م	٣٤٨
الحكومة المحلية المؤقتة : ٢ تشرين الأول ١٩١٨ حتى ٧ تشرين الأول سنة ١٩١٨ م	٣٦٠
مع الحكومة العربية	٣٦١
بعلبك مع لبنان	٣٦٤
محافظة بعلبك - ١٩٢٥	٣٦٦
ثورة سنة ١٩٢٦	٣٦٧
معركة وادي فيسان	٣٧١
موقعة بعلبك : ١٩ أيار ١٩٢٦	٣٧٣
موقعة اللبوة ١١ حزيران ١٩٢٦	٣٧٧
موقعة الجباب ٩ أيلول ١٩٢٦	٣٧٨
موقعة حقاب النقار ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٦	٣٧٩

الموضوع	الصفحة
ادب الثورة	٣٨١
بعلبك إبان الحرب العالمية الثانية	٣٩٤
في عهد الاستقلال	٣٩٥
بعلبك ونكبة فلسطين سنة ١٩٤٨	٣٩٧
أمر عام رقم - ١ -	٤٠٢
احداث سنة ١٩٥٨	٤٠٥
الحرب اللبنانية - الأهلية - الاسرائيلية - الدولية . (١٩٧٥)	٤١١
احصاءات السكان	٤١٩
الكوارث أو (حرب الطبيعة)	٤٢٥
السيل الكبير	٤٢٨
هياكل بعلبك ، اسطورة شعبها وملحمته	٤٤٣
الزراعة	٥١١
الصناعة	٥٢٤
التجارة	٥٢٩

